الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسنطينة-

كلية الآداب و الحضارة الإســــــلاميـة

قســم التاريخ

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسـجيل:.....

مدينة ندرومة في مواجهة الاستعمار والتأثير الأوروبي

(1842 -1954م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة: **إشـراف:**

صبرينة الواعر أ.د أحمد صاري

نوقشت يوم: 03 جوان 2013

الإسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
أ.د أحمد صـــــاري	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة الأمير عبد القادر
ا.د أحميدة عميراوي	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة الأمير عبد القادر
أ.د جيلالي صـــاري	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جـــامعة الجزائـــــر
د. الطاهر عمـــري	أســـــتاذ محاضر	مناقشا	المدرسة العليا للأساتذة
د. الشـــايب قدادرة	أســـــتاذ محاضر	مناقشا	جـــامعة قـــــالمة
د. علي أجـــــقو	أســـــتاذ محاضر	مناقشا	جـــامعة بســـــكرة

السنة الجامعية

2012 - 2013 م

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

شكر وعرفان

من واجب إسداء الشكر والعرفان أن يكون لأستاذي المشرف الدكتور أحمد صاري الذي أمدني بالنصائح والتوجيهات طيلة إنجازي للأطروحة فألفه شكر أستاذي الفاضل، كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر للدكتور جيلالي صاري على ما قدمه من ملاحظات سهلّت لي أمر تحرير الأطروحة

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

مختصرات

A.O.M : Archive d'Outres Mer

B.S.G.A.O: Bulletin de la société de géographie et d'archéologie de la province d'Oran
C.M : Commune mixte
E.N.A.L : **E**ntreprise Nationale du Livre

Fasc : Fascicule

J.A : Jeune Africain

O.P.U : Office des Publications Universitaires
P.U.F: Presses universitaires de France

R.A : Revue africaine

S.A : section Arabe

S.P: séance plénière

S.N.E.D : Société nationale d'édition et de diffusion
Vol : Volume

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

1- التعريف بالموضوع وأهميته:

في مستهل تعريفنا بموضوع البحث سنحاول أن نتفادى العادة المتأصلة في دراسات عديدة والتي تنطلق للتعريف بموضوعها بالإشارة إلى الأعمال التي سبقتها وبخاصة تلك التي لم تهتم بمجال البحث الذي هو قيد الدراسة؛ كالقول أن أغلب الأبحاث قد عكفت على تسليط الضوء على الجانب السياسي والعسكري وهمشت الجوانب الأخرى من تاريخ الجزائر، وهذا الأمر يعد إجحافا في حق ما قدم من دراسات سابقة، فعلى الرغم من أنّ النسبة الكبرى منها كانت دراسات سياسية غير أنّها لم تكن أعمال مكررة؛ بل كل عمل له مدلوله وإشكاليته التي انطلق منها، والعينة التي خصصت للدراسة؛ فمجال البحث في تاريخ الجزائر متنوع وغني بغنى الجزائر واتساع مساحتها؛ فإذا كانت الدراسات السابقة أبحاث أفقية خصت تاريخ الجزائر عامة والجانب السياسي بصفة خاصة؛ فالمجال الآن قد فتح للتخصص الدقيق وإجراء دراسات مونوغرافية تهتم بالتاريخ المحلي والجهوي الذي يرتكز على تحديد المجالين الجغرافي والزماني ؛ فالجزائر تضم مدنا وأقاليم تتوزع من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب عايشت مختلف الأحداث السياسية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية وكان لها أدوار عبر مختلف المراحل من 1830 إلى 1962؛ لذلك ارتأينا أن نخصص دراستنا لمعرفة تاريخ ووضع مدينة جزائرية لها وزنها الحضاري وعمقها التاريخي رغم صغر مساحتها وتبعيتها إداريا معظم الوقت لحاضرة تجاورها وهي مدينة تلمسان، ونحن نقصد بشرحنا ووصفنا هذا مدينة ندرومة، والتي نسعى لمعرفة سيرورة الحياة السياسية فيها خلال الفترة الاستعمارية وفي الوقت نفسه حركية مجتمعها في الفترة ما بين (1842 – 1954)، والتي تمتد من الاحتلال الفرنسي للمدينة إلى غاية اندلاع الكفاح المسلح ، والتي خصصنا لها موضوعا لأطروحتنا هو كالآتي:

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

مدينة ندرومة في مواجهة الاستعمار والتأثير الأوروبي (1842- 1954)

ومادام أن موضوع دراستنا يدور حول تاريخ مدينة كان لزاما علينا الاهتمام بالحياة الاجتماعية فيها؛ فالمدينة في الأساس عبارة عن تجمع سكاني يضم مجموعات مختلفة تربطها علاقات اجتماعية واقتصادية وثقافية، وإنسانية بالدرجة الأولى، وبالتالي فكل فعل أو عمل أو موقف سواء كان من فرد أو من فئة له تأثيره على مجرى الأحداث في المدينة، وهنا تكمن أهمية موضوعنا.

أمّا عن دوافع اختيارنا للموضوع فتكمن في عدة نقاط:

أولا: أن اختيارنا لمدينة ندرومة دون غيرها من المدن، خاصة أنها من مدن الغرب الجزائري البعيدة عن إقامتي بمدينة قسنطينة في الشرق الجزائري لم يأت صدفة؛ وإنما يعد تكملة وإثراء لعملي في مرحلة الماجستير والذي كان دراسة بيوغرافية حول شخصية سياسية من مدينة ندرومة تمثلت في سي محمد بن رحال، وبعد اطلاعي على أحداث كثيرة عايشتها المدينة خلال فترة حياته قررت أن يكون بحثي في الدكتوراه مونوغرافيا حول تاريخ المدينة.

ثانيا: الشهرة التاريخية والحضارية التي تمتعت بها مدينة ندرومة عبر العصور وبخاصة في عهد الموحدين ؛ تثير الفضول لمعرفة وضع هذه المدينة خلال الحقبة الاستعمارية؛

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ثالثا: أنّ الأعمال الأولى التي عنيت بتاريخ المدن اهتمت بالمدن الكبرى[1]، كما إن الدراسات التي عكفت فيما بعد على دراسة المدن تبقى قليلة ومعدودة؛ فقد اطلعت على قائمة رسائل الدكتوراه والماجستير المسجلة في مركز البحث في الإعلام العلمي والتقني (CERIST) والمتعلقة بتاريخ المدن في الجزائر ووجدت أنها ضئيلة؛ قسم منها اعتنى بتاريخ المجتمعات[2]، وقسم آخر اهتم بدراسة بعض المدن الجزائرية عبر فترات تاريخية مختلفة[3]، ولكنها لم تكن جلها دراسات تاريخية محضة؛ بل كانت دراسات تاريخية أثرية، كالدراسة الأثرية التي قدمت حول تاريخ ندرومة في عهد المرابطين[4].

رابعا: إن الدراسات المتعلقة بتاريخ المدن هامة وثرية؛ ذلك أنها تجمع عدة تخصصات مع بعضها البعض، فلا يعتمد باحث التاريخ على المصادر التاريخية فقط بل يتوجب عليه الإطلاع على الدراسات السوسيولوجية والانثروبولوجية وكذلك الدراسات الجغرافية، وهذا الأمر كان محفزا لي للقيام بهذا العمل؛

---

[1] - فاطمة الزهراء (قشي): **قسنطينة المدينة والمجتمع 13هـ/ 18م**، دكتوراه دولة، جامعة تونس الأولى، 1999.

- عبد العزيز (فيلالي): **تلمسان في العهد الزياني؛ دراسة سياسية عمرانية اجتماعية ثقافية** ، دكتوراه دولة، جامعة الجزائر، 1995.

[2] - علي (غنابزية): **مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن 13هـ- 19م**، ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2001.

- يامنة (بحيري): **مجتمع مدينة شرشال في النصف الثاني من القرن 19م من خلال وثائق المحكمة الشرعية**، ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2008.

- توفيق (صالحي): **المجتمع والعمران في مدينة سكيكدة خلال الحقبة الكولونيالية 1838-1962**، ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009.

[3] - إسماعيل (بن نعمان): **مدينة تنس؛ دراسة تاريخية وأثرية، وعمرانية 3-13هـ/9-19م**، دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008.

- محمد (موشموش): **مساجد مدينة تنس؛ دراسة حالة تاريخية أثرية معمارية**، ماجستير في الآثار، جامعة الجزائر، 2009

[4] - محمد رابح (فيسة): **المنشآت المرابطية في مدينة ندرومة؛ دراسة تاريخية أثرية**، ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2006.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

2- **الإشكالية**:

تسعى إشكالية هذه الدراسة للكشف عن وضع مدينة ندرومة خلال الفترة الاستعمارية ومدى محافظتها على هويتها العربية الإسلامية في ظل سلطة أجنبية دخيلة هي السلطة الفرنسية التي جلبت معها نمط حياة مدنية وثقافية غريبة عن المجتمع الندرومي، الذي حافظ لقرون على صورة مدينته التي لم تتخط حدود السور القديم الذي يعود تاريخه إلى زمن الموحدين، فيا ترى ما هو وَقْعُ هذه السلطة الدخيلة على مجتمع مدينة ندرومة وهل تمكن من مواجهة تأثيرها أم حدث العكس؟

وللإجابة على هذه الإشكالية طرحنا جملة من الأسئلة الفرعية:

1- كيف تمّ الاحتلال الفرنسي لمدينة ندرومة؟

2- فيما تمثلت مواقف الندروميين في السنوات الأولى من الاحتلال؟

3- كيف بسطت الإدارة الفرنسية سلطتها وسيطرتها على مدينة ندرومة، وما هي السياسات التي مارستها؟

4- هل حافظت مدينة ندرومة على طابعها العمراني والاجتماعي، أم حدث العكس؟

5- ما هو وضع اقتصاد مدينة ندرومة خلال الفترة الاستعمارية؟

6- ما هو وقع وصدى الأحداث السياسية داخل مدينة ندرومة وما مدى تأثرها بالنشاط السياسي والإصلاحي في الجزائر؟

هذه الأطروحة لا تخلو من الأسئلة عبر فصولها الستة التي سنشرحها بالتفصيل، ونظرا لاتساع الموضوع وتنوعه ؛ جعلناه دراسة سياسية اجتماعية، ولم نخصص حيزا مستقلا للمجال الثقافي الذي جعلناه موزعا عبر الفصول في النقاط التي تربط السياسة بالثقافة، ورأينا أنه يحتاج إلى دراسة مستقلة، قد نناقشها مستقبلا أو يتعرض لها باحثون آخرون، فكما نعلم فمجال البحث لا ينتهي، وهو في استمرارية دائمة.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

3- **المصادر والمراجع:**

لقد ضمت الدراسة مصادر أساسية للموضوع تعتبر كمادة خام، على رأسها أرشيف ما وراء البحار بأكس أون بروفانس Aix en Provence والذي حاولنا أن نستفيد من خلاله من المصنفات العديدة التي خصصها للجزائر عامة وعمالة وهران بصفة خاصة، فقد أتيحت لي فرصة الإطلاع على التقارير التي لم تسمح إدارة الأرشيف بتقديمها للباحثين حتى صدور قرار الحكومة الفرنسية المؤرخ في شهر نوفمبر 2008؛ والذي فتح المجال للباحثين الجزائريين من الاستفادة أكثر فأكثر من الأرصدة الأرشيفية والتي تمكنت من تصفح أعداد منها وبخاصة تلك الصادرة من ديوان والي عمالة وهران ومراكز الشرطة، طيلة فترة الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين والموسومة بالسلسلة المتواصلة Serie Continue ورمزها (124 //)، وقد تنوعت المعلومات التي ناقشتها، من تقارير لوالي عمالة وهران ، ومراسلات بينه وبين رؤساء البلديات المختلطة، وبين تقارير للشرطة حول الأوضاع السياسية والأمنية، بالإضافة إلى نشاطات الحركات السياسية والإصلاحية وعلى رأسها حزب الشعب- حركة الانتصار، والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وكذلك نشاطات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وبالطبع فقد انصب اهتمامنا على تلك التي اختصت ببلدية ندرومة المختلطة ونواحيها، ومن أهم العلب الأرشيفية التي اعتمدنا عليها من السلسلة المتواصلة:

1- Carton N° // 19 : وقد خصص هذا التصنيف للتقارير الشهرية لمدير بلدية ندرومة المختلطة أواخر الأربعينيات من القرن العشرين (1947إلى 1949)، وهي تقارير تتنوع بين السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وقد اعتمدت عليها لمعرفة سير الأوضاع داخل مدينة ندرومة وكذا مقارنتها مع تقارير أخرى.

2- Carton N° // 34 : جمعت فيها تقارير مدراء البلديات المختلطة، ومن بينها تقارير مدير بلدية ندرومة المختلطة لسنة 1952.

3- Carton N°// 111: جمع في هذه العلبة تقارير مصلحة SLNA

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

(Service des liaisons Nord- Africaines)، والمتعلقة بعمالة وهران، وقد ناقشت تقارير هذه المصلحة نشاطات الحركات السياسية ومواقف صحفها.

4- Carton N° //679: جمع في هذه العلبة مراسلات والي وهران مع نائبه في تلمسان لسنة 1949، وقد ضمت تقارير عدة حول نشاط جمعية العلماء في منطقة تلمسان، بالإضافة إلى تقارير شرطة الاستعلامات العامة PRG.

5- Carton N°// 683: ويضم ملف مخصص لنشاطات فرحات عباس والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري في تلمسان ونواحيها، وقد استفدت منه كثير فيما يخص زيارات فرحات عباس إلى ندرومة.

ومن بين الأرصدة الأرشيفية التي اعتمدنا عليها تلك المتعلقة بالبلديات المختلطة في الغرب الجزائري تحت رقم 19 H، وقد تناولت في دراستي تصنيف 19H/ 15 و19H/16، والتي ضمت تقارير حول ندرومة للفترة ما بين 1940- 1946، وتصنيف 19H34، و19H35؛ المتعلق بالتقارير السياسية للبلديات المختلطة لسنة 1953.

كما أطلعنا على التصنيف المتعلق بعمليات السيناتوس كونسلت وحصر الأراضي وكذلك النشاط الاستيطاني في إقليم طرارة بما فيه ندرومة، وذلك في سلسلتي 2N، و 2M؛ العلبتان 2N/67، و 2M/121 .

يضاف إلى أرشيف ما وراء البحار؛ الأرشيف الجزائري، والذي جمعنا منه محاضر جلسات واجتماعات المجالس الانتخابية ومن أهمها اللجان المالية ، ومحاضر المجلس العام بوهران.

وبحكم دراستنا للحركة السياسية والإصلاحية في مدينة ندرومة، فقد استفدنا من أعداد متنوعة من الصحف والمجلات الحزبية، ومن أهمها صحيفة الجمهورية الجزائرية La République Algérienne؛ لسان حال الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، كما أفادتنا جريدة الراشيدي Rachidi في الجزء المتعلق بنشاط النواب بين 1911-1912 ، بالإضافة إلى جريدة الجزائر الحرة L'Algérie libre ممثلة التيار الاستقلالي، أماّ فيما

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

يخص الحركة الإصلاحية؛ فقد اعتمدنا بدرجة كبيرة على جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

كما اعتمدنا على مراجع أولية متنوعة ومن أهمها أعمال الرحالة والجغرافيين، الذين زاروا ندرومة أواخر القرن التاسع عشر، ومن بينهم شارل دي موبري الذي أقام في منطقة طرارة لمدة ستة أشهر؛ كتب خلالها ملاحظات هامة عن الإقليم بما فيه مدينة ندرومة، وقد ترجم ملاحظاته في عمل نشره في مجلة جولة حول العالم Tours du Monde؛ عنوانه ستة أشهر في طرارة Six mois chez les Trara، وقد أفادني كثيرا في الجزء المتعلق بوصف الحالة الاجتماعية في ندرومة وعادات وتقاليد سكان المدينة، ومن المراجع الأساسية كذلك عمل الموظف الفرنسي جوزيف كنال Joseph Canal؛ الذي أعدّ مونوغرافيا ثرية حول تلمسان ونواحيها، وقد خصص أجزاء هامة منها للحديث عن ندرومة، والتي نشرها في نشرة الجمعية الجغرافية والأثرية لوهران بين سنوات 1887 إلى 1891، بعنوان " " Nedroma et le pays des Traras، ومن الأعمال القيمة كذلك مذكرات معلم ندرومي خريج المدرسة العليا ببوزريعة؛ عايش فترة هامة من الاحتلال الفرنسي لمدينة ندرومة، كما كان ناشط ومناضل سياسي في حركة الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري هو محمد بن عمار جباري الذي وافته المنية في صائفة 2011، وكانت لي الفرصة أن إلتقيته شخصيا في شهر مارس 2011 بمدينة ندرومة، وكان قد بلغ من العمر عتيا ولكنه كان لا يزال واعيا ومدركا ويتمتع بذاكرة قوية، ويعود الفضل في تعرفي عليه إلى صديقه الأستاذ الفاضل الدكتور جيلالي صاري، وقد حملت مذكرات محمد بن عمار جباري والمؤلفة من ثلاثة أجزاء عنوان " مسار صعب ولكن مليء" "Un Parcours rude mais bien rempli "، وقد اعتمدت كثيرا على الجزء الثاني والذي خصص لفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وعلى عكس مذكرات كثيرة يشوبها التناقض والمبالغة؛ لاحظت دقة متناهية من طرف المؤلف وذلك بناء على المقارنات التي أجريتها بين رواياته والأعمال التي أحاطت بتاريخ مدينة ندرومة في الفترة المدروسة.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

يضاف إلى الأرشيف والمراجع الأولية؛ مادة قيمة من الدراسات الأكاديمية المتخصصة، ومن بينها دراسة الأستاذ جيلالي صاري التي عنوانها Les villes précoloniales de l'Algérie Occidentale ; Nedroma, Mazouna, Kalâa والتي اعتمدتها في معظم فصول الأطروحة.

كذلك عمل الباحثة الجغرافية ماري آن برونون تيمولين Marie Anne Prenant Thumelin، والتي نشرت في الحوليات الجغرافية للجزائر سنة 1968، تحت عنوان "ندرومة 1954" "Nedroma 1954 " ، وقد أحاطت هذه الدراسة بالجغرافية البشرية، والاقتصادية لسكان المدينة.

ومن الأعمال الأكاديمية كذلك؛ كتاب السوسيولوجي جيلبر غراند غيوم Gilbert Grandguillaume، والمعنون بـ " ندرومة تطور مدينة" "Nedroma l'évolution d'une Medina"، والذي نشر سنة 1976 وقد اهتم بالحياة الاجتماعية وتغيراتها خلال الفترة الاستعمارية.

ولم تخل الأطروحة من المصادر والمراجع الثرية والتي كانت أساسية ومتخصصة في معظم الفصول.

4- منهج الدراسة:

تقتضي الدراسة منهج تاريخي وصفي، استخدمته في عرض المادة العلمية وتوزيعها وفقا للخطة المتبعة في البحث تجنبا من ترك حلقات من مراحل تاريخ وتحولات مدينة ندرومة خلال الفترة الاستعمارية، وقد أرفقته بمنهج تحليلي يقوم بتحليل ودراسة مختلف القضايا السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية وكذا الثقافية التي عرفتها المدينة خلال فترة الدراسة (1842- 1954) ، ومعرفة أسبابها والعوامل المؤثرة فيها، وبالتركيز أكثر على مواقف سكان ندرومة العنصر الفاعل داخل المجتمع، ومعرفة دوافعه وتفسيراته تجاه التواجد الفرنسي، وقد أدخلت في بعض نقاط البحث المنهج الاستقرائي لشرح العلاقة بين السلطة الفرنسية والسكان، اعتمادا على مبدأ التأثير والتأثر، وفي بعض المباحث أدخلت المنهج

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الإحصائي عند تناولي لإحصاءات استعملتها كأدلة في البحث، وبخاصة تلك المتعلقة بتعداد السكان وبملكية الأراضي، ولكن غايتي من كافة هذه المناهج هي معرفة قدر المستطاع سيرورة الحياة السياسية وسط المجتمع الندرومي؟ وما هي مواقفه من السلطة الفرنسية؟، وكل هذا من أجل الوصول إلى إجابة على الإشكالية المطروحة.

5- **محتويات البحث**:

قسمت البحث إلى مدخل، ستة فصول، وخاتمة

تناولت في المدخل لمحة تاريخية عن مدينة ندرومة عبر العصور، وذلك بعد توضيح الإطار الجغرافي للمدينة وكذلك أصل تسميتها، ثم إلقاء الضوء تاريخ مدينة ندرومة بداية من عهد المرابطين إلى العهد العثماني.

الفصل الأول: يحمل عنوان التوسع الفرنسي في الغرب الجزائري؛ ويعتبر فصلا تمهيديا وأساسيا لمعرفة كيف بسطت السلطة الفرنسية سيادتها على هذا الإقليم ومدينة ندرومة فيما بعد.

الفصل الثاني: وقد خصصناه للدراسة الاجتماعية للمدينة، وقد رأينا ضرورة مناقشته قبل الجانب السياسي؛ ذلك أنّ موضوع البحث يقتضي ذلك، فلا بد من الحديث عن المدينة ومجتمعها قبل الحديث عن السلطة والسياسة، وقد عنونت الفصل بـ: مدينة ندرومة دراسة إثنية واجتماعية؛ ناقشت فيه التركيبة السكانية للمدينة، عادات وتقاليد سكان المدينة، بالإضافة إلى النشاط الديني، والأعياد والاحتفالات الموسيمية في المدينة.

الفصل الثالث: وحمل عنوان السياسة الفرنسية في مدينة ندرومة، وقد تناولنا فيه؛ وضع مدينة ندرومة قبيل السيطرة الفرنسية، ثم الاحتلال الفرنسي لمدينة ندرومة، كما تعرضنا إلى الإدارة الفرنسية داخل المدينة وسياسة الاستيطان، بالإضافة إلى توسعات المدينة إلى غاية 1954.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفصل الرابع: بعد الحديث عن السياسة الفرنسية في المدينة، تعرضنا للحديث عن قاعدة البنية التحتية للمجتمع ونقصد بها اقتصاد مدينة ندرومة خلال الفترة الاستعمارية ، وهو عنوان الفصل الرابع، وقد أحطنا بالركائز الثلاث للاقتصاد وهي الصناعة، التجارة، والزراعة، كما ناقشنا موقف السلطة الفرنسية من هذه الأنشطة، ومدى تأثر الندروميين بالسياسة الاقتصادية الفرنسية.

الفصل الخامس: ويحمل عنوان؛ موقف أهالي ندرومة من الإدارة الفرنسية في الفترة ما بين 1842- 1925، وقد تناولنا فيه موقف قياد ندرومة في المراحل الأولى من الاحتلال، ثم ناقشنا موقف نواب ندرومة، وكان لدينا نموذج فريد ورئيس في تلك الفترة هو سي محمد بن رحال، كما خصصنا مبحث خاص بموقف السكان ككل من الإدارة الفرنسية ومن سياساتها وبخاصة من قانون التجنيد الإجباري.

الفصل السادس: وتعرضنا فيه إلى الحركة السياسية والإصلاحية في مدينة ندرومة بعد سنة 1945 وإلى غاية 1954؛ حيث طرحنا أفكار الأحزاب السياسية والإصلاحية وكيف تلقاها سكان ندرومة، والتي أوضحت في النهاية موقف المجتمع الندرومي من الحركة الاستعمارية ومن التأثير الأوروبي.

وقد أرفقت البحث بمجموعة من الملاحق تتنوع بين صور وتقارير، ومخطوطات، بعضها يعتبر تكملة لما ورد في متن الرسالة، وبخاصة الصور والتي تخص منازل ودروب المدينة، والبعض الآخر تمّ التعرض لجزء منه في بعض الفصول، ونظرا لطولها قررنا الاستفادة منها بوضعها في الملاحق، وهي في مجملها تقارير ومراسلات صادرة عن هيئات رسمية تزيد من مصداقية ما طرحناه في المحتوى، ويضاف إليها بعض المخطوطات لبعض العائلات الندرومية لها وزن وقيمة تاريخية، كما أنّها تعطينا صورة عن وضع المجتمع الندرومي خلال الفترة الاستعمارية.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

مدخل: مدينة ندرومة عبر العصور

1- الإطار الجغرافي (الموقع، التضاريس ، المناخ):

تقع مدينة ندرومة في الشمال الغربي لمدينة تلمسان وتبعد عنها مسافة 60 كلم وعن الحدود المغربية الجزائرية بـ45 كلم، على خط طول 146° ودائرتي عرض 35°-55° [1]، و تتموضع على المنحدر الشمالي لجبل فلاوسن وهو أعلى قمة في سلسلة جبال طرارة بارتفاع يقدر بـ 1136م[2]، يحد ندرومة شمالا البحر الأبيض المتوسط ومن الشرق جبال طرارة، وهضبة لالة مغنية من الجنوب والحدود المغربية من الغرب، هذا ما جعلها ملتقى الطرق ونقطة التقاء بين تلمسان، ومغنية، والغزوات، والمغرب الأقصى[3].

وتعد ندرومة جزء من إقليم طرارة والذي بدوره جزء من الأطلس التلي الذي يضم الونشريس والظهرة ، و إقليم طرارة عبارة عن سلسلة جبلية تمتد من الحدود المغربية إلى الظهرة غربا ومعدل علو هذه السلسلة بين 500 إلى 1000 متر، وهي عبارة عن طيات محدبة تمتد غربا مخترقة دولة المغرب الأقصى مشكلة جبال الريف وبن سناسن المغربية ، ومن خصائص جبال طرارة كذلك أنّها جبال ساحلية لذلك اتسمت تضاريسها بالضعف وعدم التنوع، كما أنّ هذه السلسلة الجبلية عبارة عن تكوينات طباشيرية كلسية ولذلك تميز غطائها النباتي بعدم التطور[4].

---

(1)- Mohamed (Berrayah) : Analyse de la dynamique des systèmes et Approche D'aménagement intégrée en zones de la Montagnes Cas des Montagnes des Trara (Wilaya De Tlemcen), Magister en Foresterie, Université de Tlemcen, 2005- 2006, p 28.

(2)- Ibid, p17.

(3)- Paul (le Sept) : "Nedroma cité berbère", In Tlemcen et ses environs ; guide illustré du touriste, A. Thiriat, 1922, p147.

(4)- Mohamed (Berrayah): Op.Cit, p 10.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تقبع مدينة ندرومة فوق هضبة على ارتفاع يقدر بـ420 م عن سطح البحر[1]، حيث يحدها شرقا وجنوبا وادي التافنة وغربا وادي كيس الذي يفصلها عن المغرب الأقصى وقد اتخذت كل قبيلة وندرومة من بينها مكانا محددا في جبال طرارة على شكل قرى؛ أقيمت أغلبها على المنحدرات، والأماكن الصعب الوصول إليها ورغم بساطة هذه القرى غير أنها بفضل الطابع الجبلي للمنطقة كانت بمثابة الحصون والقلاع التي يصعب اختراقها[2].

مناخ طرارة الشبه جاف يضاف إليه طبيعة التربة المتآكلة لم يشجع على إقامة زراعات؛ فاتبع السكان نمط الزراعة الجبلية المعيشية في سفوح الجبال والتي هي في الأساس عبارة عن جيوب في هيئة وديان صغيرة، ما عدا توفر بعض السهول الواسعة المحيطة بمدينة ندرومة، والتي استقرت بها قبيلتي بني مسهل وبني منير[3].

ورغم افتقار الزراعة في منطقة طرارة؛ إلاّ أنّ التربة الكلسية الغنية بالمواد العضوية (حوالي 25%) منحت فضاءً لإقامة بعض الزراعات الأساسية، ومن أهمها الحبوب والكروم وكذلك الفواكه[4].

فإلى أي مدى تماشت جغرافية منطقة ندرومة وطرارة مع أهداف الإدارة الفرنسية؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه في الفصول القادمة.

---

(1) - Mohamed (Berrayah): Op.Cit, p 28.

(2) - J. (Canal) : " Monographie de l'arrondissement de Tlemcen ; Nedroma et le pays des Trara", In B.S.G.A.O, 1888, p 84.

(3) - Ibid., Idem.

(4) - Mohamed (Berrayah) : Op.Cit, p 85.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

2- أصل تسمية مدينة ندرومة:

حسب الرواية العربية؛ فإن أصل التسمية هو **ددرومة**، وهو تحريف لـ **ضد روما** أي منافسة روما، لأنها تقع بعيدا عن الطرق الرومانية، ولم تعرف حضارتها[1]، وفي روايات أخرى؛ أنّ اسم ندرومة جاء من هذا التعبير: **نظروا –أل- ما** (نظروا إلى الماء)، حيث قيل أنّ فرسانا من العرب قدموا إلى تلمسان، و لما دخلوا إلى ندرومة انبهروا بوفرة المياه والينابيع.

وفي رواية أخرى؛ أنّ اسم ندرومة آت من الكلمة البربرية **تادرومت** أو **تادرومات**، ومعناها اتساع الوادي اسفل المنحدر، وهو الموضع الفعلي لمدينة ندرومة[2]، وهذه الرواية هي الأقرب إلى الحقيقة لاعتبارين؛ الأول ويتعلق بالوصف الجغرافي لندرومة الذي يتوافق مع التسمية، والثاني؛ لكون منطقة طرارة إقليم بربري ومعظم أماكنه تحمل أسماء أمازيغية، بما فيها مدينة تلمسان والتي يتألف اسمها من كلمتين بربريتين هما "تلم " ومعناها تجمع و"سان" ومعناها "اثنان، ويعنون بذلك البر والبحر[3].

وقد عرفت مدينة ندرومة في القرن التاسع الميلادي باسم فلاوسن وهو الجبل الذي يحيط بالمدينة، وهذا بحسب ما جاء في كتاب اليعقوبي (278هـ/891-892م) « ... وآخر مملكة بني محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن مدينة فالوسن، وهي مدينة

---

(1) - هذا الأمر ينفيه حسن الوزان (ليون الإفريقي)؛ حيث يقول: «أسس هذه المدينة الرومان قديما عندما كانوا يحكمون المنطقة، وبنوها على بقعة واسعة في سهل ...». ينظر ليون (الإفريقي) : **وصف إفريقيا**، ج2، ط2، تر، محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 13.

(2) - J. (Canal) : Op.Cit, p 84.

(3) - عبد الرحمان (ابن خلدون): **كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ج 6، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1971 ص102.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

عظيمة أهلها بطون البربر من مطماطة وترجة (تاجرة) وجزولة، وصنهاجة، وأنجفة، وأنجيزة»[1].

كما ورد اسم ندرومة في القرن 11م في كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد الله البكري (1040-1094) حيث قال: « ...ومدينة ندرومة هي في طرف جبل تاجرا، وغربيها وشماليها بسايط طيبة ومزارع، وبينها وبين البحر عشر أميال وساحلها وادي ماسين، وهو نهر كثير الثمار وله مرسى مأمون وعليه حصنان ورباط.. ومدينة ندرومة مسورة جليلة لها نهر وبساتين فيها من جميع الثمار...»[2] .

ولا ندري ما هو مقصود البكري بمرسى ماسين، وإن كان يقصد به ميناء في الغزوات باعتبارها الأقرب إلى ندرومة، أو ميناء سيدنا يوشع، غير أنّ ألفريد بيل (Alfred Bel) رجح الميناء الأخير، لأنهّ تبين وجود جبل في الجهة الشرقية لحوض سيدنا يوشع كان يسمى جبل ماسيل[3].

كما أنّ الرحالة والجغرافي المعروف أبو عبد الله الشهير بالشريف الإدريسي (1100-1165م)؛ وصف ندرومة في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق عام(1164م) قائلا:« ... وهي مدينة كبيرة عامرة آهلة ذات سور وسوق وموضعها في سند ولها مزارع كثيرة ولها واد يجري في شرقيها وعليه بساتين وجنات عامرة وسقي كثير»[4].

نفهم من هذا أن اسم ندرومة حلّ محل اسم فلاوسن بين القرنين التاسع والحادي عشر الميلاديين.

---

[1] - اليعقوبي: **كتاب البلدان**، أبود. ج. بريل ، 1892، ص 356- 357.

[2] - أبو عبيد الله (البكري): **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب؛ المسالك والممالك**، مكتبة المثنى بغداد، 1857، ص80.

[3] - Alfred (Bel) : " Nedroma" , In Encyclopedie de l'Islam, T4,nouvelle édition, Leiden, p 958.

[4] - الشريف (الإدريسي): **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ج1،مكتبة الثقافة الدينية، ص 245.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

3- ندرومة في عهد المرابطين:

لم تتضح عراقة مدينة ندرومة من كتابات الجغرافيين والرحالة فقط؛ بل من آثارها التاريخية التي تمّ اكتشافها، والتي ساهمت في تحديد تاريخ تشييدها، ومن أبرز تلك الأدلة؛ لوحة خشبية من شجر الأرز، كانت جزء من منبر المسجد الكبير بندرومة، ولقد اكتشفها الباحث الفرنسي رينيه باسيت Rene Basset عام 1900م ونشر بحثا حولها في كتاب له عام 1901[1] و الغريب في الأمر؛ أنّه لا واحد من بين الجغرافيين والرحالة السابق ذكرهم أشار إلى وجود مسجد بندرومة.

أثبتت دراسة الباحث باسيت؛ أن اللوحة الخشبية[2] تعود إلى فترة حكم المرابطين وبالضبط في عهد الحاكم يوسف بن تاشفين (474هـ/1081-1082م)[3].

إن موقع مدينة ندرومة القريب من المغرب الأقصى جعلها نقطة التقاء بين البلدين عبر فترات مختلفة، ورغم أن منشأ الدولة المرابطية كان بمنطقة السوس الأقصى، فقد تقدمت نحو الشمال لمّا أسست مدينة مراكش، وبدأت بالزحف نحو المناطق المجاورة، وندرومة أو فلاوسن كما كانت تعرف من قبل؛ لم تكن بعيدة عن مسير الجيوش المرابطية التي تركت آثارها في الغرب الجزائري عامة ومدينة تلمسان بصفة خاصة، لذلك فتشييد مسجد في مدينة ندرومة لم يكن بالأمر الغريب على ثقافة المرابطين الإسلامية.

4- ندرومة في عهد الموحدين:

لم تكتسب مدينة ندرومة شهرتها إلاّ في عهد الموحدين؛ حيث كانت مهدا ومنطلقا لحركتهم، وخط دفاعهم ضد المرابطين، خاصة وأنها كانت محصنة طبيعيا بسلسلة جبالها الشاهقة (جبال طرارة)، يضاف إلى ذلك نسب زعيم الموحدين وخليفة المهدي بن تومرت؛

---

(1) - René (Basset) : Nedromah et les Traras, Ed. Ernest Leroux, Paris, 1901, p 01.

(2) - تمّ نقل اللوحة الخشبية بعد العثور عليها إلى متحف الآثار القديمة بالجزائر العاصمة.

(3) - René (Basset) : Op.Cit, p 27 – 28.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

عبد المؤمن بن علي الذي ينحدر من قبيلة كومية في جبال طرارة، والتي تعد ندرومة فرعا من فروعها وذلك بحسب ما جاء على لسان ابن خلدون، الذي أوضح أن اسم ندرومة ليس اسم المدينة فقط بل هو اسم القبيلة التي تشغلها« كومية وهم المعروفون قديما بصطفورة ... وهم من ولد فاتن كما قدمنا ولهم ثلاث بطون منها تفرعت شعوبهم وقبائلهم وهي ندرومة ومغارة وبنو يلول فمن ندرومة مفوطة وحرسة ومردة ومصمانة ومراتة...»[1].

يعتبر عبد المؤمن بن علي؛ المؤسس الفعلي لمدينة ندرومة بحسب ما جاء في التراث الشعبي لسكان المدينة، فهو الذي اهتم بتحصينها وبناء أسوار تحيطها من كل جانب، ولا زالت آثارها قابعة إلى وقتنا الحالي، ومن بين الروايات الشعبية التي تداولها الندروميون فيما بينهم وساهمت في التعريف بالمدينة رواية بعنوان **تاريخ مدينة ندرومة** التي كتبها حمزة بن رحال قاضي وآغا المدينة في عهد الأمير عبد القادر، والفترة الفرنسية والتي نشرها وترجمها إلى اللغة الفرنسية نجله محمد بن رحال عام (1887)، ومن بين ما جاء فيها فيما يخص الفترة الموحدية قول القاضي حمزة بن رحال[2]:« ... أنّ مدينة ندرومة التي تقع عند قدم جبل فلاوسن؛ قد أسست على يد عبد المؤمن في الظروف التالية:... عام (554)هـ، أخضع هذا الحاكم كل البلاد المعروفة باسم إفريقية، ووسّع دولته فامتدت من برقة شرقا إلى تلمسان غربا، بعد ذلك بسنة جمع جيشا عظيما وزحف نحو المغرب الأقصى سعيا لتوسيع إمبراطوريته الواسعة في الأصل، وفي طريقه من وهران إلى تلمسان طلبت منه القبائل العربية السماح لها بالعودة إلى ديارها، فقبل عبد المؤمن بذلك، ولم يبق معه سوى (1000) رجل، وهو لم يتم بعد فتوحاته في مختلف البلاد التي أراد السيطرة عليها وهذا يعني أن تمردا قد حدث في أوساط الجيش الموحدي، الذي بدأ يدبر المكيدة لقتل عبد المؤمن بن علي في ليلة ذلك اليوم حيث عقد اجتماع سري بين قادة الجيش حول ذلك الأمر، وكان بين أفراد الجيش مرابط يدعى أحمد البجاي؛ هذا الأخير سمع بالمؤامرة، وأسرع لإفشاء ذلك

---

[1] - عبد الرحمان (ابن خلدون) : مصدر سابق، ج7، ص 126.

[2] - Hamza (Ben Rahal) : "Histoire de Nedroma", In BSGAO, 1888, p 211-212.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

للأمير، وترجاه أن يضحي بنفسه مكانه، فسمح له الأمير بالنوم في الخيمة الملكية، وما إن طلع الصباح حتى وجد المرابط جثة هامدة على سرير الأمير. وضع المرابط الشهيد فوق ناقة- حسب وصيته- وتركت تسير بمفردها، والمكان الذي تقف فيه يحفر فيه قبره، وقد شيد فوق ضريحه مسجد وبقرب المسجد شيدت مدينة هي مدينة ندرومة ».

كما ذكر الآغا حمزة بن رحال؛ أنّ عبد المؤمن بن علي كان يفكر بادئ الأمر بتشييد المدينة في موقع عين الكبيرة حاليا والتي تبعد عن ندرومة حوالي 7 إلى 8 كلم، بدليل الأساسات التي أقيمت بها، لكنه قوبل برفض من أحد سكان المنطقة الذي ادعى أنّها من أملاكه، لذلك قرر الأمير الموحدي بناء مدينته في ندرومة[1].

هذا ما توفر لنا من معلومات حول تلك الفترة، لكن بإمكاننا الجزم بأنّ الوجود الموحدي حمل معه تغيرات عدّة خاصة تلك التي مسّت التركيبة السكانية للمدينة، بعد استقرار عائلات من المغرب الأقصى داخلها.

5- ندرومة في عهد الزيانيين والمرينيين:

بعد وفاة عبد المؤمن بن علي، بدأ انحطاط الدولة الموحدية التي قسمت أقاليمها بين أبنائه، وخلالها صارت ندرومة تابعة لمملكة المغرب، وتمتعت باستقلالية قرابة الخمسين سنة إلى أن آل الحكم في تلمسان إلى جبار بن يوسف في 629هـ[2]، الذي قدم إلى ندرومة

---

(1) - Hamza (Ben Rahal): Op.Cit, p213 .

(2) - عبد الرحمان (ابن خلدون): مصدر سابق ، ج7، ص 100.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لمحاصرتها، لكنه أصيب بحجر طائش[1] رماه أحد المحاصرين في المدينة وهو يوسف الغفاري الذي قضى على حاكم تلمسان، وفشل بذلك الحصار[2].

تمتعت ندرومة بعد ذلك باستقلال تام ولم تخضع لأي حاكم، حتى عهد هارون بن موسى بن شليفا المغاري حاكم تاونت مؤيد يعقوب بن عبد الحق المريني، الذي قدم إلى ندرومة لاحتلالها لصالح هذا الأخير، لكنه اصطدم مع يغمراسن حاكم تلمسان الذي طارده وهزمه كما هزمه من قبل في تاونت التي اضطر خلالها هارون بن موسى للهروب نحو البحر والاحتماء فوق صخرة مرتفعة كان صعبا على جيش يغمراسن الوصول إليها[3].

بعد هزيمة هارون بن موسى قرر السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق الذهاب إلى ندرومة لمواجهة يغمراسن، وتمكن بالفعل من إجبار هذا الأخير على الخروج منها؛ قرر بعدها السلطان المريني العودة إلى المغرب[4]، واستغل يغمراسن الفرصة وعاد من جديد إلى ندرومة التي خضعت للمرة الثانية لسلطة الزيانيين كما تمّ حصار تاونت للمرة الثانية كذلك.

بعد خمس سنوات من المقاومة المرينية للقوّة الزيانية، حقق المريني هارون بن موسى بعض الانتصارات، لكنه تخلى أخيرا عن تلمسان ونواحيها ليغمراسن وكان ذلك في سنة 672هـ. مع ذلك ظل الوجود المريني قائما وتجسد في أخ هارون أبي تاشفين الذي ظل ممثلا للدولة المرينية في المغرب الأوسط إلى أواخر القرن السابع الهجري[5].

---

(1) - وفي رواية أخرى؛ فإن جبار بن يوسف قد قتل بسهم وليس بحجر ولكن من طرف الشخص نفسه، وهذا ما ورد على لسان ابن خلدون، ج7، ص 100، و ينظر كذلك: الآغا بن عودة (المزاري): **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، ط1،ج1، تح . يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص 162.

(2) - Hamza (Ben Rahal): Op.Cit, p213 .

(3) - . Ibid, Idem.

(4) - بن عودة (المزاري) : مرجع سابق، ص 176.

(5) - Hamza (Ben Rahal): Op.Cit, p 214.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

مع أواخر القرن السابع الهجري (697هـ)، قام أبو يعقوب المريني بحصار مدينة ندرومة، لكنه لم يتمكن من اختراقها وحول هذا الحصار كتب الناصري:« ...حتى نزل على ندرومة فحاصرها وشدد في قتالها ورماها بالمنجنيق أربعين يوما فامتنعت عليه فأفرج عنها ثاني عيد الفطر من السنة المذكورة»[1].

تراجع أبو يعقوب إلى وجدة موطن قبيلة بني عسكر التي كانت خاضعة لإمرة أخيه أبي يحيى[2] وقد قرر هذا الأخير رفقة أخيه أبو يعقوب تجويع سكان مدينتي ندرومة وتلمسان الخاضعتان للسلطة الزيانية، وهذا ما تجسّد بالفعل، فسرعان ما طبق أبو يحيى مقترحات أخيه، وأتلف حقول ندرومة، وقضى على محصولها وجعلها عرضة لمجاعة مؤكدة؛ مما اضطر سكان المدينة إلى إرسال أعيانهم يقودهم زكريا بن يخلف بن المطغري صاحب تاونت[3]؛ لطلب الأمان من أبي يحيى وسلّموا له ولجيشه قصبة المدينة[4].

عندما عاد الملك المريني أبو يعقوب إلى تلمسان مرّ بندرومة سنة (702هـ) ولم يتوان أعيان المدينة في تقديم فروض الولاء والطاعة والسير معه نحو تلمسان[5]. كيف لا وهو الملك الذي اكتسح مناطق عدة في المغرب الأوسط، كتلمسان، هنين، الونشريس، المدية، التي سقطت بين يديه الواحدة تلو الأخرى[6]، وكان من بين أهم الأعمال التي قام بها أبو يعقوب في تلمسان هو تأسيس المنصورة[7] التي لا تزال آثارها تتحدث عنها إلى وقتنا الحالي.

---

(1) - أبو العباس أحمد بن خالد (الناصري): **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج3، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ص 76.

(2) - ابن خلدون: مصدر سابق ج7، ص ص 126و 128.

(3) – المصدر نفسه، ج7، ص 128.

(4) - Hamza (Ben Rahal): Op.Cit, p 214.

(5) - ابن خلدون: مصدر سابق، ج7، ص 126.

(6) - أبو العباس أحمد بن خالد (الناصري): مرجع سابق، ص 80.

(7) – المرجع نفسه، ج7، ص 127.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بعد وفاة أبي يعقوب المريني، حوالي سنة (702هـ)؛ تشتت ملكه بين أبناءه وأحفاده، الذين لم يتمكنوا من الحفاظ عليه، وسرعان ما تنازلوا عن ملك وانتصارات أبو يعقوب إلى بني زيان[1] الذين ظلوا يسيطرون على بلاد المغرب الأوسط بما فيها ندرومة حتى قدوم الأتراك العثمانيين.

6- ندرومة في العهد العثماني:

بدأ الضعف يدب في أوصال الدولة الزيانية؛ ولم تتمكن من التصدي للزحف الإسباني الصليبي على السواحل الجزائرية، حينها اضطر الجزائريون لطلب العون من خير الدين وعروج اللذان وضعا أرضية لسلطة جديدة في الجزائر وهي السلطة العثمانية وبتزكية من علماء وأئمة وأعيان الجزائر الذين استنجدوا بهم.

كان أول الأعمال التي قام بها عروج وأخوه خير الذين هو التصدي للقوة الزيانية في تلمسان بقيادة أبي حمو الثالث الذي تحالف مع الأسبان لقاء بقاءه على العرش، لكنه لم يحقق آماله نظرا للقوة العثمانية التي كانت ترصد وترقب الأحداث وباستمرار، وأفشلت مخططات الزيانيين وقضت على حكمهم، وصارت تلمسان ونواحيها إقليم خاضع للسلطة العثمانية.

إنّ خضوع منطقة تلمسان لم يكن بالأمر الهين واليسير على العثمانيين، وذلك لعدة أسباب؛ من أهمها قرب هذه المنطقة لإقليم وهران الذي سيطرت عليه القوة الإسبانية؛ وبالتالي كانت المنطقة الغربية منطقة نزاع واضطراب بين العثمانيون والإسبان، وسبب آخر وهو قرب تلمسان ونواحيها من مملكة المغرب الأقصى التي كانت تعتبر منطقة تلمسان أراضي تابعة لها، يكفي أنّ ملوك المغرب الأوائل ومن أبرزهم بنو مرين حاربوا لسنوات عدة لاقتطاع تلمسان من الحكم الزياني، وقد ورث الأشراف السعديون ذلك[2]، وكما نعلم فإن

---

[1] - ابن خلدون: مصدر سابق، ج7، ص 130.

[2] - عمار (بن خروف): **العلاقات بين الجزائر والمغرب** 1517-1659م، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، 1983، ص 154-155.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

مدينة ندرومة هي من المدن الجزائرية الواقعة على خط التماس الجزائري والمغربي، وهذا ما جعلها وسط الصراع والتنافس الذي برز بين العثمانيين وسلاطين المغرب؛ لكون العثمانيون اقتنعوا منذ البداية أن الأراضي الجزائرية تقف عند حدود واد ملوية وهو خط متقدم أكثر نحو المغرب، والمغاربة رأوا أن حدود بلادهم تصل إلى واد التافنة، وهذا ما أدى إلى سلسلة من الحروب والمعارك عانت خلالها منطقة الغرب الجزائري بما فيها مدينة ندرومة التي لم تعرف الهدوء والسكينة منذ مجيء العثمانيين[1]، لكن صراع الحدود انتهى ووقفت السلطة العثمانية عند حدود التافنة وكان ذلك بعد الحملة التي شنها الملك المغربي مولاي إسماعيل (1672 – 1727م) الذي أراد وضع حد لهذا النزاع، ساعيا برسم الحدود بين البلدين عند واد التافنة، وقد حقق ذلك فعليا بعد أن هدد العثمانيين في عقر دارهم؛ حيث وصل إلى الشلف متجاوزا خط الحدود سنة (1679) [2]، لكن العثمانيون لم يعتبروا هذا الإنجاز المغربي عملا رسميا، وظل الأمر على ما هو عليه إلى أن تولّى الداي بابا حسان الحكم في الجزائر سنة (1791م)[3].

في ذلك الوقت؛ دخلت الحامية العثمانية إلى ندرومة، ويروي الندروميون العنف الذي مارسه أحد الضباط ضد فتاة ممّا تسبب في قتله بعدها على يد مجموعة من الغوغاء، فلما سمع الداي حسان (1791-1798م) بهذا الأمر قرر السير إلى ندرومة، هذه الأخيرة قررت الترحيب به والخضوع لسلطته وقد عبرت عن ذلك بعدد من الهدايا الثمينة التي قدمتها له[4].

هذا الاستقبال من طرف الندروميين؛ هدأ من روع الداي الذي اكتفى بفرض ضريبة سنوية على سكان ندرومة قدرت بمائة قطعة كبيرة من القماش القطني تخصص لصنع خيام

---

(1) - Hamza (Ben Rahal): Op.Cit, p 214.

(2) - عبد الرحمان (محمد الجيلالي): **تاريخ الجزائر العام**، ط2،ج 3، ش،ج،ن،ت، الجزائر، 1965، ص 190.

(3) - Hamza (Ben Rahal): Op.Cit, p 215.

(4) - Ibid., Idem

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

للجنود العثمانيين، وبمرور الوقت ارتفعت الضريبة المفروضة على سكان ندرومة حيث بلغت قيمتها (1000) قطعة قماش[1].

لكن خضوع ندرومة للسلطة العثمانية لم يكن نهائيا فسرعان ما انقسم السكان إلى فرقتين:

- **الأولى**: رأت أن قوة ندرومة تكمن في اتحادها مع السلطان المغربي مولاي إسماعيل، هذا الأخير الذي قام سنة (1701)؛ بتشجيع أصحاب الطرق الصوفية (الدرقاوية والتيجانية)، وبعض القبائل العربية المناهضين للحكم العثماني لشّق عصا الطاعة وأمدهم بالأموال[2].

- **الثانية**: مالت إلى صف العثمانيين وسارعت إلى استدعائهم، ولم يتوان هؤلاء في إرسال حامية أقامت معسكرها بالقرب من ندرومة، التي دخلتها مجموعة كبيرة من الجنود العثمانيين بحجة التسوّق، وبعدها بوقت قصير وبإشارة من تلك المجموعة، دخل الداي رفقة جيشه وعاثوا فسادا في ندرومة، مما اضطر عددا من العائلات إلى الفرار واللجوء إلى القبائل في المناطق المجاورة[3]، وقد عاد الداي إلى الجزائر تاركا حامية عسكرية قوية داخل ندرومة تحت إمرة باي الغرب الذي خضعت له المنطقة الممتدة بين واد التافنة وكيس.

بعد هذه الأحداث الأليمة التي تعرضت لها مدينة ندرومة؛ اعتلى العرش في المغرب الأقصى مولاي سليمان (1792-1822)، وقد استبشر الندروميون خيرا بهذا الملك، وكانوا ينتظرون تجدد الصراع بينه وبين العثمانيين، لكنه لم يفعل؛ لأنه كان يفضل العمل السياسي على الحل العسكري وليس أدل على ذلك ما قام به سنة (1795) ؛ حين قام داي الجزائر حسان بغزو مدينة وجدة، لكن سلطان المغرب سليمان رفض المواجهة العسكرية وطلب من

---

(1) - Hamza (Ben Rahal): Op.Cit, p 215

(2) - محمد علي (داهش): "العلاقات المغربية العثمانية في العصر الحديث(1650-1830)"، **مجلة حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية**، جامعة قطر، الدوحة، قطر، 1995، ص 167.

(3) - Hamza (Ben Rahal): Op.Cit, p 215.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الداي الانسحاب حقنا للدماء وهذا ما حدث بالفعل، وقد تكرر موقف السلطان المغربي المتمثل في أفضلية العمل السياسي سنة (1804)؛ حين تمرد سكان تلمسان ونواحيها على داي الجزائر وأعلنوا تبعيتهم ومبايعتهم لسلطان المغرب، لكنه رفض التدخل في الشؤون الداخلية للجزائر وأرسل مبعوثه أبو السرور عياد الوربي ليصلح بين السلطة العثمانية وأهل تلمسان[1].

في الواقع؛ إنّ المهادنة والدبلوماسية التي تبناها السلطان مولاي سليمان لم تكن بسبب سياسته المرنة ونفوره من العمل العسكري وإنما بسبب الظروف الداخلية والخارجية التي أحاطت بالمغرب الأقصى في تلك الفترة؛ حيث شهد اضطرابات داخلية متعددة ضد السلطة المركزية، إلى جانب تعرضه إلى هجمات أوروبية متعددة [2].

فقد تزامن تمرد سكان ندرومة وطلبهم العون من السلطان المغربي؛ خروج حاكم وجدة عن طاعة السلطان، وتعرضه بالسوء إلى سكان ندرومة كما فعل العثمانيون من قبل، وذلك محاولة لخلق التوتر بين الطرفين العثماني والمغربي وتصعيد الصراع بينهما لإحكام قبضته على وجدة ومنها على كل المغرب، لذلك سعى مولاي سليمان إلى تأديب حاكم وجدة وإجباره على الاعتراف بسلطته على بلاد المغرب، ونفس الأمر قام به داي الجزائر الذي قصد ندرومة لتأديب عرب وجدة الذين زحفوا إلى الأراضي الجزائرية، وللتأكيد على أن ندرومة جزء لا يتجزأ من أراضي السلطة العثمانية، وأنّه قام بهذا العمل حفاظا على المصلحة العامة للبلدين، وقد واقف ملك المغرب على ذلك[3]، وهذا بدوره حفّز سكان ندرومة على الاعتراف رسميا بالسلطة العثمانية على مدينتهم[4].

---

(1) - محمد علي داهش: مرجع سابق، ص 170.

(2) - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) - أحمد الشريف (الزهار): **مذكرات نقيب أشراف الجزائر** 1754-1830، تح: أحمد توفيق المدني، ش،و،ن،ت، الجزائر، 1974، ص 51.

(4) - Hamza (Ben Rahal): Op.Cit, p 216.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ومنذ ذلك الحين؛ صارت مدينة ندرومة وما يجاورها من قبائل طرارة إقليم يدين بالولاء للعثمانيين الذين منحوا سكان المنطقة استقلالية في تسيير شؤونهم عن طريق مجالسهم المحلية المعروفة بمجالس الجماعة، ولذلك لم يتم تعيين والي عثماني في المنطقة، وظل الحال على ما هو عليه إلى غاية الاحتلال الفرنسي، وهذا يجعلنا نتسائل ما هو حال المجتمع الندرومي في ظل السيطرة الفرنسية؟

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفصل الأول :

التوسع الفرنسي في الغرب الجزائري

1-1- السيطرة الفرنسية على مدينة وهران

1-2- احتلال مستغانم

1-3- احتلال معسكر

1-4- احتلال تلمسان

1-5- الإدارة الفرنسية للقبائل الجزائرية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

1-1-السيطرة الفرنسية على مدينة وهران:

حين دخلت الجيوش الفرنسية إلى مدينة الجزائر، وأمضى الداي حسين معاهدة الاستسلام أمام الجنرال دي بورمون بتاريخ 05 جويلية 1830؛ لم يحرك حسن باي وهران آنذاك ساكنا، ولم تبرز منه أية محاولة أو رد فعل تجاه هذا الحادث، مقارنة مع باي قسنطينة الحاج أحمد الذي أعلن سريعا رفضه للوجود الفرنسي.

كان بايليك وهران يعاني أزمات سياسية واقتصادية، وبخاصة عاصمته وهران؛ بفعل حركات المقاومة والتمرد التي شنتها القبائل الجزائرية ضد الحكم العثماني وسياسة الباي حسان الجائرة، وبخاصة فيما يتعلق بالضرائب؛ حيث قامت بالهجوم على وهران، ومحاصرة الباي الذي كان قد بلغ من العمر عتيا وأنهك المرض جسده ولم يكن بمقدوره الدفاع عن مقر سلطته[1]؛ فأضطر للفرار إلى معسكر حاملا معه خزانة البايليك وفي طريقه صادفته القبائل التي قامت بمحاصرته واتهمته بالخيانة، فلم يجد من بُد سوى طلب المساعدة والحماية من الجيش الفرنسي، الذي وافق على طلبه؛ حيث أرسل إليه الجنرال دي بورمون (De Bourmont) مقابل ذلك رسالة يطالبه فيها بتسليم وهرا ن، هذا الأمر لقي معارضة قوّية من طرف بعض أعضاء ديوان الباي حسن، الذين قرروا الوقوف إلى صف القبائل الجزائرية وطلبوا من الباي إشرافهم على الفرقة العسكرية المتبقية[2]، لكن الباي حسن رفض اقتراحهم ولم يتأخر عن تلبية مطلب دي بورمون دون شروط؛ حيث سلّم مدينة وهران للسلطة الفرنسية يوم 14ديسمبر 1830[3]، وغادرها بتاريخ 04 جانفي1831 قاصدا مكة المكرمة.

إن استسلام الباي حسن لم يكن بسبب الافتقار للعدة والعتاد العسكري، وليس بسبب سوء التحصينات والاستعدادات العسكرية؛ فإذا كان جيشه لا يتعدى آنذاك (800) جندي؛

---

(1)- P. (Clausolles) : l'Algérie pittoresque, ou histoire de la Régence d'Alger, Toulouse, 1845 p75.

(2)- Ibid, Idem .

(3)- E.(Pellissier) : Annales Algériennes, T1, Imp. Anselin et Gautier, Paris, 1836, p161.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فإنّه مع ذلك يعدّ جيشا كبيرا مقارنة مع القوة العسكرية التي تركها دي بورمون في المرسى الكبير والتي لم تكن تتجاوز (110) جندي، كما أنّ دي بورمون كان قد غادر وهران قاصدا الجزائر لتزويد المدينة أكثر فأكثر بالفرق العسكرية لتحقيق السيطرة الفرنسية عليها[1].

صارت وهران تحت السيطرة الفرنسية في وقت وجيز، غير أنّ حداثة السلطة الفرنسية بالجزائر وعدم استقرارها بعد، وبسط سيطرتها على المناطق التي احتلتها بالإضافة إلى تخوفها من اندلاع حرب أوروبية نتيجة حملتها على الجزائر، وكذا علاقاتها غير المستقرة مع الدول الأوروبية؛ رأت الإدارة الفرنسية ممثلة في شخص الجنرال كلوزيل (Clauzel) حاكم الجزائر[2] الجديد تسليم إدارة مدينة وهران لباي تونس مقابل مليون فرنك سنويا مع بقاء المساعدة الفرنسية[3].

وصل ممثل تونس الأغا خير الدين إلى وهران بتاريخ 04 فيفري 1831[4] ، لكن قبائل الغرب الجزائري رفضت الرضوخ للسلطة التونسية، وأضحت وهران معزولة عن باقي المناطق الداخلية، ممّا دفع بالأغا خير الدين للقيام بعمليات غزو للقبائل المجاورة لتزويد جنده بالمؤن والغذاء[5].

---

(1)- Camille (Leynadier) & Clauzel : Histoire de l'Algérie Française, Ed. H Morel. Paris, 1846, p 262.

2- بارثرون كلوزيل (Bertrand Clauzel)؛ ولد يوم 12 ديسمبر 1772 في ميريبوا Mire poix بفرنسا تولى عدة وظائف في الجيش والسفارة الفرنسية في أسبانيا، وقيادة الجيش في سان دومينيك، وأرسل إلى هولندا وإيطاليا، حكم عليه بالإعدام عسكريا سنة 1816، ثم عفي عنه بعد أربع سنوات.تولى القيادة بدل دي بورمون يوم 07 أوت 1830، أصبح ماريشال فرنسا سنة 1831، ثم عيّن مرة أخرى في الجزائر سنة 1835 وعزل منها بعد فشله في حملة قسنطينة سنة 1837، وتوفي سنة 1843. ينظر؛ أبوالقاسم (سعد الله): **الحركة الوطنية الجزائرية** 1830- 1900، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص 36.

(3)- De Pimodan :Oran, Tlemcen, Sud-Oranais 1899-1900, Paris, 1902, p17.

(4)- Ibid, Idem.

(5)- Ibid, Idem.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أمام هذا الوضع، قررت السلطة الفرنسية نزع الحكم من يد التونسيين ، وتولت هي زمام الإدارة في وهران، بإشراف من كلوزيل الذي دخلها في 17 أفريل 1831، وفي سبتمبر 1831 عيّن برتزين حاكما على وهران[1].

بدأت السلطة الفرنسية بتنظيم إدارتها واستهلت عملها بمصلحة الضرائب، وذلك حسب ما جاء في قرار 07 سبتمبر 1831؛ القاضي بإخضاع مدينة وهران للنظام الضريبي وكذلك ضرورة معالجة الرسوم الجمركية خاصة بوجود ميناء المرسى الكبير الذي يشكل ثروة اقتصادية، وبسرعة تمّ تأسيس مكتب للجمارك أشرف عليه براكلين (Baraclein) [2] .

لم تتوقف الإدارة الفرنسية عند هذا الحد، واتخذت من وهران منطلقا للتوغل لاختراق المناطق الداخلية، وقد برز هذا من خلال الحملات العسكرية التي شنتها بعيد احتلالها لوهران على القبائل المتاخمة للمدينة، وبعض السهول، وكانت بداية هذه الحملات على يد القائد برتزين، والجنرال بواي (Boyer)[3] .

خلف الجنرال دي ميشيل (De Michels) الجنرال بواي (Boyer) في 23 أفريل1833 [4]، أختلف هذا الجنرال عن الحكام السابقين لرفضه البقاء في وهران وقرر الخروج من المدينة لإخضاع القبائل ، وهذا ما تمّ بالفعل بين07 و08 ماي 1833؛ حيث اخذ معه (2000) جندي واتجه صوب قبيلة الغرابة جنوب شرق وهران، وابتدأ بمهاجمة بعض الدواوير التابعة لها؛ التي سارع أهلها لإعلان خضوعهم أمام دي ميشيل دون مقاومة[5] .

---

(1)- E. (Pellissier) :Op.Cit, p212.

(2)- Ibid, p214.

(3)- Ibid, p346 .

(4)- Camille (Leynadier) & (Clauzel) : Op.Cit, p297.

(5)- Ibid, Idem.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

غنم دي ميشيل من هذه الحملة على قبيلة الغرابة بعض الماشية، كما أخذ معه بعض الرهائن من بينهم نسوة، واتجه بهم إلى وهران[1]، وهذا ما أثار حفيظة القبائل التي سارعت لملاحقته، لكنها لم تتمكن من النيل منه، ولمّا سمع الأمير عبد القادر بالخبر، أخذ عددا كبيرا من رجاله، يرافقه والده محي الدين وعسكر على مسافة 10 كلم من وهران، في مكان يسّمى الكرمة، سعيا لمحاصرة دي ميشيل في وهران ومنعه من التغلغل وسط القبائل المجاورة للمدينة[2]، فقرر دي ميشيل تهدئة الأوضاع بإعادة النساء إلى قبيلة الغرابة بتاريخ 07 ماي 1833[3]، ومع ذلك لم يتخل دي ميشيل عن مخططه القاضي بالتوسع نحو الداخل في كافة الغرب الوهراني، بدليل أنّه بدأ بتحصين المرسى الكبير لأنه كان مركزا تجاريا قويا، كما أقام دي ميشيل حاميتان عسكريتان في أرزيو ومستغانم تكونان بمثابة خطوط للدفاع في حال ما إذا تغلغل نحو الداخل[4]، والواقع أن دي ميشيل قد وجد المنطقتين (أرزيو و مستغانم) خاليتين من السكان بعد أن أمر الأمير عبد القادر السكان بمغادرتهما [5]، وأسرع الأمير عبد القادر ناحية تلمسان لإحكام السيطرة عليها قبل الفرنسيين، خاصة وأنّ لها منفذ بحري قد يسعى الفرنسيون للسيطرة عليه.

لم يتأخر سكان تلمسان في إعلان الطاعة للأمير عبد القادر، لولا تدخل الكراغلة الذين كانوا يشكلون فئة معتبرة في المدينة ويسيطرون على قلعتها المسّماة المشوّر[6] أهم تحصين في المدينة ، ولم يكن لدى الأمير عبد القادر الاستعداد العسكري الكافي لمواجهة الكراغلة فقرر العودة إلى معسكر.

---

(1)- E. Pellissier : Op.Cit, p348 .

(2)- Camille (Leynadier) & (Clauzel) : Op.Cit, p348.

(3)- E. (Pellissier) : Op.Cit, p351.

(4)- Arsène (Berteuil) : l'Algérie Française, T.1, Ed. Dentu, Paris, 1856, p300.

(5)- Ibid, p 299.

(6) - المشور هي القلعة القديمة التي بناها يغمراسن (1235/1234-1282) وتحولت فيما بعد إلى إقامة رسمية لبني عبد الواد ملوك تلمسان.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

كانت حملات دي ميشيل الحملات الفرنسية الأولى نحو التوسع جنوب وهران وبقية مناطق الغرب الجزائري حملات قوية لكنها باءت بالفشل؛ مع ذلك تمكن الفرنسيون من السيطرة على أهم مدينة في الغرب آنذاك وهي وهران، التي صارت منذ (1833) قاعدة لانطلاق الحملات الفرنسية لتأديب القبائل الداخلية ومواجهة قائدها وأميرها الذي أعلن المقاومة ألا وهو عبد القادر بن محي الدين الذي نال البيعة كزعيم للجهاد سنة (1833)، واتخذ معسكر عاصمة له.

1-2-احتلال مستغانم:

استهل دي ميشيل سياسته التوسعية جنوب وهران-كما سبق الذكر- بإقامة تحصينات أمامية على السواحل، وكان من أبرزها تحصينات ميناء أرزيو، ذلك أنّ هذا الأخير يقع في الطريق إلى مستغانم، هذه المدينة التي سعت السلطة الفرنسية للسيطرة عليها قبل أن يصل إليها الأمير عبد القادر؛ الذي كان منشغلا بإحكام السيطرة على مدينة تلمسان وهي من أهم المدن في الغرب الجزائري شأنها شأن وهران.

يبعد ميناء أرزيو (60) كلم شرق وهران باتجاه مستغانم، ويعدّ من أشهر موانئ الغرب الجزائري بعد المرسى الكبير؛ ذلك أنّ معظم نشاطات التجارة الخارجية تمر عبره كما يلعب دورا استراتيجيا هاما ، ضف إلى ذلك مرساه الممتاز، هذا كله أثار فكرة الاستحواذ عليه من قبل الإدارة الفرنسية، ليس لأغراض عسكرية فقط، بقدر ما كان لأغراض تجارية بحتة[1].

هذا المخطط الفرنسي لم يكن يخفى على حنكة الأمير عبد القادر السياسية والذي سعى بدوره للسيطرة على ميناء أرزيو، لكنه واجه معارضة من طرف المشرف على الميناء

(1) - L.(Lacretelle) : Etudes sur la province d'Oran, Marseille, 1865, p 54-55.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الذي أبرم اتفاق مع الفرنسيين وأعلن صداقته لهم، وكلل هذا الاتفاق بدخول دي ميشيل إلى ميناء أرزيو في 03 جويلية 1833 ، واستيلائه عليه دون مقاومة[1] .

كانت السيطرة على ميناء أرزيو الخطوة الأولى نحو احتلال مدينة مستغانم، التي تخوّف الفرنسيون من سيطرة الأمير عبد القادر عليها قبلهم، وكانت مستغانم تحت إمرة حاكم تركي يدعى القائد إبراهيم الذي أعلن ولائه وخضوعه للسلطة الفرنسية عقب سقوط وهران، لكنه رفض استقبال الجنود الفرنسيين وإقامتهم بالمدينة، وهذا كان في صالح الأمير عبد القادر[2] ، خاصة وأن سّكان المدينة لم تجمعهم يوما علاقة طيبة مع هذا الحاكم التركي وباقي الأتراك، فإذا باغت الأمير عبد القادر القائد إبراهيم، فإنّ أوّل عمل سيبادر به السكان هو إعلان التمرد والعصيان، وفي تلك الحالة سيعلن سكّان المدينة تبعيتهم للأمير عبد القادر[3].

لذلك ارتأى دي ميشيل قيادة حملة عسكرية باتجاه مستغانم، للاستيلاء عليها، في الوقت الذي كان فيه الأمير عبد القادر أمام أسوار تلمسان.

غادر دي ميشيل المرسى الكبير على رأس فرقة عسكرية صغيرة مؤلفة من (140) رجل ومدفعين، وأرسى عند فم نهر الهبرة بتاريخ 27 جويلية 1833 على مسافة خمس ساعات عن مستغانم[4].

في اليوم التالي ، دخل دي ميشيل المدينة، يرافقه قائدها، الذي أتى لملاقاته، في حين أسرع السّكان لأخذ مستلزماتهم وأموالهم وخرجوا منها وتركوا مستغانم شبه فارغة؛

---

(1) - Victor (de Nouvion) : Histoire du règne de Louis-Philippe 1er ; roi des français 1830-1848, T1, Paris, 1859, p579.

(2) - Eugène (Cavaignac) , De la Régence d'Alger, notes sur l'occupation ,Ed Victor Magen, Paris1839, p25-26.

(3) - Camille (Leynadier) & (Clauzel) : Op.Cit, p351.

(4) - Victor (De Nouvion) : Op.Cit, p580.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المنطقة الوحيدة التي ظلت آهلة بالسّكان هي شارع المطمور الذي أقيمت به الحامية الفرنسية[1].

باشر دي ميشيل العمل بتوزيع الجنود على الحصون استعدادا لمواجهة القبائل الثائرة، خاصة وأنّها كانت قد التحقت بجيش الأمير عبد القادر منذ 29 جويلية، وفي الثاني من أوت، وصل الأمير مع قواته إلى مستغانم، وحاول اقتحامها يوم 08 أوت، لكنه لم يتمكن، خاصة وأنّ القبائل المرافقة له قد أعلنت انفصالها وعادت إلى دواويرها[2]، في الوقت الذي أوكل فيه أمر إدارة مدينة مستغانم للكولونيل دي باراي (De Barail) بعد أن غادرها دي ميشيل متجها إلى وهران[3].

رغم فشل الأمير عبد القادر في دخول مستغانم إلاّ أنّه واصل هجوماته ضد السلطة الفرنسية ، حيث شهدت منطقة وهران أشهرا متواصلة من المقاومة الجزائرية، وسلسلة من الهزائم الفرنسية بين 1833 و1834، نتج عنها سعي دي ميشيل لإيقاف القتال وإبرامه المعاهدة التي سميت باسمه معاهدة دي ميشيل مع الأمير عبد القادر في 26 فيفري 1834.

1-3-احتلال معسكر :

أزيح الجنرال دي ميشيل عن منصبه بعد إبرامه معاهدة مع الأمير عبد القادر عام 1834 والتي اعتبرتها الإدارة الفرنسية خطأً فادحا، وأنّها اتفاقية تمثل شخص دي ميشيل لا السلطة الفرنسية لذلك عيّن مكانه تريزل (Trézel)، الذي حاول التغلغل جنوب وهران، وسعى لإضعاف قوّة الأمير في معسكر ونواحيها، واستهل عملياته العسكرية بتقوية قبائل الدوايرو والزمالة، التي سارعت لطلب المساعدة من الإدارة الفرنسية مخافة جيش الأمير عبد القادر فقرر تريزل إرسال إنذار إلى حاكم معسكر يطالبه بعدم التعرض للدوايرو والزمالة، لكن

(1)- E.(Pellissier) : Op.Cit, p357.
(2)- Ibid, p, p358.
(3)- Arsène (Berteuil) : Op.Cit, p299.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

حاكم المدينة والأمير عبد القادر لم يهتما برسالة تريزيل[1] الذي قرر الخروج من وهران لمحاربة الأمير، وتمّ اللقاء بين الجيشين عند نهر سيق، وبالرغم من أنّ تريزيل قد حقق بعض الانتصارات المؤقتة، إلاّ أنّه انسحب إلى وهران، وبعد مدة خلفه الجنرال دارلونج لكن لم يستمر طويلا في قيادة جيش إقليم وهران، الذي قرر كلوزيل (Clauzel) الإشراف عليه لقيادة المعارك ضد جيش الأمير في كل من إقليم التيطري ووهران بالرغم من كونه عيّن في مهمة أكبر وهي ترأسه للحكومة العامة في الجزائر بتاريخ 08 جويلية 1835[2].

1-3-1-حملة كلوزيل وحرق معسكر1835:

حلّ الجنرال كلوزيل بوهران يوم 21 نوفمبر 1835، وأوكلت إليه مهمة القضاء على قوّة الأمير عبد القادر وضرب عاصمته معسكر[3].

قام كلوزيل بإعداد جيش مكون من فرقة من الزواف، وفرقة عسكرية مؤلفة من (11000) جندي، يرافقه الدوق أورليان نجل الملك لويس فيليب، وإبراهيم باي قائد مستغانم، وقد خرج كلوزيل بالجيش يوم 25 نوفمبر لمواجهة الأمير عبد القادر[4] الذي كان على أهبة الاستعداد خاصة وأنّه تمكّن من تقوية جيشه ودفاعاته، ويكفي أنّ جل القبائل قد انصاعت إلى أوامره وانضمت إليه بما فيها بعض القبائل في مقاطعة الجزائر ومنطقة التيطري، ما عدا قبيلة الدوايرحليفة فرنسا.

عسكر الأمير عند سفوح جبال الأطلس المحيطة بمنطقة سيق، وأرسل فرقا لتمشيط المنطقة، لكن هذه الأخيرة لم تتواجه مع القوات الفرنسية، وظل الأمر على هذا الحال، إلى غاية01 ديسمبر 1835 ؛ حين بدأت المواجهات بين الجيشين، وقد دامت المعارك ثلاثة

---

(1)- A. (Hugo): France militaire, histoire des armées Françaises de terre et de mer 1792 -1837, T5, Paris, 1838, p 350.

(2)- E. (Pellissier) : Op.Cit, p347 .

(3)- Arsène (Berteuil) : Op.Cit, p383

(4)- Achille (Fillias): Histoire de la conquête et de la colonisation de l'Algérie1830-1860, Ed. Arnauld de Vresse, Paris, 1860, p179.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أيّام تشتت فيها جيش الأمير، ونقص منه الثلثين، كما أنّ ما تبقى من جيشه عاد إلى دواويره[1] وهذه هي المعضلة التي كان يشكوا منها الأمير وهي افتقاده لجيش نظامي، فقرر مغادرة معسكر ، لكنّه قام بتحطيم الورشات التي كان قد شيدها من قبل، وأخذ معه جل السّكان، ما عدا اليهود الذي ابتعدوا بدورهم سالكين طريقا أخرى[2].

سار كلوزيل بجيشه صوب معسكر عاصمة الأمير عبد القادر، ودخلها يوم 06 ديسمبر 1835[3]، وجعل من مركز الأمير السابق (قصر البايليك) مقرا مؤقتا له، لأنه غادر معسكر سريعا يوم 09 ديسمبر، وقد ترك كلوزيل مجموعة من الجنود وفرقة من الرماة والزواف وعددا آخر من القوات استقر بضواحي مدينة معسكر، حيث شيّد مخيمات عسكرية تحيط بها، كما عيّن القائد إبراهيم[4] بايا على معسكر[5] .

إنّ مغادرة كلوزيل المبكرة تتناقض مع ما كان يخطط له، ولا تبرز الاهتمام الفرنسي بعاصمة الأمير خاصة وأنّه قد أوضح أسباب احتلاله لمعسكر قائلا:[6] « معسكر مدينة حصينة؛ وستكون ملجأ لمن يرغب في القتال من أجل سلطتنا »، وهو يعني بكلامه القبائل المتمردة على سلطة الأمير عبد القادر وعلى رأسها الدوائر والزمالة التي شاركت في حملته على معسكر، ضف إلى ذلك؛ أراد كلوزيل احتلال معسكر لتدمير سلطة قوّة الأمير عبد

---

(1) - A. (Hugo): Op.Cit, p 352.

(2) - شارل هنري (تشرشل): **حياة الأمير عبد القادر**، تر. أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974، ص 101.

(3) - محمد (بن الأمير عبد القادر): **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر**، ج 1 المطبعة التجارية، الإسكندرية، 1903، ص 161.

(4) - وكان في ذلك الوقت باي مدينة مستغانم.

(5) - Achille (Fillias) : Op.Cit, p 181.

(6) - Bertrand (Clauzel) : Explications du Maréchal Clauzel, Ambroise Dupont, Paris, 1837, p13.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

القادر التي حاصرته داخل وهران، خاصة بعد أن قويت سلطة الفرنسيين وتعدت إقليم وهران إلى التيطري والجزائر»[1].

كان بإمكان كلوزيل أن يستغل فرصة تضعضع جيش الأمير ويستقر بمعسكر لكنّه غادرها ويعود سبب ذلك لعدم تزويده بقوات وعتاد عسكري كاف يخوّل له البقاء فيها ومحاولة جلب القبائل المجاورة للمدينة إلى صف الإدارة الفرنسية وكسب ولائهم، وكمحاولة أخيرة من كلوزيل لإبراز قوّته، وتجسيد انتصاره قام بإشعال حريق مهوُل في معسكر مستهدفا معظم المنشآت التي قام الأمير عبد القادر بتأسيسها[2].

إنّ حرق مدينة معسكر يبرز تناقض في شخصية الجنرال كلوزيل، فبعدما اعتبر مدينة معسكر مدينة حصينة وسعى لاحتلالها، نراه يسرع لحرقها؟ ولم يوضح سببا مقنعا لعمله؟ إنّ النتيجة الإيجابية الوحيدة التي حققها كلوزيل والإدارة الفرنسية في معسكر؛ تكمن في تدمير منطقة كانت تعد مركزا للأمير، ومهدا للمقاومة، وهذا من شأنه أن يؤثر على ذهنية بعض القبائل التي مازالت حتى ذلك الوقت تأبى الولاء للأمير عبد القادر، والخضوع له.

بعد سنة 1835، بدأت كفة الأمير عبد القادر ترجح على حساب كفة الفرنسيين، ذلك أنّهم فتحوا على أنفسهم عدة جبهات في الوسط والشرق والغرب الجزائري، ولم يعد بمقدور الجيش الفرنسي في الغرب الجزائري من التصدي لقوّة الأمير التي بدأت تزداد عدة وعددا، وما إصرار الإدارة الفرنسية على فتح باب التفاوض مع الأمير عبد القادر إلاّ اعتراف بتلك القوّة، وقد انتهت هذه المفاوضات بمعاهدة التافنة في30 ماي1837، التي اعترفت رسميا بدولة الأمير عبد القادر ومنحته مساحات شاسعة جعلته يصل بنفوذه إلى منطقة القبائل الكبرى وجنوب الصحراء.

---

(1)- Bertrand (Clauzel) : Op.Cit, p21.

(2)- E. (Pellissier) : Op.Cit, p20.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لكن السلطة الفرنسية عادت وغيّرت موقفها وأعلنت الحرب من جديد ضد الأمير عبد القادر الذي لم يتأخر بدوره في العودة للقتال، ومن أبرز المواجهات الفرنسية مع الأمير عبد القادر تمثلت في شن حملة جديدة على مدينة معسكر.

1-3-2-حملة لاموريسيار والسيطرة على معسكر 1841:

وصل الجنرال لامورسيار (Lamoricière) إلى معسكر يوم 02 ديسمبر 1841، وذلك بعد مواجهات مع ابن التهامي صهر الأمير عبد القادر، الذي كان يعسكر بالقرب منها ، أمّا عبد القادر فكان يتواجد في تلك الأثناء بمنطقة الجداوية غرب الشلف بين مينا وواد دهيو أي في وضع مركزي بين إقليم وهران وإقليم الجزائر[1].

كان الجيش الفرنسي يفتقد للمؤن والعتاد العسكري، والغذاء المتوفر لا يسد حاجيات الجيش فقرر دي ميشيل القيام بغزوات ضد القبائل المجاورة لجلب الحبوب وبعض رؤوس الأنعام، ونتج عن ذلك تصادم مع القبائل وزعمائها ومنهم أغا قبيلة الحشم -وهي نفس القبيلة التي ينتسب إليها الأمير عبد القادر- الذي سقط قتيلا[2].

أمّا المواجهة العسكرية الفعلية، فكانت بتاريخ 14 ديسمبر 1841 في منطقة بني شقران، وأولاد سيدي دحو، حيث سقط 80 قتيل من سكان المنطقة، وأسر (200) أهلي[3]، كما غنم الفرنسيون عدد من رؤوس الأنعام كان الجيش الفرنسي يحتاج إليها.

هدف لامورسيار (Lamoricière) من وراء احتلاله لمعسكر إلى إبعاد مصطفى بن التهامي عنها، والتفريق بين الأمير عبد القادر والقبائل المحيطة بمعسكر و مستغانم ووهران ، فكأنّ لامورسيار أراد استكمال ما لم يتمه كلوزيل، وقد نجح إلى حد بعيد؛ ذلك أنّ عددا من القبائل سارعت لإعلان استسلامها طواعية للإدارة الفرنسية دون قتال، ومنها من

---

(1)- Paulin, Alfred (Villeroy) : Histoire de Mille huit Cent Quarante et Un, Ed Paris, 1842 , p477.

(2)- E. (Pellissier) : Op. Cit, p18.

(3)- Ibid, p 479-480 .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

خضع لها بالقوّة مثل قبيلة الأمير عبد القادر؛ هذا الأخير الذي اتجه نحو تلمسان وبذلك سهُل على الفرنسيين تحقيق السيطرة الفعلية على معسكر، خاصة وأنّ أهّم قبائل المنطقة كانت قد استسلمت أمام الجيش الفرنسي ومن تلك القبائل، قبيلة البرجية ، في سهل أغريس التي كانت في السابق من أهم القبائل الموالية للأمير عبد القادر، والتي عانت من تعسف الجنرال لامورسيار الذي خرّب ديارها وأخذ أموالها وأحرق مدينة البرج الصغيرة التي ينسب اسم القبيلة إليها[1].

وسعيا من لامورسيار لبسط النفوذ الفرنسي على معسكر، انطلق في حملته التوسعية بتاريخ 16 فيفري 1842، بقصد التخلص نهائيا من قبيلة الحشم ، باعتبارها موطن الأمير عبد القادر وقد وصل لامورسيار إلى متشاشين وهي فرع من قبيلة الحشم الغرابة المستقرة في واد الحمام وأجبرها على الاستسلام، مما سهل من مهمة الاتصال بوهران، أمّا الجزء الأكبر من الحشم الغرابة فكان موطنه الضفة الغربية من واد هونات، وهو فرع من واد حمام.

كانت القبيلة قد تفطنت لتحركات الجيش الفرنسي فأسرعت بالمغادرة تحت قيادة أبو طالب خال الأمير قاصدة منطقة الجفرة، أمّا البقية فالتحمت مع قبيلة مصطفى بن التهامي، وواصلت السير نحو الجنوب إلى غاية عين منعة جنوب سعيدة[2].

عادت قبيلة الحشم خلال شهر مارس إلى منطقتها، فأسرع لاموسيار إليها، وبعد سلسلة من المواجهات تفرقت القبيلة وانتقل عدد كبير من أهلها إلى قبائل صدامة وفليتة، ممّا جعل لاموسيار يصّر على القضاء على هذين القبيلتين، وهذا يوضح بجلاء سعي السلطة الفرنسية للقضاء على قبيلة الحشم لإضعاف الأمير عبد القادر[3].

---

(1)- Alexandre (Bellemare) : Abd El Kader, sa vie politique et militaire, Ed librairie de L. Hachette et C, 1863, p282.

(2)- E.(Pellissier) : Op.Cit, p12.

(3)- Alfred (Villeroy) : Op.Cit, p 480.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تمّكن الفرنسيون من السيطرة على مدينة معسكر بعدما أخضعوا أهم قبائل المنطقة، ذلك أنّ سكان الحضر كانوا أقل بكثير من سكان الريف من القبائل، ومتى حقق الفرنسيون السيطرة على القبائل ضمنوا سيطرتهم على المناطق الحضرية، وهو نفس الأمر بالنسبة إلى ما حدث في مستغانم ووهران، وبعدها بوقت قليل بتلمسان، كما سيتضح فيما بعد.

كما أنّ الثقافة القبلية في المجتمع الجزائري بما فيه منطقة الغرب كانت سلاح ذو حدين؛ من حيث أنّها أعاقت الفرنسيين في حملاتهم التوسعية من جهة، ومن جهة ثانية ساهمت في نصرة الأمير عبد القادر في فترات كما كانت المتسببة في فشله في فترات أخرى من جهة ثالثة؛ خصوصا بعد سنة 1841[1]، بعد الحرب التي شنها الجيش الفرنسي على هذه القبائل ، ويكفي أنّ الأمير عانى مدة طويلة من عدم تمكنه من إعداد جيش نظامي واعتماده المطلق على شبان القبائل الذين لم يكونوا متواجدين عند الضرورة.

1-4-احتلال تلمسان:

تابعت الإدارة الفرنسية سياستها الرامية إلى وضع يدها على أهم مدن الغرب الجزائري، فبعد السيطرة على وهران ومستغانم، وهزيمة الأمير عبد القادر، واحتلال معسكر عام 1835، وجهّت أنظارها صوب تلمسان، التي كانت مركزا تجاريا هاما في الغرب الجزائري.

1-4-1-تجربة كلوزيل 1836:

كانت المحاولة الأولى لاحتلال تلمسان في 12 جانفي 1836؛ عندما خرج الماريشال كلوزيل على رأس (8000) جندي، يرافقه الجنرالان أغلونج (Arlanges) و بيرجو (Perregaux)[2] ، كان كلوزيل قد استلم رسالة من مصطفى بن إسماعيل المتواجد

---

(1) - في هذه السنة تولى بيجو رئاسة الحكومة العامة بالجزائر(فيفري1841)، وأعلن سياسته التوسعية.

(2) - Arsène (Berteuil) : Op.Cit, p388.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

آنذاك بقلعة تلمسان؛ يخبره فيها أنّ الأمير عبد القادر قد خرج منها بعد أيّام من محاصرته للقلعة ورفض الكراغلة فتح أبوابها له، وأنّ سكان مدينة تلمسان من الحضر -وأغلبهم من أصول أندلسية- قرروا الخروج مع الأمير عبد القادر الذي قصد مدينة وجدة المغربية[1]، وصارت المدينة شبه فارغة ولا يوجد بها سوى بعض الأتراك والكراغلة المستقرين في القلعة بالإضافة إلى اليهود الذين لم يغادروا مقّر سكناهم [2]، زد على ذلك؛ وعد مصطفى بن إسماعيل كلوزيل بأنّه سيلقى العون من القبائل الناقمة على الأمير عبد القادر ومنها قبيلة الأنجاد التي أعلنت خضوعها للسلطة الفرنسية ، والتي سارت نحو مدينة تلمسان لدعمه ومساعدة الكراغلة على الفرار من القلعة المحاصرة من طرف الأمير[3].

عسكر جيش كلوزيل بالقرب من واد ملاح، وبعدها تابع السير إلى عين برجية ووصل إلى مشارف المغير على بعد ساعتين سيرا نحو تلمسان، وكان هدف كلوزيل الرئيسي هو تموين قلعة تلمسان (المشوار)[4]، التي لا تزال تحت سيطرة الكراغلة الذين يشكلون نسبة معتبرة في تلمسان تقدر بحوالي (500) عائلة[5]، ومحاولة كسب تأييدهم للسلطة الفرنسية على حساب الأمير عبد القادر، خاصة وأنّ الكراغلة قد رفضوا فتح أبواب القلعة للأمير عبد القادر.

سمع الأمير عبد القادر بمكيدة مصطفى بن إسماعيل وقبيلة الأنجاد، فقام بمباغتة مصطفى بن إسماعيل الذي خرج لاستقبال كلوزيل، فأرغمه على العودة إلى القلعة، كما تمكّن الأمير عبد القادر من تأديب قبيلة الأنجاد، وهزمها، لكنّه لم يكن بمقدوره في ذلك الوقت مواجهة جيش كلوزيل البالغ (8000) جندي، فقرر الابتعاد عن تلمسان[6].

---

(1) - شارل هنري تشرشل: مرجع سابق، ص 105.

(2) - Arsène (Berteuil) : Op.Cit, p19.

(3) - Achille (Fillias) : Op.Cit , p182-183.

(4) - Bertrand (Clauzel) : Op.Cit, p17.

(5) - Ibid, p 61.

(6) - شارل هنري تشرشل: مرجع سابق، ص 104- 105.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

دخل كلوزيل تلمسان في اليوم الموالي (13 جانفي)؛ حيث استولى على المؤن والعتاد الذي تركه الأمير عبد القادر في المدينة، وقرر المكوث بتلمسان لبضع من الوقت قصد تنظيم أمورها، وكان على رأس مخططاته تأسيس حامية عسكرية ثابتة بتلمسان، وتأمين الحماية الكافية للكراغلة بالقلعة[1].

لكن ما طبّقه كلوزيل يختلف تماما عمّا أراده في البداية، ذلك أنّه قام باعتقال بعض الحضر من العرب واليهود، ولم يسلم الكراغلة كذلك من هذا العمل، رغم مساهمتهم في نجاح مهمة كلوزيل، وكان مسعى كلوزيل من هذا الاعتقال؛ اقتطاع نسبة من أموال السكّان الذين اعتبرهم جد أثرياء، كمساهمة للجيش الفرنسي، لتأسيس حامية عسكرية بالمدينة وبلغت قيمة المال المطلوب (150000) فرنك[2] ، لكنّه لم يأخذ سوى (35000) فرنك بالإضافة إلى بعض المجوهرات، ومع ذلك لم يكتف كلوزيل بالقيمة المالية التي صادرها بل أخبر سكان مدينة تلمسان أنّهم مجبرون على دفع ما قيمته (200000) فرنك، كضريبة سنوية[3].

يعدّ هذا ثاني خطأ اقترفه كلوزيل خلال مسيرته العسكرية بعد إحراقه لمدينة معسكر التي طالما سعت الإدارة الفرنسية للسيطرة عليها، كما أنّ هذا الموقف لا يعكس بحق شخصية قائد عسكري مسؤول برتبة جنرال، فإذا اطلعنا على دراسته التي تمّ طبعها عام 1837 ؛ نجد أنّه متناقض بين الأقوال والأفعال، ومن أمثلة ذلك قوله[4]: « ...ضرورة الإسراع في الذهاب إلى تلمسان، لحماية الكراغلة الذين أبدوا مقاومة قوية ضد عبد القادر...» لكنه على أرضية الواقع هاجمهم كما هاجم العرب وكذلك اليهود[5].

---

(1)- Jules (du Camp) : Histoire de l'armée et de tous les régimes depuis les premiers Temps de la monarchie Française jusqu'à nos jours, T4, Ed Bardier, Paris, 1850 , p110.

(2)- Bertrand (Clauzel) :Op.Cit, p67.

(3)- Arsène (Berteuil) : Op.Cit, p19.

(4)- Bertrand (Clauzel) : Op.Cit, p17.

(5)- شارل هنري (تشرشل): مرجع سابق، ص 105.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

خرج كلوزيل من تلمسان يوم 24 جانفي ، بعد أن أقام مركزا عسكريا بالقلعة يضم (500) جندي توّلى الإشراف عليه القائد كافانياك (Cavaignac) [1] ، ومنذ ذلك التاريخ غابت سلطة الكراغلة على القلعة بعد أن سيطروا عليها مدّة طويلة من الزمن تعود إلى عهد العثمانيين.

رغم تمكّن كلوزيل من دخول تلمسان دون قتال، سرعان ما تغيّر ا لوضع بسبب ما اقترفه هذا الجنرال في حق السكّان، الذين استنكروا سياسته، وهذا ما ساهم في تقوية شوكة الأمير عبد القادر بينهم، وفي دعم قضيته ضد السيطرة الفرنسية، ومما زاد في حدّة الأوضاع، ومن سخط السكان؛ وصول أخبار من وهران مفادها أنّ يهوديا ترأس محكمة حوكم فيها الكراغلة وجماعة الحضر الذين قام كلوزيل باعتقالهم في تلمسان[2].

هذا الغضب الذي عمّ تلمسان وصل إلى قبيلة الأنجاد، التي قررت الخضوع للأمير عبد القادر وبدأت في الاتصال به، بعد أن كانت من المساهمين في نجاح عملية كلوزيل، كما تلقى الأمير عبد القادر رسائل سرية من قبل الكراغلة توضح تغيّر موقفهم تجاه الفرنسيين[3].

تبعا للظروف التي كانت تعيشها مدينة تلمسان قرر الأمير عبد القادر تجديد محاولاته للسيطرة عليها، لكنه كان منشغلا بعدة جبهات، منها جبهة الجنرال دالارونج في التافنة، والقبائل المنتشرة هنا وهناك في الغرب الوهراني، التي أعلنت خضوعها للسلطة الفرنسية.

بالرغم من انشغال الأمير عبد القادر بإخضاع القبائل ومواجهة القادة الفرنسيين من حين إلى آخر، لكن هؤلاء القادة لم يتمكنوا من السيطرة الفعلية على إقليم الغرب الجزائري، واقتصرت سيطرتهم على بعض المدن، ورغم أهمية هذه المراكز الحضرية في

---

(1) - Stéphan (d'Estry) : Histoire d'Alger, imprimeurs libraires, Tours,1851, p246.

(2) - شارل هنري (تشرشل): مرجع سابق، ص 105.

(3) – المرجع نفسه، ص 105-106.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

السياسة والاقتصاد، غير أنّها لم تحقق مطامع الإدارة الفرنسية، لأنها لم تستطع ربط هذه المدن بعضها ببعض ، ممّا ساهم في صعوبة الاتصال بين الحاميات العسكرية المرابطة بها وهذا بسبب مقاومة عبد القادر الشديدة والتي حاصرت الفرنسيين وأقفلت عليهم داخل المدن فلم يتمكنوا من الخروج منها إلاّ بصعوبة[1]، ومن أمثلة ذلك؛ القائد كافانياك (Cavaignac) الذي ظل محاصرا في تلمسان ولم يتمكن من الخروج منها حتى بعد نفاذ المؤن والغذاء مخافة لقاء جيش الأمير عبد القادر، أمّا الماريشال دالارونج الذي كلف بإقامة مركز عسكري عند فم نهر التافنة لتحقيق شبكة اتصال بين تلمسان والساحل، ظل محاصرا في تلك المنطقة ، وانقطع عنه التموين العسكري والغذاء[2].

نستنتج من ذلك، أنّه بالرغم من سيطرة كلوزيل على تلمسان، غير أنّه لم يحقق نتائج تذكر، لأنّ السيطرة وقفت عند أسوار المدينة أمّا خارجها، فهي سهول وجبال منها ما هو تحت سيطرة الأمير ومنها ما هو تحت سلطة قبائل قوية لم تخضع حتى ذلك الوقت للأمير عبد القادر، ولا للسلطة الفرنسية، ومن أبرزها قبائل جبال طرارة .

لم تشهد منطقة الغرب الجزائري وجود مكثف للقوات الفرنسية بعد احتلال تلمسان سنة 1836، ويعود ذلك، لانشغال الإدارة الفرنسية بتوسعاتها في الشرق الجزائري، ومحاولة القضاء على نفوذ الحاج أحمد باي في قسنطينة ومن ثم السيطرة عليها، فكانت الحملة الأولى سنة 1836، وبعدها الحملة الثانية سنة 1837، وتّم فيها السيطرة الفعلية على قسنطينة، هذا من جهة ومن جهة ثانية؛ افتقار السلطة الفرنسية للجيش الكافي للسيطرة على كافة الأقاليم تواجه به الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي في الوقت نفسه.

---

(1)- Paul (Azan) : L'Emir Abd el Kader 1808-1883, du fanatisme musulman au patriotisme Français, 1925, p17.

(2)- Camille (Leynadier) & (Clauzel) : Op.Cit, p405.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

1-4-2-معاهدة التافنة واستعادة الأمير عبد القادر لتلمسان:

حلّ بيجو بمدينة وهران قادما إليها من فرنسا بتعليمات محددة، إمّا أن يعقد الصلح مع الأمير عبد القادر، وإما يتفوق عليه، ونظرا للظروف التي كانت تعيشها المراكز العسكرية الفرنسية في وهران؛ قرر بيجو التفاوض مع الأمير، والذي تجسّد في معاهدة التافنة في 30 ماي 1837 التي اعترفت السلطة الفرنسية من خلالها بدولة الأمير، ومنح وفقها السلطة على الغرب الجزائري ككل، بالإضافة إلى إقليم التيطري، ما عدا الشريط الساحلي الذي يمتد من 50 إلى 60 كلم عرضا، ابتداءً من ريو سلادو بوهران إلى غاية نهر الشلف[1]، وهذا يمنح الأمير عبد القادر ضمنيا السلطة على كافة المناطق الداخلية، التي تقع جنوب وهران بما فيها تلمسان.

أثناء إبرام اتفاق التافنة؛ أصّر الأمير عبد القادر على استعادة تلمسان وكذلك ميناء راشقون، حيث قال للجنرال بيجو:« بناء على شروط المعاهدة، إذا لم تعيدوا تلمسان إلى سلطتي فإني لا أرى ضرورة في التصالح، بل ستكون هدنة فقط»[2].

تسارعت وتيرة الأحداث وفتح المجال أكثر فأكثر أمام الأمير عبد القادر، وامتنعت عنه بعض المناطق فقط، كتقرت وبني ميزاب، وظل الأمير عبد القادر مسيطرا على الأوضاع طيلة الفترة ما بين (1837-1839)، لكن مع نهاية سنة 1839 عادت أوضاع منطقة الغرب الجزائري للتدهور مجددا، نظرا لعودة الفرنسيين إليها والذين تفرغوا لمواجهة الأمير عبد القادر بعد تمكنهم من السيطرة على مدينة قسنطينة، محاولين إيقاف زحف الأمير عبد القادر نحو الشرق، ذلك أنّه تمكن من إخضاع مناطق عديدة بما فيها قبائل جرجرة التي ساندته رغم قوّة سلطتها الطرقية.

---

(1)- Alexandre (Bellamare) : "Abd el Kader, sa vie politique et militaire", 3eme partie, In Revue Contemporaine, 15eme année, T28, Paris, p528.523/555.

(2)- Archille (Fillias) : Op.Cit, p219.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أوكلت قيادة الجيش الفرنسي في الغرب الجزائري إلى الجنرال بيجو مرّة أخرى لكنه هذه المرّة لم يسع للتفاوض مع الأمير عبد القادر، وإنّما جاء في مهمة رئيسة وهي القضاء على مقاومة الأمير الذي توسعت سلطته بعد معاهدة التافنة، هذه الأخيرة التي ألّبت الرأي السياسي الفرنسي ضد الجنرال بيجو، الذي صرّح في جلسة للنواب عام 1838 قائلا[1]:« إنّ كثيرا قد قيل عن النقص والخلل الذي جاء في تفاصيل معاهدة التافنة، واني بصراحة اعترف أنّ هناك حقا بعض الخلل، ولكني اعتقد أنّ أهمية هذا الخلل مبالغ فيها وليس هناك سوى خلل واحد له عواقب، وهو عبارة عن مسافة تقطع على وادي القدرة وما وراءه، إنّ هذه العبارة –وراءه- قد تعني امتداد الحدود إلى إقليم قسنطينة، حقا إنّ هذا التعبير "وراءه" غامض، ولكن يجب أن لا ننسى أنني كنت في سباق مع الزمن، فقد كان هناك زورق بخاري في انتظار ما أرسله من بريد، وكان من الضرورة القاطعة أن أختم المفاوضات بالحرب أو بالسلام».

بدا واضحا أنّ السلطة الفرنسية تسعى للتملص من بنود معاهدة التافنة، وبرز ذلك في موقف الحاكم الفرنسي آنذاك الماريشال فالي الذي باشر بمراسلة الأمير عبد القادر مع مطلع 1839 يطالبه باعتراف بشرعية السلطة الفرنسية في إقليم قسنطينة وما يجاوره من الجهات الثلاث، وأن يقبل بالمعاهدة التي أمضاها ممثله ابن عراش، والتي تقضي بأحقية الأمير في المناطق الداخلية لوهران وإقليم التيطري فقط[2].

كان رد الأمير عبد القادر بالرفض القاطع لهذا الاقتراح الذي من شأنه أن يشل ويقصي على ما قام به طيلة سنتين ، لذلك قرر إيقاف الهدنة مع الفرنسيين والعودة للحرب وعدم التنازل عن المناطق المتنازع عليها، وفي 18 نوفمبر 1839 أعلن الأمير عبد القادر رسميا الحرب على الفرنسيين، وبعث برسالة بذلك إلى الماريشال فالي[3].

---

(1)- Alexandre Bellamare : Op.cit., p547.

(2)- Ibid, p550 .

(3)- Paul (Azan) : Op.Cit, p156-157.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

1-4-3-سقوط تلمسان 1842:

تجددت الحرب بين الأمير عبد القادر والسلطة الفرنسة، وشهدت منطقة المدية ومليانة معارك عديدة، حاول خلالها الجيش الفرنسي إعاقة زحف جيش الأمير عبد القادر نحو الوسط الجزائري، ومحاصرته داخل إقليم وهران، لكن ذلك لم يؤثر على خطط الأمير عبد القادر العسكرية، حيث صارت منطقة الجزائر، والبليدة، و بوفاريك، مسرحا لمعاركه ممّا جعل السلطة الفرنسية، وممثلها آنذاك الحاكم العام الجنرال فالي؛ يصدر قرار في أفريل 1840 يقضي بإرسال الجيش الفرنسي البالغ (30000) جندي إلى إقليم التيطري[1]، كخطوة أولى نحو اختراق الغرب الجزائري، مع التركيز على ضرب جيش الأمير عبد القادر النظامي. لكن مخطط فالي باء بالفشل؛ نظرا لخفة جيش الأمير مقارنة مع ثقل الجيش الفرنسي المدجج بالأسلحة، كذلك جهل الفرنسيين للطرق والمسالك، والتي كانت أرضا مفتوحة بالنسبة للأمير عبد القادر، هذا الأخير استطاع بفضل براعته وحنكته السياسية من جرّ الجيش الفرنسي إلى المضائق والممرات الصعبة، ممّا ساهم في تراجع الفرنسيين وعدم تمكنهم من عبور التيطري.

ظل الحال على ما هو عليه، إلى غاية مجيء بيجو من جديد، لمّا عيّن حاكم عام على الجزائر في 22 فيفري 1841، وجاء ببرنامج يقضي بالتوسّع الفرنسي ناحية الغرب الجزائري[2] وهذا يعني نسف الاتفاقيات الفرنسية مع الأمير عبد القادر، بالإضافة إلى اعتماده على خطة عسكرية تقضي بجعل إقليم وهران مسرحا للمواجهات.

قدمت فرنسا للجنرال بيجو حوالي (8500) جندي، حاول خلالها بيجو السيطرة على المدية ومليانة، لكنه استهلك وقتا طويلا في ملاحقة الأمير عبد القادر، ممّا تسبب في تعب جيشه ونقصانه إلى النصف، عندها قرر بيجو التركيز على منطقة الغرب الجزائري[3]

---

(1)- J.(Autran) : Milianah épisode des guerres d'Afriques, Ed. Michel Lévy frères, Paris, 1857, p188-189.

(2)- Alexandre (Bellamare) : Op.Cit, p273 .

(3)- Ibid, p278.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ومحاولة السيطرة على أهم المناطق، فكانت البداية بنجاح لامورسيار من دخول معسكر عام 1841، والسيطرة الكلية عليها، ومن ثم توجيه الجيش ناحية تلمسان.

شكلت تلمسان موقعا استراتيجيا هاما جعل الجنرال بيجو يصر على احتلالها ذلك أنّها مدينة تقع في أقصى الحدود، وتعد بذلك معبرا نحو المغرب الأقصى، ومادامت خارج السيطرة الفرنسية، فهي بمثابة الحامية الحصينة للأمير عبد القادر، عند الذهاب من وإلى المغرب الأقصى[1].

استطاع بيجو دخول مدينة تلمسان من جديد يوم 30 جانفي 1842 دون قتال[2] ذلك أنّ معظم السكان من العرب كانوا قد غادروها والتحقوا بالأمير عبد القادر إلى الحدود المغربية.

أسرع بيجو لتثبيت أركان الإدارة الفرنسية بالمدينة العتيقة، بتعيين القائد بيدو حاكما عليها، والذي استهل مهامه بترميم أسوار المدينة بهدف إقامة حامية عسكرية، كما أصدر بيجو أمرا بضرورة خلق اتصالات بين تلمسان ووهران وعدم الوقوع في الأخطاء السابقة، وتجسد مخطط بيجو بتأسيس ما يعرف بالشُعَبْ العسكرية، وكانت تلمسان الشعبة الخامسة في إقليم وهران، وأنشئ بها مقر لمدير مدني كما أقيمت بتلمسان حامية عسكرية مؤلفة من (1000)جندي، بقيادة بيدو[3].

لم تتوقف سياسة بيجو عند احتلال تلمسان بل باشر العمل بحملات تمشيط للمناطق المحيطة بها، سواء من ناحية الساحل، أو في المناطق الجبلية، سعيا منه لجعل كل الغرب الجزائري إقليم فرنسي بعدما كان مركز لدولة الأمير عبد القادر.

---

(1)- Paul (Gaffarel) : l'Algérie ; histoire, Conquête, Ed. Serre, 2004, p212.

(2)- Arsène (Berteuil) : Op.Cit, p266.

(3)- Jean (Barbier) : Itinéraire historique et descriptif de l'Algérie, 1855, p230.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

1-5- الإدارة الفرنسية للقبائل الجزائرية :1830-1863

كان المجتمع الجزائري عند بداية الاحتلال الفرنسي سنة 1830 يتركب من فئات إثنية مختلفة ، فهناك العثمانيون، وهم يمثلون الطبقة الحاكمة إضافة إلى الكراغلة ، ثم تأتي فئة العرب والبربر وفئة اليهود. أما بالنسبة لعدد السكان في تلك الفترة فهو غير معروف، ولقد تضاربت الآراء حول ذلك، فحمدان بن عثمان خوجة يذكر في كتابه "المرآة" (Le Miroir) أن عددهم (10) ملايين نسمة[1]، في حين يشير إيكزافيي ياكونو (Xavier Yacono) أن عدد السكان كان يقدر بحوالي (3) ملايين نسمة فقط[2] ذلك أن عدد العثمانيين كان ضئيلا جدا مقارنة بالأهالي. أما بالنسبة لليهود فإحصاءات عام 1830 تبين أنهم بلغوا (17) ألف نسمة[3].

لكننا لا نستطيع أن نستبعد تقديرات حمدان بن عثمان خوجة، التي وصلت إلى (10) ملايين؛ لأن أغلب المناطق السكانية والأراضي الجزائرية لم يكن قد امتد إليها الاحتلال الفرنسي في تلك الفترة، وعلى أية حال، فإن أول عملية إحصاء رسمية قامت بها المكاتب العربية سنة 1851[4] بينت أن عدد الأهالي المسلمين وصل إلى (2,32,255) نسمة موزعة على العمالات الثلاث على الشكل التالي: الجزائر (756,267) نسمة، وهران (466,157) نسمة، وقسنطينة (1,101,421) نسمة، لكنها تظل إحصاءات تقريبية فقط، لأنها لم تشمل كافة المناطق.

ما يهمنا أن المجتمع الجزائري كان طبقي، الطبقة الأولى يمثلها العثمانيون؛ وهم الطبقة الحاكمة رغم كونهم أقلية، ثم تأتي الفئة الثانية وتتكون من الحضر وهم من أعيان

---

(1)- Hamdan (Khodja) : Le miroir, Aperçu historique et statistique sur la régence d'Alger, Ed. Sindibad, Paris, 1985, p45.

(2)- Xavier (Yacono) : "Peut on Evaluer la population de L'Algérie vers 1830", In Revue Africaine, 3e 4e trimestre, 1954, pp 277-307.

(3)- أفيطبول (ميخائيل) وآخرون: **اليهود في البلدان الإسلامية** (1850-1950)، ت: جمال الرفاعي، سلسلة عالم المعرفة، ع197، الكويت، 1995، ص384.

(4)- Ernest Mercier : L'Algérie et la question Algérienne, Paris, 1883, p136 .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

البلاد من الحرفيين والعلماء والتجار، وهي تشكل الأغلبية ولا تقل غنى عن الطبقة الأولى التي احتلت الصدارة كونها الطبقة الحاكمة، ولها دور فعال في المجتمع، وقد أبرز ذلك أحد الرحالة الأوروبيين قائلا «إن الحضر هم أهم عنصر في المدينة، ويتراوح عددهم بين 30 و40 ألف»[1]، ثم تأتي الفئة الثالثة والمعروفة بالبرانية، وهم الغرباء عن المدينة، والذين يشتغلون أجراءً فيها ويعتبرون الطبقة الكادحة في المجتمع الجزائري، إلى جانب صغار الفلاحين الذين يشتغلون في الإقطاعات العثمانية.

لكن أغلب الإحصاءات والتقديرات تبقى نظرية وتقديرية فقط باعتبار أن النسبة الكبرى من سكان الجزائر كانت تستقر في الريف وتشكل نسبة 90% ، وتتوزع في كافة البلاد، ابتداء من المناطق التلية شمالا إلى الصحراء جنوبا، ومن الحدود التونسية شرقا إلى حدود المغرب الأقصى غربا، ويقطن هذا الحيز الجغرافي مجموعات قبلية بين عربية و أمازيغية مبدؤها نظام الجماعة، ولم تعرف النظام الطبقي الذي عرفته المدن.

ومنطقة الغرب الجزائري كغيرها من المناطق ضمت عددا من الحواضر، وهي وهران، وتلمسان، ومستغانم؛ لم تختلف كثيرا في تركيبتها الاجتماعية عن بقية المدن وخضعت لنفس النظام الطبقي، بسيطرة العثمانيين والكراغلة، بالإضافة إلى بعض الحضر من العرب وأهل الأندلس، ثم اليهود.

لكن بقية أجزاء الغرب الجزائري كانت فضاءً للعدد من القبائل على غرار باقي القطر الجزائري، قسم منها كان خاضعا للسلطة العثمانية، وقسم آخر ثائر ضدها، فيا ترى ما هو وضع قبائل الغرب الجزائري في ظل السيطرة الفرنسية؟

بعد إمضاء معاهدة 05 جويلية 1830، سارعت الإدارة الفرنسية لتثبيت أقدامها في الجزائر، وذلك بإتباع نظام إداري صلب يبسط سلطتها على الأقاليم المحتلة، وفي الواقع أنها ورثت التقسيم الإداري العثماني الذي جزّء الجزائر إلى ثلاث بايليكات؛ حيث صدر قرار

---

[1]- أبو العيد (دودو) : **الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان** 1830-1855، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989، ص12.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وزاري بتاريخ 29 نوفمبر 1843، يقسّم الجزائر إلى ثلاث قسمات (Divisions) وهي قسنطينة، و وهران، والجزائر مركزا لها، وقد قسمت الأقاليم الثلاث بدورها إلى شُعب (Subdivisions)، ودوائر(Cercles)، تخضع للحكم العسكري.

يتوزع على هذه الشعب والدوائر عدد لا يحصى من القبائل الجزائرية، خضعت بدورها للنظام الإداري الفرنسي، حيث عيّن عدد من شيوخ هذه القبائل في رتب مختلفة حسب مكانة، وقوة، ومساحة كل قبيلة، فهناك الخليفة، والآغا، والقائد.

1- الخليفة: وهو على رأس هرم الإدارة الأهلية، فهو الذي يتولى الإشراف على الأغاليك[1](Aghaliks) والقائدات[2](Kaidat) ويخضع بصفة مباشرة إلى القائد السامي الفرنسي[3].

2- الآغا: يشرف على الأغاليك وهي مجموعة من القائدات، ويخضع له قائد الشعبة وإذا كان القائد يدير تنظيم يمكن تشبيهه بالبلدية، فإن الأغا يشرف على ما يعرف بالدائرة في الإدارة الفرنسية[4].

3- القائد: هو المسؤول عن القبيلة، وفي حالة ما إذا كانت هذه الأخيرة تتموضع على مساحة كبيرة، يسلم إدارة كل فرقة منها وكل دوار إلى شيخ، ويعد القائد المسؤول العسكري والمدني والسياسي للقبيلة، وهو الذي يقود الفرسان في المعارك، ويسهر على أمن الطرق والمواصلات، وتحصيل الضرائب وأمن الإقليم الذي يرأسه وكذا الأسواق، وقد تتسع مسؤولياته السياسية فيصدر عقوبات في حق موظفيه، ومع ذلك يتحمل القائد وكل أفراد قبيلته مسؤولية كل الجرائم التي قد تحدث في إقليمه، ورغم أنّ هذه المسألة لا يدعمها سند

---

(1) - الأغاليك:(Aghaliks) هيئة وسيطة بين الباش أغاليك والقائدات، ينظر

Octave (Teissier) : Algérie, librairie L.Hachette, Paris, p61 .

(2) - القائدات:(Kaidat)هي مجموع عدد من القبائل، ينظر Ibid., Idem

(3) - Block (Maurice) : Dictionnaire de l'administration Française, p59.

(4) - Ibid, Idem.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

قانوني فعلي، غير أنّ الإدارة الفرنسية فرضتها لتأمين سلامة التجار والمسافرين الأوروبيين إلى مختلف الأقاليم الداخلية والبعيدة[1].

بالنسبة لقسمة وهران، فكانت تشكل أربعة شُعب، هي:

- شعبة وهران؛
- شعبة معسكر؛
- شعبة مستغانم؛
- شعبة تلمسان،

وتنقسم هذه الشعب إلى عدة دوائر هي:

1- شعبة وهران: مؤلفة من أربعة أغاليك Aghaliks، هي:

- الدوابر؛
- الزمالة؛
- الغرابة؛
- بني عامر الشراقة؛

بالإضافة إلى سلطة قائد واحد (Kaidat)، من الوكلة (وهي قبائل خارج هذا التنظيم).

2- شعبة مستغانم: تتألف من دائرتين هما: دائرة مستغانم ودائرة عمي موسى مؤلفة من خمسة أغاليك، هي:

أ- دائرة مستغانم تضم حوالي 51 قبيلة و تتكون من أغاليك:

- مستغانم؛
- مجاهر؛
- فليتة؛
- مينا والشلف؛

(1)- Block (Maurice) :Op.Cit, p 59.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ب- دائرة عمي موسى هي قرية تبعد عن مستغانم 106كلم على طريق أورليون فيل إلى غليزان، تضم 21 قبيلة وتتكون من أغاليك:

- بني وراغ؛
- بني مسلم؛

3- شعبة تلمسان: مؤلفة من أربعة أغاليك، هي:

- بني عامر الغرابة؛
- الغُسل؛
- جبالية؛
- الجنوب الغربي للشُعبة، و يوجد به ثلاث قائدات، هي:
- تلمسان وضواحيها؛
- أنجاد التل؛
- ترارة وولهاصة؛
- سهل ندرومة؛

4- شعبة معسكر: مؤلفة من ستة أغاليك هي:

- بني شقران؛
- الحشم الغرابة؛
- الحشم الشراقة؛
- صدامة؛
- لاكوبية؛
- تيارت؛

أما بالنسبة للقبائل الصحراوية المستقلة عن الإدارة الفرنسية فحسب تقرير 1845 فهي: قبيلة الأنجاد، الحميان، أولاد سيدي الشيخ الشراقة، قبيلة الحرار من جبل عمور بالأغواط، وهضاب سرسو.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

1-5-1- تأسيس المراكز العسكرية:

سعت السلطة الفرنسية للسيطرة على كافة التراب الجزائري، وتعزيز إدارتها بإتباع سياسة استيطانية في كافة المناطق التي تحتلها، وكما نعلم أن معظم الأقاليم الجزائرية كانت مجالا ريفيا يتقاسمه عدد من القبائل الجزائرية العربية منها والأمازيغية، لذلك بادرت السلطة الفرنسية بخلق تنظيم داخل كل قبيلة مكوّن من موظفين تابعين لسلطتها، يشرفون على إدارة القبيلة، يكونون همزة وصل سعيا لخلق علاقات سياسية وإدارية بين السلطة الفرنسية ومختلف القبائل الجزائرية.

كانت الانطلاقة بإخضاع القبائل المجاورة للإقامات العسكرية الفرنسية، وتأسيس ما يعرف بالمركز العسكري (Poste Militaire) ، لتسهيل أمور الدفاع والسيطرة في وقت مبكر على القبائل المجاورة الإقامات العسكرية الفرنسية[1].

يشرف على كل مركز عسكري؛ ضابط مستقل عن قيادة الجيش، ويوكل إليه الإشراف على فرقة عسكرية معظمها من الخيالة، تضم عددا من الأهالي إلى جانب الفرنسيين في كل الأقاليم الثلاثة (وهران، الجزائر، قسنطينة) ، غير أن عدد الأهالي في هذه المراكز يتكاثر كلما اتجهنا غربا [2]، وهذا ما يفسر كثرة المراكز العسكرية في إقليم وهران نظرا لاشتداد مقاومة الأمير عبد القادر.

تتبع المراكز العسكرية التنظيم الإداري المطبق من قبل السلطة الفرنسية وتأتي في الترتيب الثالث بعد كل من الدوائر والمناطق الإدارية Cercles et Arrondissements[3].

---

(1)- Prosper (Enfantin) : Colonisation de L'Algérie, Ed. P. Bertrand, Paris, 1843, p 338.

(2)- Ibid., Idem.

(3)- Ibid, p340

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تتمثل مهمة مسؤول المركز العسكري ؛ في حماية المنطقة في حالة ما إذا هوجمت من طرف قبيلة ما، كما يشارك في الحملات ضد القبائل المتمردة بأمر من القائد السامي للإقليم، لكن المهمة الأساسية لمسؤول المركز العسكري المخول له القيام بها هي حكم وإدارة القبائل الخاضعة ومراقبة القبائل المتمردة[1].

ينظم القائد المسؤول عن المركز العسكري وبإشراف من شيخ القبيلة، فرقة من الصبايحية غير النظامية داخل كل قبيلة، تكلف بحراسة وأمن القبيلة، وتتلقى الأوامر من قائد المركز العسكري، وخاصة فيما يتعلق بشن حملات ضد القبائل المعارضة، كما يتوجب على كل قبيلة أن تقيم على أرضها بيتا يحيط به سور يحوي أبراجا للمراقبة، يخصص هذا البيت كإقامة لشيخ القبيلة والقاضي[2]، هذا ويكلف شيخ القبيلة بتقديم تقرير أسبوعي حول وضعية القبيلة وما يصلها من أخبار خارجها يسلم لقائد المركز العسكري، كما يقوم قائد المركز العسكري بحركة تفتيشية للقبائل الخاضعة كل خمسة عشر يوم[3]، وفي يوم التفتيش تعين القبيلة رهائنها قبل مجيء القائد العسكري، وترسلهم إلى المركز العسكري ولا يغادرونه إلاّ بعد عودة القائد العسكري سالما[4].

خلال عملية التفتيش، يقوم قائد المركز بوضع مخطط لإقليم القبيلة، بمساعدة ضباط من القيادة العسكرية، كما يسجل ويدون معلومات حول توزيع الأراضي استنادا على سجل لدى شيخ القبيلة يحوي أسماء العائلات المالكة لها ، بالإضافة إلى عددهم ونسبة الأراضي المستغلة، وكذا عدد المواشي، وبناء على كل هذا يحدد قائد المركز نسبة الضرائب الواجب دفعها للسلطة الفرنسية[5].

---

(1)- Prosper (Enfantin) , Op.Cit p 338-339.

(2)- Ibid, p339-340.

(3)- Ibid, p340-341.

(4)- Ibid, p 341.

(5)- Ibid, Idem.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

من مهام قائد المركز العسكري كذلك، رسم حدود كل قبيلة، بناء على التباينات والاختلافات التي تبدأ بالبروز والوضوح بين كل قبيلة و أخرى[1].

كان القائد المسؤول عن المركز العسكري يتحكم في معظم القبائل المجاورة للمركز أما شيخ القبيلة فأوكلت إليه مهام تكاد تكون وهمية، فهو لا يطبقها إلا بمشورة وأمر قائد المركز ومن أبرز هذه المهام إخبار الإدارة الفرنسية بوجود حركات عصيان وتمرد سواء داخل القبيلة أو خارجها وكذا التبليغ عن بعض الأهالي الحاملين للسلاح، ذلك أن الإدارة الفرنسية سنت قانونا يمنع حيازة القبائل للسلاح، حتى فرق الصبايحية غير النظامية منع عنها السلاح إلا في حالة خروجها في حملات مع الجيش الفرنسي[2].

وفي حالة ما إذا تمت مصادرة سلاح لدى أهلي داخل قبيلة ما صباحا فسيعاقب على أساس أنّه لص، ويمنع من حمل السلاح لعشر سنوات، ويقدم تعويضا عينيا (مواشي وحبوب)، أما إذا كان الأمر ليلا فسيعد مجرما وقاتلا، وتطبق عليه الأعمال الشاقة أو ينفى خارج الجزائر ويرسل إلى إحدى المستعمرات الفرنسية[3].

إن الاستقلالية التي كانت تتمتع بها القبائل الجزائرية، والنظم التي كانت تنتهجها وعلى رأسها نظام الجماعة، قد تأثرت بالسيطرة الفرنسية؛ التي قلصت من نفوذ رؤوساء القبائل، بإتباع تنظيم إداري فرنسي يجهلونه، والمراكز العسكرية ما هي إلا جزء من هذا التنظيم الإداري الجديد الهادف لتحقيق السيطرة الفرنسية على الأراضي الجزائرية، وتأكيد أن الجزائر مقاطعة فرنسية.

إن نظام المراكز العسكرية كان بمثابة اللبنة الأولى للسياسة الاستيطانية التي بدأت ملامحها تبرز بقوة في فترة حكم الجنرال بيجو (Bugeaud) الذي بدأ في تشييد القرى الاستيطانية بداية من أفريل 1841، ويكفي أن معظم المراكز العسكرية تحولت في وقت

---

(1)- Prosper (Enfantin) , Op.Cit p342.

(2)- Ibid, p 344.

(3)- Ibid, p 344-345.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وجيز إلى قرى استيطانية، كما اعتبرت المراكز العسكرية الحل السريع للسيطرة على أراضي القبائل ومن ثمة القضاء على زعاماتها بإقامة إدارة فرنسية خالصة يكون شيخ القبيلة فيها، أو القائد، أو الأغا مجرد معاون أهلي (Adjoint Indigène)، وقد اتضح هذا ببروز نظام الدواوير.

1-5-2- تقسيم القبائل إلى دواوير:

استمرت الإدارة الفرنسية في سياستها القاضية بالتخفيض التدريجي لسلطات القادة الأهالي (شيوخ القبائل)، واتضح هذا جليا في الفترة الممتدة بين 1854-1857 ولكن بدرجة أكبر في القطاع القسنطيني على يد كل من الجنرالين قاسطو (Gastu) وديفو (Desvaux) ، اللذين حطما الزعامات الكبرى في القطاع القسنطيني، وبالموازاة مع ذلك وجهت الحكومة العامة الفرنسية برئاسة بيليسيي (Pélissier) عمل المكاتب العربية ضد كبار القياد، وبخاصة التقليل من امتيازاتهم، وقد لمس هذا الإجراء معظم القبائل الجزائرية[1] وصار أمرا واقعا بسن السيناتوس كونسلت Sénatus Consulte 22 أفريل 1863، الذي سعى لتحقيق الملكية الفردية والقضاء على الملكية الجماعية والعرش.

استمر تطبيق السناتوس كونسلت 22 افريل1863 إلى غاية 19 ديسمبر 1870؛ إلى غاية هذا التاريخ الأخير، وفي مقاطعة الجزائر وحدها؛ سنت الإدارة الفرنسية 96 مرسوم حوّلت بموجبها 91 قبيلة إلى دواوير[2].

إن مسعى الإدارة الفرنسية من وراء هذا المرسوم العقاري ليس فقط القضاء على الملكية الجماعية وتحقيق الملكية الفردية، وإنما السعي كذلك لتسهيل عملية إدارة وتقسيم

---

(1)- Ch-R (Agéron) :Les Algériens Musulmans et la France, T.1, PUF, Paris, 1968, p132.

(2)- A. (Sainte-Marie) : " la province d'Alger vers 1870 ; l'établissement du Douar- Commune et la fixation de la nature de propriété et territoire militaire dans le cadre du 22 Avril 1863", In : Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée, Vol.9, N° 1, Année 1971, p 37.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

القبائل لتحقيق السيطرة والسيادة الفرنسية وتعزيز سياسة الاستيطان، فقد اكتشفت الإدارة الفرنسية أن نظام الشعبة (les communes subdivisionnaires) (1845) قد عجز في بسط النفوذ الفرنسي؛ وذلك على الرغم من كونه دائرة انتخابية (Circonscription)، غير أنها كانت تكتل لعدد كبير من القبائل والدواوير المنفصلة عن بعضها البعض، فلم يكن باستطاعة الشعبة إدارة وتسيير كل تلك القبائل؛ لذلك أوجدت الإدارة الفرنسية نظام آخر يتبع نظام الشعبة ولكن يسيطر على عدد محدود من السكان وعلى مساحة جغرافية أقل، وقد عرف هذا النظام بنظام الدوّار (Douar) [1] .

أقامت الإدارة الفرنسية نظام الدوار بالموازاة مع تطبيق القانون العقاري السناتوس كونسلت 22 افريل 1863، وذلك وفق مرسوم 23 ماي 1863 القاضي بتقسيم القبائل إلى دواوير، وسرعان ما عرف نظام الدوار بـ: دوار -بلدية (Douar commune)[2].

يضم كل دوار مجلس بمثابة مجلس بلدي، يبلغ عدد أعضائه 08 إلى 12 من أعيان الأهالي يتم تعيينهم من طرف القائد العام للمقاطعة le Général Commandant de la Province [3].

يرأس مجلس الدوار؛ قائد أو شيخ الدوار، الذي يتمتع ببعض الإستقلالية ، كما يشرف على ميزانية خاصة بالدوار، هي في الأصل تابعة لميزانية الشعبة (Subdivision) لكن تنفق على احتياجات الدوار فقط، مع ذلك يفرض على الدوار تخصيص نسبة 5% من الميزانية إلى الشعبة بغرض إنشاء صندوق مشترك للمقاطعة[4].

---

(1)- Ch-R.(Agéron): Op.Cit, T.1, p 140.

(2)- Ibid, Idem.

(3)- Ibid., Idem.

(4)- Ibid., Idem.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

كما يكلف شيخ الدوار بتقديم تقرير حول مساحة الدوار، وعدد سكانه، وثرواته[1]

كما تكلفه الإدارة الفرنسية بتقسيم أراضي العرش والإشراف على الملكية البلدية (Bien Communaux) في الدوار[2] .

إنّ نظام الدواوير هو محاولة لتسهيل عملية إدارة الأهالي والتي اتضحت أكثر وفق مرسوم السناتوس كونسلت العقاري 23 ماي 1863، القاضي بخلق تنظيم إداري على الطريقة الأوروبية، وذلك بإنشاء دوائر إقليمية (Circonscriptions Territoriales) ، فما وجه العلاقة بين الدوار والدائرة الانتخابية؟

إنّ الدوار المؤسس وفق مرسوم 23 ماي 1863، كان يعتبر الخلية الأساسية la Cellule de base للإدارة الفرنسية باعتباره المنطلق نحو تأسيس نظام بلدي عربي في المستقبل.

وكخطوة لتحقيق ذلك؛ أسست الإدارة الفرنسية في جويلية 1863 لجنة نقابية (Commission Syndicale) في كل دوّار عرفت بمجلس الجماعة (Djamaa) من أجل تمثيل الدوّار وإدارة الممتلكات[3]، والملاحظ أنّ هذا المجلس قد أخذ نفس التسمية التي اشتهرت بها المجالس الأهلية لدى القبائل الجزائرية، لكن لا وجه شبه بينها وبين المجالس التقليدية ما عدا التسمية على الأقل بالنسبة للجنرالات الفرنسيين الذي قادوا الحملة والذين لم يعرفوا عن الجماعة سوى كونها مجموعة ممثلة للقبيلة أو طالبة للأمان[4] لكن مفهوم نظام جماعة الدوّار هو نظام جديد يختلف عن نظام الجماعة السابق؛ ذلك أنّه يهدف إلى شيء آخر وهو تأسيس المجلس البلدي المنتخب للبلدية الأهلية، ومنه نستخلص أنّ نظام الدوار (Douar-commune) الذي أسس من طرف مفوضي التحقيق (les commissaires

---

(1)- A. (Sainte-Marie) : Op.Cit, p39.

(2)- Bulletin Officiel du Gouvernement Général de l'Algérie : N° 86, Année 1863, p191-195.

(3)- Rodolphe (Dareste) : De la Propriété en Algérie : loi du 16 Juin 1851, Sénatus Consulte du 22 Avril 1863, 2eme Ed, Paris, 1864, p252.

(4)- Ch-R(Agéron) : Op.Cit, p 140-141.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

enquêteurs) أيّام تطبيق السيناتوس كونسلت 1863؛ نتج عن سياسة أكثر منها ضرورة إدارية اتسمت بها فترة الإمبراطورية الثانية(1852-1870) التي شكلت 667 دوّار من 372 قبيلة[1].

لم تختلف وضعية قبائل الغرب الجزائري عن مثيلاتها قي باقي القطر الجزائري الفارق الوحيد أن عمليات تطبيق السناتوس كونسلت 1863؛ لم تنطلق مبكرا كما حصل في الشرق الجزائري على وجه الخصوص، حيث ابتدأت أواخر 1866، واستمرت إلى أواخر 1869، وعلى الرغم من قلة عدد قبائل الغرب الجزائري مقارنة مع قبائل الشرق الجزائري، غير أنها لم تسلم من عمليات تحديد الأراضي وتقسيمها إلى دواوير، فخلال الفترة الممتدة بين 1867 و1869، أسست الإدارة الفرنسية (80) دوّار من مجموع (43) قبيلة موزعة بين مقاطعات وهران وتلمسان وسيدي بلعباس[2]، هذا بغض النظر عن بقية المناطق كمستغانم، معسكر، عين تيموشنت.

إن هذا التشتيت للقبائل الجزائرية إلى دواوير متفرقة، ليس مبنيا فقط للقضاء على الزعامات المحلية وتحطيم النظام الاقتصادي الجزائري المبني على الملكية الجماعية، وإنّما خلق نظم إدارية جديدة تسهل السيطرة الفرنسية على المقاطعات الجزائرية، وخلق فرص الاستيطان فيها لأنّ هذه الدواوير في الأصل لا يقتصر مستقبلها على أن تكون مجرد بلديات على نمط أوروبي وإنّما ملحق وجزء هام من المراكز والقرى الاستيطانية.

إن السياسة التي اتبعتها الإدارة الفرنسية تجاه القبائل الجزائرية في الغرب الجزائري لم تختلف عن تلك التي طبقتها في باقي الأقاليم، وإن كانت قد ألفّتْ الشعب وقسمت القبائل إلى دواوير، وخلقت المراكز العسكرية، ترى ما الذي انتهجته لبسط نفوذها على المدن والمقاطعات الصغيرة التابعة لتلك الشعب، وتلك المراكز، ومنها مدينة ندرومة التي كانت

---

(1)_ Ch-R(Agéron) : Op.Cit, p 141-142.

(2)- R. (Estoublon) & A. (Lefébure) : Code de l'Algérie Annoté, 1830-1896, p 288-289.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تتبع إقليميا شعبة تلمسان، وفي الوقت نفسه خاضعة لنفوذ المركز العسكري بنمور (الغزوات)؟

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفصل الثاني:

مدينة ندرومة دراسة إثنية واجتماعيـــــة

2-1- التركيبة السكانية لمدينة ندرومـــــة

2-2- عادات وتقاليد سكان مدينة ندرومـــــة

2-3- النشاط الديني لسكان ندرومـــــة

2-4- الأعياد والاحتفالات الموسمية في مدينة ندرومة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

2-1- التركيبة السكانية لمدينة ندرومة:

تؤكد معظم الدراسات التاريخية التي اهتمت بالحياة الاجتماعية للحواضر الجزائرية سواء كان ذلك في الفترة الفرنسية أو قبلها؛ على أن هذه الحواضر كانت فسيفساء من عناصر إثنية وعرقية مختلفة، ساهمت في رسمها عوامل كثيرة، من أبرزها تاريخ المدينة، وموقعها الجغرافي، زد على ذلك العامل الاقتصادي الذي كان المحرك الفعلي لنشاط أي مدينة، وهذا ما يجعلنا نتساءل عن حال مدينة ندرومة مقارنة مع الحواضر الأخرى وذلك لاعتبارات عدة ، أهمها أنّها كانت حاضرة لا تقل أهمية عن جارتها تلمسان؛ نظرا لغناها التاريخي والحضاري، أفلم تكن حاضرة عبد المؤمن بن على مؤسس دولة الموحدين؟

2-1-1- سكان ندرومة الأصليين بين الأمازيغية والعروبة:

تتموضع مدينة ندرومة التي اشتهرت بهذه التسمية أيام الموحدين فوق مدينة أخرى قديمة وهي مدينة فلاوسن- كما سبق الذكر- وفلاوسن[1] هو مصطلح أمازيغي أطلق على جبل قبالة ندرومة لا زال يحتفظ باسمه لحد الآن، وهذا ما يؤكد فرضية تعد قاعدة وركيزة أساسية لدراسة تاريخ سكان ندرومة ، وهي أنهم كانوا بربر وهذا ما أشار إليه ابن خلدون في كتابه العبر؛ لمّا بيّن أنّ ندرومة هو اسم قبيلة بربرية [2].

وعلى الرغم من أن مدينة ندرومة هي جزء من إقليم بربري وهو إقليم طرارة؛ مع ذلك عرفت في الدراسات التاريخية على أنّها حاضرة عربية؛ ذلك أن سكانها اتخذوا اللسان العربي وسيلة للتواصل، فصاروا بذلك قبائل مستعربة على غرار قبائل كثيرة في القطر الجزائري، وهذا الأمر لا يعد غريبا نظرا للتصاهر والتلاحم الذي حدث بين البربر والعرب

---

[1] - "فلاوسن"، وهي كلمة بربرية مشتملة على كلمتين "أفلا" ومعناها أعلى و "أوسن" ومعناها قرية وإذن فمعنى "فلاوسن" أعلى قرية.

[2] - ينظر المدخل، ص 21.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بعد حركة الفتح الإسلامي، كما أن موقع مدينة ندرومة الجغرافي المتاخم للمغرب الأقصى الذي عرف قيام دولة الأدارسة (172-223هـ/788-835م) التي ساهمت في نشر الثقافة واللغة العربية؛ كان عامل هاما في نشر اللسان العربي وسط قبائل طرارة [1]، فلا يخفى علينا أن النفوذ الإدريسي قد امتد إلى المغرب الأوسط (الجزائر) وذلك بإخضاع مدينة تلمسان ونواحيها، كما أنّ اللغة العربية قد انتشرت بدرجة أكبر وعلى نطاق واسع وسط القبائل البربرية بعد هجرة أهل الأندلس إلى الشمال الإفريقي أيّام الأدارسة وتواصل توافدهم بعد سقوط غرناطة عام 1492م طيلة القرين 16 و17 م، ومدينة ندرومة لم تكن بمنأى عن تلك الهجرات فقد أستقر عدد كبير من أهل الأندلس في الغرب الجزائري في المحور الرابط بين وهران وتلمسان[2].

يضاف على ذلك هجرات القبائل البدوية الهلالية التي غزت الشمال الإفريقي مع بدايات القرن 11م، وانتشرت في المغرب الأوسط عابرة الأوراس والحضنة والونشريش، وكان آخر مستقر لها غرب وجنوب غرب الجزائر، وقد ساهم احتكاكها مع القبائل في نشر اللغة العربية[3] وتغليبها على اللهجة الأمازيغية وبخاصة في منطقة الغرب الجزائري، حيث اعتمدت القبائل اللغة العربية واكتسحت معظم هذه المنطقة الجغرافية ما عدا موضع إقامة قبيلة بني سنوس شمال وجنوب لالة مغنية بتلمسان[4].

كما ساهم الطابع الاجتماعي لقبائل طرارة، التي اعتمدت الاستقرار نمطا لمعيشتها، في خلق اتصالات وعلاقات بالحواضر المجاورة لها، وكان من أهمها مدينة تلمسان، التي

---

(1) - سعدون عباس (نصر الله): **دولة الأدارسة في العصر الذهبي**، ط1، دار النهضة العربية، 1987، ص 131-132.

(2) - E. F(Gautier) : " Répartition de la langue Berbère en Algérie ", In : Annales de Géographie, T.22, N° 123, p 264.

(3) - Ibid., Idem.

(4) - Ibid., p 259.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

كانت مركز استقطاب للعرب وأهل الأندلس، مما ساهم في تغليب الثقافة العربية، ونشرها في المناطق المجاورة.

وسرعان ما حصل احتكاك وتقارب بين العناصر البربرية والعربية وكذا المورسكية فانصهروا وصاروا يشكلون فئة واحدة وساهم في ذلك اعتمادهم ثقافة خاصة وهي ثقافة الإقامة داخل المدينة التي جعلتهم من الحضر بغض النظر عن أصولهم.

كما عرفت مدينة ندرومة توافدا من سكان المغرب الأقصى وذلك منذ زمن الموحدين، واستمرت حتى مجيء الفرنسيين، الذين باشروا برسم وتحديد الحدود بين الجزائر والمغرب بعقد معاهدة لالة مغنية في 18 مارس 1845 مع السلطان المغربي وبالتالي تم الفصل بين القبائل، التي كانت في السابق تتنقل عبر الحدود دون أي حواجز تذكر[1]. لكن الباحث جيلبر غراند غيوم (Gilbert Grandguillaume) ذهب بعيدا، عندما أوضح في دراسته الموسومة ندرومة تطور مدينة؛ أن أغلب سكان ندرومة هم من أصول مغربية قدمت إلى المنطقة أيام المرابطين وتواصلت زمن الموحدين، ويعتمد في ذلك على ألقاب الأسر والعائلات الندرومية التي يقول عنها أنها مشابهة لألقاب المغاربة[2]، ولكن هذا ليس دليلا كافيا يرتكز عليه في إيضاح أصول سكان ندرومة، فحقيقة عرفت ندرومة استقرارا لعدد من العائلات المغربية، وبرز ذلك في ألقابها المشتقة من أسماء القبائل المغربية، فعلى سبيل المثال عائلة زرهوني وهي من العائلات المشهورة في مدينة ندرومة، من قبيلة الزراهنة من مكناس، وعائلة غماري من قبيلة غماراس في الريف المغربي، وعائلة صمود من مصمودة من الأطلس المغربي وعائلة صنهاجي من قبيلة صنهاجة نواحي

---

(1) - عبد الرزاق (الصديقي): "اتفاقية لالة مغنية وملابساتها"، **بحوث مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية**، مج 14، ع 09، المحمدية، 2001، ص 09.

(2) - Gilbert (Grandguillaume) : Nedroma l'évolution d'une médina, E. J.Brill. Leiden, Netherlands, 1976, p142-143.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فاس[1]، ومع ذلك لا يمكن الجزم بأن سكان ندرومة مغاربة، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار قضية الحدود التي كانت من أبرز المسائل المطروحة بين الجزائر والمغرب وبخاصة خلال الفترة العثمانية ، ومدينة ندرومة تقع عند خط التماس، كما أن تشابه الألقاب بين الجزائريين والمغاربة ليس بالأمر الغريب، فطالما كانت منطقة المغرب الكبير فضاءً لعدد من القبائل التي تتنقل من مكان إلى آخر، بكل حرية، زد على ذلك قد نجد لقبا معروفا في الجزائر هو نفسه في نقطة جغرافية بعيدة عن الجزائر بآلاف الأميال والأمثلة كثيرة لا داع لذكرها، كما أنه لا يجب الارتكاز على مسألة الألقاب، فكما نعلم أنّه بعد تأسيس الإدارة الفرنسية لمصلحة الحالة المدنية فرقت عددا كبيرا من الأسر الجزائرية، وصارت العائلة الواحدة؛ تضم ألقابا عديدة، وهذا ما حدث كذلك في مدينة ندرومة بعد إقامة مصلحة الحالة المدنية سنة 1888؛ فقد ظهر 139 لقب تمثله 33 عائلة كما هو موضح في الجدول الآتي[2]:

اللقب الأصلي	لقب الحالة المدنية
عَدُّو	عَدُّو - قندوز - خلاّلي - لِمَامْ-
عَرْبية	درقاني - فلاّح - عَرْبية
عزوز	عزوز - بن عزوز - حفّاف
بَحْري	بَحْري - جبّارة
بوعنّاني	بوعنّاني – شَرْقِي
بوعزّة	بوعزّة - مَسْكِين - زيد الخيل

(1) - Paul (le sept) : "Nedroma cité berbère", In Tlemcen et ses environs ; guide illustré de tourisme, 2eme Ed, Editeur A. Thiriat, SD, p 147.

(2) - Gilbert Grandguillaume : Op.Cit, p 143-144.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

شريف	تَلْمساني
شقرون	عمّو -شاوش- شقرون- داحوز – فقير -نذير -سمّاش
ديدي	ديدي- هاشمي - سانة
ضيف	ضيف- لامة
دِنْدَانْ	دبّاخْ- دِنْدَانْ- زَمْري
جبّار	بوعالي- دبّاح- جبّارْ- كْبيرْ
جنّانْ	شاكرْ- جنّانْ-جنّاس- فريدي
فتوحي	عالم- عُرناني
غُماري	عطّاب- بكوش- بلْفاطمي- شبّاتي- قبّاني- نيّا
غرموش	عبيد- غرموش
حاوزي	بن حوزي- حاوزي- معزوزي
حيّاني	حيّان- حيّاني
لَمِينْ	عَسْكَرْ -بسّامْ- فَهيمْ-قرّارْ- قَرْمادْ-لاغلْ- مَلاّحْ-نقّاشْ- طَنْجاوي- زَبّوج
مَدْيُونِي	مَدِيني- مَدْيُونِي
مِيدونْ	غزّارْ- مِيدونْ

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ناصر	قهواجي-ناصر - شريف
نقّاش	غْنيمْ - قجّارْ - قُوريشْ-لْعَطارْ - نقّاشْ
راشدي	معروف - راشدي
رحّال	لْعَسَاسِي - رحّالْ - رحالي
رَحْمُونْ	بَلْعَزازْ - بن رحموني - شريفي - مختاري - رحموني - سنّالْ
رَمْضَانْ	شُرْفِي - مِرابْطي - وجداوي - رَمضاني - رويشدي
رقّابْ	شعبان - غرّاس - رقّابْ - طمّار
سعيدي	جرّاحْ - سعيدي
سَلّسْ	بن سَلّسْ - حانوتي - سَلّسْ
صَمُودْ	عَسْلِي - بَنّاني - بوليلة - جزّارْ - غْريبي - حاجي - حاكم - حقيقي - قاسي - قادري - ساحل - سْبَايْبي - صَمودْ - صَمودي - تاني - طْرّاشْ - يعقوبي - زيّانْ
سنوسي	سمسار - سنوسي - سنوساوي
زرهوني	عاشور - بن زرهوني - شوّالْ - جلطي - فلاّحي - خدّامْ - لخْضاري - مَسْلَمْ - سبّاغي - سدّارْ - طرّاحْ - زرهوني

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

إن العائلات المذكورة أعلاه تمثل الحضر الذين سكنوا مدينة ندرومة والذين ذكروا في سجلات الحالة المدنية سنة 1888، وأكثرهم من العائلات العريقة والمشهورة التي سكنت المدينة في فترة سبقت الاحتلال الفرنسي بكثير، ومن بينها عائلة رحال، ونقاش اللتان مثلتا سكان مدينة ندرومة لدى الإدارة الفرنسية.

إنّ الطابع الحضري لسكان ندرومة هو الذي أوجد فارقا بينهم وبين القبائل المجاورة، ومحا فكرة أنهم من البربر، فقد ألف الندروميون حياة الاستقرار واتخاذ المساكن، على الرغم من أصلهم القبلي، الذي يربطهم مع القبائل المحيطة بهم، كقبيلة بني منير، بني مسهل، بني عابد، بني خلاد جبالة، وهي كلها قبائل رعوية بدوية. لذلك لا نتفاجئ حين نعلم أنّ سكان ندرومة يطلقون مصطلح قبايل على المجموعات السابقة الذكر[1]، وهم لا يقصدون بذلك مصطلح القبيلة المتفق عليه، ولكن يقصدون به طبقة الفلاحين والرعاة الذين قصدوا ندرومة للعمل بها، على قياس مصطلح البرانية[2] وهم بذلك لا يختلفون عن سكان الحواضر الأخرى التي نعتت سكان الأرياف بنفس التسمية وهي قبايلي.

2-1-2-اليهـود:

شهدت مدينة ندرومة تواجدا يهوديا معتبرا وهذا عبر فترات مختلفة، أبرزها مرحلة سقوط دولة المسلمين في الأندلس، والطرد اليهودي ، فقد استقبلت ندرومة اليهود على غرار المدن المجاورة، كوهران و تلمسان، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لا نستبعد وجود عناصر يهودية من السكان الأصليين للمدينة، ذلك أن إقليم طرارة عامة وندرومة بصفة خاصة برزت فيه ملامح ثقافة يهودية، تجسدت من خلال التسميات العبرية التي أطلقت على أماكن متعددة، تقع بين ندرومة والبحر الأبيض المتوسط، فعلى سبيل المثال، في إقليم بني منير

---

(1) - Monographie succincte de la Commune Mixte de Nedroma ,19 Novembre 1923, AOM, Aix en Provence, Carton N° 2M/121.

(2) - ناصر الدين (سعيدوني) والمهدي (بوعبدلي): **الجزائر في التاريخ؛ العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 99.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

يوجد مكان يسمى رأس نوح (cap noé)، وكذلك حوض سيدنا يوشع، ومنطقة أخرى تعرف بأولاد داود، إلخ...[1] وهذا يثير استفسارات عدّة لم نجد إجابات عنها- في حدود علمنا-، لكن يرجح وجود قبيلة يهودية قديمة قد سكنت المنطقة قبل الفتح الإسلامي[2].

أما عن أصول يهود ندرومة، فالمرجح أن أغلبهم قد جاء من المغرب الأقصى؛ حيث يذكر رينه باسي(René Basset) أنّ اليهود الذين سكنوا ندرومة قدموا إليها أواسط القرن 18م من منطقة مكناسة المغربية[3]، ومع ذلك لا يجب إغفال فكرة نزوح عدد كبير من يهود الأندلس إلى الشمال الإفريقي، وقد استقبلت الجزائر أعدادا كثيرة منهم استقرت في مختلف المدن الجزائرية، كالجزائر العاصمة، ومليانة والمدية، لكن نسبة كبيرة من اليهود اتجهت صوب مدن الغرب الجزائري كمعسكر ووهران وتلمسان، وقد ساهمت في ذلك سياسة محمد الكبير باي وهران الذي اتسمت بالتسامح الديني والليونة تجاه هذه الأقلية؛ فقد منحهم أراضي بالمجان لجعلها مقابر لطائفتهم وباعهم أراضي بأبخس الأثمان لبناء مساكن لهم[4]، أما بالنسبة لمدينة ندرومة فقد استقبلت على غرار المدن المجاورة أعدادا من اليهود مع أنّ حاكمها رفض في البداية استقبالهم داخل المدينة ولكن سمح لهم بالمكوث خارجها والاستقرار قبالة جبل-فلاوسن- بالقرب من سطح الكاف، الذي يقع عند سفح الجبل المذكور[5]، والذي صار يعرف من يومها باســـــم درب اليهود [6].

وقد ظل اليهود خارج مدينة ندرومة لمدة طويلة من الزمن، بعدها سمح لهم بدخول المدينة حيث استقروا في شارعين رئيسيين بها ، هما شارع القناوة؛ أين أقيم معبد صغير

---

(1) - René (Basset) : Nedromah et les Traras, Ernest Leroux, Paris, 1901, p 08.

(2) - Paul (Le Sept) : Op.Cit, p147.

(3) - René (Basset) : Op.Cit, p 07.

(4) - Jacques (Taieb) : Sociétés Juives du Maghreb moderne 1500-1900, Maisonneuve & Larose, Paris, 2000, p78

(5) - Emile (Janier) :" Nemours et sa région" In Bulletin de la société de géographie et d'archéologie de la province d'Oran , T. 3&4 ,1949-1950, p29.

(6) - درب اليهود أطلق كذلك على حي من أحياء مدينة تلمسان ، خصص لليهود.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وشارع الخربة الذي أسس فيه معبد يهودي كبير خلال الفترة الاستعمارية، كما أجريت فيه توسعات، وتمّ فتح مدرسة دينية يهودية.

وقضية إسكان اليهود خارج المدينة لم تكن حكرا على مدينة ندرومة فقط، بل عرفتها مدن أخرى كمدينة تلمسان، لمّا رفض السلطان الزياني استقبال اليهود داخل المدينة وأسكنهم خارجها، إلى أن تمكن أحد الأطباء اليهود وهو الرّبي (le Rab) إفراييم النقاوة الذي تمكن من علاج إبنة السلطان التي عجز الأطباء عن إيجاد علاج لها، عندها فقط وكاعتراف بالجميل وتحقيقا لطلب هذا اليهودي، فتح السلطان الزياني باب المدينة لليهود وأسكنهم قرب قلعته المشوَرْ[1].

استوعبت ندرومة الأقلية اليهودية، والتي بدورها تأثرت بثقافة وعادات المدينة، وقد برز هذا في أسماء العائلات اليهودية في حد ذاتها، والتي لا تمت بصلة للألقاب العبرية المتعارف عليها، فأغلب الألقاب اليهودية في مدينة ندرومة كانت ذات مدلول عربي، كما أنها شبيهة بأسماء المسلمين، على غرار لقب بن عيون، بن دنون، بوعزيز، بن حمو. فئة قليلة فقط من اليهود حملت ألقابا عبرية كعائلات: ليفي، عزيزة، حزيزه، شقرون، بتان، صبان، بالإضافة إلى بعض اليهود الميغوراش (من إسبانيا) وأسماء عائلاتهم تدل عليهم كـ: مرسيانو، بيريز...[2]، وهم بذلك لا يختلفون عن باقي اليهود في الجزائر، وفي كل العالم؛ فتسمياتهم مستمدة من أصولهم العرقية وليس بالضرورة من معتقدهم الديني العبري.

أمّا بالنسبة لعادات يهود ندرومة؛ فهي لا تختلف كثيرا عن عادات سكانها المسلمين من حيث اللباس والعادات اليومية، كما كانت اللغة العربية هي اللغة المتداولة من طرف يهود ندرومة، وكذا معظم يهود الجزائر في تلك الفترة، لكن مع بعض الخصائص

---

[1] - فوزي (سعد الله): **يهود الجزائر هؤلاء المجهولون**، ط2، ج1، دار قرطبة، الجزائر، 2005، ص 179.

[2] - Eliayhu Rafael (Marciano) : Une nouvelle Séville en Afrique du Nord ; histoire et Généalogie des Juifs de Debdou (Maroc), Elysée, 2000, p07-08.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أشار إليها وليام مارسيه (William Marçais) في كتابه حول لغة أهل تلمسان، فحرف الكاف في اللغة العربية ينطق عند اليهود بـ : تشا، كأهل العراق، فمثلا أوصيك، ينطقها اليهود أوصيتش كما أنّ الألف المفتوحة تنطق ألف مكسورة عند اليهود، ففي منطقة الغزوات على سبيل المثال لا الحصر يقول اليهود إيمالا، وبهذه الاختلافات البسيطة يمكن معرفة يهود المنطقة[1]، ويضيف أندري شوراقي (André Choraqui) قائلا:« فرضت اللغة العربية بصماتها العميقة في روح اليهود بشمال إفريقيا، والظاهرة الأكثر إثارة وبروزا في تعرب اليهود هو استعمالهم اللغة العربية في الأعياد والطقوس الدينية ولغايات صلواتية، حيث الكتاب المقدس(la Bible) في ترجماته العربية في المعبد، ولا يتردد رجال الدين واللغويون وحتى الشعراء في استخدام العربية لتعليم حقائق عقيدة إسرائيل»[2].

كما يضيف الكاتب اليهودي الجزائري الأصل ألبير بن سوسان (Albert Bensoussan) [3] ، قائلا: بأنّ أباه في الثلاثينيات والأربعينيات (1930-1940) كان يترجم فوريا الصلوات والأدعية وما يتلى أثناء الطقوس الدينية بالوسط العائلي إلى اللغة العربية حتى تتمكن جدته العجوز من فهمها ومتابعتها، ويذكر في كتابه «أنّ جده كان

---

(1) - W. (Marçais) : Le dialecte arabe parlé à Tlemcen, p17-18.

(2) - André (Chouraqui) : La Saga des Juifs en Afrique du Nord , Paris, 1972, p91.

(3) - ألبير بن سوسان Albert Bensoussan ولد في عام 1935 بالجزائر العاصمة ، حيث قضى شبابه، وهو ابن صاموئيل بن سوسان من مواليد الغزوات (نمور) عام 1890م، وأمه عائشة بن عيون وهي من مواليد مدينة ندرومة عام 1895 م .عمل كأستاذ مشارك في اللغة الإسبانية بالمدرسة الثانوية Bugeaud في الجزائر حتى عام 1961، و مساعد في جامعة السوربون في عام 1963 ، عمل أستاذا في جامعة رين Rennes-II-2 1978 حتى 1995، تظهر الجزائر مرارا وتكرارا في أعماله ، وخصوصا فيما يتعلق بعالم اليهود والعرب الذي كان بمثابة خلفية لوحة زيتية على قماش معظم رواياته.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

يتكلم بالعربية ويوقع بالعبرية.... وأنّه كان ينادي جدّه مسعود "بابا سيدي" على غرار العرب، وبأنّ أمه تدعى عائشة» [1].

وقد بلغ عدد العائلات اليهودية بندرومة حسب إحصاء 1867 حوالي (79) عائلة تمتلك (50) مسكن، وأغلبهم من أصول مغربية، بعضهم تجار أو حرفيين، إسكافيون، صانعوا البليغات، صاغة، بائعوا أسلحة، ونجارون[2].

وبذلك كان اليهود جزءا لا يتجزأ في الهرم السكاني لمدينة ندرومة ولهم دور فاعل في مجريات الحياة اليومية داخل هذه المدينة، وهو ما سنوضحه في الفصول القادمة.

2-1-3- القنـاوة:

عرفت مدينة ندرومة قدوم فئات أخرى من الميزابيين والزواوة والعبيد السود [3]، وعدد هذه الفئات الأخيرة قليل بمدينة ندرومة وأغلبيتها جاءت من الريف، وهي فئة فقيرة تمارس أعمال بسيطة كنقل المياه والعمل بالبساتين، والمقاهي، والمحلات التجارية، وهم يعرفون بالبرانية، ويمارسون أيضا أعمال البناء وخصوصا فئة السود[4]، أو القناوة كما يعرفون في المنطقة، وجلهم وفدوا من السودان، ويعود تاريخ تواجدهم بالمنطقة إلى عهد المرابطين الذين وطدوا علاقاتهم التجارية مع إقليم السوس وشجعوا التبادل التجاري[5]، وعددهم لم يكن كبيرا في ندرومة ونفس الشيء في حاضرة تلمسان، ويشتغلون في المهن البسيطة وكخدم في المنازل، يدينون بالإسلام ويتكلمون العربية، لكن في احتفالاتهم الدينية يستخدمون لهجاتهم

---

(1) - Albert (Bensoussan) : L'Échelle de Mesrod ou Parcours Algérien de mémoire Juive, l'Harmattan, 1984, p10.

(2) - J. (Canal) : "Monographie de l'arrondissement de Tlemcen Nedroma et les pays des Traras", In : BSGAO, T.7, octobre-décembre1887, p 264.

(3) - كانت هذه الفئة تتواجد بكثرة بمدينة تلمسان دون غيرها من المدن، قدمت من توات والسودان.

(4) - نوشي (أندري) ولاكوست (إيف): مرجع سابق، ص204.

(5) - ابن عذاري: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق إحسان عباس، ج.4، ط.3، الدار العربية للكتاب، ودار الثقافة، بيروت، 1983، ص ص 07-10.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

السودانية[1]، وبالرغم من قلة عددهم في مدينة ندرومة والذي انعدم بعد عام 1930؛ غير أن شارع من شوارع ندرومة سمي باسمهم، وهو شارع القناوة ويفسر هذا الأمر بنشاط القناوة الديني، فقد كان لهم طريقة صوفية على غرار بقية الفئات الاجتماعية [2].

ورغم الاختلافات العرقية والطبقية في مدينة ندرومة، إلا أنها عرفت الاستقرار. ذلك أن العلاقة التي سادت بين هذه الطبقات كانت دائما علاقة تكامل وتضامن، فكل طبقة تخدم الأخرى، فعلى سبيل المثال: يؤدي الاستقرار السياسي للسلطة الحاكمة إلى ربح ومكسب للتجار والحرفيين الذين بدورهم يقومون بدفع الضرائب لنفس هذه السلطة.

ومن خلال هذا نلاحظ التقارب الذي كان بين الإدارة والسكان، وهذا ليس بالأمر الجديد، لأن ندرومة عرفت منذ زمن طويل بحريتها واستقلالها، ورغم ذلك لم تتمرد على السلطة، فكانت تدفع الضرائب وتقدم الهدايا وغير ذلك من أمور الولاء والطاعة[3].

2-2- عادات وتقاليد سكان مدينة ندرومة:

في الواقع؛ إنّ عادات وتقاليد سكان مدينة ندرومة لا تختلف كثيرا عن مثيلاتها من حواضر منطقة طرارة، وبالأخص تلمسان، كما أن جزءا كبيرا من تلك العادات يمتد لاغيا الحدود الجغرافية بين الغرب الجزائري والمغرب الأقصى، بفعل التقارب الجغرافي ووحدة التاريخ.

ورغم أن العادات والتقاليد هي ترجمة لأسلوب معيشة ونشاط الفرد داخل المجتمع، وتفاعله اليومي معه، غير أنّها تتجاوز ذلك لتصير جزء من هويته، ومصدرا لتراثه وتاريخه، وسمة توضح الخصائص والفوارق بين مجتمع وآخر، ومن هنا سلطنا الضوء على عادات وتقاليد مدينة ندرومة عشية السيطرة الفرنسية.

---

(1) – X., Géographique et Ethnographique et Biographique des Peuples Musulmans T.4, librairie Klincksieck, Paris, 1934, p 960.

(2)- Gilbert (Grandguillaume) : Op.Cit, p157.

(3) - ليون (الأفريقي): مرجع سابق، ج2، ص 14.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

2-2-1- المسكن الندرومي:

تشتهر منطقة طرارة الجبلية بمنازلها الحجرية البسيطة، ذات السطوح، وهذا يوضح طابع الاستقرار لدى قبائل المنطقة، التي تعد ندرومة مركزا لها.

لكن أغلب الدراسات التي أجريت حول المنطقة سواء من قبل المختصين في المجال الحضري والرحالة الفرنسيون في السنوات الأولى من الاحتلال؛ اتفقت على أن المسكن الندرومي رغم بساطته إلاّ أنّه يتصف برفاهية لم تعرفها مساكن القبائل المجاورة، وقد استند الطرفان على التأثير الموريسكي باعتبار أن نسبة معتبرة من سكان ندرومة هم من أصول أندلسية.

لكن هذا جزء يسير من الحقيقة فقط، لأن ندرومة عرفت كحاضرة منذ عهد المرابطين [1]، وقد برزت خصائصها العمرانية من مسجدها الشهير المسجد الكبير، ومنارته العظيمة وصحنه الجميل الذي يعكس ثقافة محلية على قدر كبير من الأهمية[2].

أما بالنسبة للطابع العمراني للمساكن الندرومية فلا يختلف كثير –على الأقل- مع جارتها مدينة تلمسان، فهي في مجملها مساكن متلاصقة ومتقاربة فيما بينها، وشكلت ما يشبه حلقات تحيط بالمسجد الكبير[3]، الذي كان مركزا للمدينة، وهذا هو الدارج في المعمار الإسلامي أن يتوسط المسجد المساكن، كما أنه في أغلب الأحيان يتم إقامة السوق بالقرب من المسجد [4] كما هو حال مسجد مدينة ندرومة الواقع قبالة سوق الصوف[5].

---

[1] - ينظر المدخل، ص 20.

[2] - William (Marçais) & Georges (Marçais) : Les Monuments Arabes de Tlemcen, ancienne librairie Thorin et fils, Paris, 1903, p38.

[3] - ينظر الملحق رقم 01.

[4] - Le Tourneau : Les villes Musulmanes de l'Afrique du Nord, La maison des livres, Alger, 1957, p 12.

[5] - Djilali (Sari) : Les villes Précoloniale de l'Algérie Occidentale ; Nedroma, Mazouna, Kalaa, SNED, Alger, 1970, p46.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

كما تتميز المساكن الندرومية بانخفاضها ، أي ذات طابق واحد، رباعية الشكل أو مستطيلة مغطاة بسقف مفتوح في الوسط أو ما يسمى بالصحن حيث ردهة أو فناء المنزل وهو القسم الوحيد الذي يضمن التهوية الجيدة للمنزل[1]، ويحيط بهذا الفناء غرف المنزل وتتوسطه نافورة مياه من الرخام أو بئر[2]، بالإضافة إلى بعض النباتات والأشجار (العنب، وشجرة البرتقال) وهو ما كان دارجا عند العائلات الميسورة، أما بالنسبة للعائلات الفقيرة فيقابل الفناء الحوش الذي كان مستقرا للدواجن والأنعام [3].

ويعتبر الباحث محمد رابح فيسة أن هذا النمط المتبع في المساكن الندرومية التي تتسم بالبساطة والبدائية إلى التأثير العمراني المرابطي، ويربط ذلك بالمواد المستعملة في البناء والتي أساسها الحجارة[4]، لكن هذا يبقى مجرد تأويل لا يستند على دلائل ملموسة، فلا يخفى علينا أن مدينة ندرومة هي جزء من إقليم كبير وهو إقليم طرارة والذي ينتشر به هذا النوع من المساكن المتقاربة في تخطيطها، والاختلاف الوحيد يكمن في رفاهية بعضها تبعا لرفاهية سكانها.

كما أن انتشار المساكن المنخفضة ذات السطوح في ندرومة وباقي الحواضر الجزائرية، يفسّره تكلفة البناء التي تتطلب المال الكثير، وقد أشار الرحالة دي لورال (De Lorral) في رحلته التي قام بها في تلمسان ونواحيها، إلى أن المنازل في تلمسان باهضة الثمن وتزيد بنسبة 20% عن مثيلاتها في وهران، كما أن المواد الأولية في البناء كالخشب

---

(1)- J.(Canal) : "Monographie de l'arrondissement de Tlemcen Nedroma et le pays des Traras", In : BSGAO, T.6, Avril-Juin, 1886, p 97.

(2)- Charles (Géniaux) : "Nedromah ", In :Revue des deux mondes, Février, 1922, p 667 .

(3)_ Ibid, Idem.

(4)- محمد رابح (فيسة): **المنشآت المرابطية في ندرومة دراسة تاريخية أثرية**، مذكرة ماجستير غير منشورة، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2004-2005، ص 87.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والجصّ كان يؤتى بها من وهران الأمر الذي زاد من قيمتها ، كذلك اليد العاملة التي تطالب بأجور باهضة لا يتحملها سوى القليل من السكان من الطبقة الميسورة.[1]

أمّا جدران المنزل الخارجية فكلها صماء لا نوافذ لها تجاه الشارع، إلا بعض الفتحات الصغيرة في أعلى الجدار، لا يمكن النظر من خلالها وهذا بحسب التقاليد الإسلامية، فقد كان عالم المرأة يقف عند حدود ردهة المنزل، ولا ترى السماء إلا من خلال ذلك الجزء الصغير المفتوح من السقف[2].

أما بالنسبة للدهان؛ فلم يختبر الندروميون على غرار أغلب الجزائريين في ذلك الوقت فن التلوين، واقتصروا على استعمال الجير كطلاء للجدران، مما أعطى لمدينة ندرومة صورة المدينة البيضاء[3].

وفيما يخص المواد المستعملة في البناء؛ فكانت مواد بسيطة تم جمعها من محيط المدينة، وتتمثل في الحجارة وبخاصة الغرانيت (Granite)؛ الذي يوجد بكثرة في منطقة ندرومة نظرا لطابعها الجبلي، وقد استعمله الندروميون في وضع أساسات المنازل (les soubassements) [4]، بالإضافة إلى الحصى والطين والجير، والتوف (حجر مسامي) (Tuf)[5]، وبعض النباتات وأكثرها استخداما خشب الأرز (Le Cèdre) لبناء أسقف المنازل على غرار باقي مناطق طرارة[6]، وكذلك خشب العرعر (Genévrier) الذي

---

(1)- De Lorral :" Tlemcen", In : Tour du Monde, 1875, p312.

(2)- Charles (Géniaux) : Op. Cit, p 671.

(3)- J.(Canal) : "Monographie de l'arrondissement de Tlemcen, Nedroma pendant la conquête", In : BSGAO, T.7, 1887, p 268.

(4)- V. (Demotès) : Renseignements sur l'Algérie économique, Paris, 1922, p120.

(5)- De Lorral : Op.Cit, p 338

(6)- Augustin (Bernard) : Enquête sur l'habitation rurale des Indigènes de l'Algérie, Imprimerie Orientale Fontana frères, Paris, 1921, p 69, & J.Canal, T.6, Op.Cit, p97.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

يتواجد بكثرة في الغرب الجزائري، ويعتبر المادة الأولية والأساسية في تسقيف المنازل عند الأندلسيين الذين انتشروا في مدن عديدة في الجزائر منها مدينتي ندرومة وتلمسان[1]، أمّا القرميد فلم يكن معروفا لدى أهل ندرومة إلا بعد قدوم الأندلسيين، الذين أعطوا جمالية أكثر للمساكن ، وجلبوا معهم ثقافة المنزل ذو الطابقين، والسقف القرميدي الجملوني (Toiture à double pente) [2] ، بالإضافة إلى بناء السلالم الرخامية واستخدام الخزف(Faïences) [3] وكذلك بناء نافورات داخل المنازل، وجلب المياه إليها[4]، غير أنّ هذا التأثير الأندلسي لم يمتد صداه عبر كافة المساكن الندرومية بل اقتصر على عدد قليل منها، فقد بقي نمط المنازل البسيطة ذات السطوح هو الطابع الغالب في مدينة ندرومة[5].

وبخصوص الحديث عن المنازل ذات الطابقين في ندرومة، فلم تكن ثقافة الأندلسيون وحدهم بل ساهم فيها صغر حجم المدينة واكتظاظ المنازل التي خططت بشكل أفقي جعلها ملتصقة ببعضها البعض ذلك أن كل منزل منها كان ذا واجهة واحدة فقط تطل على الشارع وباعتبار الدروب والشوارع في أغلبها ضيقة، ومع عدم توفر مساحات شاغرة، تحوّل تخطيط المدينة إلى الشكل العمودي، عن طريق بناء طابق علوي[6].

---

(1) - Victor (Legrand): Mémoire sur les richesses forestières de l'Algérie, Imprimerie et librairie administratives de Paul Dupont, Paris, 1854, p 59.

(2) - Pierre(Devambez) : Histoire de l'Art, Gallimard, 1961, p1036.

(3) - Charles (Géniaux) : Op.Cit, p 667.

(4) - André (Bazzana) : Maisons d'Al-Andalus ; habitat Médiéval et Structures du Peuplement dans l'Espagne Orientale, T.1, Casa de Velazquez, 1992, p 189.

(5) - Augustin (Bernard) : Op.Cit, p 143.

(6) - محمد رابح (فيسة): مرجع سابق، ص 82.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ولتفادي إمكانية رؤية منازل الجيران، يعتمد الندروميون بناء ما يعرف بالسترة؛ وهي جدار على قدر كافي من الارتفاع يبنى على سطح المنزل في الحد الفاصل بينه وبين المنزل المجاور، وهو أسلوب يطغى على الطابع العمراني الإسلامي[1].

أما بالنسبة لشوارع ودروب مدينة ندرومة، فالملاحظ أنها تمتد من الجهة الجنوبية من المدينة إلى الجهة الشمالية على شكل منحدر حسب امتداد المدينة، ما عدا شارع التربيعة الذي يقطع المدينة من الجهة الشرقية إلى الجهة الغربية عند ساحة التربيعة الشهيرة- موضع الجامع الكبير -، أمّا الشوارع الأخرى فنذكر منها شارعي القصبة واليهود اللذان يمتدان باتجاه الشمال، أمّا بالنسبة لمقاسات هذه الشوارع فتتراوح بين 6 و7 أمتار عرضا، وطولها يختلف باختلاف نهاياتها وامتداداتها نحو شمال المدينة[2].

وفيما يخص دروب مدينة ندرومة؛ فهي كثيرة ومتعددة، وتنقسم إلى قسمين الدروب المفتوحة، وغير المفتوحة[3]، ومن الدروب المفتوحة؛ نجد درب الفخارين، درب لالة الزهرة الشريفة[4]، ومن نماذج الدروب غير المفتوحة التي لا منفذ لها، يوجد درب الخربة في الجهة الشمالية للمدينة، وحوله كتب جوزيف كنال (Joseph Canal) عام 1888:« والسائر في تلك الشوارع يجدها كالمتاهة، وبعض الدروب تؤدي إلى طريق مسدود، يجبر الزائرين على العودة إلى الوراء بحثا عن مخرج»[5].

---

(1) – محمد رابح (فيسة): مرجع سابق، ص 83.

(2) - المرجع نفسه ، ص 37.

(3) - ينظر الملحق رقم 02.

(4) - ينظر الملحق رقم 03.

(5) - J.(Canal) : Op.Cit, T.7, 1887,p 268.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أمّا مقاسات هذه الدروب فهي لا تزيد في أغلبها عن المترين[1]، ورغم ضيقها واعوجاجها فقد كانت مركز أهم النشاطات الحرفية والاقتصادية، وأسمها يدل عليها كدرب الفخارين، والقدارين.

تتميز هذه الشوارع-كما سبقت الإشارة- بالضيق والاعوجاج[2]، هذا التعرج والضيق في تخطيط الشوارع والأزقة في المدينة الإسلامية يرجعان إلى عناصر عدة؛ فالمساكن والدور والقصور والمباني العامة جميعها تضم صحونا وأفنية وحدائق تنفتح على السماء والهواء وسبل الإنارة من الداخل وبالتالي تنتفي الحاجة إلى الشارع الفسيح الممتد ومن هنا اقتصر اتساعه على ما يسمح بالحركة المرنة وبالمرور بلا عوائق، والتعرج والضيق من ناحية أخرى؛ يوفران مساحات ظليلة ويتيحان اختزان الهواء الرطب ليلا وإشاعته أثناء ساعات القيظ بما يتيح التلطيف من حرارة الجو في الأزقة مقارنة مع درجة حرارة الفناء الداخلي التي تستلم اكبر كمية من الإشعاع الشمسي الساقط مما يؤدي إلى تخلخل وانخفاض في الضغط الجوي داخل الفناء مقارنة بالزقاق مما ساعد على خلق تيارات هوائية تعمل على تخفيف المناخ داخل المدينة بحيث توفر ظروف مريحة نسبيا لساكني المدينة والسابلة في الأزقة وتنعكس هذه العملية في أثناء الليل بسبب سرعة الفناء في تصريف الحرارة المنبعثة من الهيكل الإنشائي لسعة حجمه الفضائي مقارنة بالزقاق [3].

أما بالنسبة لعدد المساكن في ندرومة، فرغم قلة عدد اليهود مقارنة بعدد المسلمين في المدينة، غير أنهم امتلكوا مساكن أكثر منهم، وهذا يعكس ثقافة المسلمين القائمة على مبدأ الأسرة الكبيرة المتلاحمة والمتماسكة، وحسب إحصاءات عام 1867؛ بلغ عدد يهود ندرومة (340) نسمة يمتلكون (70) منزل أي بنسبة منزل واحد لكل (4.8) يهودي في حين

---

(1) - محمد رابح (فيسة)، مرجع سابق، ص 37.

(2) - De Lorral : Op.Cit, p 338

(3) - ثروت (عكاشة): **القيم الجمالية في العمارة الإسلامية**، ط.1، دار الشروق،القاهرة، 1994، ص 64-65.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بلغ عدد مساكن المسلمين (340) منزلا [1] ، وعددهم كان حوالي (2205)، أي بنسبة مسكن لكل (11.4) مسلم[2] .

وفيما يتعلق بالأثاث المنزلي، فقد غلبت عليه البساطة، ولا وجود لشيء من الكماليات، فمعظم المواد الفخارية لا تستعمل لأغراض الزينة، ولكن تستخدم إما للشرب أو الأكل، أو الطبخ، وهي مصنوعة في معظمها من الفخار، يضاف إلى ذلك بعض الزرابي الصوفية البسيطة، والتي تم جلبها من أسواق المغرب الأقصى، أو صنعت محليا، تفرش في كل غرفة، مع بعض الأفرشة (les matelas)، وكذلك أغطية مصنوعة من النسيج الملون والبراق،[3] وبعض الموزاييك البسيط الذي يخلو من الجمالية على الجدران المطلية بالجير الأبيض.

أما بالنسبة للطبقة الميسورة في المجتمع الندرومي، فقد كانت منازلهم على قدر كبير من الرفاهية، كما امتلكوا أواني نحاسية وزجاجية جميلة[4]، وصناديق خشبية للملابس[5] وأغلبهم كانوا من العائلات الأندلسية[6]التي احتفظت بمفاتيح منازلها القديمة [7] التي قالوا عنها أنها كانت قصورا، أجبروا على تركها بفعل الأسبان وأرغمتهم الظروف على السكن

---

[1] - بلغ عدد مساكن الندروميين سنة 1888 ، (414) مسكن، لـ:3680 نسمة، منهم 65 فرنسي، 305 إسرائيلي، و3219 أهلي مسلم، 91 أجنبي منهم 85 مغربي و06 من جنسيات مختلفة. ينظر:
J.(Canal) : "Nedroma", In : BSGAO, T.8, 1888, p265.

[2] - Marie Anne (Prenant- Thumelin) :" Nedroma1954 ; étude urbaine", Acte de la Table ronde organisée par le CRIDSSH en Déc. 1983, Nedroma, p 19.

[3] - Alfred (Bel): Op.Cit, p31.

[4] - Charles (Géniaux) : Op.Cit, p 672 .

[5] - De Lorral : Op.Cit, p312.

[6] - Ibid., p338.

[7] - رفض سي محمد بن رحال وهو أحد أعيان ندرومة المشهورين هذه الرواية في حديث له مع الفرنسي جوزيف كنال زميله في الجمعية الأثرية والجغرافية لولاية وهران، ينظر
J.(Canal) : Op.Cit, T.8,p262.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

في منازل بسيطة لا أقفال لها[1]، وفي سياق الحديث عن الأقفال والمفاتيح، فقد كانت منازل ندرومة وطرارة على قدر كبير من البساطة، وقد استعمل الندروميون والطراريون بدل الأقفال قضيب خشبي يوضع فوق دعامتين صغيرتين ملصقتان بالباب، لغلقه[2].

وقد تأثر الندروميون بمرور الوقت بالأوروبيين، فعرف أثاث منزلهم بعض التطور، حيث اقتنوا أسرّة (les lits) مصنوعة من معدن الحديد والنحاس، كما امتلكوا خزائن للأواني (Buffets)، لكنهم برعوا في صنع الكراسي من الحلفاء والصوف، والتي كانوا يجلبون مادتها الأولية من قبيلة بني سنوس المجاورة، أو من قبيلة بني سناسن المغربية[3].

2-2-2- الغذاء النـدرومي:

بحكم الموقع الجغرافي لندرومة القريب من المناطق الساحلي كهنين والغزوات، وكذلك توسطها الطريق الرابط بين مدن المغرب الأقصى وتلمسان؛ اكتسبت مدينة ندرومة خاصية تجارية واقتصادية، جعلتها تعيش رخاء وازدهارا قربها من المدن الكبرى كتلمسان، وانعكس من خلال مستوى معيشة الفرد الندرومي، الذي لم يعاني من نقص المواد الغذائية والاستهلاكية مقارنة مع عدد كبير من الجزائريين في تلك الأوقات، وبخاصة في المناطق الريفية[4]، فقد كانت اللحوم، والخضر، والأسماك، بالإضافة إلى الفواكه دائمة الحضور على المائدة الندرومية التي لا تختلف كثيرا عن مثيلاتها التلمسانية وحتى المغربية، نظرا للاحتكاك الذي نتج بين هذه الأقاليم.

1- Charles (Géniaux): Op.Cit, p 670.

2- Charles (de Mauprix) :" Six Mois chez les Traras", In. Le Tours du Monde, – 1889, p370.

3- Alfred (Bel): Op. Cit, p35

4- Ibid 27.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

2-2-2-1- الفترة الصباحية:

يبدأ أهل ندرومة وطرارة صباحهم، بشرب الحليب وبخاصة حليب الماعز، ويتناولونه سواء مع قطعة خبز من الشعير (كسرة) أو مع التين الذي كان يستهلك بكثرة في المنطقة[1]، وكذلك القهوة مع كريات الكعك محلاه بالعسل Beignets au Miel [2].

2-2-2-2- الْفْطُور؛ فترة منتصف النهار:

يتم إعداد الغذاء بين الساعة 12 منتصف النهار، والواحدة بعد الزوال، وهو في الغالب مكوّن من عنصرين رئيسيين؛ وهما الخبز (الكَسْرَة) Galette والجْوَازْ[3]، وهو مكوّن من أنواع مختلفة من الخضار، ويضاف إليه اللحم في بعض الأحيان.

أمّا الخبز؛ فيعد من الشعير[4]، ما عدا العائلات الغنية كانت تعده من القمح، وتتكفل النساء الندروميات بإعداد الخبز في منازلهن، ونفس الأمر بالنسبة للعائلات اليهودية في المدينة، ولم يكن الأمر نفسه بالنسبة للعائلات الأوروبية التي سكنت المدينة والتي كانت تشتري الخبز من المخابز التي تمّ فتحها بمجيئهم.

ظل الشعير هو المادة الأساسية في إعداد الخبز في ندرومة حتى وقت قريب من الاستقلال، حيث بدأ يختفي تدريجيا، ويحل محله القمح خاصة بعد انتشار دكاكين الخبازين بندرومة.

---

(1) - J. (Canal) : T.6, Op.Cit, p 91.

(2) - Charles (de Mauprix) : Op.Cit , p371.

(3) - كلمة عامية ويقصد بها تسهيل مرور وهضم الخبز والأكل الصلب.

(4) - اشتهر إقليم طرارة بالزراعات المعاشية وأهمها زراعة الشعير، ينظر J. (Canal) :Op.Cit, p 89.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وكما سبق الإشارة إليه؛ الجواز هو حساء مكوّن من أنواع مختلفة من الخضار، وقد يكون سلطة مشكلة أو معدّة من الخيار والطماطم -طوماطيش حسب لهجة أهل ندرومة-، أو سلطة خضراء من الخس فقط، أو مع البصل، وكذلك من الفلفل، وبعض البيض.

من أطباق الجواز كذلك، وفي مجملها معرفة في كافة القطر الجزائري[1]:

- الفلفل المقلي؛
- طبق اللحم المطبوخ مع الخضار والمرق؛
- طبق البطاطا والطماطم؛
- الفاصولياء(اللوبيا) والخرشف؛

يضاف إلى هذه الأطباق العادية التي يتناولها الندروميون طيلة السنة؛ بعض الأطباق الموسمية والشتوية كالفول مثلا والمعروف في تلمسان بالشرشم[2]، وكذلك الحمص في فصل الشتاء.

2-2-2-4- فترة العصر:

يتم خلالها تناول القهوة أو الشاي، وفي الأغلب بين النسوة فقط، ويشاركهم الأطفال بتذوق ما بقي من طعام الغذاء، مع بعض الخبز[3].

2-2-2-5- طبق العشاء:

يتنوع ويختلف طبق العشاء حسب مستوى وعادات العائلات، ولكن عموما؛ فإن طبق العشاء قد يكون الكسكس (الطْعَامْ)، ولكن ليس على الدوام، نظرا لطول المدة التي يتطلبها لكي يكون جاهزا ولكي يكون لذيذا لا بد من توّفر اللحم، لذلك تتناول الأسر الندرومية على غرار باقي الأسر الجزائرية الكسكس المعد من الشعير ويعرف لدى

---

(1)- Gilbert (Grandguillaume) : Op.Cit, p91.

(2)- Alfred (Bel) : Op.Cit, p28.

(3)- Gilbert (Grandguillaume) : Op.Cit, p92.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الندروميين باسم أهكلهول[1]، والبلبول في تلمسان [2](الرغدة في الشرق الجزائري). هذا ويتم طبخ لحم الكسكس مع أنواع عديدة من الخضار كاللفت، واليقطين الأحمر، وفي الشتاء يطبخ اللحم مع الكوسة (Courgettes)، أمّا في الربيع فيضاف إليه العنب المجفف المعروف بالزبيب، وكذلك الحمص.

والأمر لا يختلف مع يهود المدينة، فالكسكس من أطباقهم الرئيسية، لكنهم يعدونه مع أجنحة الدجاج والبيض المسلوق[3].

وفيما يتعلق بالأسر الندرومية التي لا تعد طبق الكسكس؛ فتتناول مكانه طبق معد من الباذنجان، يعرف بالبْرَانية (Braniya)؛ وهو مؤلف من الحمص، الباذنجان، والبطاطا المقلية مع اللحم، ويعتبر كذلك من أشهر الأطباق لدى العائلات اليهودية[4].

يوجد طبق آخر يعد من البصل، والطماطم والبطاطا؛ يدعى طاجين تاع لبصل، وقد يكون من البصل والطماطم واللحم فقط، ويقلى في الزيت أو السمن، كما يتناول الندروميون كسكس محلى بالسكر ويسمونه السّفا (Seffa)، (المسفوف في الشرق الجزائري)، يتم إعداد هذا الطبق بالزبدة الطازجة، الحليب، السكر أو العسل مع القرفة، وبعض العنب الطازج، ويؤكل مع البطيخ الأحمر (الدلاع)، أو مع القهوة أو الشاي فقط.

ومن جملة الأطباق التي يتناولها سكان ندرومة يوميا نذكر[5]:

- المسلوق؛ وهو طبق مكون من يقطينة تقطع إلى قطع صغيرة وتطبخ على البخار، ويضاف إليها الزيت، الفلفل الأحمر، الثوم، وفي آخر الطبخة يضاف الكمّون؛

---

(1)- Gilbert (Grandguillaume) : Op.Cit, p92.

(2)- Alfred (Bel): Op .Cit, p28.

(3)- De Lorral : Op.Cit, p325.

(4)- Ibid, Idem.

(5)- Gilbert (Grandguillaume) : Op .Cit, p93 .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

- البسعارة وهي أكلة تشبه المسلوق، لكن الفول هو المادة الرئيسية عوض اليقطين، وتطبخ بكثرة في فضل الشتاء؛

2-2-5-1- الأطباق الرسمية الخاصة:

ويتم إعدادها في المناسبات الكبرى؛ نظرا لما تتطلبه من ميزانية إضافية، نذكر منها :[1]

- لحم البرقوق: وهو من اللحم والبرقوق، ويسمى طاجين لحلو في الشرق الجزائري؛
- لحم اللوز، ويعد من اللحم واللوز؛
- لحم البصلة: لحم مطبوخ مع البصل والعنب المجفف؛ واللحم في أغلب هذه الأطباق يشوى على الفحم.
- طاجين المقلي: ومكون من ظلوع العجل، ويضاف إليها الزبدة، الزعفران، الملح، ويوضع في الفرن أو يشوى، وقلما يعد الندروميون هذا الطبق نظرا لما يتطلبه من لحم كثير؛
- البكبوكا، وتعرف بنفس التسمية في تلمسان[2] (العصبان في الشرق الجزائري)، وهي معدة الخروف يتم ملؤها بالأرز وقطع صغيرة من الكبد بالإضافة إلى الكمون، ثم يتم خياطتها وتطبخ، وتؤكل مع الكسكس ومرق اللحم؛
- كما يتناول الندروميون السمك الطازج من حين إلى آخر، وقد ساهم في ذلك قرب المدينة من البحر(16كلم)، ومن الغزوات كذلك التي يعتبر الصيد من أهم نشاطات سكانها[3]، حيث تقوم النسوة بطهي السمك في الزيت بعد أن يضاف إليه الفلفل الأحمر، والملح، والكمون، والثوم، والطحين للصق سمكة بأخرى؛

---

(1)- Gilbert (Grandguillaume) : Op .Cit, p 93.

(2)- Alfred (Bel) : Op. Cit, p27.

(3)- De Lorral : Op.Cit, p340.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

- الكفتة: تعد هي الأخرى من السمك الذي يقطع رأسه ويفرغ بطنه، ثم يقطع قطع صغيرة، يضاف إليها الكمون، الفلفل الأحمر، الكزبر(المقدنوس)، ويتم تكويره كويرات صغيرة، ثم تمرر فوق الطحين وتطهى مع البطاطا والثوم؛

- أكلة الحلزون: يأكل سكان مدينة ندرومة الحلزون البني، والذي يسمونه بالغْلال أو البَبُوس، ولا يأكلون الحلزون الأصفر أو الكبير والمعروف عندهم باسم بُوكْرار.

يترك الحلزون مدة 24 ساعة في الطحين (الفرينة)، ثم يغسل دون إخراجه من الصدفة، ثم يغلى في ماء مع الأعشاب (نكهة)، ويضاف إليه الفلفل الأحمر ويؤكل باستخدام إبرة[1].

2-2-3- اللباس:

2-2-3-1- لباس الرجال:

يتميز سكان أهل طرارة بما فيها ندرومة وتلمسان بنفورهم من البرد، ويتضح ذلك من خلال كثرة لباسهم سواء أكان ذلك في الصيف أو في الشتاء وهم بذلك لا يختلفون عن باقي سكان الجزائر الذين يكثرون اللباس، ففيما يخص الرجال من الطبقة الميسورة؛ يرتدون في العادة خلال فصل الشتاء برنوس خارجي من قماش أزرق داكن، ونادرا ما يرتدون برنوس ثقيل من الصوف الأسود (الخديوس)أو البني (زوردعاني)، وتحته يرتدون برنوس أو اثنان من الصوف الأبيض.

ينزع سكان إقليم طرارة خلال فصل الصيف البرنوس الخارجي (الفوقاني) الثقيل ويلبسون برنوس خفيف أبيض، أمّا البرنوس الداخلي فيستبدل بجلابة من القماش أو الصوف، ويضعون بدل البرنوس الخارجي الحايك أو الكْسَا حسب لهجتهم المحلية؛ وهو

---

(1)- Gilbert (Grandguillaume) : Op. Cit, p94.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

عبارة عن قطعة نسيج كبيرة غير مخيطة تُلَفْ حول الجسم والرأس[1]، وغالبا ما يرتدي الجزائري حائكان، الداخلي من الحرير والخارجي من الصوف بدل البرنوس.

أمّا بالنسبة للملابس الداخلية؛ يرتدي التلمساني والطراري الكَشَّابة وهي قميص طويل مصنوع من القطن دون كمائم، يضيق ناحية البطن، ويعرف بالعْبَاية وهي من الحرير، وفوق العباية يلبس سترة من الشرشف أو النسيج تدعى الْرِلِيلَة، وكذلك الصُدرة (Gilet)، وتسمى المَقْفولة، أو قميص من القطن (قمجة)، أو كنزة (Tricot)، وسروال عريض (سَرْوَالْ) يصل إلى الركبتين، وحزام على الخصر لربط السروال يسمى التشكا. هذا ويختفي السروال تحت الصُدرة والتشكا، ويتم ربط الخصر بحزام عريض من الحرير أو الصوف الملون (الْحْزَام)، أو يصنع من الجلد ويسمى (الحزامة).

وعلى الرأس يضع الرجال شبابا وشيبا العمائم أو الشاش الذي يغطى بالحايك، أمّا الأطفال فيضعون الشاشية، أو ما يسمى بالعَرّاقية (قلنسوة بيضاء)، وينتعل الرجال الأحذية أو الصباط باللغة الدارجة، وفي فصل الشتاء ينتعلون البوابيج التي تعرف بـ: البَرْلا أو بْلارِي.

أمّا عامة السكان فيرتدون في الغالب الجلابة المغربية المصنوعة من الصوف، أو الجلابات المصنوعة في تلمسان وندرومة، التي لا تكلف كثيرا، ويلبسون تحت هذه الجلابيب صدرة أو اثنان وكذلك قميص وسروال بني أو أسود من الصوف الخشن، أما آخرون فيرتدون بدل الجلابة معطف قصير بأكمام طويلة وقلنسوة على الرأس تسمى كبّوط، كما يضعون الشاش، أو يلفون الحايك فوق الرأس ويربطونه بحبل مصنوع من وبر الجمال، والذي يلف عدة دورات حول الرأس[2].

---

(1)- Edmond (Doutté) : Marrakech , 1er Fasc, Paris, p248-262.

(2)- Ibid, p257.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

2-2-3-2-2-لباس النساء:

أما بالنسبة للمرأة؛ فعند خروجها تغطي نفسها من رأسها إلى أخمص قدميها بقطعة نسيج عريضة وغير مخيطة من الصوف الرقيق تعرف كذلك باسم الكْساَ، أو الحايك الروبي، لكن يغطى الوجه كلية وتكشف عن عين واحدة فقط (حايك بوعوينة)[1]، وتحت الحايك تضع المرأة شاشية مخروطية الشكل على الرأس مائلة نحو اليمين، وتغطى بمنديل من الحرير المذهب بالنسبة للعرائس، أما النساء الأخريات فتضعن مناديل بألوان مختلفة تسمى البِتْصا، أما الفقيرات منهن؛ تضعن مناديل مصنوعة من الصوف أو القطن تعرف بـ: هِنْدية[2].

ويغطى باقي جسم المرأة بلباس مكون من الفريمْلة أو صدرة قصيرة دون كمائم تغلق بزر واحد من الأمام وترتدي النسوة تحت الصدرة العباءة (لَعْبَاية) مصنوعة من الحرير أو القطن، كما ترتدي كذلك النسوة ميسورات الحال القفطان ذو الكمائم القصيرة[3] والشراشف الملونة من القطيفة والطرز الذهبي، وأحيانا تلبس النسوة قميص داخلي وسروال شبيه لما يرتديه الرجال.

تضع المرأة فوق العباءة حزاما مصنوعا من الجلد، مزين بخيوط ذهبية أو فضية، وفي الحفلات والمناسبات تضع حزاما باهض الثمن مصنوع من الحرير ومزين بالذهب قد يصل ثمنه إلى 500 فرنك فرنسي قديم، وترتدي في أرجلها نعالا من المجبود، مختلف الألوان ومطرزة بالفضة والذهب[4].

هذا بالنسبة للحفلات والمناسبات الكبرى، أمّا في بقية الأيام؛ ترتدي النسوة فساتين طويلة وأغلبها وردية اللون، تتألف من قسمين القسم الأعلى شفاف يسمح برؤية القندورة

---

(1)- De Lorral : Op. Cit, p330.

(2)- Gilbert (Grandguillaume) :Op. Cit, p98.

(3)- De Lorral : Op. Cit, p330.

(4)- Ibid., Idem.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الداخلية، وقد ظلت النساء الندروميات تضعن الحايك عند الخروج وتخفي وجوههن باختلاف مستوياتهن حتى المتعلمات منهن لم يحدن عن القاعدة، فإلى غاية نهاية السبعينيات من القرن العشرين؛ كانت الطالبات الندروميات اللواتي درسن بوهران يضعن النقاب لدى عودتهن إلى ندرومة إتباعا لعادات المدينة وتقاليدها المحافظة[1].

2-3-النشاط الديني لسكان ندرومة:

2-3-1-المسلمون:

تتميز مدينة ندرومة بطابعها الديني، ويترجم ذلك تاريخها الحضاري المقرون بأشهر الدويلات الإسلامية في بلاد المغرب وهما الدولتان المرابطية، والموحدية، وكذلك كثرة مساجدها مقارنة مع حجمها الذي لم يتجاوز(2156) هكتار، بالإضافة إلى ممارسات المسلمين اليومية التي تعكس ثقافة دينية على مستوى كبير من الأهمية، سواء في المعاملات أو في العبادات، وكذا احتفالات سكان المدينة بالأعياد والمواسم الدينية، زد على ذلك الزوايا والطرق الصوفية المنتشرة في المدينة والتي تعتبر منبرا لتلقي تعاليم الدين والتربية، وهذا ما سنوضحه تدريجيا من خلال هذه الدراسة:

2-3-1-1-الطرق الصوفية في ندرومة:

2-3-1-1-1-تاريخ التصوف في الجزائر:

ظهر التصوف في العالم الإسلامي كاتجاه فكري نظري بداية من القرن الثالث الهجري ببغداد عاصمة الخلافة العباسية، على أيدي رجال عرفوا بين الناس بالعلم والفضل والصلاح، وأرسوا قواعد هذا التيار الحديث النشأة، ورسموا له الأسس المنهجية التي بني عليها ولا تزال إلى الآن المصادر الأساسية لهذا العلم.

وفي نهاية القرن الثالث الهجري، بدأ الصوفيون ينظمون أنفسهم طوائف وطرقا يخضعون فيها لنظم خاصة بكل طريقة، وكان قوام هذه الطرق طائفة من المريدين يلتفون

---

[1]- Gilbert (Grandguillaume), Op.Cit, p98.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

حول شيخ مرشد يسلكهم ويبصرهم على الوجه الذي يحقق لهم كمال العلم وكمال العمل، كفرقة " السقطية " نسبة إلى السري السقطي و" الطيفورية " نسبة إلى أبي زيد طيفور، والخرازية نسبة إلى أبي سعيد الخراز والمحاسبية نسبة إلى الحارث المحاسبي، في بغداد خلال العصر العباسي الأول[1].

فانتقل بذلك التصوف وتطور من ظاهرة فردية بين الإنسان وربه إلى ظاهرة اجتماعية طرقية كثر رجالها وأتباعهم كثرة ظاهرة، ومع تطور التصوف العملي وانتشار الظاهرة الصوفية لدى الأوساط الشعبية، حيث كثر عدد الأتباع والمريدين، والتف المريدون حول الشيخ ونسجوا حوله هالة من التقديس والتبجيل؛ بدأت تظهر الطرق الصوفية وكان أول ما عرفه العالم الإسلامي من تلك الطرق؛ الطريقة القادرية، والمدينية والرفاعية والشاذلية والخلوتية.

أما بالنسبة للجزائر أو ما يعرف قديما بالمغرب الأوسط، فقد بدأ التصوف فيه تصوفا نظريا، ثم تحول ابتداء من القرن العاشر الهجري، واتجه إلى الناحية العملية الصرف، وأصبح يطلق عليه "تصوف الزوايا والطرق الصوفية"، وقد ظل هذا التصوف العملي سائدا في جميع أنحاء المغرب الإسلامي حتى بعد دخول الأتراك العثمانيين.

---

[1] - للمزيد ينظر؛ عبد المنعم (الحفني) : **الموسوعة الصوفية أعلام التصوف والمنكرين عليه والطرق الصوفية**، ط1، دار الرشاد، القاهرة، 1992.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وكان من أوائل وأحد أعمدة الطريقة الصوفية في الجزائر: الشيخ أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي[1] ، وقد عرفت طريقته "المدينية" شهرة واسعة وأتباعا كثيرين، في مختلف أنحاء المغرب الإسلامي، وازدادت شهرة على يد تلميذه عبد السلام بن مشيش[2] (ت 665هـ= 1228م)، ثم ازدادت نشاطا وأحياها من بعده شيخ الطائفة الشاذلية وتلميذ ابن مشيش:"أبو الحسن الشاذلي"، وكان لتعاليم الشاذلي في الجزائر الأثر الأكبر بحيث يكاد يجزم أن معظم الطرق التي ظهرت بعد القرن الثامن تتصل بطريقة أو بأخرى بالطريقة الشاذلية[3].

ومن أبرز علماء الجزائر الذين شاع التصوف العملي وانتشر بفضلهم عبد الرحمن الثعالبي ومحمد بن يوسف السنوسي، اللذان يعتبران من كبار العلماء والزهاد في القرن التاسع الهجري، فقد جمع كل منهما بين الإنتاج العلمي والسلوك الصوفي، وكان لهما تأثير فيمن عاصرهم ومن لم يعاصرهم، وقد كانا كلاهما من أتباع الطريقة الشاذلية، وألفوا كتبا في أصولها وفي تراجم رجالها[4].

مع أن التصوف العملي أو الطرق الصوفية أول ما وجدت كانت في بلاد القبائل وبالضبط في بجاية والمناطق المجاورة لها، فقد كانت مركز إشعاع طرقي صوفي لعدة قرون من الزمن، وذلك بفضل رجالات التصوف الكبار من أمثال أبي مدين، أبو زكريا الزواوي،

---

(1) - شعيب أبو مدين ولد في إشبيلية عام 520هـ/1126-1127م، درس في جامعات عديدة في إفريقيا الشمالية، تتلمذ على يد سيدي عبد القادر الجيلاني، درس في إشبيلية وبجاية، وتوفي في تلمسان بعد أن ألّف عدد كبير من الكتب حول تعليمه.

(2) - سيدي عبد السلام بن مشيش عاش في بداية القرن السابع الهجري، في جبل العلم، يدعى اليوم جبل مولاي عبد السلام، يقع في وسط السلسلة الجبلية في تطوان، وهو من عائلة من الأشراف تنحدر من الأدارسة، توفي عام 625هـ، ينظر Octave(Depont) et (Xavier) Coppolani : Les Confréries religieuses musulmanes, Alger,1897,p444.

(3) - أبو القاسم (سعد الله): **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، 1500-1830، دار الغرب الإسلامي 1998، الطبعة الأولى، بيروت، ص461.

(4) - المرجع نفسه، ص 462.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أبو زكريا السطيفي، يحي العيدلي، أحمد زروق[1]، ومن بجاية انتشر التصوف إلى بقية مناطق المغرب الأوسط.

2-3-1-1-2- النشاط الصوفي في ندرومة خلال القرن19م:

سرعان ما اجتاحت الحركة الصوفية معظم القطر الجزائري، وقد نشطت في كل الجزائر، ورغم بعد المسافة بين شرق الجزائر وغربها، غير أن هذا الأخير كان أرضية صلبة للحركة الصوفية، التي برزت في الحياة اليومية لسكان الغرب الجزائري، وأثرت تأثير مباشر على الحالة السياسية بالمنطقة التي طالما كانت مركزا من أهم مراكز المعارضة للسلطة الحاكمة، وبخاصة السلطتين العثمانية والفرنسية، ذلك أن معظم الثورات التي ظهرت كانت بإيعاز من الطرق الصوفية.

وقد أوضح دي نوفو (De.Neveu) نقلا عن الدكتور وارنيي (Dr.Warnier) في تقرير له عام 1839؛ أن سلسلة جبال طرارة في الغرب الجزائري كانت مركز رئيسي لجماعة المريدين وأتباع التصوف، وهذا ما كان يشكل مصدر تهديد دائم للسلطة الفرنسية.[2]

وكما سبقت الإشارة؛ أن مدينة ندرومة تعد مركز بلاد طرارة وهي بدورها لم تكن بمنأى عن ثقافة التصوف، فمن أصل (21.998) نسمة ببلدية ندرومة المختلطة عام 1886، بلغ عدد المنتسبين إلى الطرق الصوفية (1.769) أي بنسبة (08)%[3].

أولت مدينة ندرومة أهمية كبيرة للنشاط الثقافي الذي صب كله في قالب الشريعة الإسلامية، وتجلى هذا بوضوح في الطرق الصوفية والزوايا في المدينة، والتي كانت تتجاوز (36) زاوية، ورغم أن ندرومة لم تضم مدرسة فقهية مشهورة كالتي كانت توجد بمدينة مازونة، إلا أن التعليم حضي فيها بمرتبة مرموقة، وقد اعتبرت ندرومة عاصمة دينية وثقافية

---

(1) - أبو القاسم (سعد الله): تاريخ الجزائر...، مرجع سابق، ص459.

(2)- E. (De Neveu) : Les Khouan ordres religieux chez les Musulmans de l'Algérie, A. Guyot, Paris, 1845, p47.

(3)- J. (Canal): Op. Cit, T.6, p97.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

منذ القرن الخامس عشر؛ حيث عرفت حركة ثقافية نشيطة[1]، وساعدها على ذلك الازدهار والرقي الثقافي الذي ساد مدينة تلمسان وامتد تأثيره إليها[2].

ورغم صغر مساحة بلدية ندرومة مقارنة مع بلديات أخرى في القطر الجزائري فقد ضمت عددا من الطرق الصوفية، إن لم نقل أشهرها على الإطلاق، كالطريقة القادرية، والشاذلية، والطيبية، يضاف إليها الطريقة العيساوية والكرزازية، والسنوسية والزيّانية، وفيما يلي جدول يوضح أهم الطرق الصوفية المعروفة في ندرومة وفق تعداد 1886[3]:

الطرق الصوفية	مؤسسوها	أعداد		
		الزوايا	المقدمون	المريدون
القادريـــة	عبد القادر الجيلاني	01	09	415
الشاذليـة	عبد الجبار الشاذلي	01	02	236
العيساوية	محمد بن عيســى	01	02	80
الكرزازية	مولاي كـــــرزاز	//	04	173
الطـيبية	مولاي الطـــــيب	02	08	560
الزيانيـة	ابن أبو زيـــــان	01	07	272
السنوسية	الشيخ الســـنوسي	//	01	//
المجـموع		06	33	1.769

من خلال الجدول، -وكما سبق الإشارة أعلاه- يمكننا أن نلحظ نفوذ الطرق الصوفية المشهورة كالشاذلية والقادرية والطيبية ، وهذه الطرق الثلاث لها تاريخ حافل من المعارك ضد

---

(1)- Gilbert (Grandguillaume) : "Une Médina de l'ouest Algérien ; Nedroma", In : Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée, N° 10, Vol 10, Année 1971, p 60.

(2)- Alfred (Bel) : "Nedroma Métropole Musulmane des Traras", in Bulletin de la société de Géographie et d'Archéologie d'Alger. N°140, 1934, p508.

(3)- J. (Canal): Op. Cit, T.6, p97-98.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

السلطات الحاكمة منذ عهد ملوك بني زيان، وإلى غاية الفترة الفرنسية، فقد ارتبط تاريخ تواجدها ببلاد المغرب الأوسط بالثورات على أنظمة الحكم الفاسدة، والتي زادت حدتها بعد حملات الاسترداد المسيحي التي أعلنتها كل من إسبانيا والبرتغال ضد المسلمين في الأندلس والشمال الإفريقي، وحين دخل العثمانيون إلى الجزائر لاحظوا النفوذ الصوفي في البلاد ومدى تأثيره على السكان، فسارعوا لعقد اتحاد مع هذه الطرق[1].

ساهمت هذه العلاقة التي سعى العثمانيون إلى عقدها مع الطرق الصوفية؛ في تمكينهم من بسط نفوذهم على مناطق عديدة من الجزائر، وكان أبرزها إقليم الغرب الجزائري الذي اشتهر باستيعابه لأعداد هائلة من الزوايا والطرق الصوفية، وبخاصة في وهران، تلمسان، مغنية، ندرومة، ومسيردا[2].

ومن أبرز الطرق الصوفية التي عقدت حلفا مع العثمانيين الطريقة القادرية، التي قدمت الدعم اللازم لهم، وسهلت لهم إخضاع أجزاء عديدة من الغرب الجزائري، وساعدتهم في إيقاف الزحف المغربي إلى الجزائر، ونالت جراء هذا العمل شهرة وذيوع صيت أكثر فأكثر في أوساط القبائل الجزائرية [3] بما فيها قبائل إقليم طرارة التي رفضتها سابقا، فقد استعصى على العثمانيين إخضاع هذا الإقليم بما فيه مدينتي ندرومة وتلمسان ، وظلتا تتمتعان باستقلال سياسي فترات طويلة من الزمن، وذلك بفضل الدور الذي لعبته الطريقة الشاذلية التي تمتعت بنفوذ قوي في إقليم طرارة والتي تصدت للقادريين أتباع العثمانيين[4].

وبعدما أدانت ندرومة بالولاء للعثمانيين، ظلت تتمتع باستقلالها ما عدا دفعها للإتاوات السنوية، وبمجيء الفرنسيين رفضت المدينة الخضوع بسهولة، وهذا يعد منطقيا

---

(1) - أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص460.

(2) - Jean René (Genty) : Des Algériens dans la région du nord ; de catastrophe de Courrières à l'indépendance, l'Harmattan, 2005, p79.

(3) - Pierre (Boyer) :Contribution à l'étude de la politique religieuse des Turcs dans la régence d'Alger 16-19 siècles, Association pour l'étude des sciences humaines en Afrique du Nord, 1966, p37.

(4) – Rachid (Bellil) : Les Oasis du Gourara (sahara Algérien) I. Le temps des saints, Editions Peeters, Louvain, Paris, 1999, p117.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

مقارنة مع موقفها مع الأمير عبد القادر الذي استعصى عليه في البداية إخضاع ندرومة نظرا لرفض سكانها فتح أبوابها له، ولم يتسنى له ذلك إلا بعد إمضاء معاهدة التافنة 1837. بعد هذا التاريخ صارت المدينة جزءا من دولة الأمير عبد القادر، وأثنائها بدأ نفوذ الطريقة القادرية بالمدينة، وفي كافة طرارة فيما بعد.

أما بالنسبة للطريقة الطيبية، فأول ما اشتهرت كانت في أوساط العائلات الشريفة في المغرب الأقصى بالإضافة إلى عائلات أخرى من الأشراف في إقليم الجزائر، وجرجرة، وكذا إقليم وهران، وفي الظهرة عند قبيلة المجاهر، وقبيلة فليتة، وقبيلة السواحلية في ندرومة وقد لاقت السلطة الفرنسية هذه المناطق السابقة الذكر مقاومة شديدة من قبل السكان[1].

وقد كانت الطريقة الطيبية وراء أغلب الثورات التي قامت بها قبائل منطقة طرارة المنتشرة بين التافنة وندرومة ضد السلطة الفرنسية[2]؛ كثورة بني ورسوس، وبني مسهل ضد الجيش الفرنسي بقيادة كافنياك أيّام 22، 23، و24 سبتمبر 1839، وبعدها ضد جيش لامورسيار بين 12 و15 أكتوبر من نفس العام، كما شارك أتباع الطريقة الطيبية في معركة سيدي إبراهيم عام 1845 رفقة الأمير عبد القادر ضد الجنرال دي منتنياك الذي سقط قتيلا وانهزم جيشه ، بالإضافة إلى الهجوم الذي قام به أتباع الطريقة الطيبية على حامية سيدي بلعباس[3].

وقد نجد من الغرابة مشاركة أتباع الطريقة الطيبية مع الأمير عبد القادر ممثل الطريقة القادرية، لكن هذه الغرابة تزول إذا أخذنا بعين الاعتبار أن سلطان المغرب آنذاك مولاي عبد الرحمان والذي أَلِفَ الأمير عبد القادر طلب المساعدة منه؛ كان من أتباع الطريقة الطيبية[4].

---

(1) - Le Marechal (de Camp) : Des moyens d'assurer la domination Française en Algérie, Paris, 1840, p45.

(2) - De Neveu : Op. Cit, p47.

(3) - Le Marechal (de Camp) : Op.Cit, p49-50.

(4) - Ibid. , p50.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ومن أشهر الزوايا في ندرومة والتي ظلت تمارس أنشطتها إلى وقت قريب، وتمكنت من بعث نشاطها من جديد، نذكر الزاوية السليمانية الدرقاوية التي كان سي محمد بن رحال أحد مقدميها بالإضافة إلى ذلك الزاوية الجزولية القادرية الموجودة في ساحة التربيعة قبالة الجامع الكبير والحمام البالي.

كانت مدينة ندرومة بذلك ذات نفوذ صوفي قوّي، الذي اعتبر جزءا لا يتجزأ من ثقافة سكانها كما هو الشأن لأغلب الجزائريين في تلك الفترة، والذي بزرت فاعليته بقوّة في مقاومة المستعمر الفرنسي الذي لم يخضع المدينة حتى عام 1842.

ورغم اختلاف الفرق الدينية الصوفية في مدينة ندرومة؛ إلا أنها كانت تؤدي نفس الشعائر، ومهمتها الأولى والأساسية هي تعليم القرآن الكريم ونشر الشعائر الدينية القديمة بين الناس، ولكل زاوية من هذه الزوايا مجمع أو"حضرة" أسبوعية، وكان يخصص يوم الجمعة للنساء، وكانت تقدم مواعظ وخطب تربوية أسسها السيرة النبوية الشريفة، كما تقدم الأناشيد والمدائح الدينية التي تعرف في الزوايا باسم "السماعة"[1]، وغياب مدارس هامة بمدينة ندرومة لم يؤثر سلبا على الحركة الثقافية بالمنطقة، وهذا بعد الدور الكبير الذي لعبته مساجد المدينة وملاحقها، حيث حضي التعليم دائما بمكانة هامة عند الندروميين[2].

2-3-1-2-مساجد مدينة ندرومة:

يعتبر المسجد أهم مؤسسة إسلامية، لأنه مركز عبادة وتلاقي للمسلمين، للتشاور فيما يخص مصلحة العباد، وقد عرف منذ أيام الرسول صلى الله عليه وسلم كمركز للدعوة الإسلامية ومنطلقا لإعلان الجهاد ونشر الدين الإسلامي.

لذلك اهتم المسلمون كل الاهتمام ببناء المساجد والإكثار منها؛ فعلى الرغم من مساحة ندرومة الصغيرة مقارنة مع باقي حواضر الغرب الجزائري، كوهران، تلمسان،

---

(1)- El-Hassar (Benali): "Cheikh Kaddour Ben Achour", Journal El Moudjahid, In"http: //Nedroma Multimania. Histoire.Com/.

(2)- Gilbert (Grandguillaume) : Nedroma, Op. Cit, p 53.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

مستغانم، مازونة؛ إلاّ أنها لم تقل شأنا عنهم، وبخاصة فيما يتعلق بالجانب الديني، واتضح ذلك من كثرة مساجدها، فلا يكاد يخلو شارع من وجود مسجد، أو جامع به.

وقد بلغ عدد مساجد مدينة ندرومة عام 1888، (12) مسجدا وهي:

1- المسجد الكبير؛
2- مسجد سيدي سياج؛
3- مسجد لالة زهرة الشريفة؛
4- جامع الحدادين؛
5- جامع القادرين (الفخارين)؛
6- جامع الرياح؛
7- جامع السعدان؛
8- جامع بوعلي؛
9- جامع العاليا؛
10- مسجد سيدي منديل؛

كما يوجد مسجدان خارج المدينة، وهما: مسجد سيدي يحي، ومسجد البجاي.

لكن من أهم هذه المساجد والتي صنعت تاريخ ندرومة؛ نجد المسجد الكبير، مسجد البجاي، مسجد سيدي سياج، ومسجد سيدي يحى بن الزعيوف.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

2-3-1-2-1-1-المسجد الكبير:

يقع الجامع الكبير بندرومة ، في ساحة التربيعة الشهيرة ، التي تعتبر نقطة التقاء كل أزقة وشوارع المدينة، وبناء على النقش الخشبي الذي تمّ اكتشافه من طرف رينيه باسي سنة 1900 م، فإنّ تاريخ بناء المسجد يرجع إلى العهد المرابطي وبالضبط سنة 1081م على يد يوسف بن تاشفين، وقد كتب على النقش[1] :« بسم الله الرحمن الرحيم؛ وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين وسلم تسليما؛ لا إله إلا الله ومحمد رسول الله: إن الدين عند الله الإسلام؛ ومن يبتغ غير الإسلام دينا؛ فلن يقبل منه؛ وهو في الآخرة من الخاسرين. هذا مما أنعم له به الأمير السيّد... بن يوسف بن تاشفين أدام الله توفيقه وأجزاء... (و) كان الفراغ منه على يدي الفقيه أبي محمد عبد الله بن سعيد يوم الخميس السابع عشر من شهر...و(والسطران الأخيران ممحوان) »[2].

وبناء على التاريخ المذكور أعلاه-1081م- فإن المسجد الكبير بندرومة يعد أقدم مساجد الحقبة المرابطية في الجزائر، ويليه المسجد الكبير بتلمسان الذي شيد عام 1082، والمسجد الكبير بالجزائر العاصمة الذي بني عام1096م[3].

2-3-1-2-1-1-صومعة المسجد الكبير:

في سنة 749هـ/1348م[4] أي منذ ست قرون ونصف بنيت صومعة المسجد الكبير بندرومة تشتمل على 99 درجة كأنها تذكر بأسماء الله الحسنى ويبلغ طولها 18 [5]، وفي

---

[1] - النقش الخشبي معاصر لمنبر مسجد سيدي عقبة بمدينة بسكرة والذي يعتبر أقدم منبر في الجزائر، فحسب المصادر التاريخية فإنه مصنوع من خشب ساج جلب من بغداد في نهاية عصر الأمير الاغلبي أبي إبراهيم احمد في النصف الأول من القرن الثالث الهجري 9 م.

[2] - René (Basset) : Op.Cit, p22.

[3] - Georges (Marçais) : L'art musulman, Presse universitaire de France, 1962, p86.

[4] - استرجع بنو عبد الواد سلطتهم على تلمسان عام 1348م، وقام السلطان أبو ثابت بالاستيلاء على ندرومة ونهبها.

[5] - Gilbert (Jacqueton) Louis (Piesse), Augustin (Bernard), Stéphane(Gsell) : Algérie et Tunisie, p133.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أسفلها من الداخل لوحة من المرمر[1] كتب عليها النص التذكاريّ الآتي « بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد بنى هذا الصامع أهل ندرومة بأموالهم وأنفسهم وكل احتساب لله وأنبنت في خمسين يوم وبناها محمد بن عبد الحق بن عبد الرحمن الشيصي في عام تسع وأربعين وسبع مائة رحمة الله عليهم أجمعين»[2].

وحسب الرواية المحلية؛ فإن المسجد الكبير[3] قد شيد مكان ضريح سيدي العوفي المتوفى في القرن الخامس الهجري، والذي نال شهرة و احترام في وسط السكان الذين أقاموا مسجدا فوق ضريحه، وقد أعيد بناء المسجد بعد خرابه بأمر من الباي محمد الكبير (1773-1794) عام 1208هـ، وهو نفسه الذي استولى على مدينة وهران بعد خروج الأسبان منها عام 1790م[4].

وقد اعتاد سكان ندرومة على غرار سكان تلمسان على طلاء المسجد الكبير بالجير الأبيض، كل شهر رمضان[5]، وإعطاء حلة بيضاء جميلة تيمنا بالشهر الكريم.

2-3-1-2-2-مسجد البجاي:

في شرق المدينة، على الطريق المؤدي إلى مغنية؛ تم تشييد المسجد تخليدا لذكرى المرابط سي علي أحمد البجاي[6] ، وقد أطلق عليه اسم مسجد البجاي[7]، والذي صار مع

---

(1) - ينظر الملحق رقم 04.

(2)- Mohammed Habib (Samrakandi) & Gamal (Ghitany) : Littérature et héritage spirituel dans le monde Arabe et en Méditerranée, Presses Universitaire du Mirail, 2007 , p170.

(3) - ينظر الملحق رقم 05

(4) - René (Basset) : Op.Cit, p21.

(5) - Mac (Carthy) : d'Oran à Nemours par terre", In Itinéraire historique et descriptif de l'Algérie, Paris, 1862, p270.

(6) - ينظر المدخل، ص 22.

(7) - J.(Canal): Op. Cit, T.6, p99-100.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

مرور الوقت مزارا لسكان المدينة والمناطق المجاورة لها، ويعد أقدم مساجد ندرومة، وقد تزامن تشييده مع بناء عبد المؤمن بن علي لمدينة ندرومة[1].

2-3-1-3-2-مسجد سيدي سيّاج:

سيدي سيّاج؛ هو رجل دين تقي وورع، من أصول أندلسية استقر بندرومة بعد سقوط دولة المسلمين بالأندلس، نال شهرة ومحبة بين سكان المدينة الذين كرموه بتسمية المسجد باسمه.

يقع مسجد سيدي سياج أعلى سور المدينة؛ يتصف من حيث شكله العمراني بالبساطة، وليس له صومعة أو قبة على شاكلة المسجد الكبير[2].

وقد ازدادت شهرة هذا الولي الصالح بعد وفاته، فقد تناقل سكان مدينة ندرومة رواية تعود إلى أيام الأمير عبد القادر، حيث يحكى أنه كان يوجد بساحة مسجد سيدي سياج مدفع قديم طوله المتر، ولمّا دخل الأمير عبد القادر إلى مدينة ندرومة، نقل خليفته البوحميدي المدفع إلى تلمسان تاركا دعامته فقط. هذا الأمر أحز في نفس سكان المدينة، الذين تفاجئوا في أحد الأيام بظهور المدفع في مكانه المعتاد بالمسجد، واعتبروا ذلك من كرامات الولي الصالح سيدي سياج[3].

في الواقع؛ هذا الأمر لا يتقبله العقل والمنطق، كما لا توجد أدلة تاريخية تدل على الأقل ومن قبيل المنطق إرجاع البوحميدي للمدفع، لكن تبقى هذه الروايات التي تشوبها الأسطورة القاعدة الأساسية للتراث الشعبي لسكان المدينة الذين يسعون من خلاله لحفظ تاريخهم وتاريخ أجدادهم، ونحن لا نستغرب من هذا الموقف خاصة إذا علمنا أن المجتمع الجزائري كان متمسكا بقوة بثقافة ما عرف بالمرابطين و الأولياء الصالحين، والأمثلة كثيرة لا يسعنا المجال لذكرها، لكن تستوقفنا حادثة مشابهة لحادثة سيدي سياج، -في إطار ما سمي بالكرامات-وقعت في الجزائر العاصمة وهي قصة الولي الصالح المعروف بالوالي بن

---

(1) - .ينظر الملحق رقم 06

(2) - ينظر الملحق رقم 07.

(3) - J.(Canal): Op.Cit, T.6, p101.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

دادة، الذي ضرب عصاه في البحر، الذي اضطرب على الفور وتسبب في فشل حملة شاركان في 23 سبتمبر 1541[1]؛ فرغم أننا لا نثق بهذه الرواية كل الثقة، لكنها كانت جزءا من التاريخ الشفوي للجزائريين زمن العثمانيين.

2-3-1-2-4-مسجد سيدي يحي بن الزعيوف:

يرجع أصل سيدي يحي بن الزعيوف إلى الساقية الحمراء جنوب بلاد السوس، التي هاجر منها رفقة عائلته، واستقر بالقرب من مدينة ندرومة في مكان يسّمى الزَايْفَة وذلك في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي.

بعد وفاته أقيم فوق ضريحه قبة كبيرة تحيط بها خمس قباب صغرى، شيدت بأموال امرأة مراكشية كانت تقيم بندرومة.

بناء هذه القبة حمل معه رواية شبيهة لقصة سيدي سياج السابقة، ليس في أحداثها بل في الخيال الذي يشوبها، وبالرغم من ذلك تناقلتها الألسن الندرومية وصارت جزءا من تراث وتاريخ هذه المدينة العتيقة.

نشر هذه القصة الباحث جوزف كنال (Joseph Canal) عام 1887 على لسان صديقه الندرومي سي محمد بن رحال (1856-1928) وهو من أعيان مدينة ندرومة، الذي قام بترجمة الرواية إلى الفرنسية وقدمها إلى الباحث السابق الذكر.

هذه القصة بطلتها امرأة أصلها من مراكش، من عائلة ثرية وعريقة تقيم بمدينة ندرومة، ورغم جاه أسرتها؛ زوّجها والدها برجل فقير بعيد كل البعد عن مستوى الأسرة، هذا الزوج لم يراع زوجته وعاملها طيلة حياته بعنف وقسوة، ولم يكن رحيما بها، لكن لمّا دنت الموت منه، طلب منها الصفح والسماح، لما ارتكبه في حقها، لكنها رفضت ذلك رفضا شديدا.

وفي أحد الأيّام زار درويشا المنطقة، ومرّ قرب المقبرة، وإذ به يسمع نواح وأنين أحد الموتى، فدعا الدرويش الله أن يسمح له بمخاطبة الميت، حينها كلّمه الميت عن سبب عذابه وعدم ارتياحه، فأخبره بأعماله السيئة بما فيها معاملته غير اللائقة لزوجته التي

---

[1] - فوزي (سعد الله): مرجع سابق، ص ص 199-200.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

رفضت مسامحته، وأخبره بمقر سكناها، فذهب الدرويش لمقابلتها راجيا منها الصفح عن زوجها، لكنها رفضت وكانت عنيدة.

لم يمر وقت طويل حتى عاد الدرويش ومرّ من جديد بالمقبرة، فلاحظ سكونا وهدوءا تام قد خيّم على المقبرة، بما فيها قبر الرجل الذي خاطبه، وعلم حينها أن أحد المرابطين يدعى سيدي يحى بن الزعيوف كان قد توفي ودفن بالقرب من ندرومة، وأنّ الله سبحانه وتعالى قد غفر لكل موتى المنطقة تشريفا لهذا المرابط، فذهب الدرويش وأخبر زوجة الرجل بالمغفرة التي نالها زوجها، فقررت زيارة ضريح سيدي يحى بن الزعيوف وأمرت ببناء قبة فوق ضريحه يحيط بها خمس قباب أخرى من حر مالها، وبجوار ضريح **سيدي يحي** دفن الدرويش السابق الذكر وهو المعروف لدى الندروميين **بسيدي الشبلي**[1].

ولم تغادر هذه المرأة ندرومة قاصدة مراكش حتى كانت قد شيدت مسجد آخر بمالها الخاص هو المسجد المعروف حتى يومنا هذا بجامع الحدادين الواقع غرب ساحة المدينة و بداية درب القناوة [2].

وبعد خراب وانهيار تلك القباب، أقيم مسجد جديد فوق ضريح سيدي يحي يحمل اسمه حتى يومنا هذا [3].

وقد تولت هذه المساجد وظيفة لتعليم، حيث كان لكل مسجد حلقة تابعة له تخصص للتدريس الذي يعتمد في الأساس على حفظ القرآن الكريم وترتيله وحفظ المتون الشعرية، فالطابع التعليمي كان ديني محض، لذلك اعتبرت ندرومة العاصمة الدينية والثقافية الثانية بعد مدينة تلمسان على مستوى القطاع الغربي[4].

ولم تقتصر عملية التعليم على مدينة ندرومة فقط، فمعظم سكانها كانوا يرسلون أولادهم إلى مراكز ثقافية وعلمية في البلدان المجاورة كالأزهر الشريف وجامع الزيتونة

---

(1) - J.(Canal): Op.Cit, T.6, pp 98-99 .

(2) - ينظر الملحق رقم 08.

(3) - ينظر الملحق رقم 09

(4) - Alfred (Bel) : "Nedroma...", Op.Cit, p510.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والقرويين، وللبعثات الخاصة التي أرسلها إلى المشرق العربي الباي محمد الكبير دور في تبلور الفكر والثقافة في ندرومة والمناطق المجاورة لها.

هذا الانتعاش الثقافي والحضاري الذي عرفته منطقة ندرومة والقطاع الغربي بصفة عامة ساهم في ظهور رجال فن وأدب وشعر، وقد كانت ندرومة مسقط رأس البعض منهم ونذكر على سبيل المثال أحمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله المعاصر لابن مرزوق أبي عبد الله محمد (781هـ/1373م) المولود بمدينة ندرومة، درس في القاهرة وتوفي في تلمسان، وسيدي أحمد بن ملوكة الشيخ الندرومي الذي اخذ عليه سيدي علي بن يحي السلكسيني والمتوفي في تلمسان سنة (972هـ/1565م)[1].

2-3-2-اليهـــود:

لم يختلف يهود مدينة ندرومة عن مسلميها فيما يتعلق بالحياة اليومية، وجمعت بين هذين الفئتين عدة نقاط التقاء فيما يخص المأكل والمشرب، واللهجة، والمعاملات الاقتصادية، ساهم فيها عامل الزمن، ذلك أن اليهود الذين سكنوا مدينة ندرومة يعود تاريخ استقرارهم فيها إلى القرن 16م و17 م زمن الهجرات اليهودية من أسبانيا.

ورغم قدم التواجد اليهودي بهذه المدينة، لم تسع هذه الفئة إلى نسج العلاقات الاجتماعية والإنسانية بقوّة مع المسلمين كعلاقات المصاهرة على سبيل المثال ؛ لأنّ ذلك يتعارض والقيم التي نشأت عليها كلتا المجموعتين، اليهودية والإسلامية وبالخصوص هذه المجموعة الأخيرة.

هذا التباعد وعدم الاحتكاك الاجتماعي القوي بين المسلمين واليهود في مدينة ندرومة، لم يكن عائقا في ممارسة اليهود لطقوسهم الدينية بكل حرية، فعلى الرغم من عددهم القليل الذي لم يتجاوز في أغلب الفترات بضع مئات؛ ظلّ التواجد اليهودي قائما في الهرم السكاني لمدينة ندرومة إلى غاية 1962.

---

[1] - الطاهر (زرهوني) : مقال سابق، ص 161.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

في الحقيقة إنّ أغلب ما كتب عن مدينة ندرومة سواء في فترة الاحتلال أو بعدها على يد رجال الجيش الفرنسيين والرحالة والجغرافيين، وحتى من طرف سكان المدينة وعلى رأسهم الحاج حمزة بن رحال الذي قدم لنا دراسة موجزة عن تاريخ ندرومة، لم يشيروا من قريب أو من بعيد على وجود كنيس أو معبد خاص بيهود المدينة، وقد فسّر هذا الأمر في أغلب الأوقات بمدى التعصب والقسوة الإسلامية، لكن الحقيقة عكس ذلك ، إذ تعلق الأمر بالحالة الاجتماعية والاقتصادية ليهود ندرومة الذين لم يمتلكوا أراضي يخصصوا جزءا منها كمعابد، فأغلبهم كان من العائلات البسيطة وقد سكن معظمهم في حي القناوة أو السود والذي سمي بدرب اليهود في ندرومة[1]؛ وهو شارع بسيط مقارنة مع شوارع العائلات الكبرى وأعيان المدينة في كل من شارع بني زيد وبني عفّان، وقد ننجر للقول بأنّ اليهود اشتهروا بأعمالهم التجارية وأنشطتهم الاقتصادية ومع ذلك سكنوا في حارات معزولة عن السكان المسلمين، عرفت تاريخيا بالملاحات أو الحارات[2]؛ لكن هذا لم ينطبق على يهود مدينة ندرومة الذين سكنوا داخل أسوار المدينة وبجانب شوارع المسلمين؛ فالشهرة الإسلامية لمدينة ندرومة تفوقت على الثقافة اليهودية، مع ذلك سمح الندروميون لليهود بإقامة معبد أو كنيس كان على قدر كبير من البساطة يوجد بشارع القناوة ولا يمكن تفرقته عن المنازل المجاورة له؛ وكان المعبد الوحيد ليهود ندرومة إلى غاية الفترة الاستعمارية حين تمكن اليهود من بناء معبد جديد بشارع الخرْبة[3].

وإن كان كنيس يهود ندرومة على قدر من البساطة غير أنّهم عوضوا ذلك بقربهم من مدينة تلمسان التي كانت تعتبر مركز اليهود وحجهم الرئيس؛ وهذا منذ العهد الزياني، ففي سنة 1391م صارت تلمسان ، ووهران، والجزائر مراكز رئيسية لنشاط الحاخامات الذين

---

(1) - Gilbert (Grandguillaume) : Op.Cit, p 148.

(2) - فوزي (سعد الله): مرجع سابق، ص69.

(3) - Gilbert (Grandguillaume), Op.Cit, p 148.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تمتعوا بنفوذ قوي فيما يخص الحياة الدينية ليهود الجزائر[1]، وبخاصة في مدينة تلمسان القريبة من ندرومة، والتي تضم أشهر كنيس لليهود وهو كنيس الراب إفرييم النقاوة ابن الشيخ إسحاق هاقادوش (أي القديس) (1359-1442م) الذي لجأ إلى تلمسان فارا من القمع المسيحي بمدينة طليطلة بعد إقامة قصيرة في هنين، يحض هذا الرّبي (النقاوة) بمحبة واحترام كل اليهود بما فيهم يهود مدينة ندرومة الذي تقاسموا مع يهود تلمسان فرحة القيام بالاحتفال السنوي أمام ضريحه، هذا الاحتفال يعرف في الثقافة الدينية والشعبية لليهود بالهيلولة، وقد مارسه يهود ندرومة وغيرهم قبل وطيلة الفترة الاستعمارية، وحتى بعد الاستقلال لا زالت أفواج منهم تقصد تلمسان و بالضبط مقبرة قباسة أين يوجد الضريح .

وتعتبر الهيلولة من طقوس اليهود الاحتفالية التي يرتبط فيها القديس بالرّب، فترى اليهود يحجون بالآلاف، بمختلف مستوياتهم دون أي فوارق؛ قاصدين ضريح هذا القديس آملين في تحقيق أمانيهم، وتخفيف آلامهم ومصائبهم[2].

وهذا ما درج عليه يهود ندرومة وتلمسان الذين يقيمون رفقة اليهود الآخرين القادمين من كافة النواحي بالاحتفال أمام ضريح الرّبي النقاوة في تلمسان لعدّة أيام قبل الهيلولة، يمضونها في التحضير لمراسيم العيد، وفي الصلوات، والأدعية بصوت مرتفع وجهوري، تحت الأضواء الخافتة للمصابيح الزيتية والشموع التي أُشعلت هبة وقربانا لروح القديس، إلى أن يدخل الجميع في عالم روحي مملوء بالخشوع والجلال، فتزداد الأصوات حماسة وارتفاعا أثناء الترتيل شيئا فشيئا، إلى أن ينادي الجميع ويصرخون بأعلى صوتهم معلنين ظهور القديس وعودة روحه:" ها هو جا " في إعجاب ونشوة وذهول وحماسة،" فيتكلم الأبكم، ويتحرك المشلول، ويستعيد المكفوف البصر..." ، وفي منتصف الليل، تزور روح القديس جموع المؤمنين، حسب المعتقدات اليهودية الفلكلورية، لتستجيب لانتظار الحجاج، ثم يمضي

---

(1) - N. (Slousch) :" Les Juifs de Debdou", In Revue du monde Musulman, Vol 22, Mars 1913,p 246.

(2) - فوزي (سعد الله): مرجع سابق، ص 194.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الحاخامات بقية الليل في التلاوة والترتيل، وفي أداء الصلوات(...)، في حين يبدأ الزوار في الانصراف بمحاذاة الضريح[1].

هذه الثقافة اليهودية الخاصة بتقديس رجال الدين والأولياء شبيهة بثقافة المسلمين حول الأولياء الصالحين، حتى أنّ اليهود أنفسهم كانوا يزورون ويترددون على الأضرحة الإسلامية، وحول هذا الشأن كتب أندري شوراقي:« ... ليس غريبا رؤية توجه إسرائيليين إلى أضرحة إسلامية أو حتى مسيحية، حيث يقدمون القرابين ويؤدون صلواتهم وابتهالاتهم... ومن المألوف أن تشاهد وسط المسلمين الزائرين لضريح مرابط شهير بندرومة إسرائيليين قادمين للتبرك" [2]

ورغم بساطة المعبد اليهودي في ندرومة؛ غير أنّه لا يقل أهمية عن باقي المعابد اليهودية، فقد اهتم اليهود بتلقين أبنائهم تعاليم دينهم، فلم يخلوا معبد ندرومة من تلمود طورا [3] وهي مدرسة تدريس التوراة [4]، كما اهتم اليهود بتعليم أبنائهم العبرية – رغم أنّهم اتخذوا اللهجة العربية لسانا لهم- وتكوين رجال الدين (les Rabbins)، الذين كانوا يرسلون في بعثات للدراسة في أشهر المعابد اليهودية في شمال إفريقيا، ومن أهمها معبد دَبْدُو قرب تاوريرت في المغرب الأقصى[5]، ومنطقة دبدو هي من أهم المراكز اليهودية في الشمال

---

(1) - فوزي (سعد الله): مرجع سابق، ص 195.

(2) - André (Chouraqui) : Op.Cit, p 139-140.

(3) - استُخدمت عبارة «تلمود تورا» التي تعني «دراسة التوراة» للإشارة إلى المدرسة التي تُدرِّس التوراة والشعائر وأجزاء محدودة من التلمود لإعداد التلميذ للالتحاق بالمدرسة التلمودية العليا (يشيفا)، ثم استُخدمت هذه الكلمة فيما بعد للإشارة إلى المدرسة الأولية التي تخضع لإشراف وتمويل الجماعة اليهودية لتمييزها عن المدرسة الأولية التي كان يديرها المعلم. ولذا، تُسمَّى مدرسة الحيدر «المدرسة الأولية الخاصة»، أما مدرسة التلمود تورا فكانت تُسمَّى «المدرسة الأولية الخيرية»، ينظر عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية، والصهيونية .

(4) - N. (Slousch): Op.Cit, p 232.

(5) - Ibid, Idem.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الإفريقي، وهي المدينة الوحيدة التي كان عدد يهودها أكثر من مسلميها، فقد بلغ عدد يهودها سنة 1500 نسمة من أصل 2000 ساكن[1].

وقد تخرّج من مركز دبدو أعداد من الحاخامات سنويا، كانوا يوزعون على مناطق مختلفة في المغرب الأقصى، ومليلة في الشمال، أمّا في الجزائر فكان معظم المتكونين من تلمسان وندرومة[2]، هذه الأخيرة كان آخر حاخاماتها في أواخر الفترة الاستعمارية يدعى الراب حزيزة بن قيقي، وهو ينتمي إلى عائلة بن قيقي وهي من أهم العائلات اليهودية بدَبْدُو[3].

وبالرغم من أنّ اليهود في ندرومة كانوا أقلية دينية، غير أنّهم برزوا بقوّة في الحياة التجارية والاقتصادية في هذه المدينة ، وفي غيرها من المدن الأخرى ، وهنا يسرد الباحث ألبير بن سوسان اليهودي الجزائري الأصل مثل شعبي ورثه عن أمه عائشة التي كان مسقط رأسها مدينة ندرومة؛ كان متداولا بين ألسنة اليهود والمسلمين يبرز مدى التأثير القوّي في التفاعلات التجارية ، قائلا:« سوق بلا يهود كالقاضي بلا شهود»[4].

2-4- الأعياد والاحتفالات الموسمية في مدينة ندرومة:

منذ القدم، حاول الإنسان فهم ظواهر الطبيعة من مطر ورعد وتساءل عن ماهية الشمس والقمر وعن كنه وجوده هو نفسه... فكان تفسيره خرافيا، سحريا، أسطوريا في البداية ثم تطور ذلك التفسير ليتجلى في الأديان التي قدمت إجابات شتى عن تساؤلات البشرية، ثم جاء العلم الحديث ليقدم إجابات من نوع آخر. لكن الإنسان في مختلف أنحاء المعمورة، رغم درجات التطور العلمي والمعرفي يمارس ويعتقد أحيانا في "خرافات" أسلافه القدامى، بل

---

(1) - Charles (De Foucault) : Reconnaissance du Maroc 1883-1884 , Ed. Challamel, Paris, 1888, p250.

(2) - N. (Slousch): Op.Cit, p 232.

(3) - Ibid, Idem.

(4) - Albert (Bensoussan) : L'Echelle de Mesrod..., Op.Cit, p10.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

يحتفل بها، ففي أكثر البلدان تقدما تقام أضخم الاحتفالات برأس السنة الميلادية وتخلد أسطورة مجيء "بابا نويل" بلحيته البيضاء لزيارة الصغار وهو محمل بالهدايا، وشخصية (Père Noel) كانت في الأزمان القديمة شخصية أنتجها من خيال الشعوب التي كانت تمارس الصيد قديما في أوربا، وكانت تعتبره شخصية بإمكانها التوسط للصيادين من أجل استدرار عطف أرواح الغابة (esprits de la forêt).

وفي الجزائر، يخلد السكان عدة احتفالات ذات طابع طقوسي وذلك وفق رزنامة مضبوطة نابعة من التقويم الفلاحي بالأساس، والتقويم الفلاحي تقويم شمسي؛ أي مرتبط بالتعاقب المنتظم للفصول والتغيرات المستمرة التي تشهدها الطبيعة بفعل دوران الأرض حول الشمس الذي تنتج عنه تغيرات الطقس وأحوال الجو، هذه التغيرات التي رصدها الإنسان منذ القدم وقام بضبطها في رزنامات مختلفة، يرجح ذلك بعد اكتشافه للزراعة والانتقال من مراحل القطف والصيد.

وقد اعتاد الجزائريون وفي مناطق مختلفة بما فيها مدينة ندرومة إجراء طقوس احتفالية في أشهر معينة، ومن أبرز هذه الطقوس والاحتفالات نذكر:

2-4-1- <u>النّاير:</u> تنقسم كلمة يناير، ذات الأصل البربري إلى قسمين: يَن وتشير هذه الكلمة إلى اليوم الأول وأيار وتعني السنة الجديدة، ويستند الأمازيغ في تقويم الناير إلى ما يسمى التقويم الفلاحي الذي يتبعه الفلاحون في زراعاتهم لضبط السقي والغرس، ويمتاز هذا التقويم بمظهر التكافل الاجتماعي.

يعود الناير إلى ما قبل الإسلام وهو مرتبط بالانتصار العسكري الذي حققه الملك الأمازيغي شيشناق على فرعون مصر رمسيس الثالث عام 950 قبل الميلاد، وتوثق النقوش التاريخية المحفورة على عدد من الأعمدة في معبد الكرنك في مدينة الأقصر بمصر لهذا النصر العسكري، وتتحدث هذه الآثار بالتفصيل عن الأسرة الأمازيغية الثانية والعشرين.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

يحتفل بهذه المناسبة في 01 جانفي حسب السنة اليوليوسية[1]، أي 12 جانفي حسب تقويمنا الغريغوري[2]، ومدة الاحتفال بها غير محددة، وفي الغالب 03 أيّام، ففي مدينة تلمسان اليوم الأول للاحتفال يسمى يوم نفقة اللحم، واليوم الثاني بيوم الكرموس (التين)، والثالث بيوم رأس العام الذي يصادف 01 جانفي.

ويأكل أهل ندرومة وتلمسان في اليوم الثاني من ينّاير رأس الخروف، ويقولون "**من يأكل راسْ ينّاير يبقى راسْ**"[3]، بالإضافة إلى ذلك يعد أهل ندرومة طبق البركوكس (من الدقيق الخشن)، والثريد Beignets.

في يوم يناير يقوم أهل ندرومة وتلمسان بتوزيع الهدايا، وبخاصة للخطيبات؛ حيث يرسل الخطيب إلى زوجته المستقبلية سُلْطَاني من الذهب، ومنديل من الحرير، بالإضافة إلى قطانية أو سلّة مليئة بالفواكه المختلفة، وخبز بالبيض، وبدورها ترسل عائلة الخطيبة إلى عائلة الزوج؛ مائدة مزينة بالشراشف فيها فطائر وجرّة من العسل[4].

في احتفال يناير تبرز سمة التقارب بين مسلمي ويهود مدينة ندرومة و يتبادلون الهدايا فيما بينهم؛ حيث يقدم المسلم لليهودي سلّة من الفواكه المختلفة والفطائر، وبدوره

---

(1) - التقويم اليوليوسي أو الرومي هو تقويم فرضه يوليوس قيصر في سنة **46** ق.م. ودخل حيّز التنفيذ عام **45** ق.م. يحاول التقويم اليوليوسي محاكاة السنة الشمسية ويتكون من **365** يوما مقسمة على **12** شهرا استمر استخدام التقويم اليوليوسي في الكنائس الأورثوذكسية حتى القرن العشرين إذ قامت هذه الكنائس باعتماد التقويم اليوليوسي المعدّل عام **1923**.

(2) - التقويم الغريغوري هو التقويم المستعمل في العالم الغربي وفي أغلب الدول العربية .يسمى هذا التقويم في أغلب الدول العربية بالتقويم الميلادي. أعتمد هذا التقويم في عام 1581 كبديل عن تقويم يوليوسي نسبة ليوليوس قيصر، وتنسب تسميته إلى البابا غريغوريوس الثالث عشر، وهو يختلف عن التقويم اليوليوسي بثلاثة أيام في كل 400 سنة.

(3) - Edmond (Destaing) : 1905, " L'Ennayer chez le Béni Snous" , In R.A, Vol.49, p59.

(4) - Ibid., p63.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

اليهودي يقدم للمسلم طبق عجين يسمى ركاكاس Reqaqas؛ وهو عجين لا يحتوي على الملح والخميرة [1].

2-4-2- **السابْعَة:** احتفال موسمي يقام في شهر الشتاء القاسي، حيث تشهد المنطقة أيّاما من تساقط الثلوج، التي تكسو قمم الجبال. تبدأ السابعة في 08 مارس حسب السنة الغريغورية الموافقة لـ24 فيفري حسب السنة اليوليوسية، وتدوم 07 ليال، و8 أيّام[2].

في واقع الأمر؛ أنّ أيام السابعة التي يحتفل بها كل سنة لا ترقى الترحيب من قبل السكان، فهي تعد أيام نحس وشؤم بالنسبة للسكان الذين توارثوا بعض الطقوس والمعتقدات لحماية أنفسهم من خطر الطبيعة، والرياح العاتية.

كان أهل ندرومة وتلمسان في محاولة منهم للتقليل من هذه الريّاح يأخذون قطعة من القماش الأحمر يربطونها بعنق سلوقي (كلب) ثم يحررونه[3].

وتعرف كذلك بأيّام النحس؛ والنحس هي الريح الباردة، يقال في حكايات الناس أنها تصل إلى نار المنازل فتطفئها، كما ينتشر مرض برد الأصابع، فيكثر السكان في ندرومة وتلمسان من أكل الكعك الطازج لتفادي البرد[4].

---

(1) - Ibid, Idem.

(2) - Edmond (Destaing) : " Fêtes et coutumes saisonnières chez les béni Snous", In R.A, Vol.50, 1906 p244.

(3) - Edmond (Destaing) :" Fêtes et coutumes...", Op.Cit, p245.

(4) - Ibid., Idem

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

يسمي أهل ندرومة وتلمسان الأيام الأربع الأخيرة من السابعة بالليالي الكُحل[1]، وتسمى كذلك عند الندروميين بأيّام الغَرْقَة، فحسب الرواية الندرومية فإن من يخرج فيها يغوص أو يغرق لا محالة في الطين المبلول[2].

2-4-3- **النْطح:** كما أنّ هناك ريح آخر قوّي يسمى يوم النْطحْ، ويكون مع بداية أفريل، والمطر الذي يتهاطل وقتها يكون فأل نحس أو شر عند السكان، لِمَا ما يسببه من خسائر في الزراعات وعلى رأسها الحبوب، وقد عبّر سكان ندرومة وتلمسان عن ذلك قائلين " **يارب هواها ولا ماءها**"، كما يقول أهل ندرومة: " **يا النْطَحْ بوالنطوح جِيتَكْ نطلب على سبّة الدّرية اَلاَّ الله حبْ**".[3]

وفي أيّام النطح لا يقوم الفلاحون بسقي حقول الشعير والأشجار، لاعتقادهم أن مطر النطح ويسمى **الناثْ** لغزارته قد يتلف ويحرق الأشجار، وهذا تقليد متبع لدى أهل ندرومة، الكاف عند قبيلة بني مسوس[4].

2-4-4-**النِيسَانْ:** هي أيام مباركة، وتصادف 27 أفريل إلى 03 ماي حسب السنة اليوليوسية، و09 إلى 15 ماي حسب السنة الغريغورية، والمطر الذي يتساقط فيها هو مطر مبارك، وفي أيام النيسان يخرج الناس رجال، ونساء، وأطفال وبنات رؤوسهم عارية ويتركونها تبتل بماء المطر وحسب اعتقادهم فإنّ هذه الأمطار تشفي الرأس من الأمراض، وتجعل شعر النسوة والفتيات يطول[5].

---

(1) - M. (Ben Cheneb) : Proverbes Arabes de l'Algérie, Ed. Leroux, Paris, 1905, p18 & 286.

(2) - Edmond (Destaing) : " Fêtes et coutumes...", Op.Cit, p 247.

(3) - Ibid, p 249-250.

(4) - Marie (Viroll-Souibès) : Rituels Algériens, Ed. Karthala, Paris, 2001, p95.

(5) - Edmond (Destaing) : " Fêtes et coutumes...", , p252-253.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

كما يتم إخراج الماشية كذلك سعيا وتركها تحت مطر النيسان؛ لكي تصير صوفها ناعمة ووافرة، وكذلك بقية الحيوانات كالأبقار والماعز، لكي تصبح سمينة وحليبها غزير، وفي وقت النيسان يتم جزّ صوف الماشية لكن بعد أن تتبلل جيدا، وهذا تقليد متبع لدى الندروميين الذين بدورهم يجمعون كميات من مطر النيسان ويصبون قطرات منه على ورق الحناء، فقيمته كقيمة ماء زمزم، ويحافظون على ذلك الماء لاعتقادهم أنّه يشفي العليل من المرض، بوضع خضاب الحناء المبلولة بهذا الماء على رؤوسهم، وهو نفس التقليد لدى أهل تلمسان، ومغنية، ووهران، ومستغانم [1].

وبما أنّ النيسان ومطره يكون في شهر أفريل؛ فهذا يعني أنّه سيكون مطرا قليلا، وقد لا يسقط بالمرّة؛ لذلك يسعى سكان ندرومة لطلب سقوط مطر النيسان بصعود فتاة إلى سطح المنزل وتخاطب السماء وتناشدها بسقوط المطر لكن الغريب أنّ الفتاة تهدد السماء ولا تناشدها! ، ونفس الطقوس كانت تتبع في تلمسان مع فارق واحد وهو ضرورة أن تكون فتاتان أختان بينهما فارق سنة واحدة[2].

يعتبر ماء النيسان مقدس لدى نسوة ندرومة، وتلمسان، ووهران؛ فحسب اعتقادهن فهو يشفيهن من العقم، وهو مادة لا يستغنى عنها في الخليط الذي يعدّه الطالب لهن؛ حيث يقوم بكتابة سورة سيدنا يوسف على صحن، ويملؤه بعدها بماء النيسان، والزيت وماء الورد، والزعفران، وبعض الحبر، ثم يقدم للمرأة فتشربه على الفور وهي صائمة، وحسب الاعتقاد فهي ستصير أُمْ خلال سنة، كما كان الرجال في ندرومة، وفي وهران، وتلمسان يتناولون ماء النيسان قبل الذهاب إلى الحرب[3].

ومن التعابير التي تتداول لدى أهل ندرومة أيام النيسان قولهم:

---

(1) - Edmond Destaing : " Fêtes et coutumes...", p253.

(2) - Ibid, p 255.

(3) _ Ibid, Idem.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

"**يا النِيسَانْ الناسْ تقُولْ لَكْ النيسَانْ وأنَا نْقُولْ لَكْ زِينْ الإِحْسَانْ**"؛ هذا القول كانت تقوله النسوة اللواتي تغيب عنهن أخبار أزواجهن مدة طويلة من الزمن.

أمّا الفتيات في ندرومة واللواتي كنّ ينشدن زوجا صالحا فيقلن: " **حَقْ هَذَا السّيدْ مَنَكْ مَا نَتْحَيَدَ، حَتَى تجْيِبْ لِي رَجَلْ جَيّدْ**"[1].

2-4-5- العَنْصَرَة: يحتفل بهذه المناسبة في 24 جوان حسب السنة اليوليوسية، وفي 06 جويلية حسب السنة الغريغورية؛ تخرج يومها النسوة والأطفال إلى المنحدرات، لجمع النباتات مثل النعناع، وبعض الأغصان الجافة التي يمكن حرقها بكل سهولة.

مدّة الاحتفال بالعنصرة غير محددة لكنها في الغالب 03 أيام، يقوم خلالها سكان ندرومة، تلمسان، ومستغانم بحرق النباتات داخل منازلهم، وهو تقليد عرف لدى الفرس كذلك الذين كانوا يحتفلون به في شهري جويلية وأوت[2].

وحسب الروايات المتوارثة أنّ العنصرة، هي نسبة إلى ساحرة مصرية كانت تسمى سارة، وقد أدت أناس كثيرين بسحرها، وفي أحد الأيام انتقم منها أحد ضحاياها حيث قام بربطها بإحدى الأشجار وقام بحرقها وهو يردد" **يا رب ألعن سارة**"، ومنها صارت تعرف العنصرة. لكن لدى التلمسانيين رواية أخرى مفادها؛ أنّ امرأة يهودية تدعى سارة ماتت في أحد أيّام الصيف الحارة، وكانت بدينة جدا فتحللت جثتها بسرعة مصدرة روائح كريهة، فقرر الخليفة علي بن أبي طالب للإبقاء على نظافة المدينة بأن أصدر أمرا لكل السكان بالتبخير (Fumigations) في الشوارع والمنازل، ومن يومها صار تقليدا متبعا، وهو نفس التقليد الذي يقوم به أهل ندرومة، ومستغانم، وسعيدة، والقلعة؛ حيث يقومون بإشعال النباتات في فناء المنزل، وتقوم العائلة كبارا وصغارا بالمرور فوقها سبع مرات [3].

---

(1) – Edmond Destaing : " Fêtes et coutumes...", Op Cit ,p 258.

(2) - Ibid. , p262 .

(3) – Ibid,p364.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

إن التنوع العرقي كان ميزة خدمت سكان المدينة الذين عاشوا في تآلف وانسجام رغم اختلاف الثقافة والدين، وبخاصة بين المسلمين واليهود الذين تأقلموا مع بعضهما البعض ولم تشهد ندرومة صراعا وتنافسا فيما بينهما؛ حيث مارست كل فئة عرقية عاداتها وتقاليدها وطقوسها الدينية، لكن ضمن الحدود التي رسمتها الفئة الإسلامية المسيطرة على المدينة، وقد اتضح هذا الأمر من خلال أسماء بعض الشوارع والدروب والتي كانت مقرا لبعض الأقليات وبخاصة اليهودية كشارع القناوة ودرب اليهود؛ فتخصيص مساحات وإقامات خاصة بالأقليات لم يكن يقتصر على مدينة ندرومة فقط؛ بل عمّ مدن عديدة في الجزائر، ولم يكن من باب التمييز والإقصاء بقدر ما كان لأسباب دينية واجتماعية، فيا ترى ما هو حال المجتمع الندرومي بعد الاحتلال الفرنسي للمدينة سنة 1842؟ هل حافظت الإدارة الفرنسية على هذا الكيان والنمط الاجتماعي؟ أم انتهجت أسلوبا آخر؟ وإن كان كذلك، ما مدى تأثير ذلك على سكان ندرومة باختلاف أطيافهم ومذاهبهم؟

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفصل الثالث:

السياســـة الفرنسية في مدينة ندرومـــة

3-1- مدينة ندرومة قبيل السيطرة الفرنسية (1830-1842)

3-2- الاحتلال الفرنســـــي لمدينة ندرومـــــة

3-3- الإدارة الفرنســـــية في مدينة ندرومـــــتة

3-4- الاستيطان ومصادرة الأراضي في مدينة ندرومة ونواحيها

3-5- توسعات مدينة ندرومة في الفترة ما بين (1881-1954)

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

3-1- مدينة ندرومة قبيل السيطرة الفرنسية (1830-1842):

بعد احتلال مدينة الجزائر وإمضاء معاهدة الاستسلام؛ أقدم حسان باي وهران- كما سبق ذكره- على الاستسلام للسلطة الفرنسية، ممّا سهّل أمر دخولها إلى مدينة وهران في وقت يعتبر قياسي، وذلك بتاريخ 04 جانفي1831.

في تلك الأثناء؛ شهدت المدن والمناطق الداخلية في الغرب الوهراني هدوءا -ولو كان مؤقتا- بعد تخلصها من سلطة العثمانيين، وأبدت استعدادا لحكم نفسها بنفسها، وهذا ما حدث بالفعل في مراكز مختلفة من الغرب الوهراني لفترة من الزمن، امتدت ما بين 1830 و1845، شكلت خلالها شبه فيديراليات دفاعية استعدادا لصد الزحف الفرنسي وبخاصة في المناطق الجبلية.

ومصطلح فيديراليات ليس بالغريب إذا أخذنا بعين الاعتبار أن أغلب سكان القطر الجزائري كانوا قبائل و أعراش قرر جزء منها التكتل والاتحاد لصد الهجمات الفرنسية وكانت المبادرة الأولى من طرف الأمير عبد القادر الذي سعى إلى حشد قبائل الغرب الجزائري لإعلان المقاومة، وبالموازاة مع ذلك قررت قبائل أخرى التكتل فيما بينها أو تشكيل وحدات مستقلة رافضة الخضوع للسلطة الفرنسية ولسلطة الأمير عبد القادر على حد سواء.

ورغم قدرة هذه القبائل الفعلية على صد الهجمات الفرنسية أو الوقوف في وجه مخطط الأمير عبد القادر؛ غير أنّها استمدت قوّتها من العامل الجغرافي الذي وفّر لها دفاعا طبيعيا تمثل في سلسلة الجبال الشاهقة التي عدّت حصون لتلك القبائل، ومن أهم تلك السلاسل؛ سلسلة جبال طرارة التي تمتد ناحية الغرب مخترقة الحدود المغربية لتلامس جبال الأطلس المغربي، وجبال طرارة تحتضن عددا من القبائل منها على وجه الخصوص قبيلة ندرومة بالقرب من جبل فلاوسن؛ وقد رفضت هذه القبيلة في وقت مبكر الخضوع لسلطة الأمير عبد القادر، الذي كان يسعى لجعل مدينة ندرومة قاعدة عسكرية ومقرا لمعالجة جرحى

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

جيشه[1]، وقد التقى جيش الأمير عبد القادر بجيش الجنرال كلوزيل على ضفاف وادي التافنة، وكانت مسألة السيطرة على ندرومة مهمة لدعم قوّة الأمير عبد القادر في المنطقة، لكنه تراجع عن هذا الأمر، وعاد يسعى للسيطرة عليها في جانفي 1836[2]، في هذه السنة تمكنت قوات الجنرال كلوزيل من دخول مدينة تلمسان، وكان الأمير عبد القادر قد حاصر المدينة وبالذات حصن المشور، لكن تآمر الكراغلة مع الفرنسيين أضعف جانب الأمير الذي حاول تقوية صفوفه بالسيطرة على المناطق المحيطة بتلمسان وكان من بينها مدينة ندرومة التي رفض مجلس جماعتها في بادئ الأمر فتح أبواب المدينة للأمير عبد القادر وجنده، فقرر الأمير أخذ رهائن من أعيانها واقتادهم إلى معسكر[3]، ممّا جعل سكان المدينة يغيرون موقفهم ويعلنون ولائهم لسلطته وممثله البوحميدي الذي سيصير قريبا حاكم مدينة تلمسان، بعد عودتها لسلطة الأمير عبد القادر وذلك بعد إبرام معاهدة التافنة في 30 ماي 1837.

بعد اعتراف سكان مدينة ندرومة بسلطة الأمير عبد القادر؛ تمّ إطلاق سراح الرهائن الذين عادوا إلى المدينة رفقة قائدها الجديد الحاج مصطفى بن إسماعيل ، الذي واجه في بداية الأمر رفضا شديدا من قبل السكان حتى أنه قذف بالحجارة ومع ذلك تمكن من المحافظة على قيادته للمدينة حتى عام 1842[4]، لكن سرعان ما استتب الأمر وخضع الندروميون في النهاية لسلطة الأمير عبد القادر خصوصا بعدما هددت مدينتهم من قبل جيش الجنرال كلوزيل.

وحول هذا الشأن كتب الجنرال دوق دي أورليون (Duc d'Orléans) [5]: « بعد حملة تلمسان، استقر الأمير عبد القادر في ندرومة مركز بلاد القبائل، سكانها رجال أقوياء

---

(1) - Paul (Azan) : L'émir Abd el Kader;1808-1883 ..., Op.Cit, p86.

(2) - محمد (بن الأمير عبد القادر): ، مرجع سابق، ج1، ص165.

(3) - Paul (Azan) : L'émir Abd el Kader;1808-1883 ..., Op.Cit, p177.

(4) - Hamza (Ben Rahal) :Op.Cit, p 217 .

(5) - Louis Philippe (Albert d'Orléans) : Compagnes de l'armée d'Afrique 1835--1839, Paris, 1870, p129.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ومواطنون أشداء اعترفوا بسلطة الأمير عبد القادر كقائد عليهم، فعندما أقدم الجنرال كلوزيل على تهديد إقليمهم لم يتأخروا في الانضمام إلى الأمير عبد القادر للدفاع عن استقلالهم وسيادتهم، واعتبروه ولّي نعمتهم، ولقد كانوا سلاح الأمير في السيطرة على هذه المنطقة وما يجاورها».

كان هدف الأمير عبد القادر من سيطرته على مدينة ندرومة؛ هو إضعاف قوّة الفرنسيين بقطع الطريق بين تلمسان ووهران ، وبخاصة قطع التموين عن حصن المشور بتلمسان الذي يحتمي داخله الجنرال كلوزيل[1]؛ ذلك أن مدينة ندرومة هي مركز استراتيجي يعد قلب قبائل طرارة، فبإخضاعها سرعان ما تخضع بقية القبائل لسلطة الأمير عبد القادر[2].

سبق الذكر أن الأمير عبد القادر سعى لجعل مدينة ندرومة قاعدة عسكرية ومركز استشفاء لجرحى جيشه، وهذا ما تحقق على أرضية الواقع، فقد عاد الأمير عبد القادر في 06 جويلية 1836 إلى مدينة ندرومة بعد مواجهات عسكرية مع الجنرال بيجو على نهر السكاك بالقرب من تلمسان، وذلك بقصد استجماع قوّة جيشه، وكذلك لنقل بعض جرحى المعركة إليها[3]، وكان الأمر من السهل تحقيقه لأن الجيش الفرنسي لم تكن لدية القوّة الكافية لملاحقة الأمير وجنده، كما أنّ الوقت لم يكن في صالح الجنرال بيجو الذي وجد نفسه بين شقي الرحى، ذلك أن كافة الأقليم كان مع الأمير عبد القادر، ولعل أهم دليل يوضح قوّة الأمير آنذاك أن الفرنسيين لم يشنوا معارك ضده حتى انتهاء عام 1836[4].

---

(1) - A.(Bellemare) : Op.Cit, p 357 .

(2) - Ibid, p 359.

(3) - Ibid, Idem.

(4) - Georges (Rozet) & (Carette) : Algérie, Ed. Firmin Didot frères, Paris, 1850, p290.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لكن في واقع الأمر؛ أن خضوع مدينة ندرومة لسلطة الأمير عبد القادر لم يتم بسهولة نظرا لموقف سكان المدينة الذين كانوا رافضين لأية سلطة دخيلة، وحول هذا الأمر أوضح حمزة بن رحال وهو من أعيان مدينة ندرومة وقاضيها لدى الأمير عبد القادر قائلا[1]: «... بدأ الحاج عبد القادر بن محي الدين مشواره الهام، لكن أحداث مقاومته لم يصل صداها على النحو الذي يرغبه عند أهالي ندرومة الذين أساؤوا النظر إلى مقاومته، فرفضوا الخضوع لإمرته ومبايعته وسارعوا بطلب الحماية من الحكومة المغربية»، ولم تخضع مدينة ندرومة لسلطة الأمير عبد القادر حتى احتجز رهائن من سكانها، وحول هذا الأمر يضيف حمزة بن رحال قائلا: « سار عدد من الندروميين إلى معسكر للتجارة فتّم إلقاء القبض عليهم من طرف جند الأمير ولم يترك سراحهم إلاّ بعد سبعة أو ثمانية أشهر، بعدما خضعت مدينة ندرومة لسلطة الأمير عبد القادر لكن هذا الخضوع كان مصطنعا؛ فحين تمّ إطلاق سراح الرهائن سارع سكان ندرومة للتمرد على حاكم المدينة- البوحميدي- الذي رمي بالحجارة، لكن بقدوم الحاج مصطفى، ممثل الأمير عبد القادر عاد الهدوء إلى مدينة ندرومة، لكنه عانى بدوره من غضب الندروميين الذين رجموه هو كذلك بالحجارة، ومع ذلك استمر حكمه على المدينة إلى غاية 1258هـ/1842، وهو تاريخ دخول الجنرال بيدو إليها...»[2].

إنّ الأحداث التي سردها الحاج حمزة بن رحال عالجت وقائع عايشتها مدينة ندرومة، لكن الأمر الذي يستوقفنا في هذه الرواية هو موقف سكّان المدينة من الحاكميْن اللذان أرسلهما الأمير عبد القادر، وهذا يعدّ تناقضا مع ما سبق طرحه حول فكرة الولاء الندرومي لقيادة الأمير، لكن المتمعن في أسباب موقف سكان ندرومة يدرك أن الأمر لا يتعلق بمسألة الولاء للأمير عبد القادر بقدر ما هو الولاء لعاداتهم وأنظمتهم التي ألفوها، فلا يخفى علينا أن سكان ندرومة عاشوا فترات طويلة في ظل استقلالية تعود إلى عهد العثمانيين، فنظم المدينة وحكمها كان بيدهم وبيد مجلس الجماعة المعين من طرفهم، وأمر تعيين

(1) – Hamza (Ben Rahal): Op.Cit, p 216-217.

(2) Ibid, Idem

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

شخص غريب عنهم أمر لم يألفوه ولم يتقبلوه بعد، حتى وإن كان من طرف الأمير عبد القادر.

3-2-الاحتلال الفرنسي لمدينة ندرومة:

ظلت ندرومة خاضعة لسلطة الأمير عبد القادر حتى مارس 1842، وكان قد تمّ نقض معاهدة التافنة، وتمكّن الجنرال بيجو (Bugeaud) من الاستيلاء على تلمسان في 30 جانفي 1842 وأحاطها من كل الجهات كي يخّل بنفوذ الأمير على القبائل الخاضعة له حديثا حيث أرسل الجنرال بيدو (Bedeau) على رأس فيلق صغير مكون من 8 إلى 10 كتائب قناصة مشاة، وكتيبتين من الزواف، وسرّية من القناصة الأفارقة (الصبايحية) وفرسان الدواير بقيادة مصطفى بن إسماعيل بالإضافة إلى فرقة المدفعية، اتجه جيش الجنرال بيدو صوب إقليم قبيلة الغُسلْ، ثم سار بجانب إسّرْ، بعدها عبر بيدو التافنة عبر معبر سيدي بولمنور، ثم صعد الجيش من سوق العربة وصار قبالة مدينة ندرومة التي خرج أعيانها ممثلو مجلس الجماعة لمقابلة الجنرال بيدو طلبا للأمان[1] الذي قبله بيدو بشرط أن يسلمه مجلس الجماعة 06 رهائن من المدينة[2].

استقر الجيش الفرنسي حول ندرومة في وضعية جد ممتازة تمكّنه التحرك بفاعلية في كامل منطقة طرارة، خاصة وأنّ الأمير عبد القادر قد لجأ إلى المغرب الأقصى طالبا المساعدة والدعم من السلطان المغربي، وكذا قصد استجماع قوّته للعودة للقتال، وقد عاد الأمير عبد القادر في العام الموالي 1843، محاولا فتح مدينة ندرومة من جديد لمّا علم أن الجنرال بيدو قد تركها تحت حراسة حامية صغيرة، لكن مسعى الأمير عبد القادر باء بالفشل ذلك أنّه التقى بالجيش الفرنسي القادم من تلمسان عند ممر باب تازة بتاريخ 29

---

(1)- Pélissier (de Reynaud) : Op.Cit, p14.

(2) - تمّ اقتياد 06 رهائن من ندرومة و06 آخرين من بني مسهل، ماعدا قبيلة بني منير التي لم تسلم رهائن للقائد بيدو؛ ذلك أن شيخ قبيلتها كان قد استسلم في وهران، وقد كلف مصطفى بن إسماعيل شيخ قبيلة الدواير ومرافق الجيش الفرنسي باختيار الرهائن.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أفريل1843، لم يتمكن خلالها جيش الأمير عبد القادر من الصمود وانهزم وتفرّق، ومنذ ذلك الوقت صارت مدينة ندرومة خاضعة للسيطرة الفرنسية[1].

في الحقيقة؛ أن معظم القبائل المجاورة لندرومة قد تحالفت يومها مع الأمير عبد القادر ما عدا سكان ندرومة الذين رفضوا فتح أبواب المدينة أمام جيوش الأمير عبد القادر، ليس لتآمرهم مع الفرنسيين ولكن نظرا لوضع المدينة في ذلك الوقت؛ فقد كانت مركزا للمواجهات بين الأمير عبد القادر والجيش الفرنسي وقد سعى كلا الطرفين لجعلها قاعدة عسكرية له وبخاصة الفرنسيين الذين استولوا عليها سنة 1842، وأرادوا تثبيت سلطتهم عليها؛ فأثناء معركة الأمير عبد القادر وبيدو عند ممر باب تازة يوم 29 أفريل 1843 كانت مدينة ندرومة محاصرة من قبل ثلاث فيالق عسكرية فرنسية، وهي: فيلق دي منتنياك (De Montagnac) في سيدي ابراهيم، فيلق غربال (Guerbal) قرب المدينة، وفيلق دي بارال (De Barral) في بني ورسوس[2]، وعلى الرغم من الحياد الذي انتهجه سكان مدينة ندرومة أمام الأمير عبد القادر والجيش الفرنسي، غير أنها سرعان ما أثبتت ولائها لسلطة الأمير عبد القادر؛ حيث شارك قائد ندرومة محمد النقاش رفقة عدد من سكان المدينة مع الأمير عبد القادر في معركة سيدي إبراهيم في سبتمبر 1845، التي انتصر فيها أمام الفرنسيين وقتل فيها قائدهم دي منتانياك [3]، وكان هذا آخر انتصار للأمير عبد القادر في منطقة طرارة لأنّ الإدارة الفرنسية زادت من قواتها وانتشارها في تلك المناطق وزادت من مراكزها العسكرية، وكان أهمها آنذاك مركز نمور (الغزوات) الذي صارت ندرومة تابعة له.

---

(1) - Pélissier (de Reynaud) : Op.Cit, p 16-17.

(2) - Camille (Rousset) : la Conquête de l'Algérie 1841-1847, Paris, 1904, p58.

(3) - Paul (Azan) : Sidi- Brahim, Ed. Ch. Lavauselle, Paris, 1905, p45.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

3-3- الإدارة الفرنسية في مدينة ندرومة:

3-3-1- إدارة مدينة ندرومة قبيل السيطرة الفرنسية (مجلس الجماعة) :

في الواقع، لم ترد أخبار كثيرة عن مدينة ندرومة قبل الاحتلال الفرنسي ما عدا ما كتبه الحاج حمزة بن رحال قاضي وإمام مدينة ندرومة سنة 1847 تحت عنوان تاريخ ندرومة الذي ترجمه نجله محمد بن رحال إلى الفرنسية سنة 1888، يضاف إلى ذلك بعض المعلومات التي سجلتها لجان التحقيق التي أعدتها السلطة الفرنسية لتطبيق مرسوم السيناتوس كونسلت (Sénatus Consulte) سنة 1863 الخاص بالعقار، فقد ورد في أحد نصوصه [1]:«....كانت مدينة ندرومة الصغيرة قبل السيطرة الفرنسية شبيهة في نمط حكمها إلى النمط البلدي، الذي جسّد في مجلس الجماعة الذي يسهر على الأمن الداخلي للمدينة، وهو الذي يحدد قيمة الرسوم والضرائب التي يدفعها كل فرد، وكذلك أجور بعض العمال الموظفين في المدينة، بالإضافة إلى تحديد قيمة النفقات التي تدفع في الأعمال ذات الصالح العام، كما تؤجر الجماعة الأراضي في المزاد العلني، وكذا أراضي الحبوس التي توّجه مردودها لإصلاح وترميم المدينة وتقوية دفاعاتها...».

يتألف مجلس الجماعة من أعيان مدينة ندرومة يرأسهم قائد يعين من طرفهم بالإجماع و يحظى بالسلطة التنفيذية، ويقود قوة عسكرية قوامها (60) فارس، و(500) جندي مشاة (سنة 1835)[2] ، ومدة توليه المنصب غير محددة، فباستطاعته البقاء فيه مدى الحياة، وفي أغلب الأحيان يتمتع رئيس الجماعة باحترام سكان المدينة؛ باعتبار أن معظم هؤلاء القواد أئمة وقضاة فإلى جانب دورهم الإداري يمثلون الجانب الروحي والأخلاقي، ومع ذلك تضمن الجماعة تناوب العائلات النافذة في المدينة على منصب رئاسة

---

(1)- Rapport historique sur la tribu de Nedroma, AOM, Aix en Provence, Carton N° 2N/67.

(2)- Ibid.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الجماعة، ومن العائلات التي ترأست مجلس الجماعة في ندرومة؛ نذكر عائلة الغماري، وعائلة بن رحال بقيادة حمزة بن رحال صهر الغماري، وكذلك عائلة النقاش.

كما يشرف قائد الجماعة الذي يعرف كذلك بـ: قائد الدار أو "الأمين"، على تعيين أمناء آخرين يتولون مختلف شؤون ومصالح المدينة على اختلاف اهتماماتها، على غرار المدن الجزائرية الأخرى [1].

يعنى "قائد الدار" بإدارة المدينة، وهو مسؤول عن القضاء والشرطة ويخضع الأمناء لأوامره، كما يعتبر المنسق والمنظم لشؤون المدينة وذلك بتوزيع المهام والأدوار على مستحقيها [2]، كما أن مسألة تعيين أعضاء الجماعة، وتطبيق الأحكام وتسيير شؤون القبيلة؛ هو أمر مقتصر على سكان المدينة لا غير[3].

أما بالنسبة لمعاونيه الأمناء، فلكل واحد اختصاصه، فهناك أمين الدباغين، وأمين الخياطين، وأمين النحاسين، وأمين الحدادين وأمين الصباغين، ومهمتهم الأولى السهر على مراقبة جودة ونوعية الإنتاج ومحاربة الغش والفساد، وفض النزاعات ما بين التجار والصناعيين، والسهر على أمن أهل المدينة وجباية الضرائب، وتمويل المشاريع الخيرية، وكراء الأراضي واستصلاحها، وكان آخر من تولى هذا المنصب قبل الاحتلال الفرنسي لمدينة ندرومة الحاج محمد النقاش.

ظلت مدينة ندرومة خاضعة لنظام الجماعة الذي بقي ساري المفعول حتى بعد الاحتلال الفرنسي لها، وهذا ما أكسبها بعض الاستقلالية لفترات امتدت إلى سنة 1870 وهو تاريخ إعلان الحكم المدني ونهاية الحكم العسكري، ذلك أن تبديل الحكم العسكري بالنظام

---

(1) - E. (Panty) : "Villes Spontanée et villes crées en Islam", In Annale de l'Institut d'études Orientales, T9, Année 1951, p7.

(2) - Pascale (le Pautremat) : la politique Musulmane de la France au 20eme siècles, Maisonneuve & larose, Paris, 2003, p242-243.

(3) - Ibid, p 243.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المدني أحدث تعديلات في مجالس الجماعة وشيوخ الدوائر وظهر ما يعرف بالمعاون الأهلي (L'adjoint indigène) أو القائد (Caïd) باللغة المحلية، عندها تراجعت سلطة قائد ندرومة الذي صار يخضع مباشرة للإدارة الفرنسية، التي سرعان ما أرسلت حاكم فرنسي إلى ندرومة بعدما صارت بلدية مختلطة عام 1880.

لكن في واقع الأمر؛ أن السلطة الفرنسية بدأت تتدخل في صلاحيات مجلس الجماعة في المدن والقرى والقبائل قبل إعلان الحكم المدني، وقد اتضح ذلك بعد سن مرسومي 23 ماي 1863 (المادة الرابعة)[1]، و20 ماي 1868 [2] اللذان يمنحان الحق للإدارة الفرنسية في التدخل في سلطة واختصاص مجلس الجماعة، ومنها تعيين أعضاء مجلس الجماعة وإلزام قائد الجماعة بإعداد سجلات للحالة المدنية، ومن أمثلة ذلك ما حدث لجماعة ندرومة عندما أزاحت السلطة الفرنسية القائد الحاج محمد النقاش وعينت بدله الحاج الأحسن النير وهو من خارج المدينة ، من قبيلة بني منير، وهذا لم يكن من أعراف ونظم مجلس الجماعة الذي لا يقبل الدخلاء .

ومنذ ذلك الوقت؛ صار أمر تعيين أعضاء مجلس الجماعة من صلاحيات الإدارة الفرنسية الممثلة في شخص حاكم العمالة، ثم صدر قانون 05 أفريل 1884، الذي جعل الدواوير والفروع البلدية أنماط إدارية جديدة على حساب مجلس الجماعة في البلديات الكاملة الصلاحيات التي أنشئت فيها لجان نقابية مهمتها إيقاف النزاعات بين الدواوير والبلديات، في حين بقي نظام الجماعة معمولا به ومتبعا في البلديات المختلطة كحال بلدية ندرومة المختلطة التي لم يطبق بها هذا القانون حتى ذلك الوقت على الأقل، غير أن قائد الجماعة في بلدية ندرومة أو غيرها من البلديات المختلطة الأخرى في بقية القطر الجزائري لم يكن بإمكانه الترشح لنيل منصب في المجلس البلدي وفق القانون المذكور أعلاه-05أفريل 1884-، وحتى وإن قُبِل في المجلس البلدي ليس له الحق في التدخل إلا في القضايا التي

---

(1) - Bulletin Officiel : N°87, 1863, p 247-248.

(2) - Hubert (Michel) : "Les nouvelles Institutions Communales Algériennes", In Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée, Vol 5, N°5,1968, p95.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تهم الأهالي داخل البلدية دون الأوربيين[1]، ولم يحقق بذلك أدنى الأهداف التي سعى إليها لخدمة أهله والدفاع عن حقوقهم، رغم أن نسبة الأهالي في البلديات المختلطة تفوق نسبة الأوروبيين، فصارت بذلك وظيفة القائد ممثل الجماعة لا فائدة ترجى منها لصالح الأهالي ما دامت كل السلطات مركزة في يد المستوطنين والإدارة الفرنسية.

3-3-2-النظام الإداري الفرنسي في مدينة ندرومة:

يمكننا القول أن التاريخ الإداري الفرنسي بمدينة ندرومة قد مرّ على غرار عدة مناطق في الجزائر بأربعة مراحل[2]:

1- **المرحلة الأولى:** مرحلة التوسع وإخضاع القبائل، وكذا إقامة الحاميات العسكرية، قرب ندرومة، وهذا ما برز طيلة الفترة الممتدة ما بين (1842-1845)؛

2- **المرحلة الثانية:** تأسيس مكتب عربي في الغزوات (نمور) عام 1846، والذي ألحقت به مدينة ندرومة إلى غاية 1 أكتوبر 1880؛

3- **المرحلة الثالثة:** في الفترة ما بين 1863-1881؛ تمّ تعيين مفتش إداري يشرف على الإدارة المدنية لبعض الأوروبيين الذين استقروا بندرومة أو بالقرب منها والواقع أنّه نظام مؤقت، ومرحلة انتقالية من الإدارة العسكرية إلى إقامة النظام البلدي، وقد ظلت ندرومة ملحقة بنمور(الغزوات) من 1869إلى 1880، خلال هذه الفترة تمّ تأسيس بلدية نمور المختلطة وفق القرار الصادر بتاريخ 30 ديسمبر1875؛

4- **المرحلة الرابعة:** تأسيس بلدية ندرومة المختلطة بمقتضى قرار 25 أوت1880، ومنذ ذلك التاريخ خضعت مدينة ندرومة للحكم المباشر الفرنسي بقدوم حاكم فرنسي إليها بعدما كانت خاضعة لحكم غير مباشر طيلة الفترة ما بين 1842-1880 بتبعيتها للمكتب

---

(1)- Fernand (Cecile) et F. (Montégut) : Les Adjoints indigènes des communes de pleins exercices et des communes mixtes des territoire civile de l'Algérie, 1913, p112-113.

(2)- Francis (Llabador) :Nemours (Djemaa- Ghazaouat), Imp. La Typo-Litho, Alger, 1948, p 350.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

العربي ودائرتي نمور ومغنية، جعلها تتمتع باستقلالية تكاد تكون شبه تامة، فالسلطة بيد مجلس الجماعة من أعيان المدينة، ما عدا حكام المدينة من القياد و الأغاوات الذين صاروا يعينون من قبل السلطة الفرنسية ويخضعون لقراراتها وتوجيهاتها؛

3-3-2-1- مدينة ندرومة والمركز العسكري بنمور (الغزوات):

بعد الاحتلال الفرنسي لمدينة ندرومة عام 1842؛ ظلت هذه الأخيرة تتمتع باستقلالية خاصة نظرا لانشغال الإدارة الفرنسية بمحاربة الأمير عبد القادر، وكذلك عدم وجود حامية عسكرية فرنسية قريبة أو مقيمة بندرومة تفرض سيطرتها التامة عليها، حتى سنة 1845؛ حين احتلت الإدارة الفرنسية مدينة الغزوات.

هذا ما جعل الإدارة الفرنسية تسرع في وضع يدها على نقاط إستراتيجية قريبة من سلسلة طرارة، فوقع الاختيار على مدينة الغزوات – التي صارت تعرف بنمور[1] - وهي منطقة ساحلية صغيرة المساحة ولم يزد عدد سكانها عام 1845 عن 216 نسمة، غير أنّها شكلت أهمية كبيرة للفرنسيين؛ ذلك أنّها تتميز بشريط ساحلي مفتوح يضمن التموين العسكري خاصة لقربه من شواطئ وهران، وكذا أهميته الاقتصادية بالنظر للحركة التجارية النشطة، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية قرب الغزوات من المغرب الأقصى وبخاصة مدينة وجدة المغربية التي بدأت الإدارة الفرنسية وعلى رأسها الجنرال بيجو (Bugeaud) بالتفكير الجدي للسيطرة عليها[2]. لذلك كانت الغزوات مركزا تتوفر فيه كل الشروط والامتيازات التي تحقق السيطرة الفرنسية على تلك الربوع، وقد استقرت حامية عسكرية على ساحل الغزوات بتاريخ 02 سبتمبر 1844 الذي اختير من طرف الجنرال لامورسيار (Lamoricière) لتكون قاعدة تموين للجيوش المتواجدة على الحدود المغربية، وقد بدأت

---

(1) - صدر أمر ملكي بتاريخ 24 ديسمبر 1846، بتغيير اسم مدينة الغزوات إلى نمور Nemours ، وهو اسم الابن الثاني لملك فرنسا لويس فيليب، ينظر Francis (Llabador) :Op.Cit, p391.

(2) - Bouchera (Benbella) : Oujda au miroir des voyageurs Français; fin 19eme- 20eme siècles, Imprimerie Cheams, 2003, p10.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أعمال تأسيس مركز عسكري بالغزوات بتاريخ 14 سبتمبر 1844 وأوكلت قيادته للكولونيل دي منتنياك [1].

سرعان ما صارت الغزوات المركز الإداري لكل منطقة طرارة ، حيث ضمت قبائل بني مسهل، بني منير، ندرومة، جبالة، العشاش، السواحلية ومسيردا، ويشرف على هذه القبائل قياد معينون من قبل السلطة الفرنسية يخضعون مباشرة إلى حاكم الغزوات. وقد تمّ تعيين القائد سي عمار بن يعقوب على قبيلة بني مسهل، والحاج لحسن قائدا على قبيلة بني منير، وكان قد اختاره الجنرال بيدو في أفريل 1843، كما تمّ تعيين الحاج محمد النقاش على ندرومة[2]، لكنه سرعان ما عزل من منصبه بعد معركة سيدي إبراهيم التي شارك فيها رفقة سكان ندرومة إلى جانب الأمير عبد القادر، وانتهت بفشل الجيش الفرنسي، ومقتل قائده حاكم الغزوات الجنرال دي منتنياك، وقد ذكر سي محمد بن رحال في تقرير قدمه إلى وزارة الحربية بتاريخ 27 ديسمبر 1904 [3]:« توفي القائد النقاش بندرومة منذ حوالي 30 سنة عن عمر متقدم، وفي حال ضيق، وكان قد عزل من منصبه بعد قضية سيدي إبراهيم، واستبدل بالحاج الأحسن النير قائد بني منير، الذي صار فيما بعد أغا ندرومة وطرارة إلى أن توفي عام 1858 بعد حملة ضد بني سناسن... ».

صدر قرار بتاريخ 24 ديسمبر1846 بتأسيس دائرة الغزوات (نمور) على مساحة تقدر بـ:11هكتار، و75 آر تشكّل المنطقة الإدارية للمدينة[4]، وكانت بذلك أصغر البلديات على الإطلاق على مستوى الجزائر[5] ومنذ ذلك الوقت صارت ندرومة ملحقة بهذه الدائرة وكان يشرف عليها آنذاك الحاج الأحسن النير.

---

(1) - Bernard (De Montagnac) *:* Lettres d'un soldat, Plon, Paris, 1885, p393.

(2) - Paul (Azan) : Sidi Brahim...,Op.Cit, p354.

(3) - Ibid., Idem.

(4) - Bulletin officiel des actes du Gouvernement, N°247, p 247

(5) - Emile (Janier) :"Nemours et sa région", In BSGAO, T3.4,1949-1950, p18.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

3-3-2-2- تأسيس المكتب العربي بنمور :

تبدأ هذه المرحلة عام 1846 حين أنشأت الإدارة الفرنسية المكتب العربي بنمور، الذي كلف بإدارة نمور ونواحيها من قبائل ودواوير ومنها دوار ومدينة ندرومة التي ظل قائدها يتلقى الأوامر والتوجيهات من المكتب العربي بتلمسان إلى أن أسس المكتب العربي بنمور[1].

والمقصود بالمكتب العربي هو جعل كل أمور الأقاليم في يد السلطة العسكرية التي تتبع حكما مباشرا ولكن عن طريق صنفين من المكاتب وهما: المكتب العربي من الدرجة الأولى يوجد في المراكز الكبرى وتصدر القرارات فيه وتطبق مباشرة من طرف المسؤول الفرنسي عن المكتب ومكتب من الدرجة الثانية، وينتشر هذا النوع في مختلف الدوائر les Cercles[2]، وفي هذه الحالة يعتمد مسؤول المكتب في تنفيذ قراراته على وسيط يتمثل في موظف أهلي هو الأغا أو الخليفة حسب ظروف كل منطقة، بالإضافة إلى قاضي أهلي يهتم بالقضايا المدنية[3].

لكن وظيفة ضباط ومدراء المكاتب العربية لا تقف فقط عند ما سبق ذكره فمسؤولياتهم كثيرة ومتنوعة؛ منها اهتمامهم بالشؤون العربية، كحضور جلسات الشكاوي والمظالم، متابعة ومراقبة القضاء الإسلامي، السهر على أمن المنطقة، تنفيذ العقوبات الحالة المدنية، الإشراف على التجمعات والمناسبات الدينية، الاهتمام بالزراعة، الضرائب، التعويضات

---

(1) - Ch-R (Agéron) : "Si M'hammed Ben Rahal une Conscience inquiète dans une Algérie en Mutation",in Les Africains, t8, Jeune Africain, 1977, p322.

(2) - Albert (Ringel) : Les Bureaux Arabes de Bugeaud, et les Cercles Militaires de Gallieni, thèse de Doctorat, Emile Larose ,Paris, 1903, p31.

(3) - Ibid, p 24-25

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والمساهمات الحربية، تعيين وعزل القادة الأهالي، الاستعلامات، بالإضافة إلى قمع الثورات[1].

وبذلك كانت المكاتب العربية المساهم الفعّال في بناء الأرضية لاستقرار الكولون وإنعاش التجارة الأوروبية، وكذلك تحفيز الأوروبيين على الهجرة إلى الجزائر.

أمّا بالنسبة للهيئة الإدارية للمكتب العربي فتتألف من[2]:

1- مدير يكون في الأغلب برتبة نقيب Capitaine؛
2- مساعد برتبة ملازم أول Adjoint lieutenant، أو ملازم sous-lieutenant؛
3- قاضي ومعاونون؛
4- مترجم؛
5- سكرتير من الأهالي (خوجة)؛
6- سكرتير عسكري برتبة ضابط صف sous- officier، أو جندي؛
7- شاوش؛
8- عدد من فرقة الصبايحية النظامية، وفرقة احتياطية من القوم Goums
9- طبيب عسكري؛

ويعتبر المكتب العربي بنمور مكتب من الدرجة الثانية على غرار عامة الدوائر (les Cercles)، وقد ظل المكتب العربي بنمور ينشط إلى غاية 01 أكتوبر 1880 أين صار هذا الملحق خاضع ونهائيا للحكم المدني.

في الواقع؛ قد تمّ إلغاء دائرة نمور (cercle de Nemours)، وفق قرار صادر بتاريخ 24 نوفمبر 1873، وعوّض بملحق تابع لدائرة لالة مغنية، خاصة وأنّه صار بإمكان

---

(1)- Georges (Yver) : "Méthodes et institutions de colonisation; Bureaux Arabes" les In Annales, Economies, Sociétés, Civilisations, Vol 10, N°4, 1955, pp 569-574.

(2)- Albert (Ringel) : Op.Cit, p 45-46

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

إدارة هاتين المنطقتين الحدوديتين من طرف مسؤول واحد، وهذا بعد استتباب الأمن في المنطقة.

وطيلة الفترة الممتدة بين 1846-1880 كانت مدينة ندرومة تابعة إداريا لدائرة نمور وبعدها إلى دائرة لالة مغنية ابتداء من سنة 1873، وقد أشرفت الدائرتان على سير الأمور السياسية والاقتصادية والاجتماعية وساعدهما في ذلك ممثل السلطة الفرنسية قائد المدينة ومجلس الجماعة، إلى أن تمّ تأسيس بلدية ندرومة المختلطة عام 1880.

وقد تولّى قيادة مدينة ندرومة خلال الفترة الممتدة ما بين 1843-1880 القياد الآتية أسماؤهم:

1- القائد الحاج محمد النقاش الذي عينه الجنرال بيدو على ندرومة عام 1843، وظل في منصبه إلى سبتمبر 1845؛

2- القائد الأحسن النير من قبيلة بني منير الذي نصّب أغا على ندرومة وطرارة، إلى وفاته عام 1858 في معركة ضد قبيلة بني سناسن المغربية؛

3- القائد الحاج محمد بوزيان الغماري، الذي تولى قيادة المدينة بين 1858-1860؛

4- الأغا الحاج حمزة بن رحال صهر الحاج الغماري، قاضي وإمام مدينة ندرومة، وقد حكم المدينة من 1860 إلى غاية عام 1878 حين استقال من منصبه لتراجع رتبته وصلاحياته من أغا إلى قائد بعد إعلان الحكم المدني ؛

5- الحاج سي محمد بن رحال نجل الحاج حمزة بن رحال، الذي عين قائدا على ندرومة إلى غاية 1884؛

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

3-3-2-3-: تأسيس بلدية نمور المختلطة:

عندما تمّ إلغاء بلدية تلمسان المختلطة بعد صدور قرار 13 نوفمبر1875؛ خضعت المنطقة الحدودية لتغييرات هي الأخرى؛ فقد تمّ تأسيس بلدية نمور المختلطة بقرار 30 ديسمبر 1875[1]، والذي نص على بندين جاء فيهما:

- **البند الأول:** تؤلف الدواوير البلدية الخمس بندرومة؛ وهي بني منير، بني مسهل، سواحلية، زاوية الميرة ، بالإضافة إلى إحدى عشر قبيلة وهي: جبالة، مسيردا، عشاش، أولاد عطية، بني منقون التحتى، أولاد ددوش، بني ورسوس، نصف عشور، أبغاني، بني عبد، وولهاصة الغرابة؛ بلدية مختلطة مركزها نمور، تحمل هذه البلدية اسم مركز قيادتها – نمور- ، وتدار من طرف قائد الملحق يساعده في ذلك مساعد أول(مساعد قائد الملحق) بالإضافة إلى لجنة مكونة من 18 عضو، منهم 16 مساعد أهلي، و2 من الأعيان الفرنسيين أو الأوروبيين في البلدية المختلطة، وقد زاد أعضاء لجنة بلدية نمور المختلطة بانضمام مساعد فرنسي يمثل قسم ندرومة[2].
- **البند الثاني:** يكلف الجنرال قائد مقاطعة وهران بتنفيذ وتطبيق هذا القرار، كما تبقى بلدية نمور المختلطة الجديدة خاضعة للسلطة العسكرية.

ووفق قرار 25 أوت 1880؛ صار قسم كبير من بلدية نمور مقاطعة مدنية، وفي 01 أكتوبر 1880 تبعا لقرار صادر بتاريخ 27 سبتمبر من نفس السنة؛ تمّ إلغاء ملحق وبلدية نمور المختلطة[3]، وأسست بلدية نمور كاملة الصلاحيات وانفصلت عنها ندرومة ونواحيها نهائيا، لتظهر بلدية ندرومة المختلطة[4].

---

(1)- Bulletin officiel du Gouvernement Général de l'Algérie : N°637, 1876, p34-35.

(2)- Ibid, N°641, 1876, p 89.

(3)- Ibid, N°805, 1880, p624.

(4)- Ibid , Idem.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

3-3-2-4- تأسيس بلدية ندرومة المختلطة:

أسست بلدية ندرومة المختلطة تبعا لقرار صادر من قبل الحاكم العام بتاريخ 25 أوت 1880 نص على[1]:

- **البند الأول:** بداية من 01 أكتوبر 1880، تنفصل المناطق الأتي ذكرها نهائيا عن بلدية نمور المختلطة وهي:
- مدينة ودوار ندرومة؛
- دوار بني منيـر: وهو على شكل مثلث قاعدته البحر الأبيض المتوسط، وقمته ندرومة، ويضم جبل سيدنا يوشع (سيدنا عيسى)، وجبل آخر يحمل اسم بني منير، يحد بني منير من الشمال البحر، ومن الشرق بني خلاد، ومن الجنوب بني مسهل، والعشاب بندرومة، ومن الغرب مسيردا، وتتألف قبيلة بني منير من 17 قرية من أهمها: أولاد خليفة بلخافر، دار اللوح، سيدي بوزيان، دار الجديد، أولاد بوزين وتاونت [2]؛
- دوار السواحلية التحتى: ويتألف من فرعين منفصلين شمال وجنوب مقاطعة نمور (الغزوات)، يحد هذا الدوار من الشمال الشرقي ومن الجنوب الشرقي السواحلية الفواقا، ومن الغرب الحدود المغربية ومركز الغزوات[3]؛
- دوار السواحلية الفواقا: يحده من الشمال البحر الأبيض المتوسط، ومركز نمور ومجموعتين من السواحلية التحتى، ومن الشرق السواحلية التحتى، ومن الجنوب جبالة وزاوية الميرة، ومن الغرب مسيردا [4]؛
- زاويـة الميـرة: قرب الغزوات؛

---

(1)- Bulletin officiel ..., Op.Cit, 1880, p 526.

(2)- J.(Canal) : " Nedroma et le pays des Trara Tribu des Béni -Menir", In BSGAO, T8, p 298.

(3)- Bulletin officiel ..., Vol.7, Op.Cit,1868, p1859.

(4)- Ibid, Idem, p1058.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

- جبـالة؛ وتعرف بجبالة عين طُلبة، تتموضع هذه القبيلة على إقليم جبلي، كانت ملحقة ببلدية نمور المختلطة، ثم صارت تابعة لبلدية ندرومة المختلطة بتاريخ 01 أكتوبر 1880. يحد جبالة من الشمال سواحلية وزاوية الميرة، ومن الجنوب المعازيز ومن الشرق ندرومة وزمارة، ومن الغرب مسيردا التحتا والعشاش[1]؛

- بنـي خالـد: أو بني خلاد؛ تسكن هذه القبيلة الجبال المرتفعة الممتدة بين ميناء هنين وجبل طرارة المعروف باسم جبل بني خالد، كما يعرف بجبل تاجرا، أو جبل سيدي بورياح. يحد قبيلة بني خالد من الشمال البحر، ومن الغرب بني منير، ومن الجنوب أولاد ددوش وبني ورسوس، ومن الشرق ولهاصة؛

- بنـي مسـهل: تتموضع هذه القبيلة على جبل فلاوسن ومثيله في عين الكبيرة، يحدها من الجنوب أولاد رياح، ومن الغرب عشاب ندرومة، ومن الشمال بني منير ومن الشرق أولاد ددوش، وتتألف من 10 قرى هي: أولاد فاضل، أولاد سيدي بن عُمار دار الزاوية، عين الكبيرة، سيدي الحاج بن عبد الله، زرادّة، سومارية، أولاد سيدي بوزيف، أولاد يعقوب، مطغرة؛

تشكل هذه المناطق الثمانية بلدية مختلطة مركزها مدينة ندرومة والتي ستسمى باسمها.

- **البند الثاني:** تتألف لجنة بلدية ندرومة من 14 عضوا، وهم: المدير، وفي حالة غيابه أو لظروف استثنائية ينوب عنه معاون إداري، يضاف إليهما: معاون فرنسي، 04 أعضاء فرنسيين، 08 أعضاء أهالي جلهم معاونون في الأقسام المخصصة لهم.

وفيما يلي مخطط لبلدية ندرومة المختلطة عام 1885[2]:

---

(1)- J. (Canal) : " Nedroma et le pays des Trara tribu des Djebala" , In BSGAO, T8, p166.

(2)- Commune Mixte de Nedroma en 1885, AOM , Aix en Provence, Carton N° 8H/36/42.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

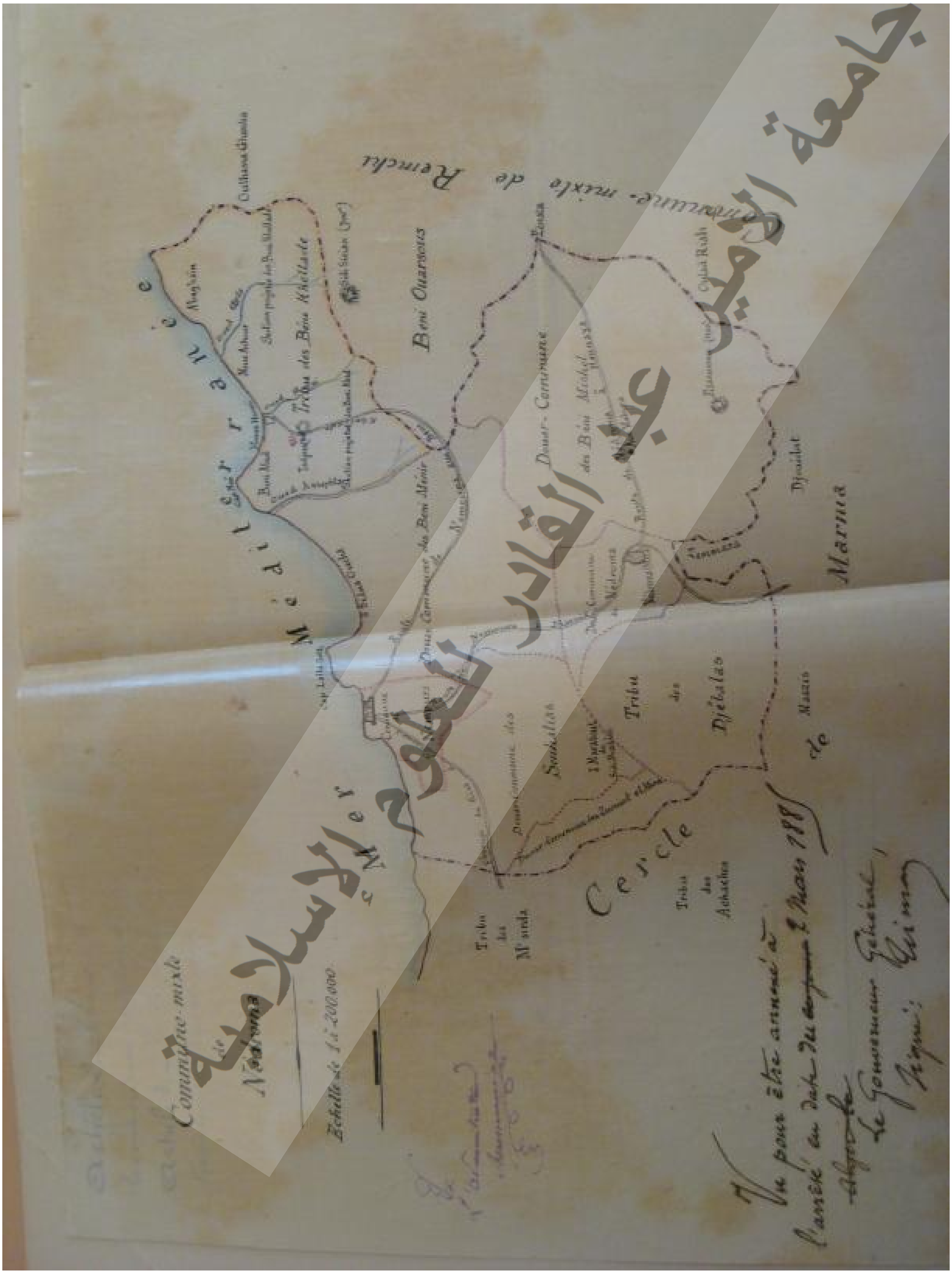

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وحسب إحصائيات 1886؛ بلغت مساحة بلدية ندرومة المختلطة (63.588) هكتار، موزعة على الشكل التالي[1]:

المناطق	المساحة بالهكتار
بلديـة ندرومة المختلطة	
- زاوية الميرة	1.322
- جبـالة	11.502
- بني خـلاد	7.254
- بني مسـهل	20.713
- { بني منير /بني عابد }	12.650
- سواحليـة	7.991
- {ندرومة (المدينة)/ ندرومة (الدوار)	2.156
	المجموع: 63.588

(1) - J.(Canal) : "Nedroma et le pays des Trara ; superficie, population ", Op.Cit, T8, p 80.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

3-4-الاستيطان ومصادرة الأراضي في مدينة ندرومة ونواحيها:

3-4-1-الإدارة الفرنسية وسياسة الاستيطان:

شهدت أوروبا العصر الحديث، نموا ديمغرافيا كبيرا، خلق موجة هجرة واسعة النطاق نحو أقاليم ما وراء البحار، وقد كانت بريطانيا متصدرة حركات الهجرة، نحو العالم الجديد، في حين كانت فرنسا تعد الوحيدة بين جاراتها الأوروبيات التي ظلت تشكو من قلة عدد سكانها، ومع ذلك برزت كأقوى الدول الأوروبية المشجعة لحركة الاستيطان في المستعمرات، والجزائر كغيرها من الأقاليم الاستعمارية كانت فضاءً استقطب منذ الأيام الأولى للاحتلال أعدادا كثيرة من الفرنسيين والأوروبيين ، ومرد ذلك موقع الجزائر الجغرافي القريب من السواحل الجنوبية الأوروبية كالإسبانية والإيطالية، وكذلك مناخ الجزائر المتوسطي وتضاريسها القريبة لمثيلاتها جنوب أوروبا [1].

مع ذلك لا يجب إغفال الدور الفرنسي في تشجيع الاستيطان في الجزائر سعيا لتحقيق السيطرة على الجزائر، وتغليب العنصر الأوروبي على حساب العنصر المحلي، وقد اتضح ذلك منذ بداية الاحتلال عام 1830، وقد جاء في تقرير لجنة تحقيق أعدتها السلطة الفرنسية سنة 1833 ما يلي:« ...في الوقت الذي يسعى فيه الجيش لإخضاع العرب، يتوجب على الكولون وضع أيديهم على الأراضي التي تركها العدو، وبذلك نملئ الفراغ الذي خلفته الحرب»[2].

وقد اتضح هذا على أرضية الواقع؛ ففي الوقت الذي انشغلت فيه السلطة الفرنسية بمواجهة مقاومة الأمير عبد القادر، كانت تعمل في الوقت ذاته على تعزيز الاستيطان الأوروبي في المدن والأقاليم التي استولت عليها كالجزائر العاصمة وقسنطينة ووهران، في وقت جد قصير، وقد استقطبت مدن الغرب الجزائري أعداد كثيرة من المهاجرين وبخاصة

---

(1)- Kamel (Kateb) : Européens, Indigènes, et Juifs en Algérie (1830-1962), Ed. INED, 2001, p 25.

(2)- Journal officiel de la Colonie : N° 408 du 24 Nov 1840, Alger.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الأسبان الذين فضلوا الاستقرار في مدينة وهران نظرا لمعرفتهم للمدينة ونواحيها و التي تزيد عن قرنين من الزمان، وقد عرفت الفترة ما بين 1847 إلى1868، استقرارا أوروبيا في مدينة وهران دون غيرها من المدن[1].

اعتبرت السلطة الفرنسية الاستيطان الأوروبي في الجزائر حق مشروع لتطوير ونقل الحضارة الأوروبية إليها، فقد جاء على لسان الدكتور فارنييه (Dr Warnier) ، والاقتصادي جول دوفال (Jules Duval) :« الاستيطان؛ ظاهرة تاريخية لا يمكن مقاومتها فهي حق طبيعي كحق النضال من أجل الحياة، لذلك وجب العمل على إزالة الأعراق الدنيا وتغليب الأعراق السامية، كما حدث في أمريكا الشمالية وأستراليا...»[2].

بدأ التوافد الأوروبي على الجزائر منذ السنوات الأولى 1834-1835، وبلغ عددهم سنة 1836؛ (5500) فرنسي، و(9000) أوروبي أجنبي، كان هذا بتحفيز من السلطة الفرنسية ومن الجنرال بيجو (Bugeaud) الذي حاول تنظيم وإقامة مستوطنات زراعية، ومنح المهاجرين قطع أراضي تتراوح مساحتها بين (04) إلى (12) هكتار، وسرعان ما بلغ عدد هذه القرى الاستيطانية (116) قرية سنة 1847، تشغل حيّز (105.000) هكتار من الأراضي الزراعية، في الوقت الذي تضاعف فيه عدد الكولون الذين بلغ عددهم (15000) نسمة[3].

أن سياسة الاستيطان التي انتهجتها السلطة الفرنسية ألزمتها بتوفير كل ضروريات الحياة والاستقرار للمهاجرين الفرنسيين والأوروبيين، وكان أهمها السكن والأرض هذه الأخيرة لم يكن بالسهولة بمكان الاستحواذ عليها خاصة وأن السلطة الفرنسية لم تحقق سيطرتها إلاّ

---

(1)- Kamel (Kateb) : Op.Cit, p 29.

(2)- Alain (Saussol) & Joseph (Zitomerski): " Une Colonie de Peuplement mais des Européens très minoritaires", In. Les actes du Colloque Colonies, territoires, sociétés ; l'enjeu Français, Ed. L'Harmattan, 1996, pp167-180.

(3)- عبد المالك (خلف التميمي): "الإستيطان الأجنبي في الوطن العربي؛ دراسة تاريخية مقارنة"، **عالم المعرفة**، ع71، نوفمبر 1983، ص 20.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

على جزء يسير من القطر الجزائري، جلّه كان على الشريط الساحلي فقط، زد على ذلك ، أن معظم الأراضي هي أملاك للقبائل الجزائرية المنتشرة هنا وهناك. لذلك بادرت الإدارة الفرنسية بسن سلسلة من التشريعات والمراسيم القانونية لنقل ملكية أراضي القبائل إليها؛ لكن هذا لم يكن بالأمر السهل واليسير ذلك أن نظام الملكية المعروف لدى القبائل هو الملكية الجماعية وهذا يتعارض مع نمط الملكية لدى الفرنسيين وهو الملكية الفردية، مع ذلك لم تكف السلطة الفرنسية عن مسعاها لمصادرة أراضي الجزائريين وكانت البداية سنة 1844 بمصادرة الأملاك الوقفية التي تمثل 20% من الأراضي الجزائرية والتي تعد المورد الرئيسي للمساجد والمراكز الثقافية والتعليمية، وكذلك مصدر رزق عابري السبيل والمعوزين والفقراء[1].

ولم تكتف السلطة الفرنسية بنهب وسلب خيرات الأوقاف، بل زادت عليها بتهجير وترحيل القبائل الجزائرية من مناطقها وإرغامها على الزحف نحو الجنوب والمناطق الصحراوية، ومنح أراضي تلك القبائل إلى المستوطنين الأوروبيين الذين كثر توافدهم على الجزائر أواخر القرن التاسع عشر.

لم تتوقف الإدارة الفرنسية عن قهر القبائل الجزائرية ومصادرة أراضيها فقد سنت عدة مراسيم نذكر منها:

- قانون 31 أكتوبر 1845، والذي ينص على مصادرة أراضي كل من تسول له نفسه القيام بعمل عدائي ضد الفرنسيين أو الجزائريين الموالين لهم، وكل من يساعد هؤلاء المتمردون بطريقة مباشرة أو غير مباشرة[2]؛

---

(1) - Youcef (Djebari) : la France en Algérie ; bilans et controverses, Vol.01, Ed.OPU, Alger, 1995, p82.

(2) - الهواري (عدي): **الاستعمار الفرنسي في الجزائر، سياسة التفكيك الاقتصادي الاجتماعي** (1830-1960)، ت: جوزيف عبد الله، ، دار الحداثة، بيروت، ص61.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

- أصدر الحاكم العام الجنرال بيجو (Bugeaud) في 18 أفريل 1846 قانونا يقضي بمصادرة الأراضي المتروكة بورا دون سبب، وكذلك أراضي الأعراش التي هجرها أصحابها إلى مناطق أخرى، كالمناطق الصحراوية، إلا إذا عادوا إليها في حدود شهر واحد فقط من يوم رحيلهم؛

بالإضافة إلى ذلك؛ لجأت الإدارة الفرنسية إلى نزع الملكية بحجة تحقيق المنفعة العامة التي كانت تعني في الحالة الجزائرية مصلحة المستوطنين، فتّم الاستيلاء على كل الأراضي الخصبة التي تقع في محيط المستوطنات الأوروبية التي تزايد عددها بشكل كبير خلال النصف الثاني من القرن19، بحيث تم إنشاء (440) قرية استيطانية في أخصب المناطق السهلية خلال فترة 1840-1900 وحدها [1].

وزيادة على ذلك؛ بادرت الإدارة الفرنسية بتأميم الغابات بموجب قانون صدر يوم 16جوان 1851، وفرضت عقوبات صارمة على الأهالي الذين يمارسون حرفة الرعي فيها مما أدى إلى تقليص المجال الرعوي بشكل محسوس، ولتسهيل عملية انتقال ما تبقى من الأراضي لدى الأهالي إلى المستوطنين الأوروبيين أصدرت الإدارة الفرنسية قانون 22 أفريل 1863 المعروف بـ "Sénatus Consulte"، الذي نص على «أن القبائل الجزائرية تمتلك الأراضي التي تقيم فيها وتستغلها، وأمر القانون الإدارة المحلية بتحديد الأراضي التي تسكنها كل قبيلة ثم توزيعها على القرى المختلفة الموجودة عليه، ثم العمل على إقامة الملكية الفردية بين أبناء القرية الواحدة»[2] ، وبهذا انتهت عمليات حصر الأراضي ، لكن السياسة ظلت هي نفسها، فهذا المرسوم سمح للإدارة الفرنسية باستخدام وسائل قضائية خاصة لشراء قطع الأرض من ملاكها الجزائريين، بعد أن كان هذا الأمر صعب في ظل الملكية الجماعية أو المشاعة.

---

(1) - Ch- A .(Ageron) : Les Algériens Musulmans et la France , PUF, Paris, 1968, p 380.

(2) - Robert (Estoublon) et Adolphe (Le Febure) : Code de l'Algérie annoté (1830-1895), pp269-270.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ولقد كانت آثار هذا المرسوم سلبية على المجتمع الجزائري، فهي قد حطمت القبائل وقضت على الزعامات والقيادات المحلية، كما قضت كذلك على روح الجماعة بين العرب وجعلتهم خاضعون لسلطة الإدارة الفرنسية مباشرة.

3-4-1-1- الاستيطان ومصادرة الأراضي في الغرب الجزائري:

أما في عمالة وهران التي أصبحت معقل الاستيطان الأوروبي؛ فقد طبقت هذه السياسة بصورة أكثر فظاعة، مما أدى إلى تفكك روابط القبيلة وإجبارها على النزوح جنوبا باتجاه الصحراء، ولم يكن ذلك إلاّ تطبيقا لرغبة قائد العمالة الجنرال لامورسيار(Lamoricière) الذي لخصها في قوله :« على المنتصر تطبيق قانون الغالب، فالعرب الذين حطموا عسكريا يجب أن يحطموا اقتصاديا وهم مجبرون طوعا أو كرها على ترك أراضيهم للمستوطنين»[1]

وبالفعل اعتبرت وهران أهم المدن الجزائرية استقطابا للمستوطنين الأوروبيين وذلك منذ الأيام الأولى للاحتلال ، فقد بلغت مساحة الأراضي المستغلة من طرف الكولون سنة 1834؛ (2800) هكتار وفي الفترات الممتدة بين 1837-1846 بدأ الأوروبيون يزحفون جنوب وهران ونحو المناطق الداخلية، وهذا بعدما أخضعت الإدارة الفرنسية قبيلتي الدوايرو[2] والزمالة[3] اللتان استسلمتا سنة 1835 وفق ما جاء في معاهدة الكرمة (فالميValmy)[4]

---

(1) - Youcef (Djebari) : Op.Cit, p82.

(2) - تتألف قبيلة الدوايرو من خمس قبائل هي: الدوايرو، غمراس أو غامرة، أولاد عبد الله، أولاد بوعامر، عمور. ينظر

Robert (Tinthoin) : Colonisation et évolution des genres de vie dans la région Ouest d'Oran de 1830 à 1885, p38 .

(3) - تتألف قبيلة الزمالة من قبيلتين هما: الزمالة، حميان الملاح، وتشغل حيز (51400) هكتار، تتوزع بين وهران ومسرغين، بردية، الكرمة (فالمي)، والسبخة من جزئها الشرقي والجنوبي إلى غاية تافراوي، ينظر

Robert (Tinthoin) : Op.Cit, p32.

(4) - Ibid, Idem.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فقبيلة الدواير لوحدها كانت تتربع على مساحة قدرها(140.000) هكتار، يحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط، حيث تشغل الخط الرابط بين وهران وعين الترك، وتمتد حتى غرب الملاح أو ما صار يعرف بريو صلادو(Rio Salado)، ويحدها من الجنوب تسالة ومن الغرب الخميس على محور حمام بوحجار[1]، وكل هذه المناطق السابقة الذكر صارت بعد وقت وجيز مراكز لاستقرار الكولون والأوروبيين؛ حيث تمّ تأسيس عدد من المراكز العسكرية، التي أضحت قرى استيطانية في السينيا، مسرغين، فالمي، كما استقر الكولون في آرزيو ومستغانم، وعلى طول الطريق الرابط بين وهران وآرزيو، ومعسكر وتلمسان[2]، وقد بلغ عددهم سنة 1840؛ (4379) أوروبي جلهم من الأسبان، و (3192) يهودي[3]، كما يجب التنويه أن القرى الاستيطانية التي تمّ إنشاؤها؛ قد أقيمت فوق الأراضي الخصبة لقبيلتي الدواير والزمالة، والمعروفة بأراضي المشتة، وهي مساحات تختارها قيادة الجماعة تسلم إلى أفراد القبيلة قصد استغلالها زراعيا، لكن السلطة الفرنسية استولت عليها، ودليل ذلك أنه بعد تطبيق السيناتوس كونسلت 1863 على قبيلة الدواير، قسمت هذه الأخيرة إلى (40) دوار دون مشتة، أي دون أراضي زراعية[4].

مع مرور الوقت تطورت تلك المراكز والقرى الاستيطانية وصارت مدنا، ومن أبرزها سيدي بلعباس، عين تيموشنت، مغنية، وبذلك تحوّل عدد من مدن إقليم طرارة مركز استقطاب للأوروبيين الذين كانوا عاملا أساسيا في هجرة عدد من القبائل نحو المناطق الصحراوية، وهذا يجعلنا نتساءل عن وضع مدينة ندرومة وما يجاورها من قبائل تحيط بها هل لحق بها ضرر سياسة الاستيطان ومصادرة الأراضي أم لا، وإن كان حالها هو حال

---

(1) - Robert (Tinthoin) : Colonisation et évolution..., Op.Cit, p32.

(2) - Robert (Tinthoin) : L'Oranie ; sa Géographie, son Histoire, ses Centres, Ed. L. Fouke, Oran, 1952, p 36.

(3) - Archives Israélites de France : Vol 4, Paris, 1845, p106.

(4) - Robert (Tinthoin) : L'Oranie..., Op.Cit, p 33.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المدن المجاورة لها كتلمسان على سبيل المثال لا الحصر، هل عرفت موجات استيطان كبيرة، أو صودرت أراضيها بنسب كبرى؟

3-4-2- السياسة الاستيطانية في ندرومة(1842-1881):

بعد احتلال الجيش الفرنسي لمدينة ندرومة في مارس 1842، تعهد الجنرال بيدو (Bedeau) [1] قائد الجيش الفرنسي أمام سكان ندرومة ومجلس جماعتها بعدم إقامة الفرنسيين فيها؟[2] وهذا يجعلنا نتسائل؛ عن مغزى هذا العهد، وما الغاية من وراءه، خاصة وأنّ أبرز سياسات الإدارة الفرنسية كانت الاستيطان؟!

في الواقع؛ أنّ الالتزام الذي أبرمه بيدو مع سكان ندرومة؛ كان مرده الوضع الذي شهدته منطقة طرارة ككل بما فيها ندرومة؛ فإلى غاية ذلك الوقت، لم تتمكن الإدارة الفرنسية من إخضاع معظم قبائل المنطقة كقبيلة بني مسهل -على سبيل المثال لا الحصر- التي استعصى على الفرنسيين إخضاعها حتى عام 1847، وهو عام استسلام الأمير عبد القادر، وفي هذا الشأن ورد في تقرير للقائد بازان رئيس المكتب العربي لشعبة تلمسان عام 1847 جاء فيه:« ...لكن ما يعد تميزا لنفوذنا المحقق بعد هذه العمليات العسكرية؛ هو استيعاب منطقة طرارة الأمر وإعلانها الخضوع، فقبيلة بني مسهل التي لم تحترم وتنفذ أوامرنا طيلة (10) أشهر، تدفع الآن (450) رأس ماشية لتسديد ما طلب منها...»[3].

يضاف إلى ذلك؛ انشغال بيدو بأمر آخر وهو إجراء مفاوضات مع حاكم منطقة وجدة، فقد استغل فرصة إخضاع ندرومة وهي أقوى المناطق المتمردة -حتى ذلك الحين-

---

[1] - هو ماري ألفونس بيدو Marie-Alphonse Bedeau، من مواليد فيرتو Vertou، بالسين السفلي، في 09 أوت1804، وتوفي في 30أكتوبر1863، خريج كلية سانت سير الحربية، واشتغل في الجزائر في الفترة ما بين (1837-1847).

[2] - Ch-R.(Agéron) : " Si M'hammed...", Op.Cit, p322.

[3] - André (Lecocq) : Histoire des débuts de la colonisation dans la subdivision de Tlemcen ;1842-1870, T1, Ed. L.Fouque, Oran, 1941, p 25-26.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وكذلك ابتعاد الأمير عبد القادر عن منطقة طرارة؛ لذلك أطلق مثل ذلك الوعد كمحاولة من طرفه لتهدئة الأوضاع أكثر، ليتفرغ للأمر الذي هو مقبل عليه، وهذا ما يدل على حنكة ودهاء هذا الرجل الذي قال عنه الجنرال بيجو، وهو أقوى وأشهر رجال الجيش الفرنسي:« في فرنسا بأكملها، وفي جميع البلاد لا يوجد شخص يقارن بالجنرال بيدو؛ هذا الرجل المتفوق بعقله وحكمته وحصافته في جميع الظروف، يعرف كيف ينال إعجاب الجميع والجميع ينجذب إليه، ويعتمدون عليه لصداقته المخلصة، وكرمه الذي لا مثيل له، هذا هو الرجل الذي يخدم مصلحتكم ومصلحتنا»[1].

هذا القول يمدح كفاءة وشجاعة هذا الجنرال، ومن غير المعقول أن يعجب به الجنرال بيجو (Bugeaud)، الذي اعتبر بمثابة عميد الجنرالات الذين طالبوا بإزاحة العنصر المحلي وتشجيع الهجرة والاستيطان الأوروبي في الجزائر.

والحديث عن الاستيطان في هذه المناطق لازال جد مبكر، حتى بعد استسلام الأمير عبد القادر؛ فمنطقة طرارة لم تعرف الهدوء والسكينة ووصل صدى تمرداتها إلى الحدود المغربية، وهذا ما أجمعت عليه تقارير المكاتب العربية لكل من تلمسان، نمور(الغزوات) ومغنية[2]، لذلك سعت الإدارة الفرنسية يمثلها الجنرال بيدو إلى تأمين منطقة الحدود، التي تطلبت منها إجراء اتفاقيات مع الجانب المغربي، وهذا من شأنه فتح الأبواب أمام القبائل والتجار المغاربة الذين سيساهمون في إنعاش وتنشيط الحركة الاقتصادية، والتي بدورها ستساهم في تشجيع الاستيطان الأوروبي في المنطقة، وبالتالي تسهيل الأمر للإدارة الفرنسية أكثر فأكثر.

وحتى ذلك الوقت كانت المراكز الفرنسية لا تعدو كونها حصون عسكرية تتمركز على أهم المناطق، وبالخصوص مواطن استقرار القبائل التي تستوطن أراضي خصبة كانت

---

(1)- Cahiers du centenaire de l'Algérie : Les lieutenants du Maréchal Bugeaud: Lamoricière, Changarnier ,Cavaignac, Bedeau. p65.

(2)- André (Lecocq) : Op.Cit, p30.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

مصدر رزقها الأساسي، ولم يكن بإمكان الفرنسيين التفكير على الأقل في تلك الفترة في استيطان تلك الأراضي، ماعدا منطقة نمور (الغزوات) ونواحيها، التي عرفت بعض التطور نحو الاستيطان الذي لم يعرف توسعات أكثر، لأنه اصطدم على بعد كيلومترات مع ملكيات تعود لسكان ندرومة، التي قال عنها لوكوك:«...ندرومة مدينة يسكنها رجال أشداء، مستقلون وأغنياء؛ أبرزوا مقاومة عنيدة ضد استقرار واستيطان العنصر الأوروبي، هذا الأخير الذي لم يبرز في ندرومة إلاّ مع بدايات القرن العشرين...»[1]، ولوكوك لم يبالغ في قوله هذا، ففي الوقت الذي شهدت فيه منطقة الغرب الجزائري موجة من الهجرات الأوروبية في مناطق مختلفة كوهران، والغزوات، وتلمسان، ومغنية، وعين تيموشنت في وقت جد متقدم يعود إلى سنة 1845، كانت ندرومة تخلو من أي عنصر أوروبي، ولم تستقبل الأوروبيين إلا مع بداية الستينيات من القرن 19م.

وقد ورد في إحدى رسائل الباحث الفرنسي ماك كارثي، كتبها بتاريخ 25 أوت 1851 قوله: «...لا يوجد كولون بمدينة ندرومة، فقد مكّثت وحيدا مدة شهرين بين سكان عرب لم يبرزوا نفورا تجاهي، كما لم أشعر بالانزعاج والخوف، فقد كنت في مأمن وبعيد عن وباء الكوليرا التي اجتاح تلمسان، وقضى على قرابة 1400نسمة، فآثرت البقاء بندرومة، لكن مع بداية اقتراب الوباء إليها قررت مغادرتها وقد رافقني يومها حوالي 200 ساكن[2]»، فمدينة ندرومة لم تشهد توافدا أوروبيا إلا بعد عام 1867 عند قدوم المدرس أوتيي (Authier) وزوجته، الذي التحق بوظيفته في المدرسة العربية الفرنسية التي فتحت بندرومة في نفس السنة، بالإضافة إلى مدير المدرسة السيد بودي (Baudet).

والواقع، أن معظم الفرنسيين الذين استقروا بندرومة، كانوا من يهود المدينة الذين استفادوا من مرسوم كريميو الذي منح اليهود الجنسية الفرنسية عام 1870، وقد بقي عدد الأوروبيين ضئيلا بندرومة، فوفق إحصائيات عام 1867 بلغ عدد سكان المدينة (2545)

---

(1) - André (Lecocq) : Op.Cit, p50.

(2) - Mac Carthy : "Géographie de L'Algérie", In Revue de l'Orient et de l'Algérie, T13,1853, p127.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

نسمة، مع انعدام العناصر الأوروبية، وفي تعداد للسكان سنة 1881 بلغ عدد الفرنسيين (65) بالإضافة إلى (06) أوروبيين من مجموع (3680) نسمة[1].

ومن أهم العائلات الأوروبية التي سكنت ندرومة نذكر: عائلة أوتيي (Authier) ؛ كانت من أوائل الكولون الذين سكنوا ندرومة، وهذا ما أكدته مراسلة موجهة من سلطات نمور(الغزوات) سنة 1866 إلى الإدارات الفرنسية في كل من تلمسان ووهران، وقد جاء فيها:« السيد أوتيي، أحد المعمرين من ندرومة، سعى منذ فترة طويلة إلى طلب 25 هكتار من أراضي الدومين بالقرب من مدينة ندرومة تبعا للوعد الذي أخذه من السلطات العليا...هذا المعمر كان قد استأجر منذ 1852 ما مساحته 12 إلى 14 هكتار من أراضي السلطة الفرنسية التي تقع في سهل ندرومة بموافقة منها ...من ناحية أخرى ، فإن هذا الأوروبي، الذي لم يكن بمقدوره الاستقرار في ندرومة إلاّ بمساعدة من السلطة الفرنسية؛ قد شيد منزلا بهذه المدينة بلغت تكلفته (6000) فرنك، ومن العدل منحه حق ملكية الأرض التي أقام عليها هذا العقار، لكي يؤمن حاجيات عائلته.»[2]

وحسب ما أشار إليه جوزيف كنال (Joseph Canal)؛ فإنّ عائلة أوتيي (Authier) قد شيدت إقامة صغيرة للمسافرين، وامتلكت بستانا متواضعا، لكن الجدير بالانتباه أن هذه العائلة لم يبرز تأثيرها داخل المجتمع الندرومي؛ لأنها ارتأت البقاء خارج أسوار المدينة[3].

عائلة ساهو (Sahut) ؛ وهي من أشهر المعمرين الذين استقروا بمدينة ندرومة ومن المرجح أنّها من أوائل العائلات التي استوطنت بندرومة. قدم أوليس ســاهو (Ulysse Sahut) من مدينة الغزوات (نمور)، هذه الأخيرة استقر بها أحد المعمرين وكان يدعى لويس ساهو وقد استفاد من قطعة أرض بها سنة 1863[4].

---

(1)- Gilbert (Grandguillaume) : Nedroma..., Op.Cit, p152.

(2)- Ibid, p153.

(3)- J.(Canal): Op.Cit, T8, p263.

(4)- F.(Llabador): Op.Cit, p 261.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

استقر أوليس ساهو رفقة زوجته روزالي (Rosalie)، وأبناءه الأربعة: أوغيست (Auguste)، جيستان (Justin)، سوفي (Sophie) ، وإدوارد (Edouard)؛ بالقرب من ندرومة سنة 1879، وقتها اشترى السيد ساهو Mr Sahut أربعة هكتارات، وبعدها بسنة أشترى ثلاث هكتارات أخرى من أحد مزارعي قبيلة جبالة.

توجد ملكية ساهو على بعد 03 كلم جنوب غرب ندرومة، في مكان يسمى عين طُلبة، على مشارف الطريق الرابط بين نمور ومغنية[1].

وبحسب الروايات المحلية لسكان ندرومة؛ فإن السيد أوليس (Ulysse) كان يتقن الحديث باللغة العربية، وعلى عكس أوروبيين آخرين تمكن من الاحتكاك بالمجتمع الندرومي هو وأولاده الأربعة الذين صاروا يعرفون قي أوساط الندروميين بأولاد فليس أي أبناء أوليس.

بعد وفاة السيد أوليس؛ منحت الإدارة الفرنسية سنة 1883 لزوجته و أبناءه الأربعة (71) هكتار من الأراضي بالمجان، وفي سنة 1884 أقامت الأسرة منزلا على الطراز الأوربي مؤلف من طابق وشرفة داخل مدينة ندرومة بالقرب من سوق الحبوب، بعدها بدأت ملكية أسرة ساهو بالتنامي أكثر فأكثر بالمدينة، وصارت تشتري قطع الأراضي باستمرار، بلغت (100) هكتار سنة 1900، ولم تتوقف ملكية الأسرة عن التزايد حتى تجاوزت المئات من الهكتارات بين 1940 و1950[2].

وقد برز تأثير عائلة ساهو بمدينة ندرومة سواء مع السكان المحليين؛ فقد صارت العائلة من أشهر ملاك المدينة، ونفس الشيء مع السلطة الفرنسية، التي ترجمت أهمية هذه العائلة باتخاذ الطابق السفلي من منزلها كمركز للشرطة الفرنسية، وغرفة من نفس الطابق لتكون بمثابة كنيسة كاثوليكية، أمّا الطابق العلوي فقد ظل بيت العائلة[3].

---

(1) - Gilbert (Grandguillaume) : Op.Cit, p 153.

(2) - Ibid, p154 .

(3) - Ibid, Idem.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وقد انعكس هذا التأثير الذي مارسته عائلة ساهو في ندرومة؛ على الإدارة الفرنسية والمستوطنين الأوروبيين، وقد كان تأثيرا واضحا ومحسوسا، فقد سجل في سنة 1936 المشاركة النشطة لهذه العائلة في الجبهة الوطنية النمورية ذات التوجه الفاشي، والتي صارت ممثلة لها في مدينة ندرومة[1].

والملاحظ أن أسرة ساهو ظلت في مدينة ندرومة ولم تخرج منها إلا إبّان الثورة التحريرية، وذلك في 03 فيفري 1957؛ حين انفجرت قنبلة بمنزل العائلة خربت نصفه، يومها أصيبت إيفون ساهو (Yvonne Sahut) [2] ونقلت على إثرها إلى مستشفى تلمسان، وبعدها غادرت الأسرة ندرومة بصفة نهائية [3].

بالإضافة إلى عائلة أوتيي وساهو؛ تواجد بمدينة ندرومة عدد معتبر من الكولون كانوا موزعين على أطراف المدينة ولم يستقروا داخلها؛ نذكر منهم عائلة آفار (Avar)، فيلومون (Philomon)، بليفلد (Bliefeld)، يون وفايلون (Yon et Vaillon) [4].

أمّا بالنسبة للعائلات الأوروبية التي استقرت بمدينة ندرومة؛ فمعظمها من أصول اسبانية ومن الطبقة المتوسطة؛ أمثال عائلة فرانسوا غارسيا (François Garcia) الذي امتلك محلا كان لأنشطة متعددة: بقالة- مخبزة- أجهزة ومعدات-حانة، هذا المحل كان يشهد اكتظاظا من قبل الأوروبيين كل يوم خميس وهو يوم السوق في ندرومة. أمّا أخ غارسيا غريغوار (Grégoire) كان طبيب بيطري ومالك لمزرعة قرب المحطة القديمة

---

(1) - أوردت التقارير الفرنسية اسم النمورية La Nemourienne، وهي فرع من الجمعيات الفرنسية للاستعداد العسكري (Sociétés de Préparation Militaire) ، أسست بنمور (الغزوات) سنة 1910، وفي الثلاثينيات من القرن 20؛ صارت تعرف بجمعية المحاربين القدماء لنمور les Anciens Combattants de Nemours، ينظر: Sociétés de Préparation Militaire, La Nemourienne, (1910-1932), AOM, Aix en Provence, Carton N° //2541.

(2) - كانت إيفون فتاة معاقة وغير متزوجة.

(3) - Gilbert (Grandguillaume) : Op.Cit, p 154.

(4) - Ibid., Idem.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لندرومة، يضاف إليهما ريموند مارتينيز (Raymond Martinez) وقد كان مزارع، كما فتح حانة أيّام الحرب، والتي جنى منها ربحا وفيرا نظرا للإقبال القوي لرجال الجيش عليها [1].

كما سكن ندرومة أسباني يدعى مونيوز (Monioz)، وقد أسس بالمدينة مصنع للألياف النباتية (crin végétal)، لكنه لم يلقى نجاحا وأعلن إفلاسه، لكنه واصل نفس النشاط ولكن في مصنع أحد أعيان مدينة ندرومة المحليين وهو الحاج زرهوني[2].

إنّ سكنات هؤلاء الأوروبيين ومراكز عملهم كانت تتواجد جنوب مدينة ندرومة في المحور المعروف اليوم بشارع الاستقلال وساحة الأمير عبد القادر، أو في شارع الأوروبيين كما كان يسمى خلال الفترة الاستعمارية.

وبالنسبة لباقي الأوروبيين الذين تواجدوا بندرومة؛ كانوا في الأغلب موظفين يشتغلون في بلدية ندرومة المختلطة، أقاموا فيها لهذا السبب، وحول هذا الشأن كتب إيميل جانيي (Emile Janier) سنة 1946:« إن الفرنسيين من ذوي الأصول الميتروبوليتانية قلّة في ندرومة حوالي(200) شخص، ويوجد عائلات معدودة من الكولون على غرار عائلة ساهو، أما أغلب العائلات الأوروبية فكانت من الموظفين في البلدية المختلطة، والشركة الأهلية للادخار، معلمون ومعلمات، سعاة بريد، شرطة وجمارك»[3].

1- Gilbert (Grandguillaume) : Op.Cit, p155 .

2- Ibid., Idem.

3- Emile (Janier) : Op.Cit, p29.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ومن بين الموظفين الذين اشتغلوا بندرومة وتركوا بصمة في نفوس السكان المحليين؛ نذكر الطبيبة الآنسة ديزباني (Dispagne)، وهي من أصل مارتينيكي، هذه الآنسة كرست نفسها في أغلب الأوقات لخدمة الأهالي والوقوف إلى صفهم ضد الإدارة الفرنسية، طيلة العشرين سنة التي اشتغلت فيها في ندرومة، التي غادرتها في ديسمبر 1957[1].

بررت الإدارة الفرنسية اهتمام الأوروبيين بالتوافد على مدينة ندرومة أواخر القرن19 وبدايات القرن العشرين؛ بتغير الأحوال الاقتصادية، وتمكن المستوطنون الأوروبيون من خلق أنشطة اقتصادية في ندرومة، لكنها قليلة جدا وليس لها تأثير أمام قوة الملكية الأهلية، حتى وإن كانت لا تزال بعد مجرد صناعات خام. فما مدى صحة ما زعمت الإدارة الفرنسية؟ وإن كان الاستقرار الأوروبي بهذه المدينة ضئيلا هل يعني ذلك أن ندرومة سلمت من عواقب القوانين العقارية القاضية بمصادرة أراضي الجزائريين؟

في الحقيقة؛ وتبعا لاعتبارات عديدة أولها وأهمها على الإطلاق أنّ مدينة ندرومة، التي تعذر على الفرنسيين احتلالها إلا في سنة 1842، ما فتئت أن دخلت في بوتقة الإدارة الفرنسية بتأسيس بلدية ندرومة المختلطة سنة 1881، والتي ضمت عددا من القبائل وبالتالي مساحات أوسع، وهذا يتطلب مراقبة مستمرة من قبل السلطة الفرنسية، التي أسست مركز البلدية بندرومة ، وكذا إقامة الموظفين، وبذلك أقام في ندرومة نسبة معتبرة من الكولون والأوروبيين، يضاف إلى ذلك اعتبار آخر لا يمكن إغفاله؛ وهو توسط ندرومة لأهم الطرق والمواصلات في الغرب الجزائري، فهي تقع على محور وهران/ تلمسان، الغزوات/ مغنية وكذا قربها للحدود المغربية، فرغم صغر مساحتها التي لم تتعدى2.156هكتار، والتي لم تلفت بادئ الأمر انتباه الإدارة الفرنسية التي ركزت على المناطق الكبرى والشاسعة لتأمين مصالحها ومصالح المستوطنين، ورغم عمليات حصر الأراضي التي قامت بها الإدارة الفرنسية خصوصا بعد سن مرسوم السناتوس كونسلت 1863 ؛ إلا أنها لم تكتف بذلك ولا حقت كل شبر من الأراضي الجزائرية بما فيها مدينة ندرومة وما يجاورها؛ حيث خضعت

---

(1)- Gilbert (Granguillaume) : Op.Cit, p155.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لعمليات تحديد أراضيها وفقا لمرسوم 29 فيفري 1868؛ حيث نص البند الأول منه على اعتبار منطقة ندرومة دوار يحمل نفس التسمية ويتكون من[1]:

أراضي ملك	1.524هكتار 85 آر[2] 81 سنتي آر[3]
أراضي الدولة	150 هكتار آر13 82 سنتي آر
أراضي البلدية	439 هكتار
مقبرة، مساجد	426 هكتار 36آر 37 سنتي آر
ساحة، شوارع،	23 هكتار 36آر 37 سنتي آر
ملكية عامة	18 هكتار 64 آر
المجموع	2.156 هكتار

يضاف إلى هذه القائمة نسبة صغيرة من الأراضي منحت لاثنين من أهالي ندرومة؛ اقتطعت السلطة الفرنسية أجزاء من أراضيهما حين باشرت في تأسيس استراحة خارج المدينة عرفت باسم الأخوين(les Deux Frères)[4] .

---

[1] - Délimitation et répartition du Territoire de la tribu de Nedromah (Cercle de Nemours), AOM, Aix en Provence, Carton N° 2N/67.
Bulletin officiel du gouvernement Général de l'Algérie : le 29 Février 1868 .
- ينظر الملحق رقم: 10 .

[2] - 1 هكتار= 100آر، أي 01 آر = 0.01 هكتار= 100سنتي آر

[3] - 1 هكتار= 10000سنتي آر ، أي 01 سنتي آر =0.0001 هكتار

[4] – Délimitation et répartition du Territoire de la tribu de Nedromah, AOM, Aix en Provence, Carton N° 2N/67.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

هذان الشخصان هما [1]:

- عبد القادر بن قرموش، أربع قطع أراضي تبلغ مساحتها 2هكتار 14 آر 90 سنتي آر.
- محمد العبيد منح قطعة أرض تقدر بـ 00هكتار 65 آر 50 سنتي آر.
- المجموع 02 هكتار 80 آر 40 سنتي آر.

وقد تمّ تخصيص هذه الأراضي كعملية تبديل أو تعويض لخسارة هؤلاء ما قدره 07 هكتارات 45 آر ، صارت تابعة لأملاك السلطة الفرنسية.

هذا الإجراء المتخذ من طرف السلطة الفرنسية لم تعرفه ندرومة من قبل، فحتى في عهد العثمانيين، لم يكن لهذه الأخيرة أراضي بايليك، فكل الأراضي كانت ملكا لسكان المدينة أو من أملاك الحبوس، وحين سيطر الفرنسيون على مدينة ندرومة؛ وضعوا أيديهم مباشرة على كل الأراضي التي لا ملاّك لها داخل وخارج أسوار المدينة حيث صارت ملك للإدارة الفرنسية والتي بلغت مساحتها 200 هكتار، لكنهم أخذوا بعين الاعتبار رأي مجلس الجماعة فيما يخص ملكيات الحبوس، التي لم يلحقها ضرر المصادرة في بادئ الأمر [2] ، لكنها سرعان ما تحولت إلى أراضي تابعة للسلطة الفرنسية وكانت تقدر سنة 1867 بـ(90) هكتار.

لم تكتف السلطة الفرنسية بما اقتطعته من أراضي اعتبرتها ملك للبلدية والدولة الفرنسية ورغم القلّة العددية للأوروبيين في ندرومة؛ غير أنّ نسب ملكية الندروميين للأراضي بدأت تتراجع رغم كونهم أغلبية ؛ فحسب إحصائيات سنة 1867 بلغ عدد الملاك

---

(1)- Délimitation et répartition du Territoire de la tribu de Nedromah, AOM, Aix en Provence, Carton N° 2N/67.

(2)- Nedroma : Revendications domaniales, dossier Sénatus Consulte N°50 AOM, Aix en Provence, Carton N° 2N/67

- A. (Serdoun) : Nedroma ; Les Mutations récentes d'une petite ville précoloniale, DES, 1982, p21.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

في ندرومة بين (250) و (300) شخص، لكن هذا العدد انخفض إلى النصف رغم أنّ نسبة السكان كانت في ارتفاع؛ بحيث نزل العدد من (267) سنة 1867 إلى (140) سنة 1954، والجدول التالي يوضح ذلك[1]:

السنوات	أراضي ملك	أراضي استيطانية	أراضي الدولة (السلطة)	أراضي البلدية
1867	1.525هكتار	00 هكتار	150 هكتار	439 هكتار
1917	1.300هكتار	309 هكتار15%	63 هكتار	439 هكتار
1952	900 هكتار	550 هكتار 27%	00 هكتار	439 هكتار

هذا الجدول يبرز بوضوح مدى التأثير الفرنسي على ملكية وقسمة الأراضي في مدينة ندرومة، فرغم تزايد عدد السكان الذي بلغ (3680) سنة 1888[2]، غير أن هذا لم ينعكس بالإيجاب على نمط الملكية الأهلية التي بدأت بالتراجع تبعا لما لحقها من السياسة الفرنسية، التي حاولت بطرق عديدة وضع يدها على أراضي الندروميين، واستطاعت فعليا أن تترك آثارها التي تجلت في نقص أراضي الملك في ندرومة- ينظر الجدول-، ومع ذلك لم تتمكن من جعل الملكية الاستيطانية التي منحت كل الوسائل بما فيها اقتطاع أراضي السلطة لصالحها - فبعدما كانت أراضي السلطة الفرنسية تقدر بـ (150) هكتار سنة 1867، صارت (00) هكتار سنة 1952، أمام الملكية الاستيطانية التي انتقلت من (00) هكتار سنة 1867 إلى (550) هكتار سنة 1952- ؛ في أن تصير الملكية المسيطرة في ندرومة أمام الملكية الأهلية، كما أنّ السلطة الفرنسية لم تحقق نجاحا فيما يتعلق بمصادرة الأراضي وجعلها من أملاكها بل على العكس لم يتبق لها سوى ما قدره (439) هكتار تمثل أراضي البلدية التي ظلت على حالها منذ سنة 1867، وبذلك ظلت الملكية الاستيطانية ضعيفة

---

(1)- A. (Serdoun): Op.Cit, p17-18.

(2)- Gilbert (Grandguillaume) : Op.Cit, p152.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أمام الملكية الأهلية حيث لم تتعدى نسبتها 27% سنة 1952؛ وتفسير هذا الضعف الاستيطاني كان مرهون بعاملين أساسيين وهما:

1- الخصوصية الجغرافية لمدينة ندرومة التي يغلب عيها الطابع الجبلي، فعلى الرغم من تموضع المدينة عند منحدر (سفح) جبل فلاوسن؛ غير أن معظم الأراضي الندرومية تتوزع على مرتفعات حجرية لن تحقق إنتاج زراعي قوي[1]؛

2- مساحة مدينة ندرومة الصغيرة 2156 هكتار؛ لم تشجع حركة الاستيطان رغم مسعى الإدارة الفرنسية لإقامة مركز إستيطاني أو شارع أوروبي كما اصطلحت عليه منذ أواخر القرن التاسع عشر وهذا ما برز في تقرير لمدير بلدية ندرومة المختلطة في أكتوبر 1881 أوضح خلاله [2] « إنّه من الاستحالة بمكان أن تتحول ندرومة إلى مركز استيطاني هام فالأراضي الوحيدة الممكن منحها للكولون المقيمين داخل الأسوار لا تتجاوز (500) هكتار، وبالتالي فهي غير كافية لتشجيع الاستيطان كما أن (180) هكتار منها قد خصص لإقامة مركز استيطاني في مُزاوْرو شمال ندرومة، والذي لم يقام لعدم توفر المياه، كما أنّ نسبة كبيرة من مساحة الأرض في مزاورو هي أراضي زراعية ملك لعدد من المعمرين في ندرومة».

وأردف مدير البلدية قائلا: «زيادة على ذلك؛ أن أراضي سهل ندرومة؛ هي ليست في متناول الأيادي بالنظر إلى بعدها عن مركز المدينة، وكذلك صعوبة مسالكها لشدة انحدارها... لكن على العكس يمكن أن تقيم عائلات فرنسية أخرى في ندرومة بجوار

---

(1) - Monographie succincte de la Commune Mixte de Nedroma, Op.Cit, Carton N° 2M/ 121.

(2) - Rapport sur le projet d'agrandissement de la Colonisation à Nedroma, AOM, Aix en Provence, Carton N°2M/121.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

السكان الأهالي والعائلات الأوروبية السابقة[1] ...وستمنح لهم حوالي (300) هكتار من أصل (500) السابقة الذكر، تتمتع بخصوبتها وموقعها الممتاز...» [2]

3- تفضيل الكولون للمدن المجاورة لندرومة، كمدينة الغزوات (نمور) التي استقطبت أعداد هائلة من الكولون والأوروبيين منذ احتلالها سنة 1845، حتى أن أغلب العائلات الأوروبية التي أقامت بندرومة جاء أغلبها من الغزوات، ضف إلى ذلك توسط ندرومة لأهم المدن الأوروبية كوهران، تلمسان، الغزوات، مغنية؛ مما جعلها مركز عبور أكثر منه مركز استقرار للأوروبيين؛

مع مرور الوقت تطورت الأنشطة الاقتصادية والاستثمارية في الغرب الجزائري بما فيه في منطقة ندرومة ونواحيها التي شهدت قيام عدة مشاريع كان من أهمها مد طرق المواصلات بين المدن، وقد تطلب ذلك اقتطاع أجزاء من أراضي ندرومة لحساب تلك المشاريع، والظاهر أن ذلك كان في صالح الندروميين وغيرهم من الجزائريين، لكن باطنه عكس ذلك تماما فمعظم الأراضي التي أخذتها السلطة الفرنسية هي أراضي زراعية، كانت مصدر الرزق الأساسي لأولئك السكان، الذين لم تقدم لهم تعويضات كبديل لأراضيهم، مما ساهم في تردي الأحوال الاجتماعية الاقتصادية، وتفشي ظاهرة البطالة مع مطلع العشرينيات، وهذا ما سنشير إليه ضمن حديثنا عن الوضع الاقتصادي في ندرومة في فترة ما بين الحربين.

ومن أمثلة المشاريع التي أدت الملكية الأهلية في ندرومة، نذكر مشروعين وهما:

---

[1] - كان عدد الأوروبيين المقيمين في مدينة ندرومة سنة 1881؛ (35)أوروبي مقابل (2190) أهلي، و(340) إسرائيلي. ينظر:

Rapport sur le projet d'agrandissement de la Colonisation à Nedroma, Op.Cit.

[2] - Création d'un village dans la plaine de Nedroma, Vœu du conseil Municipal de Nemours, Marnia, le 14 Aout 1901, AOM, Aix en Provence, Carton N° 2M/121.

- ينظر الملحقان رقم 11 ورقم 12

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

1- مشروع مد طريق بين رشقون وعجرود بتاريخ 23 سبتمبر 1905، رقم 9678 ، المتضمن فتح طريق بين نمور (الغزوات) وعجرود، وقرب ندرومة من نمور جعل أراضيها ضمن مخطط الطريق، وقد اعتبرت السلطة الفرنسية هذا المشروع خدمة للصالح العام وبالتالي صار إجبارا على كل مالك لأرض تقع في مخطط الطريق تسليمها للسلطة الفرنسية، وقد خسرت ندرومة ما قدره (09) هكتار و 22 آر و05 سنتي آر[1]، وكلها أراض زراعية، وحتى وإن كانت المساحة المقتطعة صغيرة ، لكن عدد ملاكها أكبر، والذي بلغ (109) مالك، وهذا لا يعد تناقضا كون أغلب الزراعات في ندرومة كانت زراعات معيشية لا غير، فكل عائلة بسيطة لها قطعة أرض تتراوح بين 06 آر و 19 آر على أبعد تقدير.

2- مشروع بتاريخ 13 أفريل 1906، رقم 5026 ، حول مد طريق رقم 38 الذي يربط بين عين قيال (بلدية الرمشي المختلطة)– ندرومة، القسم الرابط بين واد بوقيو وواد ديان؛ وقد اقتطع ما قدره 5 هكتار، و13 آر، و63 سنتي آر كانت ملكا لـ 20 شخص من ندرومة[2].

وقد اكتفت السلطة الفرنسية كحل لإسكات غضب الندروميين أن وضعت لهم سجلا في بلديتهم يكتبون فيه ملاحظاتهم حول المشروع وخصصت بهم مدة (10) أيام كحد أقصى لتسليم أراضيهم.

إنّ مساحة ندرومة الصغيرة التي لم تتعد 2.156 هكتار لم تسلم من سياسة الإدارة الفرنسية القائمة على تغليب العنصر الأوروبي وفرنسة الأراضي، مع ذلك يبقى حظ مدينة ندرومة أحسن بكثير مقارنة مع باقي المدن والأرياف الجزائرية، فالاستيطان الأوروبي لم يزد عدده عن (65) شخص من مجموع سكان المدينة (3680) نسمة سنة 1888، و(555) فرنسي حسب إحصاء 1954، لكن مع احتساب اليهود المتجنسين الذين كان عددهم (304)

---

(1)- Le Courrier de Tlemcen : Vendredi 10 Aout 1906.

(2)- Ibid, 20 décembre1907.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

يهودي سنة 1888؛ [1]، كما أن أغلب الفرنسيون الذين سكنوها كانوا موظفين في الإدارات التابعة لبلدية ندرومة المختلطة، أو من يهود المدينة الذين تجنسوا بالفرنسية، وهم بدورهم لم يشكلوا يوما أغلبية في الهرم السكاني بل كانوا أقلية.

3- 5- توسعات مدينة ندرومة في الفترة ما بين 1881-1954:

إنّ ما توفر من معلومات حول مدينة ندرومة في الأربعين سنة التي أعقبت الاحتلال الفرنسي لها، تؤكد لنا بأنّ ندرومة كانت منذ البداية ذات طابع حضري وليس ريفي ، وقد اصطبغت هذه المدينة بالصبغة الحضرية أكثر فأكثر؛ في منتصف القرن العشرين لمّا أصبحت نموذج المدينة المكتظة بالسكان، فبعدما كانت كثافتها السكانية سنة 1866 لا تتجاوز (2545) نسمة، صارت (7806) نسمة سنة 1948 [2].

عندما تمت السيطرة الفرنسية على مدينة ندرومة، كان عدد سكانها – كما ذكر أعلاه-(2545) نسمة موزعون على (09) هكتارات، من أصل (10) هكتارات هي حدود أسوار المدينة، وحسب هذا التقدير فإن الكثافة السكانية في الهكتار الواحد كانت حوالي (280) نسمة، في مدينة أغلب مساكنها أرضية ذات سطوح؛ أي بمعدل (9.7) فردا في المنزل الواحد، وقد يزيد بمعدل (11.4) في وسط العائلات المسلمة، في حين يتقلص إلى (4.8) بالنسبة للإسرائيليين، وهذا يبرز مدى الاختلاف بين هاتين المجموعتين[3]، وقد سبق وأن اشرنا في الفصل الثاني، أن ثقافة العائلة الكبيرة منتشرة بكثرة وسط العائلات الندرومية المسلمة على عكس اليهود الذين كانوا منفصلين إلى عائلات صغيرة.

إن استغلال (09) هكتارات من أصل (10) هكتارات تقف عند أسوار المدينة؛ جعل من مدينة ندرومة لا تتمتع بمساحات واسعة، لأن جلّ المساكن والشوارع والأزقة متقاربة

---

(1)- Gilbert (Granguillaume) : Op.Cit, p152.

(2)- Marie-Anne (Prenant-Thumelin) : "Nedroma 1954", In :Annales Algériennes de Géographie,1967, p50.

(3)- Ibid, p55.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وتكاد تكون متلاحمة، ما عدا بعض الفضاء المفتوح والذي استغل في معظم الأحيان كأسواق ومراكز تجمع؛ كساحة التربيعة قرب المسجد الكبير، ويتضح هذا الأمر من خلال الصورة الجوية الآتية التي تبرز لنا حدود مدينة ندرومة القديمة ومدى التداخل والتشابك بين الأحياء والأزقة والمساكن:

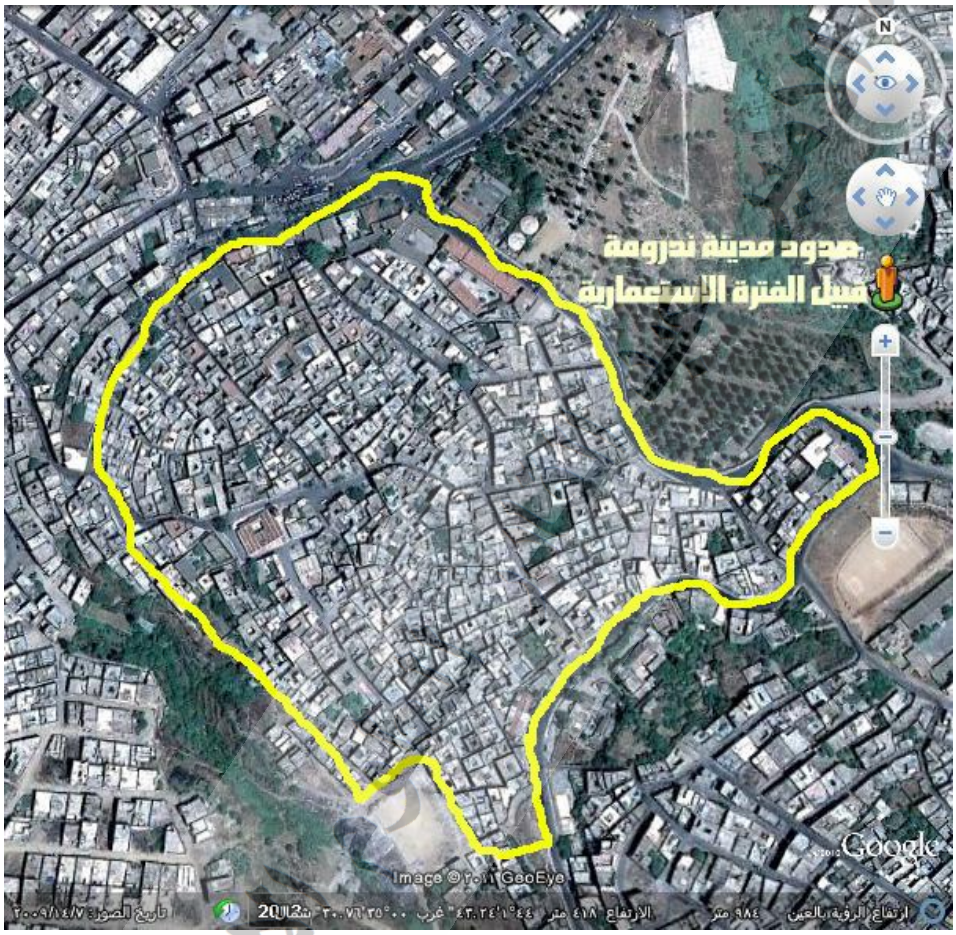

يتوزع سكان ندرومة على أربعة شوارع رئيسية، هي في الأصل شوارع المدينة العتيقة اثنان منهما يحملان أسماء قبائل، وهما شارع بني زيد في الجنوب الشرقي، وبني عفّان في الجنوب الغربي للمدينة **(ينظر الصورة التالية)**:

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

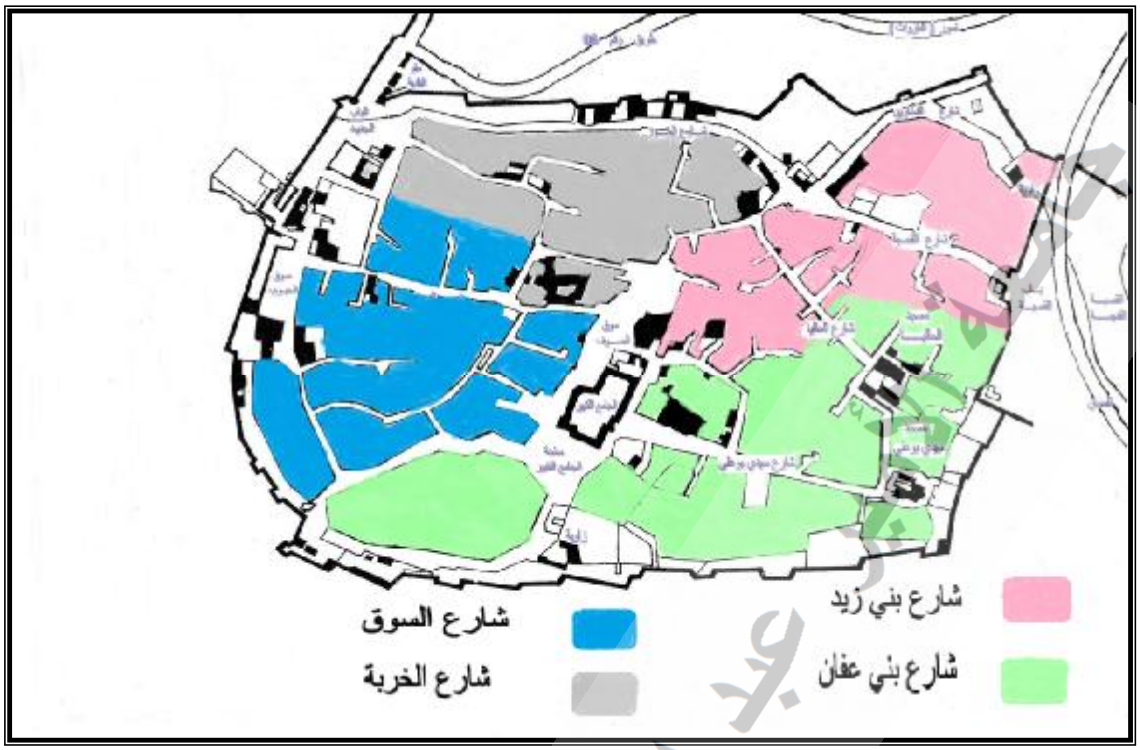

بالإضافة إلى شارعين آخرين، أحدهما في الشمال الغربي بالقرب من السوق، ويعرف بشارع السوق والآخر في الشمال الشرقي قرب آثار المدينة وهو شارع الخرْبة، الذي يتمركز فيه التجار والحرفيون وتتواجد به الحمامات، وبجانبه يتربع المسجد الكبير، وحارة النساجين في الساحة الكبيرة التي تضم بدورها سوق الصوف[1]، وهذا ما يتضح في المخطط التالي[2]:

---

[1] - Marie-Anne (Prenant-Thumelin) : Op.Cit, p55.

[2] - للمزيد ينظر الملحق رقم 13.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

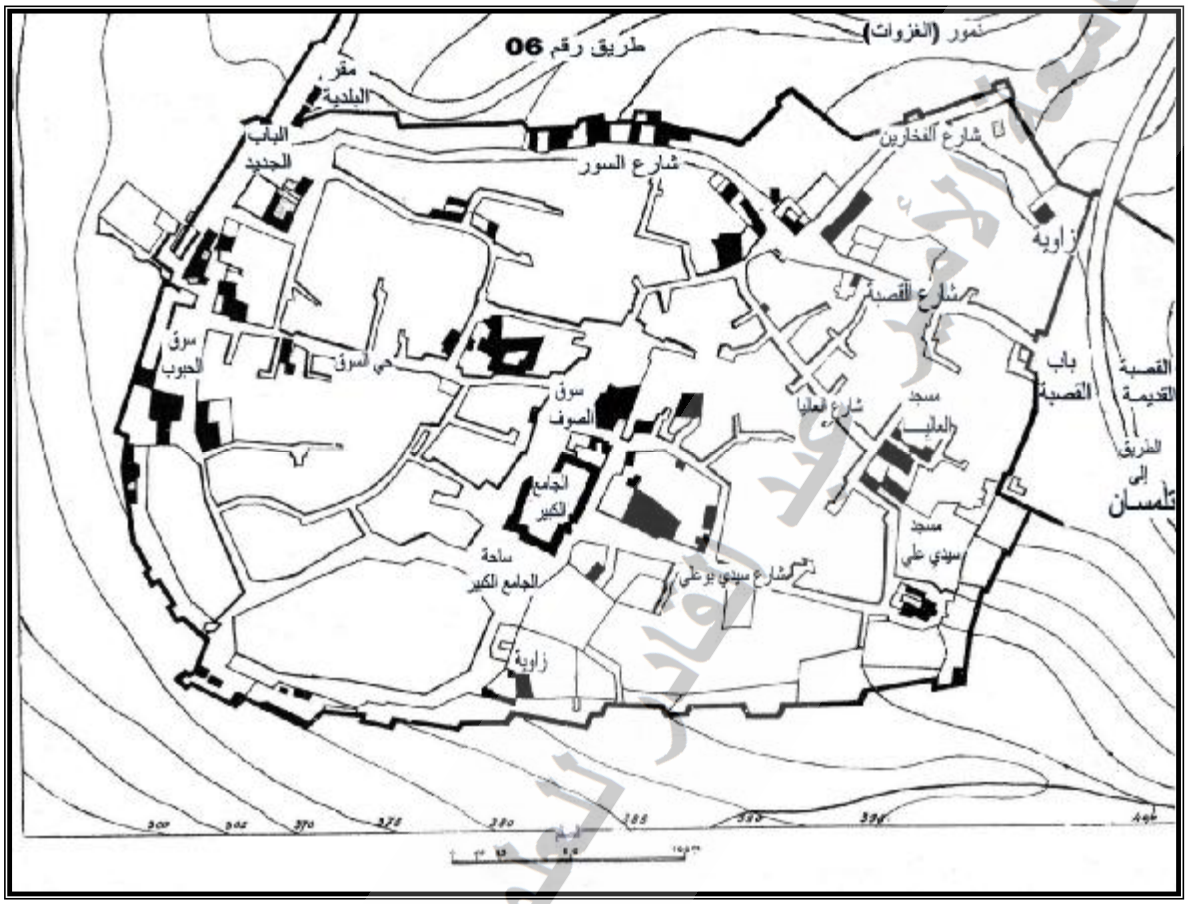

المصدر: J. Canal : Nedroma en 1888, In BSGAO

وقد عرف شارع الخرْبة في الأوساط المحلية الندرومية بدرب اليهود على امتداد السور الشرقي للمدينة، وقد كان مقرا لليهود، ولكنيسهم (Synagogue) ، وهذا منذ 1955، أمّا باقي اليهود فيتجمعون في شارع القناوة، قبالة السور الشمالي الشرقي للمدينة[1]. أمّا داخل شارع بني زيد وبني عفّان فقد كان ولا يزال مقر أعيان المدينة من المسلمين الذين عمّت رفاهيتهم على هذين الشارعين[2].

(1) - Marie-Anne (Prenant-Thumelin) : OP.Cit, p55.

(2) - Djilali (Sari): Op.Cit, p170 .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

حافظت مدينة ندرومة على طابعها الحضري وخصائصها المدنية، فبالرغم من السيطرة الفرنسية ظلت وتيرة التحولات ضعيفة وغير محسوسة طيلة الثلاثين سنة الأولى من الاحتلال؛ فأوائل الأوروبيين الذين سكنوا ندرومة، استقروا قرب سوق الحبوب، بعيدا عن المدينة العتيقة، ناحية السور الشمالي لندرومة في مساكن جميلة كانت في الأصل من ممتلكات الأغا السابق لمدينة ندرومة، إلى أن حلّت سنة 1884؛ تمّكن أحد الكولون من بناء مسكن خاص خارج أسوار المدينة ذو طابق وشرفة، وظل مسكن أولاده إلى غاية سنة 1954[1]، وبمرور الوقت صارت المنطقة المحيطة بهذا المسكن الأوروبي تعرف بشارع الأوروبيين الذي بدأ بالبروز في هذه المدينة مع مطلع سنة 1910[2].

وبذلك بقيت مدينة ندرومة مدّة (42) سنة محافظة على تخطيطها ومساحتها اللذان كانت عليهما قبل الدخول الفرنسي إليها والمخطط التالي يوضح ذلك:

1- Marie-Anne (Prenant-Thumelin) :Op.Cit, p55.

2- Djilali (Sari): Op.Cit, p171

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

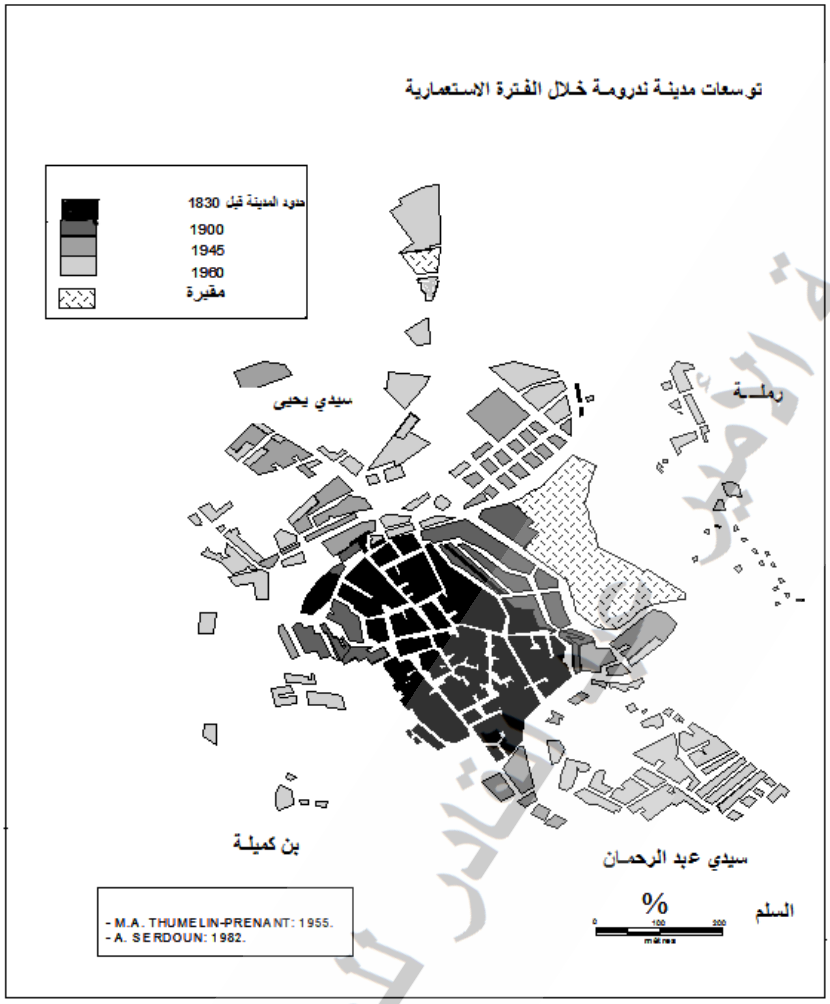

بدأت ندرومة تشهد توسعات خارج أسوارها بداية القرن العشرين، وبالتدقيق بعد الإلحاح الأوروبي بتأسيس شارع أوروبي، وعلى الفور بدأت أشغال إعداد تحصيص سنة 1904 وانتهت أشغاله سنة 1907 حوله شوارع على شكل رقعة الشطرنج ضيقة وواسعة محاطة بالأشجار، ومنازل غير متصلة، وقد تّم تزويد هذه المساكن بالمياه الصالحة للشرب والضوء (البترول)، وقد تمّ إنهاء قنوات الصرف الصحي سنة 1906 [1].

كما شيّد في نفس الفترة، داخل أسوار المدينة بعض الملكيات على مستوى من الرفاهية من قبل بعض الأسر الندرومية كأسرة ابن رحال، وزرهوني، قرب ساحة الحبوب، التي صارت تعرف سنة 1954 بساحة الاستقلال، هذه الملكيات معظمهما منازل ذات

---

(1) - Marie-Anne (Prenant-Thumelin) : Op.Cit, p55.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

طوابق وشرفات، وقد خصصت الطوابق الأرضية للأعمال التجارية، أمّا المنازل المماثلة لها والتي أقيمت في شارع الخرْبة، فقد خصص الطابق الأرضي منها للسكن، وهذا يعكس اختلاف المستوى المعيشي بين سكان هذه المدينة الصغيرة، مع ذلك يبقى شارع الخرْبة الشارع الوحيد الذي شهد توسعا سكانيا تجاوز أسوار المدينة العتيقة؛ حيث أقيم تحصيص سكني من طرف أحد الأوروبيين بمساحة (10.000م²)، تمّ اقتطاعها من حبوس المقبرة، وقد تمّ تقسيم هذا التحصيص إلى قطع أرضية تتراوح مساحتها بين (69) إلى (180م²)، تحولت بعد وقت قصير إلى (90) مسكن[1].

كما عرفت مدينة ندرومة مرحلة ثانية من أعمال البناء داخل أسوارها، من طرف بعض سكانها، وذلك بداية عام 1930، كانت أغلبها أعمال ترميم أكثر منها أعمال بناء وتشييد، لسكنات ذات طابقين وفناء، بالإضافة إلى حدائق في بعض منها، وقد أقام هذه السكنات عدد من التجار والملاك الندروميين، بالإضافة إلى بعض شيوخ الزوايا، وتبرز ملامح هذه الرفاهية كذلك في شارع بني عفان قبالة المسجد الكبير، وناحية السور الجنوبي الغربي للمدينة وقد زادها جمالا ورونقا الحدائق الخضراء المسقية في شارع الخربة العتيق الذي اختلف عن باقي شوارع ندرومة العتيقة بأن تجاوز أسوار المدينة؛ حيث تمّ تشييد إقامة للمسافرين، ماعدا ذلك لم تتعدى مدينة ندرومة القديمة حدود أسوارها سنة 1939[2].

أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية استقبلت مدينة ندرومة أعداد من القبائل التي تركت أراضيها بحثا عن المأوى والعمل، وهذا جرّ مدينة ندرومة إلى مرحلة ثالثة من التوسع، كان جله خارج أسوار المدينة، لكن هذه المرّة ليس من طرف سكانها بل من طرف سكان القبائل الذين نزحوا إليها، واستقروا أعلى القصبة القديمة وراء طريق مغنية على المنحدر الشديد لفلاوسن، كما نزلت هذه القبائل أسفل قبة سيدي عبد الرحمان البجاي[3].

---

(1) - Marie-Anne (Prenant-Thumelin) : Op.Cit, p55 .

(2) - Djilali (Sari): Op.Cit, p171.

(3) - Ibid, p 172.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أقام هؤلاء النازحون سكنات فوضوية وغير جميلة، وقد تمّ تشييد (06) منازل سنة 1949، و(04) سنة 1950، و(19) منزل بين 1952-1959[1]. كانت هذه السكنات تفتقر إلى الماء والإضاءة، والأرصفة والطرق المعبدة، وقد أجبرت النسوة والأطفال على النزول يوميا من منحدر فلاوسن قاصدين مدخل المدينة لجلب المياه[2].

وفي الوقت الذي تزايدت فيه حركة الهجرة الريفية إلى المدن بما فيها ندرومة عرفت هذه الأخيرة نموا سكانيا كثيفا تجاوز الضعف، ومع ذلك بقيت المدينة القديمة جاثمة خلف الأسوار ولم تتجاوزها منذ السيطرة الفرنسية عليها سنة 1842، على عكس الشارع الأوروبي بالمدينة والذي شهد أعمال توّسيع كان أبرزها تحصيص حزيزة بن قيقي (Haziza Benguigui)، الذي خصص (14) قطعة أرض مساحة كل واحدة منها حوالي (200م^2)، قصد إقامة فيلات من (04) إلى (06) غرف ومطبخ، حمام، حديقة، ومرآب.

وقد اشترى هذه القطع أربعة تجار حرفيين من اليهود، و(10) من المسلمين؛ أربعة (04) من بينهم من ملاك الأراضي، و(04) تجار، وكيل، وحرفي[3].

وبالتوازي مع ذلك، تجددت أعمال البناء والتشييد داخل المدينة؛ حيث أقيمت مساكن جميلة احتوت في بعض الأحيان محلات تجارية، تعود لكبار التجار في المدينة، وبغض النظر عن تضاعف سكان ندرومة فإنّ توسع هذه المدينة وفق الظروف التي تمّ الإشارة إليها أعلاه؛ لم تخدم سوى أقلية من العائلات الغنية في المدينة، ويبقى التوّسع خارج الأسوار حكرا على سكان الأرياف المهاجرين، وكذا من طرف الإدارة الفرنسية.

جعلت الإدارة الفرنسية مدينة ندرومة مركزا للبلدية المختلطة التي تضم عددا من الأرياف المحيطة بها وسَهّلَ عليها بذلك إحكام إدارتها ومراقبتها المستمرة على القبائل، مع

---

(1) - Djilali (Sari): Op.Cit, p172.

(2) - Marie-Anne (Prenant-Thumelin) : Op.Cit, p 56.

(3) - Ibid., Idem.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ذلك عجزت الإدارة الفرنسية من فرض هيمنتها على مدينة ندرومة؛ فصغر مساحة هذه الأخيرة وقدم هيكلها العمراني الذي وقف عند حدود السور العتيق حال دون التوسع داخل المدينة وإحداث تغييرات فيها؛ مما أضر بمساعي الإدارة الفرنسية في خلق مدنية أوروبية عن طريق تشجيع الاستيطان وإقامة شوارع أوروبية بندرومة والتي اقتصرت على شارع وحيد خارج أسوار المدينة معظم سكانه من موظفي البلدية.

فإذا كان الاستيطان في ندرومة محتشما طيلة الفترة الاستعمارية؛ هذا يعني أن اقتصاد المدينة لا يزال بيد الندروميين باعتبار أن قاعدة الاستيطان كانت على الدوام ملكية الأرض والعقار، لكن هذا الحكم سابق لأوانه، فلا يعقل أن تغض الإدارة الفرنسية الطرف عن الملكيات الأهلية وهي أعلنت منذ بدايات الاحتلال محاربتها لها، وهذا يجعلنا نتسائل ما هو وضع الاقتصاد في مدينة ندرومة في ظل الاحتلال الفرنسي؟

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفصل الرابع

اقتصاد مدينة ندرومة خلال الفترة الاستعمارية

4-1- الحرف و الصناعات

4-2- الزراعـــــــــة

4-3- التجـــــــــارة

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

كانت مدينة ندرومة مركزا اقتصاديا وتجاريا نشيطا، وقد ساهم في ذلك عوامل عديدة؛ نذكر منها العامل الجغرافي الذي ساعدها على الظهور كقوة سياسية ودينية وثقافية في كل منطقة طرارة، فهي تحتل المركز وبالتالي تتوسط معظم القبائل المجاورة، زد على ذلك الدور التاريخي الذي أسند إليها منذ أيّام عبد المؤمن بن علي الكومي مؤسس الدولة الموحدية والذي زاد من شهرة ندرومة التي هي فرع من فروع قبيلته كومية، دون أن ننسى تموقع ندرومة على الحدود المغربية فكانت بذلك سوقا من أهم أسواق الغرب الجزائري، ونحن هنا لا نستبق الأحداث ولا نقدم أحكام مسبقة في غير وقتها، فهذا هو طابع وحال مدينة ندرومة منذ القديم، وهذا ما ورد في دراسات المؤرخين والرحالة، لكننا مع ذلك لا نتوقف عن التساؤل والشك حول ثبات مدينة ندرومة وبقائها على نفس الوضع والمستوى، خاصة بعد وقوع تغييرات ومستجدات من شأنها أن تنعكس إما بالإيجاب أو بالسلب على هذه المدينة ونواحيها، ومن أهم هذه المتغيرات السيطرة الفرنسية على المنطقة، التي فرضت سياسة دخيلة على المجتمع وحاولت تغيير حركية هذا الأخير وفق متطلباتها ومصالحها، فيا ترى ما هو حال المجتمع الندرومي في ظل السيطرة الفرنسية وحال اقتصاد المدينة؟ هل ظل على ما هو عليه أم وجدت السلطة الفرنسية نمطا اقتصاديا مختلفا؟

في تقرير للإدارة الفرنسية سنة 1867 حول اقتصاد مدينة ندرومة؛ جاء فيه[1]: « سكان ندرومة...مزارعون، صنّاع، وتجار، أنشطتهم الاقتصادية واسعة ومنتشرة في الغرب إلى غاية فاس وطنجة...نشاطاتهم هي نفسها كما هي عليه الآن؛ ضيقة ومحدودة لا تلبي متطلبات السكان، فهؤلاء لا يمتلكون مصادر صناعية متنوعة ومتطورة كافية...وتتمثل صناعتهم في خيوط الصوف، صناعة الحايك، والفخار، يضاف إليها سوق المدينة الذي يقام كل خميس؛ حيث تعرض المنتجات عند سور المدينة، وفي داخلها، ففي خارج السوق تتم عمليات بيع المواشي، أما داخله فخصص لبيع الحبوب الصوف، اللحوم، ...إلخ ، يتردد

---

(1) - Tribu de Nedromah, Douar Commune de la C.M de Nedroma, AOM, Aix en Provence Carton N° 2N/67.

ينظر الملحق رقم:14

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

على سوق ندرومة سكان القبائل المجاورة، كطرارة، سواحلية، جبالة وبني سناسن، وسكان وجدة، وقبائل دائرة مغنية، وأخيرا أوروبيو نمور(الغزوات) ومغنية، ويسهر على أمنهم قايد القياد الذي يتقاضى أجرا قدره (200) فرنك سنويا...يعرض سكان ندرومة سلعهم ومنتجاتهم في هذا السوق، وكذلك في سوق نمور، مغنية، الغُسّلْ، طرارة، شراية، ووجدة...»

يتضح لنا من خلال هذا التقرير؛ أنّ سكان ندرومة فاعلون اقتصاديون ينشطون منذ زمن في مجالات رئيسة ثلاث اعتبرت قواعد الاقتصاد في ندرومة، وهي: الحرف، الزراعة، والتجارة، وبناء على الإحصائيات التي أجرتها الإدارة الفرنسية بعد عمليات السناتوس كونسلت سنة 1867، وإلى غاية 1888؛ كان عدد سكان المدينة حوالي (3000) نسمة، (15%) منهم مثلوا الأقلية اليهودية الفاعلة بدورها في مختلف الأنشطة الاقتصادية [1].

وقد قدرت الباحثة (M.A. Prenant) [2]؛ نسبة القوة النشطة لسكان مدينة ندرومة بداية الاحتلال الفرنسي بـ (900) إلى (1000) ناشط؛ (450) منهم ينشطون في مجال الحرف ويشكلون بذلك نسبة (50%)، (200) في مجال التجارة بنسبة (20%)، و (250) في مجال الزراعة بنسبة (25%)، و(50) في المجال الثقافي، ويشكلون نسبة (05%)[3].

وفيما يلي جدول يوضح أهم المهن الممارسة من قبل سكان ندرومة، بناء على ما أوردته سجلات الحالة المدنية سنة 1888[4]:

---

(1) - M.A (Prenant-Thumelin) : Op.Cit, p25.

(2) - Ibid, Idem.

(3) - Gilbert (Grandguillaume) : Op.Cit, p 02 .

(4) - Ibid, p03

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المهـن	العدد	المجمـوع	%
نساج	75		
خياط	01		
فخّار	20		
صانع أحذية	13		
إسكافي	01		
حداد Forgeron	02		
نجّار Charpentier	01		
نجار Menuisier	02		
حداد Maréchal-ferrant	02		
بنّاء	03		
صانع الطوب (الآجر)	01		
مقاول	01		
معماري	01		
عامل Tâcheron	01		
الحرف		124	%40
جزار	27		
تاجر	30		
بقّال	05		
بائع الأحصنة Maquignon	01		
شاحن البضائع	01		
التجـارة		64	%25

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

مزارع	79		
بستاني	01		
حطّاب	02		
الزراعـة		82	%25

إنّ الأرقام المذكورة أعلاه لا تعبر بصفة نهائية ودقيقة على عدد المهن الفعلي في مدينة ندرومة وذلك لاعتبارات عديدة؛ منها أنّ معظم المهن الواردة في الجدول تخص رؤوساء العمل، وبخاصة فيما يخص النساجين؛ فعدد (75) يخص رؤوساء الورشات وليس العاملين في هذا القطاع، بدليل أن سجلات الحالة المدنية لعام 1888 أوضحت أنّ من بين (700) مسجل؛ (300) فرد اعتبروا من البطالين، و(108) من العمال اليوميين.

والحقيقة أنّ هؤلاء البطالون ينشطون في مختلف الحرف بما فيها النسيج ولكن كأجراء و صغار العمال في الورشات الموزعة في مدينة ندرومة، كما نلحظ من خلال الجدول تكرار لبعض المهن في مجال النجارة والحدادة والبناء، ويعود ذلك إلى بعض الصعوبات اللغوية التي صادفت أعوان الإحصاء الفرنسيين، فهم وجدوا صعوبة في إيجاد الصياغة الدقيقة لكل نشاط مهني، لذلك مال أغلب هؤلاء الأعوان إلى الصيغ السهلة، فعلى سبيل المثال وردت مهنة النجار في هذا الجدول مرتين، ولكن بصيغتين أولها (Charpentier)، وثانيها (Menuisier)[1]، وكذلك الأمر بالنسبة للحداد؛ حيث استعملت صيغتان (Forgeron) و (Maréchal-Ferrand)[2].

---

(1) - Gilbert (Grandguillaume) : Op.Cit, p 4.

(2) - أورد جوزيف كنال J.Canal في دراسته حول ندرومة؛ أنّ هذه الأخيرة لم تضم ورشات للحدادة وأن سكان ندرومة كانوا يقصدون نمور لهذا الغرض، ينظر J.Canal :Op.Cit, 1887, p98.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

4-1-الحرف والصناعات:

تعتبر الحرف والصناعات التقليدية نتاجا حضاريا لعمليات التفاعل الحي بين المجتمعات المحلية، مما تحمله من رؤى وقيم حضارية وبيئتها الطبيعية من جهة، وبينها وبين المجتمعات الأخرى من جهة أخرى.. ومن ثم فهي مظهر من مظاهر الحضارة بل هي وسيلتها للتعبير عن ثقافة المجتمع وأصالته ومكون أصيل للذاكرة الحضارية تجسد المظاهر الحياتية والمراحل التي مرت بها في المجتمع الذي انبثقت منه.

وبما إن نوعية الحرف والصناعات وطبيعتها في أي مجتمع يتأثر بعامل البيئة وعناصرها الأولية وأسلوب الحياة المعتمد فإن الصناعات التقليدية التي اشتهرت بها مدينة ندرومة ترتبط ارتباطا مباشرا بالاحتياجات الأساسية للفرد في مجتمع يعتمد على التجارة والزراعة في معاشه وتستمد خاماتها من المواد المتوافرة في البيئة، حيث لعبت البيئة دورا ملحوظا في تحديد نوع الصناعات والحرف التي امتهنها الندرومي قديما.

ظلت الصناعات التي اشتهرت بها مدينة ندرومة قبل السيطرة الفرنسية هي نفسها الطاغية على الأنشطة التجارية والاقتصادية، وهي في مجملها صناعات صغيرة يدوية، تقليدية لم ترتق إلى الصناعات التحويلية المركبة والمعقدة.

ويمكن تقسيم الأنشطة الاقتصادية في مدينة ندرومة إلى قسمين: صناعات حضرية، وصناعات ريفية.

1- الصناعات الحضرية: وتشمل النسيج، و الفخار، والطرز على الجلود، وصناعة البليغة؛

2- الصناعات الريفية: وتشمل صناعة السلال، الفخار، صناعة الآجر، الصناعات الخشبية، وصناعة الألياف النباتية (Crin Végétal)، وصناعة سروج للبغال، و (tellis) ؛ وهي نوع من الأغطية يوضع على ظهر الدواب [1].

---

[1] - E.(Janier) :" Les industries Indigènes de la région des trara", In R.A, N° 88, 1944, p 43.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تتسم هذه الصناعات بكونها محلية ماعدا صناعة الألياف النباتية (Crin Végétal) ، فالمواد الأولية كلها متوفرة قي المنطقة، كما أنّ ترويج البضاعة يتم في نفس المنطقة، والمشترون يقتنون أغراضهم سواء عند الصناع أو في السوق، فسلع الأحذية والفخار في مدينة ندرومة؛ تباع في بعض أسواق المنطقة، في تلمسان، مونتياك (Montagnac) (سيدي إبراهيم)، بني صاف، عين تيموشنت، لكن مع ذلك يعتبر سوق ندرومة مركز البيع الأساسي[1].

4-1-1- الصناعات النسيجية:

حسب إحصائيات (1867) ؛ بلغ عدد آلات النسيج بمدينة ندرومة (148) آلة تتوزع على (44) ورشة، وتعد هذه الصناعة من الأنشطة الاقتصادية الأساسية بالمدينة، وقد تبنتها مجموعة من العائلات الندرومية، وفي الغالب هي صناعة عائلية، حيث يكون الأب هو رب العمل والأولاد هم جملة العاملين بالورشة[2].

يكلف الشبان بغزل الصوف، بتحويلها إلى خيوط ووضعها في بكرات، تستعمل في صنع وحياكة جلاليب بيضاء (1.50مx2 م)، وأغطية، وتنقسم هذه الأخيرة إلى ستة (06) أنواع وهي: الحنبل، لامودا، بورابح، حشايشي، بطانية، شيشاوة، ووجه الخلاف بين هذه الأغطية هو النوعية؛ من حيث كون النسيج مشدود أم العكس، وكذلك من حيث الألوان[3].

كما احتلت حياكة القطن في ندرومة مكانة هامة، وهذا منذ فترات طويلة، وقد أشار إلى ذلك ليون الإفريقي في كتابه وصف إفريقيا[4]، كما أوضح ذلك قايد ندرومة الحاج حمزة بن رحال في روايته حول تاريخ ندرومة؛ حين تحدث عن الحامية الإنكشارية العثمانية التي كانت تقيم بندرومة سنة 1790، والتي دخلت في مناوشات مع السكان بعد استفزازها لهم؛ فقرر بعدها داي الجزائر فرض مساهمة سنوية من سكان المدينة قدرت بـ(100) قطعة

1- E. (Janier) : Op.Cit, 43-44.

2- M.A (Prenant – Thumelin) : Op.Cit, p 33.

3- E. (Janier) : Op.Cit, p45.

4- ليون الإفريقي: مرجع سابق، ص 14.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

كبيرة من النسيج القطني لإعداد خيم الجنود، وسرعان ما ارتفع العدد إلى (1000) قطعة قطنية[1]؛ وهذا يبرز وفرة القطن في مدينة ندرومة، لكن ليس كزراعة وإنما كمادة خام في النسيج. لكن بمرور الوقت ونظرا لقلة الدخل ونقص المادة الأولية، صار الصناع يكتفون بنسج الصوف[2]، التي يجلبها المشترون في بكرات بقصد نسج جلاليب، سراويل، قمصان، عبايات، ويتقاضى الصناع قيمة عملية النسج فقط دون قيمة الصوف [3].

وقد استمرت صناعة النسيج في التراجع، فقد انخفض عدد ورشات النسيج سنة 1942 إلى (23) ورشة، اشتكى خلالها الصناع من قلة العمل وظلوا يعيشون لأشهر في بطالة أربكت ميزانيتهم التي قلّ دخلها ، بالإضافة إلى قلة المادة الأولية، مما أدى إلى انخفاض الرواتب، ومع ذلك تبقى رواتب العمال الندروميين مرتفعة مقارنة مع أمثالهم في نفس النشاط؛ ففي الوقت الذي كان يتلقى فيه النساج التلمساني ما قيمته (500) فرنك (قيمة الصوف والعمل) لصنعه بورّباح يزن (05) كلغ؛ يتقاضى العامل الندرومي مقابل نفس العمل (250) فرنك لقاء عمله فقط، دون المادة الأولية[4]، فالفرق شاسع بين العاملين ويوضح بجلاء أن الصناعة النسيجية في ندرومة باهضة رغم قلة المادة الأساسية، وتراجع عملية البيع، فكيف لصاحب ورشة أن يسدد مثل هذه الأجور لعماله، وورشته متوقفة عن العمل[5].

اعتمد الندروميون على مادة أساسية في عملية النسيج وهي الألوان، والأغلب أنّها معدنية، كميائية، ويتم اقتناؤها من طرف تجار الجملة الذين يتنقلون كل سنة إلى الجزائر العاصمة رغم بعد المسافة قصد شراء الصباغ .

---

(1) - ينظر المدخل، ص 26.

(2) - Alfred (Bel) : " Nedroma métropole musulmane des Trara", In :Bulletin de la société de Géographie d'Alger et de l'Afrique du Nord, N° 140, 1934, p516.

(3) - E.(Janier) : Op.Cit, p45-46.

(4) - Ibid, p 46.

(5) - Ibid, Idem.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أمّا فيما يخص الصباغ النباتي فلم يستعمل بطريقة واسعة، ما عدا في بعض الصناعات كالشاشية التي تتخذ لونها من ضغط شقائق النعمان أو ما يسمى في اللهجة المحلية الندرومية كرماز، وقيمته جد عالية حيث بلغت عام 1942 ما قدره (4000) إلى (5000) فرنك للكيلوغرام . أما بالنسبة لعملية بيع المواد المنسوجة، فيتم ذلك عند الصناع في ورشاتهم، أو عند أصحاب المحلات في المدينة، وقد بدأت هذه الصناعة تندثر وآخر الجلاليب التي بيعت كانت قيمتها بين (800) و (1000) فرنك[1].

وعلى الرغم من الصعوبات التي واجهها حرفيو النسيج إلاّ أنهم واصلوا نشاطهم الحرفي ولم يتوقفوا ؛ وقد شهد عام 1954 استمرارية لحرفة النسيج وبلغ وقتها عدد الورشات (40) ورشة، من بينها (12) ورشة عائلية، ينشط فيها (129) حرفي يشكلون 7.75% من الطبقة العاملة في ندرومة، وينقسمون إلى [2]:

- 62 نسّاج؛ هم في الغالب رؤساء العمل، وفي مجملهم إخوة وأبناء؛
- 67 ممتهن؛

4-1-1-1- تقنيات صناعة النسيج بندرومة:

كان النساجون يقتنون المادة الأولية من الصوف يوم الجمعة وهو يوم انعقاد سوق الصوف في ساحة التربيعة الشهيرة بالقرب من المسجد الكبير. لكن في أغلب الأحيان تولى أمر اقتناء الصوف وإعدادها في بكرات قصد الحياكة عدد من نساء ندرومة اللواتي كنّ تقصدن بائع جملة في شارع قرب شارع الريفيين سيدي عبد الرحمان خارج أسوار المدينة، والذي يشتري بدوره الصوف من أسواق مغنية تلمسان، وسبدو، وقد يقتنيها أحيانا أخرى من منطقة سعيدة وتيارت، ومشرية بقيمة (30000) فرنك للقنطار؛ تدفع النسوة ما قدرة (500) فرنك للكيلوغرام، ويتوليْن أمر تنظيف وغسل الصوف حيث تتجه النسوة الندروميات مع طلوع الفجر إلى عين جرير التي تبعد حوالي 04 كلم على الطريق المؤدي إلى مغنية بالقرب من الجبل، حيث تقوم النسوة باستئجار دواب لحمل الأغراض، وإعداد رزم تقمن بحملهن

1- E.(Janier) : Op.Cit, p 46.

2- M.A (Prenant-Thumelin): Op.Cit, p 34.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فوق رؤوسهن، وقد اعتادت نساء ندرومة القيام بهذا العمل في فصل الربيع بعد جز صوف الغنم[1].

لما تصل النسوة إلى الينبوع يوقدن النار لتسخين الماء الذي يضاف إليه بلورات الصودا وكذلك صابون لتسهيل عملية تنظيف الصوف، ويقمن بتقسيم العمل فيما بينهن؛ بعضهن يغسلن الصوف في الماء الساخن، وأخريات تقمن بعدها بطرق الصوف على حجارة مسطحة قصد نزع الشوائب منها، بعدها توضع الصوف مرة أخرى في الماء ثم تترك لتجف تحت أشعة الشمس[2].

بعد عملية التنظيف تأتي عملية تبييض الصوف، وتحويلها إلى خيوط، وتقوم عملية التبييض على إعداد مسخنات –حسب لغة أهل المنطقة- أو مجففات مصنوعة من قضبان مرنة من نبات الدفلى توضع في سطح المنزل، والتي يتم حرق الكبريت داخلها، وينتج عن هذا الاحتراق ثاني أكسيد الكربون الذي يجعل الصوف أكثر بياضا، ثم تأتي مرحلة غزل الصوف والتي تتطلب وقتا طويلا؛ ذلك أنّ إعداد خيوط الصوف يتطلب القيام بعمل إضافي يتمثل في إعادة تنظيف الصوف من الغبار والتراب، والنباتات الشوكية التي قد تلتصق بصوف الماشية؛ هذه العملية تتطلب وقت طويل وصبر من طرف النسوة اللواتي تقمن بالعملية مرارا وتكرارا بأخذ كميات قليلة من الصوف والعمل على تنقيتها وإلاّ لن تكون الصوف مهيأة للعملية الثانية والمتمثلة في تمشيطها بآلة كاشطة(مشط)، لتأتي المرحلة الأخيرة التي تحول فيها الصوف إلى خيوط عن طريق غزلها بآلة تسمى المغزل[3].

بعد انتهاء عملية الغزل تقصد النسوة سوق الغزل والذي يعقد كل جمعة مع بزوغ الفجر بساحة التربيعة ، وتأخذن معهن عينة من الصوف المغزولة والموضوعة في بكرات؛ حيث يتم معاينة هذه العينات بدقة من طرف النسّاجين الذين يقررون بعدها السعر

---

(1)- Mohammed Benamar(Djebbari) : Un parcours rude mais bien rempli, T1, Editions ANEP, 2002, p 30 .

(2)- Ibid, p 31.

(3)- Ibid, p 31-32.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلوب[1]، والذي قدّر سنة 1954بـ: (700) فرنك للكيلوغرام، أمّا الصوف الملونة فقدر سعرها بـ (760) فرنك[2].

4-1-1-2- ميزانية النساجين سنة 1954:

كان النساجون يحيكون (05) كلغ من الصوف عن كل آلة نسيج يوميا، تحقق لهم مكسب قدّر بين (1000) إلى (1200) فرنك، ولكنه ليس بالربح الكبير إذا أخذ بعين الاعتبار أنّ أغلب الحرفيين ليسوا ملاك لورش النسيج إنّما مستأجرون؛ ومطالبون بدفع (1000) إلى (1200) فرنك شهريا، كما أنّ 3/2 من قيمة الكسب تدفع كأجور للعمال على آلات النسيج، والأطفال الذين يتولون وضع خيوط الصوف على بكرات، أمّا النسبة المتبقية 3/1 فتوزع بين أفراد العائلة صاحبة النشاط[3].

الناظر إلى هذه النسب المذكورة أعلاه يتضح له أنّ عمليات الكسب في مجال النسيج تبقى بسيطة ومتواضعة، ولا تعدو كونها تؤمن القوت اليومي للحرفيين ، وهذا في حالة ما إذا كان نشاط النساجين منتظم والواقع عكس ذلك؛ فقد تمر أيّام وأحيانا أشهر دون عمل لأنّ نشاط النسيج ينتعش في مواسم دون أخرى وخاصة في فصل الصيف وهو موسم الأفراح والزواج؛ حيث تتوافد عائلة العرائس على ورشات النسيج لنسج أغطية ومستلزمات أخرى لبيت الزوجية[4]، أمّا في فصل الربيع فقد تغلق معظم الورشات بسبب المشاكل التي يصادفها الفلاحون في هذا الفصل ، و يعد هؤلاء الفلاحون الزبائن الأساسيين لدى النساجين، ومما زاد في تأزم عمل النساجين في ندرومة؛ هو حالة الفقر والبؤس التي تعرض

1- Mohammed Benamar(Djebbari) : Op.Cit, p 32

2- M.A (Prenant- Thumelin): Op.Cit, p34.

3- A (Serdoun): Op.Cit, p29.

4- Ibid, p 28.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لها فلاحو الدواوير المحيطة بندرومة، والذين حاولوا إصلاح أوضاعهم فقرروا الهجرة إلى المدن ، وبالتالي الكسب الذي كان ينتظره النساجون من هؤلاء الفلاحين قد تلاشى[1] .

4-1-1-3- تراجع حرفة النسيج وأسبابها:

في الواقع؛ شهدت حرفة النسيج في ندرومة تراجعا كبيرا، ويتضح ذلك من الإحصائيات التي أجريت في ورشات النسيج بهذه المدينة سنة 1954، فمن مجموع آلات النسيج التي بلغ عددها (148) آلة سنة 1867، والتي ظلت موجودة حتى سنة1954 ؛ (50) آلة فقط منها بقيت قيد الخدمة، هذا بناء على ما صرّح به حرفيو المدينة، أي بمعدل آلة أو آلتين لا تستخدم من أصل آلتين أو ثلاث آلات تمتلكها كل ورشة[2].

هذا التراجع نتج عن أسباب عديدة؛ أهمها أن حرفة النسيج في ندرومة كانت تكاد لا تخرج عن إطار العائلة، وبالتقادم صار الشبان يبتعدون وينفرون من هذه الحرفة، فمن مجموع (44) ورشة نسيج موجودة سنة 1954، (12) ورشة فقط كانت عائلية، كما أن أغلب العائلات الندرومية التي تشتغل بالنسيج ومع تناقص مداخيل ورشاتها؛ فضلت توجيه أبنائها إلى فروع أخرى من الأنشطة الحرفية بالمدينة، ونحو التجارة أو الزراعة، ففي عام 1954 اشتغل ثلاث شبان من عائلات تنشط في مجال النسيج؛ في ميدان الخياطة أو كانوا ممتهنين قيد التمرن في هذا المجال، وفتى عمل نادلا في مقهى، وآخر اشتغل بالحلاقة، وشاب عمل كأجير يومي في مجال الزراعة[3].

إنّ أسباب هذا التراجع في مجال النسيج والذي لم تسلم منه باقي الأنشطة الحرفية سواء في ندرومة أو في كافة القطر الجزائري كانت واضحة وملموسة، ومنها:

- أن الحرفي لا يحقق الكسب والربح الكافي- كما سبقت الإشارة- وبالتالي ليس بمقدوره شراء واقتناء كميات كبيرة من الصوف؛ وكان يتوجب عليه قبول الوسيط بينه وبين

---

(1) - Djilali (Sari) :" L'évolution récente d'une ville précoloniale en Algérie Occidentale ; Nedroma", In : revue Tunisienne des sciences sociales, Vol.5, N° 15, 1968, p225.

(2) _ A (Serdoun) : Op.Cit, p30.

(3) _ Ibid, Idem.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بائع الجملة والذي يقتطع نسبة معتبرة لصالحه ممّا يتسبب في رفع قيمة الأسعار باستمرار[1]؛

- وممّا زاد في تأزم نشاط النسيج بمدينة ندرومة؛ هو نشاط السوق الأوروبية التي بدأت تتنامى مع أواخر القرن التاسع عشر؛ وهذا ما اتضح في تقرير أعده مدير بلدية ندرومة المختلطة سنة 1897 أشار خلاله إلى تدني أسعار النسيج بعد رواج السلع الفرنسية في ندرومة حيث تراجع سعر الحايك الذي كان يتراوح بين (12 إلى 15) فرنك، أمام الأقمشة الفرنسية التي تباع بأسعار منخفضة بقيمة (4 إلى 5) فرنك[2] ، وعلى الرغم من كون هذه الأقمشة أقل جمالية وأقل صلابة مقارنة مع أقمشة النساجين المحليين؛ غير أنّ الحالة الاقتصادية المتردية والبؤس الذي لا يتوقف عن التعاظم والانتشار في أوساط العمال اليوميين، والفلاحين؛ جعل هؤلاء يسعدون باقتناء القمصان القطنية، والسترات التي يبيعها تجار الألبسة المستعملة في المدينة أو أيّام السوق، وعلى الرغم من محافظة الحضريين على الجلابة، وتفضيل الفلاحين لها في الأرياف؛ غير أن الشبان وبمرور الوقت مالوا كثيرا لارتداء الزي الأوروبي وصار المفضل لديهم، وهذا ما لم يخدم حرفة النسيج على الإطلاق[3]؛

إنّ تراجع حرفة النسيج في ندرومة تفسره النقاط المذكورة أعلاه، وكذا انحصار هذه الحرفة عند فئة الكهول والشيوخ ويتضح ذلك من خلال التقارب العمري بين رؤساء الورشات النسيجية في ندرومة؛ مع ذلك كانت نسبة (72)% من العمال بهذه الورشات من فئة المراهقين والأطفال؛ وهؤلاء لم يكن بإمكانهم تقديم الكثير في هذا المجال بالنظر لجهلهم وعدم خبرتهم؛ لذلك لا نستغرب إذا وجدنا رئيس العمل وصاحب الورشة يشتغل بدوره على

---

(1)_ A (Serdoun) : Op.Cit, p30.

(2)- Rapport concernant les principales industries dans la commune mixte de Nedroma , 23 Fevrier 1897, Carton N° 2M/121.

(3)- A (Serdoun) : Op.Cit, p 30-31.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

آلات النسيج رفقة العاملين عنده؛ وهذا الأمر كان منتشرا وسط النساجين في ندرومة على عكس رؤساء ورشات النسيج في تلمسان[1].

إنّ حرفة النسيج في ندرومة لم تشجع على خلق الاستثمار وتحقيق الربح الاقتصادي للفرد الندرومي، فأجور العمال كانت جد متدنية كما أن النسبة الكبرى من المداخيل سيطر عليها رؤساء العمل؛ مع ذلك فضلوا هم بدورهم البحث عن مصادر رزق أخرى ذلك لأن وضعيتهم لم تكن أحسن من وضعية العاملين لديهم، وذلك بسبب تدني مداخيلهم وأرباحهم.

4-1-2-حرفة الخياطة وتطريز الجلاليب:

الخياطة و التطريز حرفة تتطلب العمل الدقيق والعناية الفائقة على الرغم من المردود القليل الذي يحققه صاحب العمل؛ هذا الأخير لا يمكنه الاستغناء عن المساعدة، لذلك كان كل خياط يستعين بطفل يمسك بين يديه خيوط النسيج التي يمرر الخياط من خلالها الإبرة.

لاقت هذه الحرفة كغيرها من الحرف الأخرى صعوبات تسببت في تراجعها وفي فقر صناعها، وهي لا تكاد تختلف عن الصعوبات التي لاقتها حرفة النسيج والمتمثلة في [2]:

- المنافسة من طرف السوق الأوروبية؛
- الافتقار الذي عمّ الزبائن من أهل الحضر والريف معا، والذين مالوا أكثر فأكثر إلى اقتناء الألبسة المستعملة من مختلف الأسواق؛

غير أن الخياطين واجهوا صعوبة أخرى لم يعرفها النساجون تمثلت في المنافسة الإسرائيلية؛ فقد اشترى الإسرائيليون آلات خياطة يشتغل عليها الرجال في ورشاتهم المفتوحة والتي بلغ عددها إثنان سنة 1948 والتي لا تختلف كثيرا عن الورشات العربية، كما يتم تشغيل هذه الآلات من طرف النساء الإسرائيليات في منازلهن؛ فقد تمّ إحصاء (07) آلات

1- M.A (Prenant- Thumelin): Op.Cit, p35.

2- A .(Serdoun): Op.Cit, p 34.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

خياطة سنة 1948[1]، لكن هذا العدد كان لا يفسر ولا يبرر حقيقة كمّ الأصوات الصادرة عن هذه الآلات والتي تصل إلى آذان المارة عبر الشوارع[2].

وعلى الرغم من انتشار آلات الخياطة الحديثة التي هددت مستقبل الخياطين والمطرزين في ندرومة ؛ غير أن ملابس هذه الآلات الحديثة لم تكن تتمتع بالجمال والصلابة التي كان يمنحها المطرز والخياط التقليدي، ومع ذلك صار الندروميون شيئا فشيئا يعزفون عن ألبستهم التقليدية ويقبلون على الملابس الحديثة؛ وهذا لم يكن تملصا من العادات والتقاليد بقدر ما كان الحل والوسيلة الناجعة لما يمليه عليهم واقعهم المعيشي ومستواهم الاقتصادي وحتى واقعهم الثقافي وبخاصة شريحة الشباب منهم والتي تأثرت بالحياة العصرية وبالمدنية الفرنسية.

4-1-3-صناعة الفخار:

احتلت صناعة الفخار مكانة مهمة في مدينة ندرومة، فهي صناعة عتيقة وممتدة جذورها في التاريخ يكفي أن أقدم مسجد في ندرومة يحمل اسمها حتى وقتنا الحالي وهو جامع القدارين (الفخارين) المتواجد بشارع بني زيد، في نهاية هذا الشارع بالقرب من مقام لالة الزهرة الشريفة؛ يوجد مكان يعرف بدرب الفخارين وهو المكان الذي تتمركز فيه ورشات الفخارين، وما يدل على أهمية وقدم حرفة الفخار في ندرومة أن عددا من الأسر الندرومية حملت ألقابا لها صلة بهذا النشاط كعائلة قدّار، قجار، قرماد، وقرمادي [3]، وحسب إحصائيات سنة 1867 بلغ عدد ورشات صناعة الفخار في مدينة ندرومة (17) ورشة[4]، لكن العدد انخفض عام 1942 إلى (08) ورشات، وتقلص العدد سنة 1948 إلى (06) ورشات يعمل فيها (12) شخص يشكلون (0.7%) من الفئة العاملة بالمدينة، هذه الورشات في مجملها ورشات عتيقة جدا لم تطور من صناعاتها، وأبقت على الخصائص القديمة

---

(1)- A .(Serdoun): Op.Cit, p 34.

(2)- M. A (Prenant -Thumelin) : Op.Cit, p 35.

(3)- Mohammed Benamar (Djebbari): T1, Op.Cit, p37.

(4)- Rapport concernant l'application du Sénatus Consulte à Nedroma, 1867, Carton N° 2N/67.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

للفخار والتي تعود إلى قرون، كما أنها صناعة متوارثة من الأب إلى الابن، ورغم اعتزاز الندروميون بهذه الحرفة؛ إلاّ أنّهم أيقنوا أنها لا تكسبهم قوت يومهم، كما أن معظم الفخارين في ندرومة كانوا من الكهول والشيوخ وهذا يبرز عدم اهتمام فئة الشباب بهذه الحرفة[1]؛ والدليل على ذلك أنّ (3/4) من أبناء هؤلاء الفخارين ابرزوا اهتمامهم بمجالات حرفية أخرى[2].

4-1-3-1-تقنيات صناعة الفخار:

يجلب الصناع الطين المادة الأولية و المعروفة بالتُرَابْ من منطقة تبعد عن مدينة ندرومة بحوالي (200) متر بالقرب من جسر على طريق تلمسان؛ تتميز تربة هذه المنطقة عن غيرها برطوبتها، يضعها الصناع بالقرب من ورشة الفخار، وبعدها يقوم العمال رفقة بعض السكان بالضغط عليها بأقدامهم حتى تلين أكثر، بقصد تهيئتها، وفي الغالب كانت تتم هذه العملية أمام بوابة قصبة عبد المؤمن بالقرب من ورشة الشيخ قندوز الخياط[3].

يتم استخراج الطينة من المقالع في شكل كتل كبيرة وتجلب للورشة؛ أين تفتت وتهرس بواسطة مطرقة وتعاد هذه العملية مرات أخرى باستعمال لفافة حتى تصبح طينة صافية على شكل مسحوق، تليها مرحلة الغربلة ليتم تنظيفها نهائيا من الحبيبات الخشنة، ثم تفرش في شكل طبقة غليظة نوعا ما داخل أحواض، ثم يصب فوقها الماء بكمية محسوبة وتترك مدة وتقلب حتى يتم تحللها ثم ينزع عنها الزائد وتعجن بعدها بالأرجل واليدين حتى تتشكل عجينة بالتماسك المطلوب ثم تعرض تحت الشمس لتتخلص من الماء عن طريق التبخر وتصبح أكثر تماسك[4].

أما بالنسبة لطريقة تشكيل الأواني؛ فمتنوعة، فهناك من يشكل العجين باليد فقط دون استعمال الآلات، بالإضافة إلى طريقة التشكيل بالدولاب وهي طريقة أكثر دقة؛ إذ تعتمد في

---

(1) - Djilali (Sari) : L'évolution récente..., Op.Cit, p229.

(2) - M. A (Prenant Thumelin) : Op.Cit, p 33.

(3) - E. (Janier) : Op.Cit, p47.

(4) - علي (خيدة): **محاولة تنميطية لفخار وخزف موقع تازا؛ برج الأمير عبد القادر (القرن 13هـ-19م)**، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص 32.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

إنجاز منتوجاتها على الاستعانة بالدولاب الذي ينشط عملية التشكيل بحركة دورانية مستمرة تكون فيها يدي الفخارجي متحررة بطريقة ميكانيكية؛ ذلك أنّه يعتمد على قرص سفلي موجود في القائم يحركه بأرجله، أو يكون لها دواسة أو ذراع تدوير[1]. لكن صناع الفخار في ندرومة كانوا يقومون بتثبيت الدولاب المصنوع من جذع الشجر في حفرة على عمق متر ونصف من أرضية الورشة، ولمباشرة العمل يحب أن تكون العجينة لينة، ثم توضع في مركز القالب، حيث يقوم صانع الفخار بدوس العجينة بيده لزيادة المرونة[2]، وبعدها يبدأ بتحريك الدولاب، وبإمكانه تغيير شكل حافة الآنية فبدل أن تكون دائرية يمكن أن تأخذ أشكال أخرى وذلك بالضغط عليها، كما تستعمل أداة بسيطة لصقل بدن الآنية وهي قطعة من الجلد لكي تصير ملساء ويستعين بقطعة قماش مبللة لتنعيم السطح، وفيما يخص طريقتي التشكيل بالحبال واستعمال القالب؛ فلم تمارس من طرف صناع الفخار في ندرومة.

بعد تشكيل الأواني تأتي مرحلة التجفيف والتي تتم على مراحل؛ حيث يلاحظ الحرفي إن كان هناك نقائص في الآنية فيستعمل أداة كاشطة تتمثل في قطعة صلبة للتخلص من الشوائب، ثم يقوم بترطيب الآنية من جديد، وتخضع للتجفيف مرة ثانية في مكان فيه ظل لمدة زمنية معينة، وذلك تبعا لنوع الأواني الفخارية وحسب الفصل والمناخ [3]، وبعد صنع وتحويل المادة الطينية إلى أدوات وأواني، ترسل إلى الفرن لطبخها بقصد تجفيفها وإعدادها للبيع.

أما بالنسبة للأفران في مدينة ندرومة خلال الفترة الاستعمارية فقليلة لا تتعدى (03) أفران، أحدها كان يوجد بالقرب من واد الغسالين بالقرب من مدرسة الذكور، والثاني بالقرب من جسر القنطرة على طريق تلمسان، والفرن الثالث كان يتواجد بالقرب من بوابة القصبة(قصبة عبد المؤمن)[4].

---

(1) - علي (خيدة): مرجع سابق، ص 34.

(2) - E. (Janier) : Op.Cit, p47 .

(3) - Ibid, p48.

(4) - Ibid, Idem.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

يقدر ارتفاع الفرن بمترين ونصف، وهذا النوع من الأفران قابل لاستيعاب (100) قطعة فخارية منجزة، وعادة ما يكون الفرن قريب من الورشة؛ وهو فرن بدائي بالنظر للمادة المستعملة في بنائه والمتمثلة في الحجارة أو الطوب أو التراب، وينقسم الفرن إلى قسمين سفلي وعلوي، الأول توقد فيه النار، والثاني توضع فيه الأواني الفخارية[1] .

ومن أهم المواد الفخارية التي يصنعها الندروميون[2]:

- المقلة: وهي صحن لطبخ الخبز؛
- القدرة أو الحلاب: وهي وعاء يوضع فيه الحليب؛
- الطاجين: وهو صحن كبير لطبخ مختلف المواد الغذائية؛
- القصعة: وتستعمل لعجن الدقيق؛
- قدرة باليدين أو المارميطا: لطبخ الأكل؛
- الكانون أو المجمر: يوضع فيه الفحم بقصد التسخين في الشتاء وكذلك الطبخ؛

وتبلغ كمية الفخاريات المصنوعة خلال أسبوع في كل ورشة حوالي (50) قطعة، يصنعها الفخارون طيلة أيام الأسبوع ما عدا يوم الجمعة والأحد لأنهما يوما عطلة لهم.

كان صانعوا الفخار في ندرومة يواجهون معضلة في فصل الشتاء؛ ذلك أن القطع الفخارية لا تجف بسرعة، ومع ذلك واصل الندروميون نشاطهم في هذا المجال الذي كان يتطلب الهدوء والصبر فالفخارجي ينتظر مدة أسبوع أو أكثر حتى يتقاضى أجره، ويؤمن الغذاء لأسرته.

وتتم معظم عمليات البيع داخل الورشات حيث يبيع الفخارون منتجاتهم بأنفسهم داخل ورشهم ونسبة أخرى من المواد الفخارية تباع كل بوم خميس في سوق ندرومة، وقد يتم بيعها من طرف باعة الجملة المتجولين في أسواق تلمسان، بني صاف، سيدي إبراهيم، وفي بعض الأحيان في سوق عين تيموشنت. أمّا بالنسبة لأسعار هذه المواد الفخارية؛ فهي لا تحقق الربح الكثير وبالتالي لا تشجع على الاستثمار، وفي الغالب تباع بنصف أثمانها أو

---

(1) - علي (خيدة): مرجع سابق، ص 40.

(2) - E. (Janier) : Op.Cit, , p 49.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ثلث قيمتها المطلوبة فعلى سبيل المثال بلغت قيمة المواد الفخارية في ندرومة عام 1942 ما يلي: الطاجين من(03) إلى (05) فرنك، المقلاة من (05) إلى (15) فرنك[1]، الكانون بـ(40) فرنك، و(50) فرنك للأطباق كبيرة الحجم.

شهدت صناعة الفخار تراجع مستمر في أسعارها وبخاصة في سنة 1954، بفعل المساومة وعدم وحدة الأسعار التي حطمت قيمة الفائدة والربح لهؤلاء الصناع، ويبقى الانتعاش الوحيد الذي عرفته هذه الحرفة هو ما كان خلال الحرب العالمية الثانية لمّا أغلقت السوق الفرنسية؛ مما فسح المجال لإنتاج أوسع في مجال الفخار[2].

والواقع أنّ سبب تراجع صناعة الفخار في ندرومة وتدني مستوى معيشة الفخارين يعود إلى عدة أسباب وهي:

1- أنّ صناعة الفخار في ندرومة؛ ظلت بدائية ولم تتطور منذ عصور، فتقنيات الصناعة ظلت هي نفسها، وبقي الفخارجي يعاني مشاق جلب المادة الصلصالية الغرانيتية من خارج المدينة، ثم يقوم بتهيئتها بمجهوده العضلي؛

2- أنّ صناعة الفخار في ندرومة لم يكن بإمكانها الصمود أمام الفخار الريفي وبخاصة ذلك المصنوع من طرف نسوة قبيلة مسيردا اللواتي تبعن بضاعتهن في سوق ندرومة بأسعار قريبة من أسعار الفخارين الندروميين ، كما أنّ الصناعة الفخارية لنسوة مسيردا تتميز بطابع جمالي بسبب الألوان والزركشة والصناعة الدقيقة والناعمة على عكس فخار ندرومة البسيط والذي يخلو من الجمالية ، فصانعوا الفخار في ندرومة لم يكونوا مولعين بثقافة الصباغ والرسم على الفخار[3]؛

3- أن غلبة الطابع الحضري على سكان مدينة ندرومة؛ جعل أغلبهم ينفرون من هذه الحرفة التي اعتبروها حرفة ريفية لا علاقة لهم بها؛ لذلك ظل النشيطون في هذه الحرفة

---

(1)- E.(Janier): Op.Cit p48-49.

(2)- M. A (Prenant- Thumelin): Op.Cit. p 34.

(3)- Ibid, Idem.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أقلية بالنظر للعمليات الاقتصادية في المدينة؛ كما أن أغلب الحضر مالوا أكثر فأكثر نحو الأواني الخزفية[1]؛

4-1-4-التطريز وصناعة الزرابي:

عرفت مدينة ندرومة حرفة التطريز لكن في إطار جد ضيق، وهذا يعود إلى نقص الجلود والخيوط الذهبية أو الفضية، واقتصر العمل الحرفي في هذا المجال على تطريز حقائب السفر وكذلك حافظات النقود، الأحذية، بوابيج النساء[2].

أمّا بالنسبة لحرفة صناعة الزرابي فعلى الرغم من عراقة هذه الصناعة في الجزائر عامة إلاّ أنّها حرفة حديثة العهد بندرومة فقد اعتاد الندروميون اقتناء الزرابي من أسواق تلمسان وأسواق المغرب الأقصى وبالأخص منطقة وجدة، إلى غاية مطلع العشرينيات من القرن العشرين بدأت تنشط في مدينة ندرومة ورشات تعنى بصناعة الزرابي والغريب أنها كانت على يد أوروبي استقر بندرومة في الفترة مابين 1924-1925[3]، وفتح أول ورشة في ندرومة، واستقدم عاملتين مختصتين في هذا المجال من مدينة تلمسان واللتان كلفتا بتعليم هذه الصنعة لشبان المنطقة، هاتان العاملتان كانتا قد تلقيتا تكوينا بالمدرسة المهنية بتلمسان والتي أسست بدعم من أوروبيين بين سنتي (1918-1920).[4]

توقف صاحب هذه الورشة عن النشاط عقب الحرب العالمية الثانية بسبب تراجع هذه الصناعة وقلة أرباحها وفوائدها، مع ذلك استمرت هذه الحرفة في النشاط بعد استقرار أحد التلمسانيين بندرومة بين 1945- 1946؛ حيث فتح ورشة لصناعة الزرابي خارج أسوار مدينة ندرومة على طريق مغنية بالقرب من آثار القصبة .

كان عتاد هذه الورشة بسيط وأغلبه عتيق يبلغ عدده (12) آلة اقتناها هذا الحرفي من تلمسان من مصنع النسيج للقطاع الوهراني M.T.O بسعر (20000) فرنك، لكن هذه

1- M. A (Prenant- Thumelin): Op.Cit. p 34.

2- E. (Janier): Op.Cit, p 50.

3- Mohammed Benamar (Djebbari) : T1, Op.Cit, p 34.

4- M.A (Prenant -Thumelin) : Op.Cit, p36.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الآلات لم تُسْتغَلْ بصفة دائمة وحتى في المواسم التي يكثر فيها العمل والنشاط فعلى سبيل المثال لا الحصر؛ في صائفة سنة 1954 وهي الفترة التي تكثر فيها الطلبات (10) آلات فقط كانت قيد العمل يسيرها (30) عامل بمعدل (03)عمال في كل آلة[1].

وفيما يتعلق بالصوف المادة الأولية فيتم اقتناؤها من طرفين؛ الأول يتمثل في نسوة ندرومة اللواتي يغزلن الصوف ويبعنها في بكرات للنساجين، أمّا الطرف الثاني فيتمثل في مصنع النسيج للقطاع الوهراني بمدينة تلمسان (M.T.O)، كما يتم اقتناء السلاسل والشباك كذلك من مصنع النسيج (M.T.O)، والذي يقتنيه بدوره من مدينة ليون (Lyon) الفرنسية، هذه السلاسل والشباك تصنع من القطن بالدرجة الأولى، وهي حديثة العهد بندرومة فإلى غاية سنة 1930 كانت السلاسل والشباك تصنع من الصوف المحلي والذي منحها صلابة ودقة افتقدت إليها سلاسل وشباك مدينة ليون (Lyon)[2].

رغم نشاط هذه الورشة أو الشركة المصغرة داخل مدينة ندرومة؛ غير أنها لم تشارك في الفعاليات التجارية على غرار الورشات الحرفية في ندرومة وذلك لكونها كانت تصدر منتجاتها إلى الخارج والتي تولى أمر تصديرها وسيط تجاري من مصنع الزرابي والأغطية بتلمسان؛ حيث يباع المتر المربع (م^2- M^2) بـ:(3400) فرنك، كانت الورشة تنتج سنويا ما قيمته (2000م^2) من الزرابي أي ما يوازي (01) مليون فرنك.

ومع ذلك فهذه الأرقام لا تعبر عن ربح حقيقي، فالعاملون في هذه الورشة كانوا يتقاضون أجورا زهيدة بقيمة أقل من (20) فرنك للساعة الواحدة رغم عملهم الشاق والطويل.

والواقع؛ أن حرفة صناعة الزرابي قد عرفت رواجا في ندرومة بعد فتح مدارس التعليم المهني الفرنسية التي أولت أهمية وعناية بنسيج الزرابي على الرغم من غياب هذه الحرفة في مدينة ندرومة وتجلى هذا في المدرسة المهنية بتلمسان ومثيلتها بندرومة التي عكفت

1- M. A (Prenant- Thumelin): Op.Cit.p 36

2- A. (Serdoun): Op.Cit, p 32.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

على تنظيم دورات لإناث ندرومة لتعليمهن كيفية حياكة الزرابي، وتقنيات حياكتها وتحسين ألوانها وقد اعتنت هذه المدرسة بتلقين الفتيات صناعة نماذج لزرابي القيروان[1].

4-1-5- صناعة البليغة :

حسب إيميل جانيي (Emil Janier) ؛ بلغ عدد صناع البليغة بندرومة سنة (1942) سبعة حرفيين كان لهم محلات بالمدينة ويروجون بضائعهم في سوق الخميس بالمدينة، حيث ينصبون الخيام في وسط السوق.

كانت ورشات صناعة الأحذية والبليغة تتوزع في مناطق متعددة في المدينة ولا تتمركز في شارع من الشوارع على عكس الحرف الأخرى في ندرومة كحرفتي النسيج والفخار المتمركزتين في شوارع معينة.

كما أنّ هذه الحرفة لم تكن حكرا على المسلمين فقط في مدينة ندرومة؛ بل تقاسمها معهم اليهود الذين نشطوا في صناعة الأحذية؛ فقد بلغ عددهم وفق تقرير 1867؛ (09) حرفيين، وقد ارتفع عددهم 1948إلى (16) إسكافي ينشطون في (07) ورشات، وشكلوا طيلة هذه الفترة الممتدة من (1867-1948) المنافس القوي للصناع المسلمين، بدليل التقارب العددي بالنسبة للصناع والورشات، ففي سنة 1954 تمّ تعداد[2]:

- 07 ورشات إسكافية لليهود: 11 حرفي و05 ممتهن؛
- 07 ورشات إسكافية للمسلمين: 10 حرفي و 23 ممتهن؛
- 07 ورشات صناع البليغة لمسلمين: 12 حرفي و 03 ممتهن؛

ونلاحظ من خلال هذه الأرقام؛ أنّ اليهود مالوا أكثر فأكثر نحو صنع الأحذية العصرية، وهو نفس الأمر بالنسبة للمسلمين؛ غير أنّ هؤلاء الأخيرين حافظوا على صناعة الأحذية التقليدية، في وقت اتضح فيه التأثير الغربي في لباس المسلمين الجزائريين سواء في ندرومة أو في كافة الجزائر.

---

(1)- Eliaou (Gaston Guedj) : L'Enseignement Indigène en l'Algérie au cours de la colonisation 1832-1962, S.E, S.D, p57.

(2)- A. (Serdoun) : Op.Cit, p 34-35.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ففي الماضي كانوا يصنعون الأحذية (البليغة) في ندرومة، لكن في فترة الأربعينيات وبسبب نقص مادة الجلد خاصة بعد قرار حضر بيع الجلود من طرف الإدارة الفرنسية سنة 1939، صاروا يجلبون البليغة جاهزة من تلمسان، كانت هذه البليغات تنتقص للإتقان ، فهي كبيرة، وجلد النعل لم يكن يدبغ بطريقة جيدة، كما أنه لم يجفف بطريقة لائقة، وهذا ليس بسبب قلة خبرة وإتقان الصناع؛ وإنّما بسبب الوسائل البسيطة والتقنيات البدائية المعتمدة في الصناعة، وحتى وإن كانت تقنيات الصناعة غير متطورة إلاّ أنّ منتجات هؤلاء الحرفيين استقطبت الزبائن من الرجال والنساء، وإن كانت الأحذية المصنوعة من طرف الندروميين سواء كانوا مسلمين أو يهود لم ترق إلى صناعة الأحذية الأوروبية وتكون بمثابة المنافس لها ؛ غير أن صناعة الأحذية التقليدية لم تتضرر كثيرا من منافسة السوق الأوروبية التي تكاد تكون منعدمة؛ ذلك أنّ الأسعار التي يحددها البلاغجيون أقل من أسعار الأوروبيين؛ فقد بلغت قيمة بليغات النساء سنة 1942 بين (100) إلى (150) فرنك لزوج من الأحذية، أما بليغات الرجال فقدرت بـ (200) إلى (300) فرنك للزوج الواحد[1]، وفي سنة 1954 بلغ سعر البليغات الرجالية بين (300) إلى (500) فرنك، أمّا البليغات النسائية فبيعت بسعر (400) فرنك[2].

بالإضافة إلى ذلك لوحظ استقرار في عدد صناع البليغة؛ فقد أورد جانيي أن عددهم كان (07) سنة 1942 وهو العدد نفسه سنة 1954[3]، وقد تواصلت هذه الحرفة رغم هجرة إسكافيين أحدهما مسلم والآخر يهودي إلى فرنسا بين شهر أفريل وسبتمبر 1954.

---

(1) - E. (Janier) : Op.Cit, p 50-51.

(2) _ A (Serdoun) : Op.Cit, p35.

(3) _ Ibid, Idem.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

4-1-6- النجـارة:

بخصوص حرفة النجارة فإنّ أغلب الدراسات والمعطيات الإحصائية التي عكفت على تسليط الضوء على الأنشطة الحرفية في ندرومة قبيل الفترة الاستعمارية لم تشر إلى وجود هذا النشاط؛ ما عدا تقرير 1867 الذي أوضح وجود نجار إسرائيلي عمله بسيط ويخلو من الجمالية.

بلغ عدد ورشات النجارة في ندرومة سنة 1920 أربعة (04) ورشات؛ (02) للمسلمين و (02) لليهود، وقد استمر عدد الورشات في الارتفاع حتى بلغ (12) ورشة سنة 1954؛ (05) ورشات ليهود، و(07) ورشات لمسلمين[1].

هذا التطور والتنامي الذي عرفته حرفة النجارة في ندرومة قد يثير تناقض خاصة وأنه قد برز في وقت شهدت فيه المدينة تراجع شبه كلي في معظم الأنشطة الحرفية؛ إنّ هذا التطور والتصاعد في مجال النجارة تترجمه فترة 20 سنة أغلبها متعلقة بتوسع الإدارة الفرنسية واحتياجاتها في المدينة وكذا متطلبات الجالية الأوروبية بالمدينة، وكذلك احتياجات السكان الندروميين في سكناتهم الجديدة خارج أسوار المدينة والتي مالت أكثر فأكثر إلى الطابع العمراني الأوروبي ليس فقط من جانب الهندسة بل وحتى فيما يتعلق بالأثاث.

توزع النجارون في ندرومة في مناطق بعيدة عن مركز المدينة (ساحة التربيعة)، كان تجمعهم الأول في شارع طرارة (سيدي عبد الرحمان)، ثم أقاموا ورشات في فترة الخمسينيات من القرن العشرين خارج أسوار المدينة القديمة، بالقرب من السوق (شارع المغرب)، وعلى الطريق المؤدي إلى السوق لذلك كان أغلب زبائن النجارين من سكان الريف؛ ذلك أنّ حي طرارة هو حي جديد استقر فيه عدد من سكان الريف الذين نزحوا إلى ندرومة بعد الحرب العالمية الثانية واستقروا قرب قصبة سيدي السلطان، وكذلك الأمر بالنسبة لباقي الورشات خارج الأسوار التي كانت مقصد سكان الريف بالدرجة الأولى[2].

---

(1)- A (Serdoun) : Op.Cit, p35.

(2)- Djilali (Sari) : les mutations socio-économiques..., Op.Cit, p142.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

كانت ورشات النجارين تنتعش في مواسم الأعراس حيث ينشغل هؤلاء بإعداد أثاث العرائس والمنازل الجديدة وبخاصة في شهري جويلية وأوت وهما أشهر الحصاد بحيث يوفر الفلاحون مبالغ مالية من بيعهم للحبوب، الخرّوب، اللوز، والزيتون[1].

ومن أهم قطع الأثاث التي كانت تصنعها ورشات النجارة في مدينة ندرومة نذكر، صوّان (Buffet)، خزانة ذات أدراج، مقاعد، موائد الشاي، يضاف إليها أعمال النجارة المرتبطة بتشييد السكنات كالأبواب، النوافذ، الشبابيك الخارجية، إلخ...، والتي كانت تصنع من طرف ورشة واحدة، كانت تعتمد على نظام المهلة في الدفع لمدة (03) سنوات وأحيانا لـ (05) سنوات لقاء استمرار خدماتها لكنها اضطرت للغلق فهي تحتاج إلى دفعات أولى من طرف الزبائن لتسيير شؤونها وشراء المادة الأولية، وكذلك بعد تراكم ديونها وعدم انتظام أعمالها التي كانت مرهونة بحال ووضع السكان[2].

أمام هذا التراجع والفقر الذي عمّ ورشات النجارة في مطلع الخمسينيات من القرن العشرين فضل عدد من النجارين فتح ورشاتهم لبعض الخواص المهتمين ببناء وتشييد المؤسسات والشركات، وكان أمامهم وسيلة وحيدة لكسب الربح والفائدة الثابتة؛ تتمثل في الفوز بالمناقصات التي تعلن عنها الإدارة الفرنسية فيما يخص نشاطاتها بالمدينة على سبيل المثال مناقصة السوق المغطى سنة 1953 وكذلك مناقصة دار العسكري سنة 1954 قبالة السوق، لكنهم لم يتمكنوا من نيل تلك المناقصات كون مدينة ندرومة لم تضم مقاولي بناء ولذلك كان أغلب الفائزين بالمناقصات من خارج المدينة وهؤلاء الأخيرين يفرضون على الإدارة من يساعدهم في أعمال البناء من مقاولي الدهان والنجارة[3]، وهم بالتأكيد من خارج مدينة ندرومة؛ وبالتالي خسر النجارون آخر وسيلة للرقي بصناعتهم والعمل على إستمراريتها وديمومتها في ظل فقر المجتمع الندرومي وبخاصة الريفي منه والذي شكل الزبون الأول للنجارين، يضاف إلى ذلك عدم اهتمام الإدارة الفرنسية بتحسين وضعية

---

(1) - A (Serdoun): Op.Cit, p37.

(2) _ Ibid, Idem.

(3) - Ibid, Idem.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

النجارين الاقتصادية؛ خاصة وأنها شجعت على التعليم المهني الذي شهد انتعاشا ملحوظا في مدينة ندرومة خلال الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين وبخاصة حرفة النجارة التي أقبل عليها عدد من التلاميذ الراسبين من مدرسة البنين بندرومة ابتداء من الثلاثينيات من القرن العشرين لمّا تمّ فتح قسم النجارة بين 1931-1932، وهذا وفق التشريعات القانونية التي أصدرتها الإدارة الفرنسية في هذا المجال[1]؛ لكنّ هذه الأخيرة لم تهتم بما سيؤول إليه حال التلاميذ المتدربين؟!

4-1-7- صناعة الألياف النباتية le crin végétal :

الألياف النباتية (crin végétal) هي نسيج يُحصل عليه من نوع من النخيل اسمه العلمي(Chamaerops humilis) أو الأغاف (Agave) تستعمل في صنع بعض الألبسة والأثاث.

وتعتبر صناعة الألياف النباتية أو النخيلات القزمية (le palmier nain) من الصناعات المستحدثة في مدينة ندرومة واقترنت بالوجود الأوروبي في مدينة ندرومة –حسب ما أورده الباحث سردون-؛ حيث ساهم أحد الأوروبيين في إقامة أول مصنع قبل الحرب العالمية الأولى، لكنه لم يستمر في النشاط طويلا وقام ببيع المصنع وأجهزته عام 1923 إلى السيد زرهوني وهو من أعيان مدينة ندرومة[2]؛ والحقيقة أن هذا النشاط عرفته مدينة ندرومة أواخر القرن التاسع عشر بين 1896-1897 لمّا أسس سي محمد بن رحال مصنع للألياف النباتية وقد حقق وقتها ربحا وفيرا وبلغ عدد عماله حوالي (100) عامل من مختلف الأعمار.[3]

يقع مصنع زرهوني للألياف النباتية على طريق نمور (الغزوات) بالقرب من المقبرة الأوروبية؛ وبالتالي بعيد عن مركز مدينة ندرومة.

---

(1)- Mohammed Benamar (Djebbari) : T1, Op.Cit, p 110.

(2)- A (Serdoun): Op.Cit, p39, Et Mohammed Benamar (Djebbari) : T1, Op.Cit, p40.

(3)- " Le marché franc de Marnia", In . Questions diplomatiques et coloniales, – T2, Paris,1897, p376.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

استمر مصنع زرهوني إلى غاية الخمسينيات من القرن العشرين، وقد نافسه في نشاطه هذا مصنعين ملك لإسرائيليين باشرا عملهما قبيل الحرب العالمية الثانية بزمن قصير، لكن عملهما افتقر للمهارة والصلابة التي كان يقدمها مصنع زرهوني؛ لذلك اضطرا لإيقاف نشاطهما سنة 1954 بسبب نقص الطلبات، وقاما ببيع آلاتهم وأجهزتهم.

كانت معدات وأجهزة هذا المصنع قديمة جدا وخضعت لتحسينات طفيفة فقط؛ ما عدا المحرك الذي يعتبر العتاد الوحيد الحديث والذي سهّل من عملية تمشيط الألياف النباتية[1]، وعلى الرغم من تواجد هذا النشاط الصناعي بندرومة؛ غير أنّ هذه الأخيرة تفتقر للمادة الأولية وهي الليف النباتي أو النخيلات القزمية؛ لذلك اعتمد المصنعون على الفلاحين في المناطق المجاورة في جلب هذه المادة الأولية والذين يتوافدون على مدينة ندرومة بحُزَمْ مملوءة بالليف النباتي على ظهور دوابهم؛ يتراوح وزن كل حزمة منها بين (25) إلى (35) كغ، ويقدر الكيلوغرام الواحد منها بـ(05) فرنك[2].

يتم توفير هذه المادة الأولية عبر عدة سبل؛ سواء عن طريق المناقصات التي تبرمها البلديات، أو يتم جلبها من بعض الأراضي شبه الموات ، وقد تجلب من الغابات؛ حيث يتم قطع النخيلات من طرف عمال بالأجرة، أو حتى من طرف مهربين ، ومع ذلك لا يهتم المصنعون بالمصدر الذي يوفر لهم المادة الأولية ؛ بقدر ما كانوا يولون أهمية بنوعية المادة وبشكل الألياف ومدى صلاحيتها للتصنيع لكي ترضي أذواق الزبائن وتحقق الكسب الوفير[3].

تتم عملية التصنيع بإشراف من إبن رئيس العمل الذي يجري المقابلات مع مختلف الأطراف، ويروج المنتوج في السوق، كما يسهر على مراقبة محرك و آلة تمشيط الألياف

---

(1) _ A. (Serdoun): Op.Cit, p 39.

(2) - Ibid, p 39-40.

(3) - Ibid, p40.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

التي يشتغل عليها (11) إلى (12) عامل، وفي مرحلة الغزل والنسج يشتغل (02) عاملين، يضاف إلى هؤلاء العمال سائق الشاحنة و الشّحام [1].

وأغلب العاملين بالمصنع ليسوا من الحضر؛ فالبعض منهم من حي الريفيين بسيدي عبد الرحمان، والبقية من نواحي ندرومة، كما اشتغل بمصنع الليف النباتي عدد من النسوة الريفيات كانت أغلبهن أرامل؛ وهذا يوضح حالة الفقر والعوز التي عمت سكان الريف مع مطلع الخمسينيات من القرن العشرين.

4-1-7-1- ترويج منتوج الليف النباتي:

في الواقع؛ إن ما كان يتم تصنيعه من ألياف نباتية في مصنع ندرومة والتي تقدر بـ (5000) قنطار سنويا؛ لا يوجه إلى السكان أو الأسواق المحلية- كصناعة الزرابي التي سبق ذكرها- حيث تنقل البضاعة على متن شاحنة إلى نمور- الغزوات- ويتم بيعه إلى مستورد إسباني بـ (1600) إلى (1750) للقنطار [2].

ومعظم عمليات البيع تتم عن طريق وسطاء أوروبيين وليسوا فرنسيين فهؤلاء الأخيرين لم يهتموا بهذا النشاط، كما أن اغلب عمليات الشحن تتم في ميناء نمور (الغزوات)؛ فهذه الأخيرة اقتسمت مع مدينة ندرومة هذا النشاط؛ حيث ضمت ثلاثة مصانع لليف النباتي؛ أحدها في منطقة سيدي بوجنان، والثاني في باب العسة، والمصنع الثالث في منطقة سيدي إبراهيم [3].

تبرم أغلب صفقات البيع مع مفوضين من مدينة وهران؛ الذين يشحنون البضائع على متن البواخر التي تنقل الليف النباتي ليتم بيعه في أسواق بلجيكا، إنجلترا وألمانيا؛ وقد فضّل المفوضون بيع الليف النباتي في الخارج ذلك أنّ الأسعار المقترحة أفضل من أسعار

---

(1)- A. (Serdoun): Op.Cit, p 39.

(2)- Ibid, p41.

(3)- Octave (Llabador) : Nemours et son avenir commercial, Imprimerie typographique du libéral, Oran, 1909, p8.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الأسواق الفرنسية؛ حتى أن البواخر التي تشحن البضائع كانت أجنبية وليست فرنسية؛ نظرا لارتفاع أسعار النقل المقترحة من طرف هذه الأخيرة[1].

قدرت المصاريف بـ (7.250.000) فرنك سنويا، و قد عرفت أسعار البيع ارتفاعا حيث قدرت بـ (8.500.000) فرنك إلى (09) ملايين فرنك خلال السنة؛ ممّا حقق أرباحا معتبرة لهذا المصنع قدرت سنة 1954 بـ (1.250.000) فرنك إلى (1.750.000) فرنك؛ وبذلك كان مصنع الليف النباتي النشاط الاقتصادي الوحيد الذي حقق نموا وتطورا دون عن بقية النشاطات الاقتصادية الأخرى بندرومة، ولعّل العامل المساهم في تقوية هذا النشاط هو انعدام كل أصناف المنافسة، وحنكة صاحب المصنع الذي كان يروج بضائعه بأثمان بخسة، يضاف إليها أنّ عمال المصنع لم يكونوا من ذوي الخبرة والاختصاص؛ لذلك لم تخصص لهم رواتب مرتفعة وهذا ما عاد بالفائدة على رئيس العمل[2].

وعلى الرغم من الازدهار الذي عرفته صناعة الليف النباتي في ندرومة وكذلك نمور (الغزوات)؛ إلاّ أنّها سرعان ما تلاشت بظهور قطب جديد احتكر هذه الصناعة وهو المغرب الأقصى الذي حولت إليه هذه الصناعة التي استمرت في التطور؛ فقد بلغت قيمة صادرات دولة المغرب الأقصى من مادة الليف النباتي سنة 1960 حوالي (100000) طن؛ و(25000) طن منها كان يصدر إلى فرنسا[3].

4-1-8- سياسة الإدارة الفرنسية تجاه الصناعات الحرفية العتيقة في ندرومة:

ظلت الصناعات الحرفية في ندرومة صناعات محلية تقف عند حدود ندرومة والقبائل المجاورة لها، وأحيانا كثيرة لا تخرج عن إطار الأسرة الواحدة ، ولولا تواجد الأسواق المحلية كسوق ندرومة على سبيل المثال لما تمكن أصحاب النشاطات الحرفية من إنعاش صناعاتهم والعمل على استمراريتها، خاصة في ظل حالة الفقر والبؤس التي عمت الأرياف

---

(1)_ Octave (Llabador) :Op.Cit, p 8 .

(2)_ A. (Serdoun): Op.Cit, p41.

(3)_ François (Levy) :l'Agriculture au Maghreb ; ou pour une agronomie méditerranéenne, G.P, Maisonneuve et Larose, 1982, p307.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الجزائرية وتأثرت بها بعض المدن التي تدعم اقتصادها وتجارتها بخلق علاقات مع سكان الريف؛ وقد برز هذا بقوة في حالة ووضعية مدينة ندرومة التي تزعزع اقتصادها وتراجعت صناعاتها الاقتصادية بتراجع الحياة الاقتصادية والاجتماعية لسكان الريف الذين شكلوا الزبون الأول للمنتجات الحرفية الندرومية وبخاصة النسيج.

في ظل هذا التراجع الذي عانت منه مختلف الأنشطة الحرفية في ندرومة، يا ترى ما هو موقف الإدارة الفرنسية ؟

أحاطت الإدارة الفرنسية بكل زوايا الحياة الاجتماعية والاقتصادية للفرد الجزائري، وأبدت اهتمامها بالأنشطة الحرفية التي كان يمارسها الجزائريون؛ وقد برز هذا من مراقبتها المستمرة لصناعاتهم التي أكدت على عراقتها وأهميتها في حياة الفرد الاقتصادية، لكنها اعتبرتها صناعات بدائية وأولية لا تتماشى مع روح العصر، كما أنّ بساطة وبدائية هذه الصناعات؛ كانت العامل الرئيسي المتسبب في تراجعها وزوال بعضها؛ لذلك أصدرت مرسوم 18 أكتوبر 1892 القاضي بتنظيم دورات تدريب وتمهين للبنين والبنات في المدارس الإبتدائية الأهلية، وحسب المادة 16 من هذا المرسوم؛ يوكل أمر إدارة الدورة التدريبية معلم يساعده عدد من الأساتذة المختصين في المجال المهني وفي الغالب يتم اختيار الأساتذة المدربين من العمال المحليين الذين يشهد لهم بالكفاءة[1].

تقسم الدورة إلى عدة تخصصات توزع على أقسام كان من أهمها : النجارة، نجارة الأثاث، الخرْط والنحت، وكذلك صناعات متعلقة بالمعادن كصناعة القدور، يضاف إليها صناعة الجلود وبخاصة التطريز، وصناعة الأحذية، والنسيج الصوف والحرير، والصباغة.

وعلى الرغم من التخصصات المختلفة التي توفرها هذه الدورات؛ غير أن هذه الأخيرة تستهل أنشطتها بتلقين التلاميذ الحرف و الصناعات المنتشرة في مناطق سكناهم وبالتالي تختص المرحلة الأولى من التعليم المهني بالصناعات المحلية، ويسعى المعلمون

---

(1) - C. (Jonnart) : Exposé de la situation Générale de l'Algérie, Imp . Victor Heintz, Alger, 1907, p92.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

إلى تطوير وتحسين هذه الصناعات بإعطاء صبغة جمالية أكثر لها ومعرفة القيمة التجارية لمنتجاتهم؛ وهذا ما طبقته الإدارة الفرنسية في ندرومة حين باشرت الدورات المهنية؛ حيث باشرت بأهم الأنشطة الحرفية في ندرومة وهي صناعة الفخار والزرابي[1].

وقصد السير الحسن لهذه الدورات التدريبية خصصت الإدارة الفرنسية مساعدات مالية لاستمرارية هذه الدورات، فقبل سنة 1903 أقرّت الإدارة الفرنسية ما قيمته (25000) فرنك وذلك وفق ما نص عليه الفصل 120 من الفصول القانونية المتعلقة بميزانية الجزائر؛ تقديم مساعدات مالية توّجه إلى مدارس التعليم المهني الأهلية، وقد ارتفعت هذه المساعدات سنة 1903 إلى (40000) فرنك تبعا للفصل 18، المادة 06، القسم الرابع المعنون بخدمات متنوعة تخص الأهالي[2].

وقد انتهجت الإدارة الفرنسية هذه السياسة لتشجيع أكبر عدد ممكن من المدارس المهنية وزيادة المعونات لبعض المدارس التي استفادت من قبل، وقد ارتأت الإدارة الفرنسية ممثلة في مدير مدرسة الفنون الجميلة بالجزائر إجراء عمليات مراقبة وتفتيش لمدارس التعليم المهني لمعرفة مدى المجهودات والنتائج التي خلصت إليها المدارس التي عكفت على تطوير الفنون والصناعات الأهلية، وذلك للتوزيع العادل وغير المتحيز للمساعدات المالية[3].

وفيما يلي جدول يوضح القيم المالية الخاصة بمدارس التعليم المهني الأهلية لعمالة وهران[4]:

---

(1)- C. (Jonnart) :Op.Cit, p93.

(2)- Exposé de la situation générale de l'Algérie : Op.Cit,1904, p 117

(3)- Ibid, Idem.

(4)- Ibid, p 118.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

دورة التمهين التابعة لمدرسة الإناث الأهلية بوهران	2000 فرنك
مسابقة التمهين التابعة لمدرسة الذكور الأهلية بوهران	500 فرنك
دورة التمهين التابعة لمدرسة الذكور الأهلية بتلمسان	500 فرنك
المدرسة المهنية لصناعة الزرابي بتلمسان	2000 فرنك
مدرسة الإناث الأهلية بندرومة	500 فرنك
مدرسة القلعة لصناعة الزرابي (بلدية مينا المختلطة)	200 فرنك
المجموع	5700 فرنك

في الواقع؛ إن هذا النمط من التعليم لم يكن معروفا في الجزائر، فكل من كان يرغب في تعلم حرفة كان يقصد الورشات الحرفية للعمل فيها للتمرن والتدريب، وكما سبق وأن أشرنا؛ فجل من كان يشتغل بورشات النسيج والفخار في ندرومة كانوا من الأطفال الممتهنين.

خصصت الإدارة الفرنسية دورات تدريبية مهنية بالموازاة مع الحصص التدريسية التي كانت تقدم في كل من مدرسة الذكور التي يديرها السيد غارديي (M. Gardié) وزوجته السيدة غارديي (Mme Gardié) مديرة مدرسة الإناث بندرومة ؛ وذلك منذ مطلع القرن العشرين، فقد شهدت سنة 1905 فتح دورات تدريبية لصناعة الفخار بالنسبة للذكور، ودورات في صناعة الزرابي بالنسبة للإناث[1].

ففيما يتعلق بدورات صناعة الفخار؛ اعتبرت الإدارة الفرنسية حرفة الفخار من أهم وأعتق الصناعات في ندرومة، لذلك أولت لها أهمية كبرى خاصة لوفرة الطين المادة الأولية في المنطقة وأعلنت عن رغبتها في المحافظة على هذه الحرفة لكن مع إدخال

(1) - Exposé de la situation générale de l'Algérie : Op.Cit,1904, p 93.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تعديلات وتحسينات على الفخار الندرومي لأنه يفتقد إلى عنصر الجمال، كما أنه غير دقيق وخشن ولا يطبخ في الأفران بطريقة جيدة؛ لذلك ابتدأت الإدارة الفرنسية في العمل على ذلك، بتخصيص دورات تدريبية لأطفال وشباب مدينة ندرومة بمدرسة الذكور بالمدينة على غرار الدورات التي تتوزع على كافة التراب الجزائري، وقد باشرت العمل بإقامة أبراج وفرن لتجفيف الفخار على درجة من الإتقان[1].

الواقع؛ أنه لا يعقل لمدينة اشتهرت بكونها مدينة الفخار، وضمت جامعا للصلاة عرف بجامع القدارين (أي الفخارين) ودرب من دروبها حمل نفس التسمية؛ أن يكون عملها على هذا القدر من البدائية وعدم الإتقان على حد تعبير الإدارة الفرنسية؛ إنما يتعلق الأمر بغلاء وندرة الفحم[2]، الذي قدر الكيلوغرام الواحد منه بـ (0.70) دج سنة 1966 مقابل اللتر الواحد من النفط والذي استعمل كبديل لحرق الفخار في الأفران بـ (0.40) دج؛ واستعمال النفط في طبخ الآنية لم يكن الحل الصائب؛ ذلك أنها لا تجف بطريقة جيدة كما كانت تجف باستعمال الفحم[3]، وإن كانت الأسعار المذكورة تخص فترة الاستقلال؛ غير أنّ ثقافة استخدام النفط كبديل للفحم قد تفشت في المجتمع الجزائري بما فيه المجتمع الندرومي، وبخاصة الريفي فـ(3/4) من سكان حي سيدي عبد الرحمان بندرومة كانوا يستعملون النفط بدل الفحم[4].

يعتمد المعلم في ندرومة على تلقين المتدربين كيفية طهي الفخار في الفرن وعلى تحسين هذه العملية بمنح جمالية أكثر للفخار عن طريق التلوين.

---

(1) - Exposé de la situation générale de l'Algérie : Op.Cit,1904, p 38 .

(2) - Djilali (Sari) : L'Evolution récente..., Op.Cit, p229.

(3) - Djilali (Sari) :" Nedroma" 1966, In Annales Algériennes de Géographie, 1967, p 69.

(4) - Ibid, Idem.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وفيما يتعلق بدورات تدريب الفتيات الندروميات فقد اختصت كما سبق الذكر بصناعة الزرابي على الرغم من أن هذه الصناعة لم تكن في ندرومة، وقد أتقنت الفتيات الندروميات هذه الصناعة وحققن فوزا وبراعة لمّا نالت مدرستهم الميدالية الفضية في المعرض الدولي للفنون الزخرفية سنة 1925[1].

لكن ما يثير الاستغراب أن الطالب المتمرن في هذه الدورات بعد تدريب يتراوح بين سنتين أو ثلاث على الأكثر، يتخرج دون أدنى معونة أو مساعدة من طرف الإدارة الفرنسية لفتح ورشة للتعريف بنشاطه وترويجه، خاصة وأنّه يتمتع بخصوصية و تقنية حديثة تفتقد إليها الصناعة الفخارية التقليدية، والإدارة الفرنسية بحد ذاتها تذرعت بحجة بدائية هذه الصناعة وعدم دقتها لتنظيم هذه الدورات لتشجيع استمرارية هذه الصناعة ولتحقيق الفائدة للفرد الجزائري وكذلك للسلطة الفرنسية، وفي هذا الشأن قال المستشار العام بوهران السيد سي محمد بن رحال لأحد المفتشين الفرنسيين: « إذا وضعت فرنسا بين أيدي العرب صناعة وبخاصة صناعة متقنة؛ فإن ذلك سيعود عليها بفائدة ومصلحة لن تحققها لها أي ضريبة قد تستخلصها»[2].

هذا الاهتمام الذي أبرزته الإدارة الفرنسية تجاه الحرف العتيقة في ندرومة ونقصد بها صناعة الفخار والنسيج لم يدم طويلا؛ فبالتقادم ومع مرور الوقت بدأت هذه الحرف تتلاشى تدريجيا أمام التطور الاجتماعي والاقتصادي الذي شهدته ندرومة على غرار باقي المدن الجزائرية؛ ببروز تقنيات حديثة ومواد صناعية أخرى جعلت السكان يعزفون عن الصناعات القديمة، فقد ظهر البلاستيك وانتشر سواء في الملابس أو في الأواني المنزلية[3]، كما نشرت الإدارة الفرنسية ثقافة النسيج الصناعي الذي فرض على السكان بدل خيوط الصوف؛ مما أضر بقيمة وجودة الصناعة النسيجية التقليدية، غير أن الإدارة الفرنسية بررت عملها بسعيها

---

(1)- Maurice (Viollette) :Exposé de la situation de l'Algérie, 1925, Op.Cit, p70

(2)- Exposé de la situation de l'Algérie : 1904, Op.Cit, p 388.

(3)- M. A (Prenant Thumelin): Op.Cit, p 42.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

للقضاء على نظام الوسطاء الذين ساهموا في رفع أسعار الصوف والذي أدى بدوره إلى زيادة أثمان المنسوجات وبالتالي عدم اقتنائها خاصة في ظل الأزمة الاقتصادية التي يتخبط فيها سكان الريف الزبون الأول للنساجين في ندرومة[1].

كما أدخلت الإدارة الفرنسية آلات نسيج عصرية سواء في مصانعها الخاصة ونقصد بها مصنع (MTO) أو عن طريق ترويجها بين الحرفيين أو حتى السكان الذين صاروا يمتلكون هذه الآلات بعد الحرب العالمية الثانية.

مع مطلع القرن العشرين أبدت الإدارة الفرنسية رغبتها في تطوير الصناعة النسيجية في ندرومة ، حين فكرت في تعويض آلات النسيج الأهلية بآلات نسيج فرنسية تحقق حسب ما صرحت به إنتاجا وفيرا وفوق ذلك أكثر إتقان عكس آلات النسيج الأهلية البدائية، وسرعان ما أرسلت الحكومة العامة الفرنسية بعض آلات نسيج حديثة جلبتها من الشمال الفرنسي ووضعتها في عهدة حرفي في ندرومة على أساس التجربة؛ هذا الحرفي كان خريج المدرسة الوطنية المهنية بارموتيار (Armentières)، وقد أوكلت إليه مهمة تعليم الأهالي استخدامات الآلة وتطبيقاتها[2].

وفي الأربعينيات من القرن العشرين منعت الإدارة الفرنسية الأفراد من بيع الصوف المتوفر لديهم؛ مما هدد بزوال هذه الحرفة التي صارت تعتمد لاستمراريتها على السلع المهربة؛ لولا السيد ديدلون (Mr. Didelon) مدير بلدية ندرومة المختلطة الذي قرر تزويد (23) رئيس ورشة نسيج في ندرومة بخيوط صناعية كمادة أولية، وخيوط من الحرير جلبها من مدينة ليون (Lyon) الفرنسية تبلغ قيمة الكيلوغرام منها بـ (20) فرنك[3]، كما سعى لدى الحكومة العامة الفرنسية لتموين ندرومة بمادة الصوف بصورة انتظامية، وقد كان هذا المدير الوحيد من مدراء بلدية ندرومة الذي أبدى اهتمام وعناية كبيرة بالحرف والصناعات الأهلية

---

(1)_ M. A (Prenant Thumelin): Op.Cit, p 42.

(2)- Exposé de la situation de l'Algérie : 1905, Op.Cit, p 98.

(3)- E. (Janier): Op.Cit, p46.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

سواء كانت حضرية أو ريفية، كما ساهم في تأسيس هيئة تهتم بالحرف على نسق ما كان في تلمسان وهي النقابة الأهلية للاحتياط الحرفي (S.I.P.A)، وهذا قصد تموين وإدخال المنتجات و بيعها[1].

لقي هذا المشروع قبول الحكومة العامة التي صادقت عليه في جويلية 1941؛ لكنها لم ترسل من يدير هذه النقابة بحجة نقص الموظفين؛ فقرر السيد ديدلون تفعيل هذه النقابة وهذا بمعونة نساجين مدينة ندرومة الذي باشروا عملهم داخلها سعيا لحماية حرفتهم[2].

إن اهتمام ديلدون بالنشاط الحرفي أزعج جماعة الكولون في ندرومة ومنهم المستشار البلدي السيد ساهو (Sahut) الذي قدم ضد مدير البلدية يتهمه بإساءة استخدام سيارة البلدية، وكذلك سوء التموين، بالإضافة إلى عقد امتيازات عن طريق الاتفاق المتبادل لبناء مخازن لوكالة سيب (S.I.P) [3] ، هذه الاتهامات جاءت بعد النشاط الذي لاحظه الكولون من قبل ديدلون والذي كان يصب في صالح الندروميين.

4-2- الزراعـــــة:

4-2-1- النشاط الزراعي قبيل الاحتلال:

مدينة ندرومة – كما سبقت الإشارة- هي منطقة تابعة لإقليم طرارة الجبلي، والطابع التضاريسي للجبال لا يحفّز على إقامة زراعات واسعة؛ إنّما يقتصر الأمر على الزراعات المعيشية في بعض المساحات الصغيرة من الأراضي يستغلها السكان لحاجاتهم اليومية، لا لقصد الاستثمار الاقتصادي والتجاري.

---

(1)- E. (Janier): Op.Cit, p46.

(2)- Ibid, Idem.

(3)- Plaintes de M^er^ Sahut Conseiller Municipal contre les agissements de M^er^ Didelon, AOM, Aix en Provence, Carton N° 5I/ 153.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لذلك عوضت الثقافة الزراعية في إقليم طرارة بثقافة الرعي، فقد امتلكت القبائل القاطنة بهذا الإقليم رؤوس عديدة من الأنعام، من بقر، ومواشي، وخيول، وحتى إبل[1].

ولم يختلف الأمر كثيرا بالنسبة لمدينة ندرومة التي تعتبر مركز إقليم طرارة، وتتربع على منحدر أعلى قمة جبلية به وهي قمة فلاوسن؛ حيث كان الرعي من أهم المميزات الطاغية على هذه المدينة، ونواحيها؛ مع ذلك شكلت الزراعة المعيشية دورا فعالا في الحياة الاقتصادية للسكان بهده المدينة على الرغم من الطابع الجبلي والأرض الحصوية التي تشكل خمس (1/5) أراضي ندرومة[2]، والتي كانت عائقا أمام توسع هذا النشاط الزراعي، غير أن سكان ندرومة استغلوها في زراعة أشجار الزيتون التي كانت تنتشر في معظم الجهة الشمالية لندرومة، وكذلك استغلال هذه المنطقة الجبلية لرعي الأغنام والماعز[3].

وعلى الرغم من أثر المعضلة التضاريسية التي أعاقت توسع النشاط الزراعي في ندرومة، إلاّ أنّ سكان المدينة حاولوا استغلال كل شبر من الأراضي المحيطة بهم لإقامة زراعات معيشية؛ حتى أنّهم قاموا بقطع الأشجار في الغابات المجاورة لهم واستصلحوها بقصد زراعتها، وكان هذا قبل السيطرة الفرنسية على المدينة؛ وهي الأراضي التي بمحاذاة المقبرة الإسلامية وضريح البجاي[4].

كما استغل الندروميون جيوب الأراضي التي تتوسط موضع المدينة عند منحدر الجبل، باعتبارها أراضي منبسطة وتربة عميقة تشجع على الفلاحة، بالإضافة إلى توفر

---

(1) - J. (Canal): Op.Cit, 1888, p 265.

(2) - M. A (Prenant Thumelin): Op.Cit, p28.

(3) - Ibid, Idem .

(4) - J. (Canal): Op.Cit, 1888, p264.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المياه من الوادي الذي ينبع من الجبل؛ والتي شجعت بدورها على إقامة الزراعات المسقية كالفول، والبطيخ، والبطاطا، والطماطم، وغيرها[1].

أمّا القسم الأكبر من الأراضي التي استغلت زراعيا في ندرومة، فكانت على بضع مئات من الأمتار شمال المدينة، والتي استغلها السكان أحسن استغلال، لكن بعد احتلال المدينة؛ بدأت الإدارة الفرنسية تسعى لوضع يدها على هذا القسم من الأراضي منذ الأيّام الأولى لسيطرتها عليها، وسرعان ما صار ثلث (3/1) هذا القسم من الأراضي ملكا لبلدية ندرومة المختلطة[2].

بعد السيطرة على مدينة ندرومة؛ خصصت الإدارة الفرنسية ما قدره (650) هكتار أي (30%) من الأراضي المتواجدة عند سفح جبل فلاوسن للرعي، وهي في الأساس جزء من أراضي البلدية المقدرة بـ(439) هكتار، ولم تزرع حتى أواخر الخمسينيات من القرن العشرين[3]؛ حيث أقيمت زراعات متواضعة من قبل بعض الملاك الخواص.

4-2-2- الملكيات الزراعية في ندرومة في الفترة الاستعمارية:

بلغ عدد ملاك الأراضي في ندرومة وفق إحصاء 1867-كما سبق الذكر- بين (250) و (300) مالك، لكن عددهم قلّ رغم أنّ عدد السكان قد تضاعف ثلاث مرات؛ فبعدما كان عدد الملاك (267) مالك سنة 1867 انخفض عددهم إلى (140) مالك فقط سنة 1940.

والواضح أنّ للسياسة الفرنسية في مدينة ندرومة دور فاعل في ذلك؛ بدليل أنّ ملكية الأوروبيين بدأت تتنامى حتى سيطرت على ثلث (3/1) الأراضي في ندرومة سنة 1952،

---

(1)- Monographie succincte de la Commune Mixte de Nedroma, Op.Cit, Carton N° 2M/121.

(2)- M. A (Prenant Thumelin): Op.Cit, p 28.

(3)- Ibid, Idem.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بمقدار (550) هكتار أي (27%) من إجمالي الأراضي، وفيما يلي جدول يوضح تقسيم الأراضي في ندرومة بين الجزائريين والفرنسيين بناء على وثائق مسح الأراضي[1].

(1) - M. A (Prenant Thumelin): Op.Cit, p29. .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

	المستوطنون				الجزائريون				المجموع			
	الملاك		المساحة		الملاك		المساحة		الملاك		المساحة	
	العدد	%	الهكتار	%	العدد	%	الهكتار	%	العدد	%	الهكتار	%
أكثر من 200	01	11.1	262	46.72	/	/	/	/	01	0.7	262	17.3
100إلى 200	02	22.2	حوالي45	08	02	01.4	266	24.8	04	0.8	271	18.4
50 إلى 100	02	22.2	151	27	01	01.4	55	06	03	02.1	206	14
25 إلى 50	02	22.2	80	14.3	02	0.7	74	08.1	04	02,8	154	10.6
10 إلى 25	01	11.1	13	01.5	15	11.3	277	30.6	16	11	290	19.8
05 إلى10	01	11.1	08.5	/	18	13	113	12.4	19	13.5	121	08.3
01 إلى 05	/	/	/	/	64	48	158	17.8	64	45	158	10.8
00 إلى 01	/	/	/	/	32	24	07	0.8	32	22.5	07	0.4
المجموع	09	06.2	560	38.12	134	93.7	910	61.94	143	100	1469	100

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

إنّ الأرقام الواضحة في الجدول كافية لإيضاح مدى اللامساواة في الملكية العقارية بين الجزائريين والأوروبيين، فمن مجموع الملاك الذين بلغ عددهم (143)؛ وجد خمس (05) ملاك كبار يسيطرون على أزيد من (100) هكتار، منهم جزائريان من أصل (134) مالك جزائري، وثلاثة كولون من أصل (09) مالك أوروبي فقط[1]، يسيطرون على مساحات أدناها (10) هكتارات؛ في حين أنّ الملاك الجزائريين الذين شكلوا نسبة (93.70) %، وبمعدل (62.4) % من الأراضي في ندرومة، يوجد بينهم من لا تتجاوز ملكيته (0.5)% من تراب المدينة.

وفيما يخص الملكيات الصغيرة والمتوسطة الأراضي التي تتراوح بين (100) إلى (05) هكتار والتي تشكل (¼) الملكية بمساحة (520) هكتار؛ يقتسمها(36) مالك جزائري؛ في حين يقتسم (06) ملاك أوروبيين (253) هكتار، وهي نصف الممتلكات الأوروبية في المدينة.

كما نلحظ من خلال الجدول؛ أنّه كلما نقصت مساحة الأرض عن (50) هكتار، كلما زاد عدد الملاك الجزائريين، ونقص عدد الملاك الأوروبيين، وهذا يفسر النقطة التي كنّا قد أشرنا إليها سابقا؛ وهي اعتماد الجزائريين نمط الزراعات المعيشية دون التفكير في الاستثمار والتجارة.

توضح هده الأرقام بجلاء؛ أنّه رغم الكثرة العددية للملاك الجزائريين (الندروميين)، غير أنّ ملكياتهم لم تكن قوية كفاية لتقف أمام ملكيات هذا العدد الضئيل للأوروبيين، أو أن تخلق نشاط زراعي واسع على حسابها[2]، خاصة وأنّ الأوروبيين قد سيطروا على أكبر وأخصب الأراضي.

فضلا عن ذلك؛ فإنّ الملكيات الأوروبية والملكيات الكبرى الجزائرية تسيطر على ثلثي (3/2) أراضي ندرومة، وتسيطر على معظم الرقعة السهلية في جنوب وجنوب غرب المدينة والتي تبلغ حوالي (250) هكتار.

---

(1)- M. A (Prenant Thumelin): Op.Cit, p 30.

(2)- Ibid, Idem .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

هذا التوزيع للأراضي ما بين الأوروبيين والجزائريين بقي مستقرا، فمعظم المساحات الكبرى ظلت بيد حكرا على عدد قليل، وحسب إحصاء لعام 1952؛ بلغ عدد ملاك الأراضي الذين تتجاوز ملكيتهم (100) هكتار (05) فقط، (03) من الأوروبيين، و(02) من الجزائريين، أحدهم ندرومي، والآخر تلمساني[1]، وفيما يلي جدول تفصيلي حول يوضح الصفقات العقارية في ندرومة التي جرت في ندرومة في الفترة ما بين 1868-1954، والتي تؤكد بقاء الملكيات الكبرى في يد أقلية من السكان.[2]

(1) - Djilali (Sari) : les villes précoloniales de l'Algérie occidentale ;Nedroma, Mazouna, Kalaa, SNED, Alger, 1970, p70.

(2) - Ibid, Idem.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

السنوات	المساحة		المشترون	الباعة	الأصل
	البلدية	خارجها			
1868-1870	5 هكتار.80 آر 11هكتار.26 آر بستان: 01 هكتار	66 هكتار.53آر.20سنتي آر في الغزوات في جبالة أغادير (تلمسان)	أغا طرارة أغا طرارة أغا طرارة أغا طرارة	مستوطن من الغزوات السلطة الفرنسية	امتياز 1836 امتياز
1879	04 هكتار		مستوطن استقر بندرومة S (ساهو)	مزارع من جبالة	
1880	03 هكتار		S (ساهو)	أخ المشتري	

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

1881	100هكتار 71هكتار.31آر.284سنتي آر		قاضي ندرومة (وريث الأغا) S (ساهو)	صاحب مقهى في ندرومة	امتياز ميراث الأب والجد
1883	02هكتار 02هكتار 06هكتار 02 هكتار		S (ساهو) S (ساهو) S (ساهو)	مزارع ندرومي مزارع ندرومي مستوطن من الغزوات	حبوس
1892	40هكتار		قاضي	فلاح من جبالة	
1896	12 هكتار		قاضي إسرائيلي	؟ ورّاث	؟
1898	20أو 30 هكتار		ندرومي S	مفوض ومزارع	

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

1899	25 هكتار 11.50 هكتار 10 إلى 15 هكتار 02 هكتار	مغنية	S S إسرائيلي من ندرومة	مزارع إسرائيلي ومزارع جزائري قايد	وراثة
1911	370هكتار	بني مسهل	إسرائيلي من ندرومة	مزارع	
1931	50.4هكتار 07.2 هكتار 14هكتار 01هكتار		10 ندروميين من الحضر 05 فلاحين أوروبيان من ندرومة 03 إسرائليين	فلاح فلاح فلاح فلاح	وراثة وراثة وراثة وراثة
1948	105هكتار		صانع من تلمسان	مستوطن من أصول إيطالية	كانت ملك لإسرائيلي عام 1911، وأعاد بيعها لعدد

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

					من المستوطنين
1950	04هكتار		أوروبي من تلمسان	صانع من تلمسان	
1951	06 هكتار		أوروبي من تلمسان	صانع من تلمسان	
1952	06هكتار		تاجر ندرومي	أرملة	
	170هكتار	في جبالة	تاجر ندرومي	أرملة	
1953	04 هكتارات (بساتين)		مالك ندرومي	فلاح	
	01 هكتار (بساتين)		متعهد وتاجر	ورّاث	
	05.50 هكتار (بساتين)		متعهد وتاجر	ورّاث	
1954	10 هكتار		أوروبي	ورّاث	

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

4-2-3- الزراعات المعتمدة في ندرومة:

تمّ استغلال الأراضي في ندرومة ونواحيها؛ في زراعة الكروم بالدرجة الأولى، وهي نفس الزراعة التي أعتمدتها ملكيتين أوروبيتين عند حدود مدينة ندرومة، والتي تغطي بإقليمها المتاخم (258) هكتار من الكروم، ما عدا (08) هكتارات خصصت لزراعة أشجار البرتقال، وبالقدر نفسه استغلالها في زراعات الخضر والزراعات المسقية بمختلف أنواعها وكانت تابعة لأحد الملاك التلمسانيين.

في حين لم تنتشر ثقافة غرس الأشجار في منطقة ندرومة، على الرغم من وفرة أشجار الزيتون التي تمتد على طول الطريق، كما تتميز ندرومة بوفرة الحدائق التي تشغل حيز (02) هكتار، ما عدا واحدة منها كانت من أكبر الحدائق والبساتين في ندرومة وقد كانت ملكا لأحد الأوروبيين.

وبالمقابل؛ النسبة الكبرى من البساتين المسقية والمقدرة بحوالي (3/2) أي (42%) من الأراضي، والمنتشرة قرب مدينة ندرومة؛ هي ملك لعدد من العائلات الحضرية الندرومية المتوسطة، فيما تبقى أغلب الملكيات الجزائرية سواء المتوسطة منها أو الكبيرة تعتمد زراعة الحبوب بوجه خاص[1].

وفيما يخص الأراضي التي استغلت في زراعة الحبوب؛ فتشغل معظم مساحة الأراضي بنسبة (70%)، بمقدار (400) هكتار، مقسمة بين الجزائريين والكولون؛ نسبة (80%) منها والمقدرة بـ(180) هكتار؛ تعود لمالكين جزائريين، و(90) هكتار ملك لأحد الكولون، كما سيطر الكولون على نسبة كبيرة من أراضي المرور قدرت بـ (90) هكتار من أصل (120) هكتار المساحة الإجمالية لهذه الأراضي، وقد استغلها الكولون في زراعة مختلف أنواع الحبوب[2].

لكن يبقى استغلال هذه الأراضي متواضعا؛ فالأرقام المذكورة أعلاه، ورغم ارتفاع النسب الخاصة بزراعة الحبوب والتي بلغت (80%)؛ غير أنها لا تعكس المساحة الحقيقية للأراضي

---

(1)_ A. (Serdoun): Op.Cit, p 22.

(2)_ M.A (Prenant Thumelin) : Op.Cit, p 30.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الصالحة للزراعة، وسبب ذلك يعود إلى احتشاد مساحات واسعة من الأراضي لدى أقلية، في حين أن الأغلبية من الفلاحين في ندرومة لا تتجاوز مساحات ملكياتهم الزراعية (01) هكتار، زد على ذلك؛ فالأقلية الجزائرية ذات الملكيات الكبرى؛ هي في الأصل ليست من الفلاحين؛ بل تمارس نشاطات أخرى حرفية وتجارية، كما أن معظم الملاك كانوا من المثقفين الحضر ذوي المهن البعيدة عن النشاط الفلاحي؛ لذلك لم يستغلوا كل أراضيهم في الزراعة، ولم يختلف الأمر كثير بالنسبة للملاك الأوروبيين، الذين لم يبرزوا اهتماما كبيرا بالزراعة، وهذا ما اتضح بجلاء منذ السنوات الأولى من الاحتلال، فعلى الرغم من استحواذهم على قرابة (37%) من الملكيات الزراعية الكبرى في ندرومة[1]؛ أربعة (04) فقط من أصل (08) ملاك أوروبيين كانوا من النشطين الزراعيين؛ اثنان (02) منهم امتلكوا قرابة (50) هكتار وامتلك ثالث (60) هكتار، وامتلك رابع (262) هكتار و(50) آر؛ هذا الأخير كان الوحيد الذي أبرز اهتماما بالزراعة؛ وقد تحصل سنة 1954 على عتاد زراعي حديث؛ تمثل في جرار بقوة (25) حصان، وشاحنة، ومقطورة، بالإضافة إلى نشاطه الزراعي اعتنى بدرجة أقل بتربية الحيوانات، وقد حقق ربح صافي وصل إلى (05) مليون فرنك، بنسبة (20%) من إنتاج الكروم، و(40%) من إنتاج الحبوب، و(30%) من تربية الحيوان، و(10%) من الزراعات المسقية[2].

ومع ذلك اعتنت عائلة هذا المستوطن فيما مضى باستثمار أموالها في نشاطات غير زراعية، وبدعم من أحد الكولون، خاصة بعد الامتياز الذي منح لها من قبل الإدارة الفرنسية في استغلال مناجم الزنك و الرصاص في منطقة فلاوسن، وقد حققت العائلة مكاسب وصلت عام 1908 إلى (315) طن؛ قبل أن تشهد الشركة تراجعا واضمحلالا كلي في فترة ما بين الحربين، وبعد ذلك أنشأت هذه العائلة الأوروبية معصرة زيت، ومصنع صغير لليف النباتي (Crin végétal) ، لكنه أغلق كسائر الشركات الصغرى التي لحقها ضرر الخمسينيات؛ مما جعل الأرض المورد الاستثماري الوحيد والثابت[3].

---

(1) - M.A (Prenant Thumelin) : Op.Cit, p 30 .

(2) _ Ibid, Idem.

(3) - Ibid, Idem.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أمّا فيما يخص باقي الملكيات الاستيطانية في ندرومة؛ فكانت ملكيات صغيرة؛ وظلت على هذا الحال منذ الفترات الأولى للاحتلال، إلى غاية عام 1954، ذلك لكون معظم ملكيات الأوروبيين المقيمين بندرومة كانت خارج مدينة ندرومة، وتتوزع على القبائل المجاورة؛ منها ملكيتان لأوروبيين مقيمان بندرومة، كانت مساحة ممتلكاتهم صغيرة في هذه الأخيرة، لكنها كبيرة خارجها، حيث استطاع أحدهم استغلال أمواله في مركز جبالة بسيطرته على مساحة قدرها (118) هكتار، وفيما يتعلق بالمستوطن الآخر، فقد حاز ملكية أرض قدرت بـ (140) هكتار، موزعة بين منطقة سواحلية، وبني منير، وهي تبقى ملكيات صغيرة مقارنة مع ما يمتلكه من عقار في تلمسان[1].

4-2-4- الاستغلال غير المباشر للأراضي الزراعية بندرومة:

إنّ الملكيات الأوروبية في مدينة ندرومة وضواحيها؛ سواء كانت ملكيات كبيرة أو متوسطة، أو حتى صغيرة، لم يستغلها ملاكها بطريقة مباشرة بل أوكلوا أمر حرثها وزراعتها لفلاحين آخرين أتى معظمهم من الريف[2] أو كانوا من صغار الملاك الذين لا تتجاوز ملكياتهم في أغلب الأحيان (10) هكتارات؛ وبالتالي لا تكفي لمعيشتهم، ولا تشجع على خلق فرص الاستثمار والتطور؛ لذلك قبلوا بإدارة واستغلال أراضي الملاك الآخرين بما فيهم الأوروبيين مقابل ريع عقاري يضيفونه إلى بقية مداخيلهم، وغالبا ما يكون هذا الريع هو مصدر الرزق الأساسي لديهم[3].

ولم يختلف الأمر كثيرا مع الملاك الجزائريين؛ ففيما يتعلق بالملكيتين الجزائريتين اللتان تشغلان ما نسبته (25%) من الأراضي غير المستعمرة في ندرومة، فهي كذلك لا تستغل من قبل ملاكها، فهم في الأصل ليسوا من الفلاحين؛ إحدى هذه الملكيات تبلغ مساحتها نحو (106) هكتار؛ تملكها عائلة تلمسانية تمتهن الصناعة، أوكلت أمر زراعتها لأحد الفلاحين، أمّا الملكية

---

(1)- M.A (Prenant Thumelin) : Op.Cit, p 30.

(2)- Jean (Desbois) & René (Raynal) : Géographie de l'Afrique du Nord-Ouest, avec 43 cartes et figures dessinées par A. Leroux, Payet, 1967, p107.

(3)- A. (Serdoun): Op.Cit, p22.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الثانية فكانت لرئيس الجماعة في ندرومة، والذي بدوره لم يستغلها بنفسه؛ بل قام بتأجيرها لزراعة الحبوب، وأراضي المرور[1].

ولعل ما يفسر هذا الاستغلال غير المباشر من قبل ملاك الأراضي في ندرومة، وبخاصة الجزائريين؛ أنّ جل الملاك – ونقصد بهم كبار الملاك- ليسوا من الفلاحين؛ بل هم عائلات حضرية عريقة حازت الأراضي عن طريق الوراثة، أو عن طريق عمليات التملك والشراء التي شهدتها بدايات الخمسينيات من القرن العشرين، أو حتى عن طريق منح الامتيازات التي خصت بها الإدارة الفرنسية مجموعة من أعيان ندرومة وعلى رأسهم عائلة أغا ندرومة، يضاف إليهم التجار، وبعض المثقفين؛ وجدوا في استغلال الأراضي مداخيل إضافية، وقد اعتاد سكان ندرومة من الحضر هذه الثقافة وهي ثقافة الارتباط مع الأرض قبل السيطرة الفرنسية على المدينة[2]، أمّا فيما يخص الملكيات الأوروبية فقد أوضحنا سابقا أنها تنحصر بين تسعة ملاك أغلب ملكياتهم كانت خارج مدينة ندرومة.

في الواقع؛ إنّ تنظيم طرق استغلال الأراضي في ندرومة أضحى جد معقد؛ فمع مطلع الخمسينيات من القرن العشرين؛ عشرة (10) ملاك فقط من مجموع (56) مالك؛ كانوا يستغلون كل أملاكهم، والتي تتراوح بين (03) إلى (20) هكتار. (16) آخرون؛ يستغلون قسم فقط من أراضيهم يتراوح بين النصف (½) إلى ثلاثة أرباع (¾) .، و(30) مالك آخر؛ أوكلوا أمر استغلال أراضيهم إلى فلاحين عن طريق الكراء، وناذرا ما استغل الندروميون أراضيهم عن طريق الخماسة[3].

حسب إحصاء لعام 1952؛ بلغ عدد الفلاحين المستغلين لأراضي الندروميين من الحضر حوالي (100) فلاح ليسوا من ذوي الأملاك؛ وقد زرع هؤلاء الفلاحين حوالي (604) هكتار، ¾ منها استغلت في زراعة الحبوب، و(46) هكتار في البستنة وزراعة الخضار، و(112) هكتار استغلت كأراضي مرور[4].

---

(1)- M.A (Prenant Thumelin): Op.Cit, p 30-31.

(2)_ A. (Serdoun): Op.Cit, p 22-23.

(3)- Ibid, p 23.

(4)_ Ibid, Idem.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وتجب الإشارة؛ أن عدد الملاك في مدينة ندرومة قد شهد انخفاضا إلى النصف؛ ومع ذلك ظلت الأرض والفلاحة مورد هام، وبخاصة لدى الحرفيين الذين استطاعوا من خلالها تحمل الأزمة التي لحقت بأنشطتهم.

بناء على الإحصائيات الواردة في الجدول السابق؛ يتضح لنا اتساع الملكية لدى حضر ندرومة، وانحصارها في يد أقلية غير فلاحية، بحثت عن وسيط لأنشطتها الزراعية، ووجدت ذلك عند بعض صغار الفلاحين من سكان الريف، ومع تكاثر سياسة الاستغلال غير المباشر للأرض؛ عرفت حركة الفلاحة تقهقرا مستمرا جعل من الفلاحين الطبقة الأفقر في المجتمع الندرومي.

وبالموازاة مع عدد ملاك الأراضي الذي بدأ بالتناقص؛ انخفض عدد الذين لا زالوا ينشطون في الفلاحة، والجدول الأتي سيوضح لنا مدى هذا التراجع و الانخفاض[1].

السنوات	نسبة الفلاحين	العدد التقريبي
1884	%31.5	200 إلى 220
1911	%14	140 إلى 150
1921	%15	130 إلى 140
1936	%11 (%9 في المدينة)	140 إلى 150
1948	%11.5	178 (108 في المدينة)

هذا الانخفاض الملحوظ في النسب المئوية، والذي يتناقض مع النمو الديمغرافي المتزايد الذي شهدته مدينة ندرومة وبخاصة في فترة ما بين الحربين؛ يمكن استيعابه وإيجاد مبرر له إذا أخذ بعين الاعتبار أنّ الأعداد التي تمّ إحصاؤها فيما يتعلق بالفلاحين أعداد غير مستقرة وثابتة، مع ذلك يتضح لنا من خلال هذا الجدول؛ أنّ النشاط الفلاحي ظل مستمرا في مدينة ندرومة، وانخفاض نسبة الفلاحين كانت معقولة طيلة الفترة ما بين (1911-1948)؛ هذا الاستقرار في

(1)- M.A (Prenant Thumelin): Op.Cit, p31.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

النشاط الفلاحي بندرومة، لا يقصد به عودة الملاك إلى استغلال أراضيهم بأنفسهم وتشجيع الزراعة؛ ولكن بسبب تنامي عمل الأجرة اليومية، فقد ارتفع عدد العمال اليوميين النشطين في الفلاحة والذين شكلوا حوالي (80%) من النشطين في هذا المجال، فقد تفشت ثقافة الأجرة اليومية في ندرومة منذ الحرب العالمية الأولى وتنامي حركة الهجرة نحو فرنسا، وهذا ما سيتضح في الجدول التالي[1]:

السنوات	نسبة الفلاحين	نسبة العمال اليوميين	نسبة النشطين الزراعيين
1884	%31.5	%12(حوالي80)	%43.5
1911	%14	%33(حوالي300)	%47
1921	%15	%40(حوالي550)	%50
1936	%11.5	%48(حوالي950)	%50(أ)
1948	%11	%33(حوالي530)	%40(أ.ب)
1948	%09	%26(حوالي300)	%30(ج)

(أ)- أخذ بعين الاعتبار الأعمال غير الزراعية المؤقتة أو التابثة.

(ب)- في البلدية بأكملها

(ج)- في المدينة لوحدها.

تترجم الجداول السابقة الذكر؛ تطور البنيات الاجتماعية، بالموازاة مع نمو الاستغلال الاستيطاني، كما أوضحت تهميش وتغييب الملكيات الصغيرة لدى الجزائريين؛ في حين لم تتوقف عن البروز طبقة بروليتارية حقيقية ذات أصول فلاحية بالدرجة الأولى؛ تمثلت في عمال الأجرة اليومية، والذين كانوا في بحث دؤوب عن عمل مختلف، لا يهم نوعه ولا قيمة راتبه المقترح.

(1)_ A. (Serdoun): Op.Cit, p24.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

4-2-5- الإنتاج الفلاحي في ندرومة خلال الخمسينيات:

4-2-5-1- إنتاج الحبوب:

إنّ الإنتاج الزراعي مرتبط في الأساس بمدى استغلال الأرض ومدى خصوبتها، وقد اتضح لنا أنّ الندروميين قد ابتعدوا بعض الشيء عن النشاط الزراعي الذي ظل محدودا وبالتالي لم يكن قاعدة لاقتصاد مدينة ندرومة.

مع ذلك لا يجب الجزم بأنّ مدينة ندرومة شهت ركودا زراعيا؛ فعلى الرغم من اهتمامها بأنشطة اقتصادية أخرى؛ غير أنها لعبت دورا معتبرا في نسبة الغلال الزراعية، وأهمها الحبوب سواء كان ذلك داخل أراضي المدينة أو في الشعب التابعة لبلدية ندرومة المختلطة، وهذا بناء على ما كان يسلم إلى وكالة الساب (SAP) الفرنسية (الشركة الزراعية للإحتياط)؛ وهي هيئة اقتصادية كانت توجب على صغار الفلاحين والمتوسطين تسليم محصولهم الزراعي الموجه لأغراض تجارية[1].

أمّا كبار الملاك من الجزائريين والكولون والذين يغطون قرابة نصف الأراضي التي تعود عليهم بالربح والمردود العالي ؛ فكانوا منخرطين في تعاونية تلمسان.

وبناءً على تحقيقات شركة الساب (SAP)؛ فإنّ حصيلة ندرومة من إنتاج الحبوب المجمعة من طرف شركة الساب (SAP) لم تتعدى (04%) من مجموع الحصاد السنوي ؛ يضاف إليها ما كان يقدمه الفلاحون الندروميون من اشتراكات سنوية لهذه الشركة.

إلاّ أنّ هذه الحصيلة المجمّعة من الحبوب؛ لا تتعلق إلاّ بقسم من الفائض، هذا الأخير كان يختلف كلية من سنة إلى أخرى، وهذا بالنظر للحاجيات الأساسية للفلاحين الندروميين والمرتبطة في الأساس بالاستهلاك الذاتي (زراعات معيشية)، زد على ذلك عدم انتظام مواسم الحصاد، كما أنّ نسبة من هذه الغلال يفضل الندروميون بيعها في السوق الذي يقام كل أسبوع في الساحة المعروفة بسوق الحبوب[2]، زد على ذلك تضاريس ندرومة وكافة منطقة طرارة الجبلية الجافة لا

---

(1)- M.A (Prenant Thumelin): Op.Cit, p32.

(2)_ Ibid, Idem.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تشجع على إقامة زراعات وإن أقيمت فالمردود لن يكون جيد، فبناء على إحصائيات سنة 1940؛ بلغت نسبة إنتاج الحبوب في بلدية ندرومة المختلطة (02) إلى (04) قنطار من القمح اللين، ومن (3) إلى (5) قنطار من القمح الصلب، وهي نسب ضعيفة، ماعدا في بعض المناطق الجبلية الرطبة وصل المردود إلى (07) قنطار من القمح اللين، و(08) من القمح الصلب، في حين لم يتعدى مردود زراعة الحبوب بالنسبة للكولون (12) قنطار للهكتار[1].

على أيّة حال؛ تتراوح كمية الحبوب المجمعة من طرف الساب (SAP) خلال سنتي (1949-1950) بين (7600) إلى (10000) قنطار من القمح الصلب، و(2400) إلى (3400) من القمح اللين، و(1500) إلى (6000) قنطار من الشعير، يضاف إليها سنويا حوالي (400) قنطار من الخرطال، وقد بلغ مردود الحبوب في سنوات الحصاد الجيدة قرابة (80) مليون؛ في حين لم يتعدى القسم الخاص بندرومة (04) ملايين، وهو أقل مردود، وهذا ما يدل على ضعف دور الفلاحة في اقتصاد مدينة ندرومة[2].

وعلى الرغم من ضعف الإنتاج الفلاحي بما فيه أهم الزراعات في ندرومة وهي زراعة الحبوب؛ إلاّ أنّ مردود أراضي الكولون رغم قلتها كان على الدوام أوفر من منتوج الندروميين، وفيما يلي جدول توضيحي يبرز الفارق في الإنتاج بين الطرفين وفق إحصاء سنة 1948[3]:

---

(1) - L'Administrateur Principal de la Commune Mixte de Nedroma: Rapport Mensuel sur les faits et les circonstances, Mois de Aout 1940, AOM, Aix en Provence, Carton N° 19H/15.

(2) - A. (Serdoun) : Op.Cit, p25.

(3) - Rapport Mensuel de la Commune Mixte de Nedroma, Mois de Septembre 1948, AOM, Aix en Provence, Carton N° //19.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفلاحون		الكولون	
القمح اللين	01 قنطار للهكتار	القمح الصلب	08 قنطار للهكتار
الشعير	04 قنطار للهكتار	القمح اللين	06 قنطار للهكتار
الخرطال	03 قنطار للهكتار	الشعير	10 قنطار للهكتار
		الخرطال	08 قنطار للهكتار

4-2-5-2- تربية الحيوانات:

أمّا بالنسبة لتربية الحيوانات في ندرومة؛ فقد عرفت بدورها على غرار كافة الجزائر تراجعا نسبيا بين 1867 و1954، وخاصة فيما يتعلق بتربية المواشي من أبقار، وغنم ، وماعز كما هو موضح في الجدول التالي[1]:

السنوات	الأحصنة	البغال	الحمير	الأبقار	الأغنام	الماعز	المجموع
1867	06	140	129	200	503	277	1245
1954	18	145	164	162	247	247	883

ويعزى هذا التراجع في تربية الأنعام في ندرومة إلى الأساليب البدائية والمتواضعة التي اتبعها أغلب المربين في ندرومة؛ فجزء من تلك الأنعام كان يربى في أراضي المرور، وجزء آخر داخل المدينة نفسها في إسطبلات في الطابق الأرضي من منازلهم، وهذا ليس أسلوبا من أساليب العمل الزراعي المتقن.

هذا التراجع في تربية الحيوانات في ندرومة لم يظل على نفس الوتيرة طيلة الفترة الممتدة ما بين 1867-1954؛ بل شهد تقدما وانتعاشا وهذا ما أوضحته إحصائيات عام 1887، والتي تبرز ارتفاعا في عدد رؤوس الأنعام؛ حيث قدر عدد الأحصنة والبغال حوالي (399) رأس، وعدد

---

[1]- Rapport historique sur Nedroma en 1867, AOM, Aix en Provence ,Carton N° 2N/67 , et A Serdoun : Op.Cit, p25.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الأبقار (2088) رأس، و(09) رؤوس من الإبل، و(12.098) من الخرفان، و26.516 من الماعز، وقد قدرت ضريبة الزكاة وفقهم بحوالي (16.203) فرنك فرنسي[1].

وكما هو ملحوظ في الجدول؛ استقرت نسبة البغال بعدد (145) رأس، كما نمت بعض الشيء رؤوس الحمير التي قدرت بـ (164) رأس بزيادة قدرت بـ (27%)، على الرغم من تناقص وتراجع أنشطة الباعة المتجولون، ويعود سبب هذا الاستقرار في عدد البغال والحمير؛ إلى بدائية وسائل المواصلات في ندرومة، وبدائية مزارع المواشي، ما عدا البعض منها والذي كان تابعا لملكيات كبيرة فقد شهد نموا واضحا تراوح من (06) إلى (18) رأس[2].

في حين شهدت تربية الدواجن انتعاشا، ومنحت الندروميين فرصة للتجارة والربح الاقتصادي من لحومها وبيضها؛ وذلك لسهولة العمل فيها وعدم الحاجة إلى قطع الأرض لإقامة النشاط، وقد صارت بلدية ندرومة المختلطة ممول هام لعمالة وهران فيما يتعلق بالبيض والدواجن؛ فحسب إحصائيات سنة 1940 كانت ترسل أسبوعيا إلى وهران شاحنتين إلى أربعة شاحنات محملة بالدواجن والبيض[3].

لكن بالنسبة لإنتاج الزيتون في ندرومة؛ فقد شهد ضعفا، ولم يكن بمقدوره سد حاجيات المعصرات الزيتية المحلية رغم وفرة أشجار الزيتون بندرومة[4]، وكانت السلطة الفرنسية قد أقامت مشتلة في ندرومة، وقامت بعد اتفاق مع وكالة الساب بغرس (2000) شجرة لوز، و(6000) شجرة زيتون، ولكن غلال هذه المشتلة تسوق لصالح الفرنسيين، وتصدر إلى الخارج وبخاصة اللوز، والزيتون، والخرَوب[5].

---

(1) - J.(Canal): Op.Cit., 1888, p265.

(2) - M.A (Prenant Thumelin) : Op.Cit, p32.

(3) - Commune Mixte de Nedroma : Rapport mensuel sur les faits ou circonstances de nature à appeler l'attention de l'administration, Aout 1940, AOM, Aix en Provence, Carton N° 19H/15.

(4) - M.A (Prenant Thumelin) : Op.Cit, p 33.

(5) - Monographie succincte de la Commune Mixte de Nedroma, Op.Cit, Carton N°2M/121.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

4-2-6- السياسة الزراعية الفرنسية بندرومة:

4-2-6-1-القرض الزراعي:

نتيجة المشاكل والأزمات التي اعترضت القطاع الزراعي في الجزائر، لجأ المستوطنون إلى التعاضد والتعاون ، فأنشأوا الصناديق والتعاونيات الفلاحية التي من شأنها توسيع وتحسين هذا القطاع، وذلك بهدف حماية مصالحهم بما يخدم نشاطاتهم وحاجاتهم الزراعية ماليا وتقنيا، وفي المقابل كانت هذه التعاونيات أداة ردع وتفقير للفلاح الجزائري جراء تحويل أرضه وممتلكاته وحتى جهده بما يخدم المعمر والاقتصاد الفرنسي، في حين زادت في نمو الرأسمال وثراء المستوطنين، وساهمت في جمع المال بين أيديهم، مما مكنه من تحقيق الهيمنة على القرار السياسي والإنتاجي في تسيير البلاد وهذا من خلال المفوضيات المالية (Délégations financières) التي تأسست سنة 1898 التي ينتخبها أصحاب الفعاليات الاقتصادية من مالكي وسائل الإنتاج ويمثل فيها المعمرون بحوالي (77%) من مجموع هيئة المفوضين ويمثل فيها الرأسماليون الزراعيون من المعمرين ما نسبته (59 %) من هذا المجموع بالذات، وقد أعطيت هذه المفوضيات دور المجلس الاستشاري للسلطة الاستعمارية ودور الحاكم العام [1] ، ومارست دور المراقبة ومحاسبة السلطة، وانتزعت حق الاستقلال المالي 1900 ومنها أصبح للكولون امتيازات مالية وسياسية فحصلوا على (62 %) من القروض الزراعية سنة 1925 لا تزيد نسبتها عن (12 %) ، كما زاد عدد التعاونيات الفلاحية والتي استفادت سنة 1933 من حوالي (26) مليون فرنك لقاء فوائد بقيمة (2 %) إلى جانب الإعفاءات الضريبية .

مثّل هذا شكلا من أشكال السيطرة على الإمكانيات الزراعية من خلال التسهيلات التي قدمت لامتلاك وسائل الإنتاج والاستفادة من عمليات التسويق والاستغلال اللامتناهي لليد العاملة الجزائرية .

---

[1] - احمد (بعلبكي) : **المسألة الزراعية أو الوعد الراقد في ريف الجزائر** ، بيروت، عويدات، 1985، ص.69

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ظهرت هذه التعاونيات مع سنة 1897 حيث طالب المؤتمر الزراعي المنعقد بالعاصمة والذي نظمته المؤسسة الزراعية للجزائر بتأسيس مصرف المركزي للاعتماد الزراعي[1] وقد أقر التالي: « تعمل الدولة على مد المساعدات للمصرف بواسطة الخزينة وصندوق الودائع والأمانات وصناديق الادخار ونظرا لأنه مكلف ثم تعويضه بنظام الاعتماد الزراعي التعاضدي»[2] ، وقد كان يسمح بمنح القروض بدون فوائد لصناديق الاعتماد الزراعي المحلية والإقليمية من خلال القروض التي يقدمها بنك الجزائر، وبالموازاة مع الخدمات التي كان يقدمها بنك الجزائر للمستوطنين؛ أوجدت الإدارة الفرنسية تنظيما عرف بالقرض الزراعي التعـاوني (le Crédit Agricole Mutuel) وفق قانون 08 جويلية 1901، والذي نصّ بدوره على تأسيس الصناديق الإقليمية (les Caisses régionales) ، وبناء على ذلك أسس بتاريخ 22 نوفمبر 1901 الصندوق الإقليمي للقرض الزراعي التعاوني بتلمسان، وبعده جرى تباعا تأسيس صناديق محلية في كافة نواحي شعبة تلمسان، ومنها ندرومة التي أقيم بها الصندوق المحلي للقرض الزراعي سنة 1924[3].

هذا الصندوق كان يخدم في الأساس الملكيات الكولونية، وكان يسعى لتلبية متطلبات واحتياجات الكولون المنتسبون إليه، بدعمهم ماليا بقروض نسبتها (5%)، وقد بلغت هذه القروض في بعض الأحيان خمس أضعاف رؤوس أموال هؤلاء الكولون، لذلك لا نتفاجئ حين تخصص هذه الصناديق أسعار منخفضة للبذور والأسمدة[4] فغايتها في الأساس خدمة مصالح المستوطنين الزراعيين بالدرجة الأولى.

---

(1) - عبد اللطيف (ابن اشنهو) : **تكون التخلف في الجزائر** ، م.و.ن.ت، الجزائر، 1979، ص180.

(2) – المرجع نفسه، ص 180.

(3) - Cardonne & Rabot : "les associations agricoles de Tlemcen", In, Congrès de la colonisation rurale, Alger 26-29 mai 1930, Imprimerie Victor Heintz, Alger, pp 574-575.

(4) - L.Trabut &R.Marès : l'Algérie Agricole en 1906, Imprimerie Algérienne, Alger, 1907, pp 469-470.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

4-2-6-2- الشركة الزراعية للاحتياط لبلدية ندرومة المختلطة:

الشركة الزراعية للاحتياط (SAP) هي امتداد للشركة الأهلية للاحتياط (Société indigène de prévoyance (SIP) [1] في القيام بمهامها والحد من الأزمات الفلاحية التي لحقت بالقطاع الزراعي، وبسبب انصراف الفلاحين عنها ، وغاية الإدارة الفرنسية من إنشائها هو التقرب أكثر من الفلاح الجزائري ولتحقيق ذلك؛ أصدرت في 19 جويلية 1933 قانون ينص على تعديل الشركات الأهلية للاحتياط وتبديل اسمها بالشركات الزراعية للاحتياط (SAP) [2].

أن هذه الشركة كانت أكثر انفتاحا وحرية من الشركة الأهلية وهذا ليس حبا في الجزائريين وإنما بسبب النتائج السلبية التي انجرت عن تهميش الريف الجزائري والتي كانت له أثار وخيمة على المصالح الفرنسية لاسيما منها الاقتصادية، فاستهدفت هذه الشركة التخفيف من الآثار المدمرة التي لحقت بالريف بصغار الملاك إثر الأزمات المتعاقبة التي توالت منذ أزمة كساد الرأسمالية العالمية 1929 فعمدت إلى إشاعة الأساليب التعاونية وإقامة صناديق التسليف التعاوني.

ومن أهداف هذه الشركة[3]:

1- تقديم قروض قصيرة ومتوسطة وطويلة الأجل؛
2- الاستخدام المشترك لأدوات عمل الشركة؛
3- الحصول على أدوات ومواد زراعية من الشركة بأفضل الأسعار؛
4- تصنيع وحفظ المنتجات؛

ولقد انتشرت هذه الشركة في كل الدوائر الإدارية وأقامت هيئات إدارية تسمى اتحادات وهيئة مركزية تسمى الصندوق المشترك الذي يحدد توجهاتها العامة ، وظلت تنسق مع الشركات الأهلية للاحتياط (SIP) وفي سنة 1952 حلت محلها نهائيا، وقد استفاد الفلاحون مع سنة 1939 من قروض مالية قدرت بـ (54) مليون فرنك وقد ارتفعت هذه القروض سنة 1953 إلى (2029)

---

[1] - تأسست هذه الشركة وفق قانون 1893/02/14؛ ومهمتها تهيئة القطاع الزراعي في الريف الجزائري، فهي تنظيم يكون على أساس تجميع القطاعات في حالات القحط وتقديم سلفات للفلاحين.

[2] - محمد بلقاسم (حسن بهلول) : **القطاع التقليدي في الزراعة الجزائرية** ، 1985 ص241.

[3] – المرجع نفسه، ص242.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

مليون فرنك وفي واقع الأمر إذا كان هذا المبلغ المالي قد استفاد منه الفلاح الجزائري حقا فإنه يبقى ضئيلا إذا ما أخذنا في الاعتبار العدد الهائل للمنخرطين في هذه الشركات والمقدر عددهم بـ (600000) مشارك[1]، ففيما تمثل نشاط هذه الشركة في مدينة ندرومة؟

4-2-6-3-الشركة الزراعية للإحتياط بندرومة:

لم تقتصر اختصاصات (SAP) على تخزين غلال ندرومة فقط؛ بل كان لها مهام أخرى تتمثل في منح قروض وتجهيزات فلاحية للمزارعين الندروميين الذين هم بحاجة إليها، ما عدا الملكيات الكبرى للأوروبيين بندرومة فلم تكن منتسبة إلى هذه الشركة (SAP)، وانتسبت إلى التعاونية الفلاحية بتلمسان؛ في حين أنّ الملكيات الجزائرية الكبرى بندرومة؛ فلم تنتسب إلى أي هيئة ومارست نشاطها بكل حرية، وقد عاد عليها هذا النشاط التجاري بأرباح معتبرة[2].

إن الملكيات الكبرى في ندرومة لم تكن بحاجة إلى القروض نظرا لتوفر العتاد والتجهيز الزراعي؛ في حين حرم الفلاحون البسطاء من ذلك، وعلى الرغم من انتسابهم إلى (SAP) إلاّ أنهم لم يستفيدوا من جراراتها الثلاث التي كانت تقوم بكرائها للقبائل أوقات الحرث باستخدام لا يتجاوز (1000) كلم^2 [2] .

في الواقع؛ إنّ دور الساب (SAP) في ترويج وبيع الحبوب بالنظر إلى التنظيمات التي خصصتها هذه الشركة؛ ما هو إلاّ مجرد بديل لقروض قصيرة الأجل والتي كانت تمنحها الساب (SAP) بنسبة (07%)، وهي قيمة ضعيفة نسبيا فيما يتعلق بالأسمدة والبذور. تراوحت قروض هذه الشركة في الفترة ما بين (1950-1953) بين (1000) إلى (2200) قنطار من البذور، و (6104) إلى (7000) قنطار من الأسمدة وأهمها الفوسفات الممتاز[3].

---

[1] - عدة (بن داهة) : **الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر**1830-1962 ،ج1 ، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2008 ، ص 277.

[2] - M.A (Prenant Thumelin): Op.Cit, p33.

[3] - Ibid, Idem.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لم تكن شركة الساب لدى الفلاحين في بلدية ندرومة المختلطة تعاونية فلاحية، بقدر ما كانت بنك إجباري، والحل الوحيد أمامهم لتنمية فلاحتهم، التي لم تكن أرباحها جيدة بقدر ما كانت زهيدة والتي تراوحت بين (150000) إلى (200000) سنويا، على مستوى كل بلدية ندرومة، ضف إلى ذلك ألزم الفلاحون بدفع اشتراكات سنوية إلى هذه الوكالة، نسبة منها توجه كرواتب إلى عمال الوكالة، هذه الأخيرة التي تحاصر الفلاحين وتفرض عليهم إجراءات عديدة تساهم من خلالها في عرقلة حرية النشاط التجاري لهؤلاء الفلاحين ، وكذلك تضييق سلطتهم على أرضهم[1].

لم تسع الإدارة الفرنسية إلى تحسين وإصلاح الوضعية الاقتصادية في ندرومة، وبخاصة ما يتعلق بطبقة الفلاحين؛ بل عملت على تخريب التركيبة الاجتماعية للفلاحين الندروميين بتضخيم الملكية لأقلية منهم، وبتخفيض عدد الملاك، وفي الوقت نفسه تشكيل فئة بروليتارية نصف ريفية.

مع ذلك وعلى عكس بقية السكان الريفيين في المناطق المجاورة لندرومة؛ ورغم تراجع النشاط الفلاحي لم تشهد هذه الأخيرة هجرة كلية من قبل فلاحيها، ما عدا (03) أفراد من أسرة فلاحية هاجروا إلى فرنسا عام 1948 ؛ ذلك لأن الفلاحين في ندرومة كانوا يبحثون عن مصادر رزق أخرى غير الزراعة[2].

4-3-التجـــارة:

على غرار عدد من المدن المغربية العتيقة؛ شكلت مدينة ندرومة مركز تجاري هام لكل المناطق الريفية المحيطة بها ونقطة التقاء وجذب لسكان طرارة الجبليين وهم فاعلون تجاريون واقتصاديون ماهرون يتبادلون مختلف السلع والبضائع فيما بينهم أو مع الحضريين الذين يبيعونهم منتجاتهم الحرفية، وتتم معظم تلك التبادلات في مدينة ندرومة.

وحسب ما ورد في تقرير 18 ديسمبر 1867- الذي سبق ذكره- أنّ سكان ندرومة امتهنوا الزراعة والصناعة وكذا التجارة؛ وتصل معاملاتهم التجارية إلى فاس وطنجة. هذا ما يبرز بجلاء أهمية وعراقة التجارة في مدينة ندرومة، وقد ورد في نفس التقرير أن (150) إلى (200) حضري

---

(1)- M.A (Prenant Thumelin): Op.Cit, p33.

(2)_ Ibid, Idem

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

من سكان ندرومة كانت لهم أنشطة تجارية، تتوزع على (48) محل تجاري؛ و(38) محل متمركز في ساحة ندرومة وهي قطعة أرض من أملاك البلدية، بالإضافة إلى ثلاثة أفران بدائية.

كما يتوزع عدد معتبر من المحلات في شوارع مختلفة في المدينة لكنهم يجتمعون أيام السوق حيث يتم نصب الخيام وإعداد السلع للبيع، والأمر هنا لا يقتصر على التجار المسلمين وإنما اليهود كذلك.

وفيما يلي جدول تفصيلي يوضح عدد النشطين في مجال التجارة من المسلمين واليهود ونسبهم المئوية في الفترة ما بين 1867 إلى 1948[1]:

السنة	المشتغلون بالتجارة		المسلمون		اليهود	
	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد
1867	%20	حوالي 200	%15	حوالي 120	%55	حوالي 80
1884	%20	140	%19		%50	
1911	%32	290	%25	150	%70	140
1921	%28	380	%26	260	%60	120
1936	%28	550	%20	370	%35	180
1948	%20	325	%20	291	%50	34

إنّ المتمعن في أرقام ونسب هذا الجدول يلحظ التفوق اليهودي (الإسرائيلي) والذي استمر طيلة الفترة المدروسة (1867-1948) في التعاملات التجارية على الرغم من قلة عددهم مقارنة مع عدد المسلمين، فبغض النظر عن ورشات المسلمين الحرفية ذات الطابع التجاري كذلك؛ غير أنها تقتصر على بعض الأنشطة الحرفية التقليدية التي يغلب عليها الطابع المحلي الذي يجذب فئة

(1)- M.A (Prenant Thumelin) :Op.Cit, p 43.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

معينة دون غيرها من الفئات ونقصد بها –كما سبق الإشارة- طبقة الحضريين المتشبثين بعاداتهم وتقاليدهم؛ في حين اتسمت تجارة اليهود في ندرومة بالتنوع وبالحداثة كذلك وبامتدادها وانتشارها خارج المدينة، ومن أمثلة النشاطات التي مارسها اليهود؛ تجارة الألبسة والأقمشة المتنوعة بما فيها الحرير الرفيع وقد بلغ عدد دكاكينهم (20) دكان سنة 1948؛ إثنان منها اختصت في بيع الأقمشة، هذا مقابل أكثر من (60) دكان للمسلمين في هذا المجال غير أنها اقتصرت على بيع الألبسة التقليدية كما أنها في الأصل ورشات حرفية أكثر منها دكاكين تجارية ، كما اختص اليهود في تجارة المجوهرات التي استقطبت إليها كل الفئات، وبرعوا في تجارة الألبسة المستعملة خاصة بعد الحرب العالمية الثانية والأزمة التي لحقت بمعظم الأنشطة الاقتصادية بما فيها الحرفية، ومارس اليهود كذلك تجارة الخردة والصفيح، وامتهنوا بيع البيض، وفتحوا المخابز فكانوا الأوائل الذين أدخلوا ثقافة الخبز الفرنسي إلى مدينة ندرومة، كما اختصوا في بيع الحبوب المختلفة، وكذلك الخضار، وتفوقوا في فتح المقاهي التي بلغ عددها حوالي (20) مقهى سنة 1948، كما اختصوا في الفندقة ونشطوا في مجال المواصلات[1].

وعندما فتح السوق المغطى في ندرومة سنة 1953 الذي ضم (48) دكان تمّ كرائها لعدد من التجار المسلمين واليهود، لكن سرعان ما احتكر اليهود بعض المعاملات التجارية في سوق ندرومة على رأسها تجارة البيض التي سيطر عليها يهودي من تلمسان، بالإضافة إلى رقابته المستمرة لسوق أوغليون فيل (Orleansville) (الأصنام-الشلف)، و عدد من الأسواق الثانوية.

4- 3-1- سوق ندرومة خلال الفترة الاستعمارية:

إن عراقة ومكانة مدينة ندرومة لم تأت من فراغ؛ بل جاءت من سياسات حكامها ونمط وطبيعة سكانها الذين شكلوا جوا اجتماعيا استقطب معظم الأقاليم المحيطة بالمدينة ساهم فيه إلى حد بعيد موقعها الجغرافي الذي يعتبر مركز إقليم طرارة، وكذلك التنوع الإثني لسكان المدينة الذين جعلوا من مدينة ندرومة ذات المساحة الصغيرة منافسة الحواضر الكبرى على رأسها جارتها تلمسان وهذا بفضل التنوع الاجتماعي والثقافي لهذه العناصر الإثنية والتي لعبت بدورها دورا

---

(1)- A (Serdoun) : Op.Cit, p 51.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

اقتصاديا هاما برز من خلال الفعاليات والمعاملات التجارية والاقتصادية فيما بينهم داخل المدينة من جهة ، وبينهم وبين سكان الريف خارج المدينة من جهة أخرى، ومعظم هذه المعاملات التجارية والاقتصادية كانت تتم في سوق ندرومة؛ هذا الأخير يستمد مكانته وعراقته من مكانة وعراقة مدينة ندرومة، لكن معظم الدراسات التي تعرضت له سواء من قريب أو من بعيد تؤكد أنه سوق محلي يقتصر على مدينة ندرومة ونواحيها تقف فعالياته التجارية عند حدود إقليم طرارة لكنها في الواقع امتدت إلى الحدود المغربية وإلى مدينة وجدة على وجه الخصوص وهذا ما يبرز الأهمية الاقتصادية لسوق ندرومة ، الذي تتدفق إليه منتجات المغرب الأقصى، كما يقصده سكان المغرب لشراء مختلف السلع؛ لكنهم في أغلب الأحيان يقصدون سوق ندرومة وسوق الغُسلْ دون بقية الأسواق لبيع الخيول المغربية نظرا لعراقتهما في هذا المجال وقد لفت هذا الأمر انتباه الإدارة الفرنسية بعد الاحتلال؛ فصار ضباط مركز نمور القريب من ندرومة يقتنون أحصنتهم من هذا السوق على وجه الخصوص [1].

وقد برزت الأهمية الاقتصادية لسوق ندرومة عبر العصور؛ ففي أواخر عهد الزيانيين حاول الحاكم الزياني بسط نفوذه على هذا المركز الاقتصادي وذلك بأخذ رهائن من سكان ندرومة للضغط عليهم، وفي زمن العثمانيين أوكل باي وهران أمر مراقبة ومتابعة سير التعاملات التجارية في ندرومة إلى قائد (قايد) عثماني ، وهو نفس الأمر الذي قام به الأمير عبد القادر الذي عين قائد عربي للإشراف على السوق، وهذا ما يوضح ثقل سوق ندرومة في الحياة الاقتصادية في الغرب الجزائري[2].

سوق ندرومة هو سوق أسبوعي كان يعقد كل خميس داخل وخارج أسوار المدينة؛ أمَا خارج المدينة فكان مخصص لبيع الدواب والمواشي والطيور والبيض بوجه خاص، أمَا داخل الأسوار فقد تنوعت فعاليات السوق التي توزعت في مناطق معينة في المدينة حسب طبيعة المنتجات المعروضة للبيع؛ فعرفت مدينة ندرومة سوق الحبوب في حي السوق(حي المغرب)، وسوق

---

(1)- Journal des Haras , Des chasses et des courses de chevaux en Belgique et dans les principaux pays de l'Europe, T2, E d. Montagne de Sion, Bruxelles, 1854, p 131.

(2)- Le correspondant : T42, 1854, p219.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الصوف في ساحة التربيعة، بالإضافة إلى سوق الخضر والفواكه، وباقي منتجات حرفيي المدينة، وسلع سكان الريف والقبائل المجاورة التي تعرض في مركز السوق.

4-3-1-1- سوق المواشي :

هو سوق نَشِطْ لطالما اشتهرت به مدينة ندرومة؛ يجمع سكان الريف والقبائل المجاورة يومي الأربعاء والخميس خارج أسوار المدينة العتيقة؛ حيث يفد التجار وباعة المواشي إلى ندرومة يوم الأربعاء ويقومون بتجهيز أمكنتهم وترتيب الماشية قصد عرضها وبيعها يوم الخميس.

يباع في سوق ندرومة الأبقار والأغنام والماعز، ويضاف إليها الخيول والبغال والحمير، ويتم جلب أغلب هذه الحيوانات من قبيلة مسيردا، وباقي رؤوس الأنعام يتم جلبها من تلمسان، وسيدي بلعباس، وعين تيموشنت، كما عرف سوق ندرومة للمواشي إقبالا من طرف سكان المغرب الأقصى الذين يقصدون الأسواق المجاورة لحدودهم كأسواق تلمسان ونمور ومغنية وكذلك ندرومة[1].

وقد ظلت تجارة المواشي والحيوانات تعرف انتعاشا في سوق ندرومة ما عدا تراجع تجارة الخيول، فحسب إحصائيات عام 1954؛ بلغ عدد رؤوس الأغنام والماعز المعروضة للبيع في سوق ندرومة أسبوعيا (350) رأس، وعدد الأبقار(80) رأس، و(50) رأس من الحمير، و(60) رأس من البغال والخيول، وفي أغلبها كانت بغال.

أما بالنسبة للمستوى الاجتماعي للباعة الفاعلين في سوق المواشي فكان متباين، بين صغار الباعة البسطاء والباعة الأغنياء، فبالنسبة لصغار الباعة كانوا في الأغلب من الفلاحين الفقراء الذين اضطروا لبيع قسم من رؤوس مواشيهم لطبقة الحضر في مدينة ندرومة خاصة في موسم عيد الأضحى، أمّا الباعة الأغنياء فهم تجار الجملة الذين يبيعون قرابة (50) رأس في كل أسبوع، كما عرف سوق ندرومة بعض الباعة من الطبقة المتوسطة وهم الأكثرية في سوق ندرومة والذي يبيع كل واحد منهم بين (03) إلى (05) رؤوس أنعام، وهكذا يشهد سوق ندرومة للمواشي كل يوم

---

[1] - Rozet et Carette : Op.Cit. p155.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

خميس ازدحاما للباعة من الفلاحين وتجار الجملة والمشترين الذي يتراوح عددهم بين (500) إلى (1000) شخص كل أسبوع[1].

4-3-1-2-سوق الحبوب:

تتم فعاليات هذا السوق على امتداد شارع المغرب (حي السوق)، وتباع فيه مختلف أنواع الحبوب والبقوليات ومن أهمها رواجا في سوق ندرومة القمح والشعير باعتبارهما المادة الغذائية الأساسية للجزائريين.

يقصد الباعة شارع المغرب حيث يتم عرض منتجاتهم والتي يجلبونها على ظهور الدواب وهي في مجملها لا تتعدى مئات الكيلوغرامات يعرضها حوالي (20) فلاح، يمتلك كل واحد منهم رزمة أو رزمتين من القمح والشعير وبعض الذرة، وبالتالي غلبت البساطة على نشاط سوق الحبوب في ندرومة مقارنة مع سوق المواشي، والأمر لا يقترن بقلة المنتوج الفلاحي وبدائيته مقارنة مع الفرنسيين؛ وإنما بسبب السياسة الاقتصادية المنتهجة من طرف الإدارة الفرنسية التي احتكرت تجارة القمح والشعير ومختلف الحبوب من خلال إجبار الفلاحين على تسليم منتجاتهم إلى وكالتها المختصة وهي الشركة الأهلية للاحتياط (S.I.P) ، التي تسوَق سنويا من (15000) إلى (20000) قنطار من الحبوب، وجذبت بذلك من السوق مهمته التجارية في ندرومة [2] .

4-3-1-3-سوق الخضار:

مع تدشين السوق المغطى في ندرومة سنة 1953 ؛ خصص حوالي (50) مكان لبيع الخضار، وقد تمّ إحصاء (46) محل عام 1948 يمثلون ما نسبته (2.6%) من الطبقة العاملة بالمدينة؛ (24) إلى (30) محل في هذا السوق كان قيد العمل بين صائفتي 1954-1955[3].

يوفر كل محل للمشترين بين (20) إلى (100) كلغ من الطماطم والعنب، وبالقدر ذاته من البطاطا، وبنسبة أقل من البصل والفلفل، والحقيقة أنّ النسبة الكبرى من الخضر والفواكه تباع من

---

(1)- A (Serdoun): Op.Cit, p47.

(2)- M.A (Prenant-Thumelin): Op.Cit, p44.

(3)- Ibid, Idem.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

طرف (04) إلى (05) تجار نصف الجملة في المدينة الذين يملكون شاحنات تغادر في مساء يوم السوق نحو وهران أو الغزوات (نمور) قصد التموين مرة أخرى[1].

كما أن أغلب عمليات البيع كانت تتم خارج سوق ندرومة؛ ذلك أنّ عمليات البيع بالتجزئة لم تنتشر في مدينة ندرومة إلاّ بعد إقامة السوق المغطى سنة 1953، ومن أهم المنتجات التي كانت تباع خارج سوق ندرومة الخَرُوبْ الذي يباع منه سنويا حوالي (1200) قنطار في المنطقة حسب ما أوردته وكالة (S.A.P) بندرومة سنة 1954، وكذلك الأمر بالنسبة لمنتجات أخرى كالزيتون الذي يباع منه حوالي (5000) إلى (7000) قنطار واللوز بمقدار (500) إلى (600) قنطار ، هاتان السلعتان كان يتم اقتناؤهما من الدواوير المجاورة لمدينة ندرومة[2].

إنّ غياب هذه السلع في سوق ندرومة ليس بسبب كلفتها أو عدم شهرتها في المائدة الندرومية إنّما بسبب السياسة الفرنسية؛ فالنسبة الكبرى من البيض، والخروب، واللوز والبقول الجافة يتم تصديرها؛ حيث يتم تجميع البيض والبقول الجافة وتصدر إلى فرنسا، أما الخَرّوُب فيوجه إلى بريطانيا العظمى[3].

والواقع؛ أنّ ما كان يباع من خضر وفواكه في سوق ندرومة هو ما كان أساسيا في المائدة الندرومية كالحمص بمعدل (5000) قنطار سنويا، والفول بمقدار (5000) قنطار، والفاصوليا الخضراء التي يتم جلبها من قبيلة السواحلية وكذلك (15) إلى (20) قنطار من البطاطا يتم جلبها كل خميس (يوم السوق)، أمّا في فصل الصيف فينتشر بيع الفلفل، والطماطم، والبطيخ[4].

رغم هذا التنوع في السلع المعروضة للبيع في سوق ندرومة غير أنّه كان غير كاف لتحقيق الثراء الاقتصادي والتجاري لمدينة ندرومة فوفق تعداد سنة 1923 لم تتعدى قيمة الفعاليات

---

(1) - A .(Serdoun): Op.Cit, p47.

(2) - M. A (Prenant Thumelin): Op.Cit, p 44.

(3) - A (Serdoun): Op.Cit, p 50 .

(4) - M. A (Prenant Thumelin): Op.Cit, p44.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الاقتصادية (18000) فرنك سنويا[1]؛ ذلك أن السوق ظل لمعظم الوقت حل مؤقت لبعض السكان في المدينة ولأغلب سكان الريف الذين كانوا في بحث دائم لتحسين مستواهم المعيشي وجلب بعض مستلزماتهم عن طريق مقايضة سلعهم بسلع أخرى فعلى سبيل المثال تقوم النساء الريفيات من قبيلة مسيردا بمقايضة سلعهم من الليف النباتي، والقمح والشعير، وبعض الأواني الفخارية بسلع أخرى تتمثل في الأساس في بعض الفساتين والأحذية أو بعض الأثاث المنزلي اللواتي هنّ في حاجة إليه، وكذلك الأمر بالنسبة للرجال؛ فالمقايضة هي عادة متأصلة في المجتمع الجزائري[2]، لكنها استمرت ليس بسبب التشبث بالعادات والتقاليد؛ إنما الظروف الاقتصادية التي كان يعيشها الجزائري في ظل السياسة الفرنسية التعسفية لذلك لا نستغرب طغيان ثقافة المقايضة على العملة في سوق ندرومة وفي أغلب مقاطعات الجزائر في الخمسينيات من القرن العشرين، وهذا بدوره يفسر احتكار عناصر معينة للأنشطة والتعاملات التجارية في سوق ندرومة إلى عشية اندلاع الثورة التحريرية.

---

(1) - Monographie succincte de la commune mixte de Nedroma, Op.Cit, Carton N° 2M/ 121.

(2) - A (Serdoun) :Op.Cit, p 49.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

إن الأنشطة والتفاعلات الاقتصادية في مدينة ندرومة بفروعها الثلاث الصناعة، الزراعة، والتجارة ظلت أنشطة محلية ومعيشية ولم تخرج عن حدود بلدية ندرومة المختلطة، وسبب ذلك هو افتقار الندروميون للتقنيات والآليات التي تتماشى وروح العصر والمدنية الحديثة، وكذا عدم اكتراث الإدارة الفرنسية بتقديم الدعم للسكان؛ في حين شجعت بعض الأنشطة التي عادت عليها بالفائدة، كصناعة الليف النباتي الذي كان يصدر إلى فرنسا والخارج، بالإضافة إلى بعض الزراعات التي كانت تنتجها أراضي الكولون وعلى رأسها الكروم، ولكن لا نستطرد في ذكر الدور السلبي للإدارة الفرنسية في الحياة الاقتصادية في مدينة ندرومة التي لم يختلف حالها عن حال مدن جزائرية عدة خلال الفترة الفرنسية، ونقر بأنّ الندروميين ساهموا إلى حد بعيد في تراجع أعمالهم الاقتصادية وذلك بسبب حياتهم الاجتماعية المنغلقة، ولا يقصد بالغلق هنا التخلف؛ وإنما التشبث ببعض العادات التي لم تكن لتتماشى مع تزايد النفوذ الفرنسي داخل المدينة؛ فأساليب الحياة بدأت تتغير والتأثير الأوروبي بدأ يتضح لبروز قابلية لدى بعض الفئات الندرومية للمدنية الأوروبية، ومما زاد من حجم التأثير الذي أضر ببعض الصناع والفلاحين؛ هو أنّ أغلب الفئات التي تبنت المدرسة الأوروبية كانت من أعيان المدينة الذين تنوعت أدوارهم بين السياسة والمشاركة الإدارية مع السلطة الفرنسية، وبين الدور الثقافي والديني، وكذلك الدور الاقتصادي فلا يخفى علينا أن جلّ الأراضي الزراعية الكبرى والتفاعلات التجارية والصناعية كانت بيد هؤلاء، مما ولد ضغط أضر باقتصاد العامة في ندرومة وهم النسبة الكبرى، والتي شكلت بروليتاريا حقيقية زاد من حدتها زحف سكان الريف إلى المدينة والذين ساهموا في افتقار اقتصاد المدينة أكثر فأكثر.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفصل الخامس

موقف أهالي ندرومة من الإدارة الفرنسية (1842-1925)

5-1- موقف قياد ندرومة من الإدارة الفرنسية 1842-1884

5-2- موقف نواب ندرومة (تجربة سي محمد بن رحال)

5-3- موقف أهالي ندرومة من التجنيد الإجباري

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

5-1- موقف قياد ندرومة من الإدارة الفرنسية 1842-1884:

استعصى على الإدارة الفرنسية إحكام سيطرتها وقبضتها على مدينة ندرومة ونواحيها حتى سنة 1842؛ نظرا لقوة وشدة مقاومة الأمير عبد القادر التي أعاقت تقدمها في الغرب الجزائري وبخاصة المحور الرابط بين وهران وتلمسان الذي تتخلله منطقة جبال طرارة التي تضم قبائل ندرومة وسواحلية ومسيردا وبني منير وبني خلاد، والتي لم تتمكن الإدارة الفرنسية من احتلالها حتى بداية الأربعينيات من القرن التاسع عشر بعدما بسطت سيطرتها على تلمسان، واستسلام هذه الأخيرة لم يكن مرده ضعف جيش الأمير وتراجع مقاومته؛ ولكن بسبب موالاة الكراغلة للإدارة الفرنسية التي انتهجت سياسة تعيين موظفين موالين لها من آغاوات وقياد في المناطق والأقاليم التي سيطرت عليها ومن بينها مدينة ندرومة فإلى أي مدى خدم هؤلاء الموظفون الإدارة الفرنسية؟

5-1-1- القائد محمد النقاش (1843-1845):

بعد احتلال مدينة ندرومة سنة 1842؛ أوكلت السلطة الفرنسية أمر إدارة المدينة إلى القائد (Caid) الحاج محمد النقاش وهي متفاخرة بولائه لها، فقد اعتبره بول أزان (Paul AZAN) وهو ضابط فرنسي كان ينشط في نمور (الغزوات) ؛ صديقا حميما لفرنسا حيث قال:« القائد نقاش الندرومي، كان أحد قادة النواحي القلائل الذين بقوا أوفياء للقضية الفرنسية»، دون أن يدرك أن هذا القائد الوفي لفرنسا، كان يتعامل سرا مع الأمير عبد القادر ويقدم له المساعدات، وهذا ما تأكد بعد حادثة "سيدي إبراهيم" عام 1845-قرب الغزوات-التي شهدت الفشل الذريع للقوات الفرنسية أمام جيش الأمير عبد القادر وكذا مقتل قائد الجيش الفرنسي مونتياك (Montagnac) [1] .

كان القائد نقاش يقدم الدعم والمساعدات للأمير عبد القادر المتمثلة في مساهمات مالية وأغذية ومن أهمها الشعير وتموين جيش الأمير بكل ما يلزم، لكنه لم يفتح أبواب المدينة لجيش

---

[1]- Paul (Azan): Sidi Ibrahim, Op.Cit, p45.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الأمير بالنظر للحصار الذي ضربته الإدارة الفرنسية على مدينة ندرومة وكافة منطقة طرارة هذا من جهة، ومخافة هجرة السكان إلى المغرب من جهة ثانية[1].

إن ولاء الحاج النقاش للإدارة الفرنسية كان ولاء ظاهريا فقط وبإقرار واعتراف من طرف الإدارة الفرنسية نفسها؛ فقد أوضح الجنرال تروشو (Trochu) الذي كان ملازم (Lieutenant d'état- major) قيد التربص في جيش لامورسيار (Lamoricière) الذي كان ينشط على الحدود الجزائرية المغربية أواخر سنة 1844 في إطار الاستعدادات الفرنسية لتأمين الحدود ومنع أي اختراق من طرف السلطات المغربية في منطقة وجدة التي كانت تقدم الدعم و الأمان للأمير عبد القادر؛ أن قائد مدينة ندرومة «الحاج النقاش كان مرغم على التحالف مع الإدارة الفرنسية»، وفي هذا إشارة إلى أنّه لم يكن يتقبل السيطرة الفرنسية على غرار كافة سكان ندرومة وكرد فعل من جانبه يوضح عدم انصياعه للإدارة الفرنسية؛ أنّه لمّا أرسل لتقصي أخبار وتحركات الجيش المغربي المقيم في وجدة قدّم أرقام وإحصاءات ضخمة للجنرال لامورسيار حيث أخبره أنّ عدد الجيش المغربي بقيادة مولاي محمد ابن الملك يفوق (50000) جندي بين مشاة وخيالة[2]، وهذا من شأنه أن يجعل لامورسيار يعيد النظر في بدء المواجهات العسكرية نظرا لقلة فرقه العسكرية، وهذا ما سيمنح وقت أكثر للأمير عبد القادر وكذا السكان والقبائل المتمركزون على المناطق الحدودية ومن ضمنهم سكان ندرومة ونواحيها التي عانت من ضغوطات الإدارة الفرنسية في الفترة ما بين (1842-1845).

إنّ موقف القائد نقاش تجاه الإدارة الفرنسية لم يكن موقف شخصي بقدر ما كان انعكاس لموقف كافة سكان ندرومة الذين لم يتقبلوا الوجود الفرنسي في مدينتهم وذلك نظرا لما ألفوه من استقلالية في حكم مدينتهم تعود إلى زمن العثمانيين؛ حتى أنّهم رفضوا في بداية الأمر فتح أبواب مدينتهم للأمير عبد القادر سنة 1836، والتي لم تستقبل الأمير حتى سنة 1839، لكن بعدما تمت السيطرة الفرنسية على المدينة سنة 1842؛ جدّد وأكّد الندروميون تأييدهم للأمير عبد

---

(1) - Walsin (Esterhazy) :**Notice historique sur le Meghzen d'Oran**, Oran, 1849, p 392.

(2) - Trochu : **Oeuvres posthumes**, T.2, Ed. Alfred Mame et Fils, Tours , 1896, p 302.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

القادر من خلال قائدهم محمد النقاش؛ هذا الأخير الذي عزل من منصبه عقب معركة سيدي إبراهيم قرب الغزوات سنة 1845 بعد تقديمه لمعلومات تسببت في فشل مخططات الإدارة الفرنسية في ذلك الوقت، وقد أصدرت في حقه عقابا لا يليق بحاكم مدينة يتمتع بالشهرة والصيت في كافة منطقة طرارة، وتمثل العقاب في تسريحه من الوظيفة واقتياد حصانه من لجامه من مدينة ندرومة إلى مركز الغزوات[1].

5-1-2- القائد حمزة بن رحال (1859-1878):

أوكلت مهمة القيادة في ندرومة سنة 1860 إلى الحاج حمزة بن رحال وهو من أعيان مدينة ندرومة وكان سابقا إمام وقاضي مدينة ندرومة بأمر من الأمير عبد القادر، وقد عينته السلطة الفرنسية لما يحض به من احترام في أوساط الندروميين، وفي كافة المنطقة الغربية.

تمتع الحاج حمزة بن رحال باستقلالية طيلة فترة الحكم العسكري؛ حين كانت سلطات الجماعة لا زالت بيد القبائل، هذا الامتياز الذي تمتع به الحاج حمزة بن رحال، خوّله بأن يكون ممثلا لأهالي ندرومة والصوت المعبر عن مطالبهم ورغباتهم، وقد تجلى ذلك في اهتمامه بمسألة القضاء الإسلامي، خاصة وأنّ الإدارة الفرنسية كانت قد بدأت تسن تشريعات وقوانين تقلص من خلالها صلاحيات القضاة المسلمين ، و كان من أبرز القوانين التي سنتها الإدارة الفرنسية ومست صلاحيات القاضي المسلم ؛ مرسوم 31 ديسمبر 1859 الذي اضطرهم لاستئناف أحكامهم أمام القضاء الفرنسي طبقا للمادتين (23) و(30) منه[2]، وإجبارهم للخضوع لما يخضع له الفرنسيون من إجراءات وتدقيق وترجمة، وحقوق الدفاع، وتولية المحامين رغم بطأ هذه المحاكم وتعقيداتها، وغلاء تكاليفها [3].

---

(1)- Walsin (Esterhazy) : Op.Cit, p 207.

(2)- Estoublon et le Febure : **Code de l'Algérie Annoté (1830-1895) & (1916-1920)**, Adolphe Jourdan, Librairie, Editeur, Alger, 1896, Décret 31 Décembre 1859, pp230-237.

(3)- أبو القاسم (سعد الله): **الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)**، ط4، ج2 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992 ، ص442.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وكرد فعل تجاه ما كان يحدث؛ مَثَّلَ الحاج حمزة بن رحال أمام لجنة قاستنبيد (Gastambid)، -نسبة لرئيسها يوجين قاستنبيد (Eugene Gastambid)- التي شكلت سنة 1865 للتحقيق في أوضاع القضاة والقضاء الإسلامي[1]. كان يومها الحاج حمزة بن رحال رفقة مجموعة من القضاة المسلمين شكلوا لجنة للدفاع عن حقوق القضاة المسلمين والمحافظة على اختصاصاتهم، وهم حسن بن بريهمات[2] والمكي بن باديس والطيب بن المختار[3]

---

[1]- ومثل الأوروبيين في هذه اللجنة: بييري (Pierry) صاحب مرسوم 1859 ورئيس محكمة الاستئناف، روبيني دي كليري (Robinet De Cléry) نائب عام للجزائر العاصمة، وهما من أنصار الحداثة والاندماج، بالإضافة إلى إسماعيل عربان (Ismaïl Urbain)، ومولاتو (Mulatto) وهما من أتباع مذهب السانسيمونية. للمزيد ينظر. A (Christellow), **Muslim Low courts and the french colonial state in Algeria**, PUF, New Jersy, 1981, p537.

[2] - ولد حسن بن بريهمات بالجزائر العاصمة في الربع الأول من القرن التاسع عشر دون تحديد لتاريخ ميلاده، ونشأ وتعلم فيها ويعد من أوائل التلاميذ الجزائريين الذين التحقوا بالمدارس الفرنسية التي فتحت أبوابها لأول مرة سنة 1836، وهو من أبرز الشخصيات العلمية والأدبية والسياسية في الجزائر خلال القرن التاسع عشر، كما عين قاض في المكتب العربي بالبليدة سنة 1853، وبعدها مدير للمدرسة العربية الفرنسية (الكوليج الإمبراطوري) المعروف باسم المدرسة السلطانية عند افتتاحها سنة 1857، كما تم تعيينه عضوا في المجلس الاستشاري للفقه الإسلامي بالجزائر سنة 1855. للمزيد ينظر. أبو القاسم (الحفناوي): **تعريف الخلف برجال السلف**، ج2، موفم للنشر، الجزائر، 1991، ص374-375.

[3] - الطيب بن المختار بن البشير، وهو من مواليد معسكر ومن أقرباء الأمير عبد القادر، هاجر إلى الشام وعاش هناك فترة، إلى جانب أبناء بلده وغيرهم من المهاجرين، ثم عاد إلى الجزائر بتحريض من الأمير الذي هو ابن عمه -كما يقول-، وتولى الطيب بن المختار القضاء للفرنسيين، وعاش في الجزائر ولكنه أعاد الزيارة إلى دمشق وتوفي بالجزائر سنة 1307هـ. للمزيد. ينظر.

- A (Cristellow), Op.Cit, pp52, 277.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ومحمد السعيد بن علي الشريف[1] والعياشي بن يرنو[2] ، وسليمان بن صيام[3]، ومحمد بن زغودة ، ومحمد بن الحاج محمد[4].

وقد دار نقاش الأعيان الأهالي مع اللجنة حول المجالس القضائية، وضرورة إعادة الاعتبار لها، لأن في هذا ضمان أكبر لحقوق القاضي ويمنح للمتخاصمين شروط التقاضي طبقا للشريعة الإسلامية، وكان نتيجة هذا النقاش إصدار اللجنة توصيات تضمنها فيما بعد مرسوم ديسمبر 1866 القاضي بتنظيم المحاكم الإسلامية في الجزائر[5]، وهي كالآتي:

1- تعيين مجالس استشارية فقط بدل المجالس ذات السيادة التي طالب بها الأعضاء المسلمون
2- إنشاء غرف خاصة بالمسلمين في كل محكمة فرنسية.
3- منح المعاونون المسلمون صوت تداوليا فقط، رغم أن عددهم أقل من عدد القضاة الفرنسيين.
4- إنشاء مجلس أعلى للفقه الإسلامي، مهمته إعطاء الرأي في المسائل العويصة التي تعرض على محكمة الاستئناف الفرنسية والمحاكم عموما، ورأي هذا المجلس استشاري فقط.

---

(1) - محمد سعيد بن علي الشريف، قاضي منطقة الشلالة وينتمي إلى العرش المنافس لعرش الشيخ الحداد الذي عارض بشدة المحاكم الزجرية سنة1871 وأعلن المقاومة ضدها.للمزيد ينظر Ibid , p337-338

(2) - العياشي بن يرنو، هو مفتي مستغانم ومزارع وعضو في مجلس القضاة، وله شعبية كبيرة في أوساط الأهالي. ينظر Ibid, p338

(3) - كان ابن صيام موظف لدى الإدارة الاستعمارية منذ بدايات الاحتلال وظل كذلك إلى وفاته سنة 1896، وهو ينتمي إلى أسرة ثرية، مما ساعده أن يكون متعلما وذا ثقافة واسعة، حتى عيّن في منصب الآغا بمليانة، ولقد قال عنه أحد الجنرالات الفرنسيين «الرجل المرموق والكبير الأهمية في كامل الوطن، وأن نزاهته وثقافته وكرمه الذي لا يتأخر أمام أي تضحيات وغناه قد أكسبوه نفوذا كبيرا»، كما يقول عنه لويس رين «بأنه يعد من أقدم وأحسن المتعاملين مع الإدارة الفرنسية في الجزائر». ينظر. إبراهيم (لونيسي)، مرجع سابق، ص55.

(4)- سعد الله (أبو القاسم): **تاريخ الجزائر الثقافي**، ط1، ج4 ، دار الغرب الإسلامي، 1998، ص442.

(5)- Estoublon et le febure: Op.Cit : Décret 13 décembre 1866, pp318-325.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

5- تصنيف القضاة المسلمين إلى ثلاث طبقات وتحديد أجور كل طبقة.

6- تخفيض عدد الدوائر القضائية للتخلص من القضاة القدماء، والسماح بالقضاة الأكفاء بالدخول في هيئة القضاء.

7- اختيار القضاة عن طريق المسابقة[1].

هذه التوصيات تبين أن جهد القضاة المسلمين ذهب سُدًا «لأنها جردت القاضي المسلم من صلاحياته وجردت المجالس القضائية الفقهية من سيادتها ودمجت القضاء الإسلامي في القضاء الفرنسي، وأبعدت القضاة القدماء الذين لهم صلة بالمقاومة، وعينت عناصر جديدة نشأت في عهد الاحتلال، بالإضافة إلى تخفيض عدد الدوائر القضائية، وبالتالي التقليل من عدد القضاة المسلمين والتوسع في نشر المحاكم الفرنسية»[2]

ويمكن أن نضيف إلى ذلك التوجه نحو نزع استقلالية القضاة، وجعلهم يدخلون في تيار البيروقراطية الإدارية الفرنسية عن طريق الأجور والامتحان، بالإضافة إلى جعلهم تابعين للقضاء الفرنسي في ثوب مستشارين ومعاونين [3].

ولعل أهم مكسب حققه الحاج حمزة بن رحال -أغا ندرومة وطرارة- والأعيان الجزائريون هو حصولهم على حق اختيار القضاة وتعيينهم بعدما كانوا يعينون مباشرة من الطلبة المتخرجين من المدارس الفرنسية الثلاث[4].

بدأت تضيق سلطات الجماعة شيئا فشيئا وتنحصر معها مهام الأغا حمزة بن رحال، خاصة بعد إلغاء الحكم العسكري عام 1870؛ أمام هذا الوضع قرر الأغا حمزة بن رحال الاستقالة من منصبه عام 1878 وكان ذلك تعبيرا صريحا عن رفض الحاج حمزة بن رحال لقرارات السلطة الفرنسية.

---

(1)- Ch-R (Agéron) : **Les Algériens Musulmans et la France- (1871-1919)** , T1, PUF, Paris, 1968, p205. Et A (Cristellow), Op.Cit, p185.

(2)- أبو القاسم (سعد الله): **تاريخ ...**، مرجع سابق، ج4، ص443-444.

(3)- المرجع نفسه، ص444.

(4)- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

5-2-3- القائد سي محمد بن رحال (1878-1884):

خلف سي محمد بن رحال[1] والده حمزة بن رحال؛ غير أنّ هذا الأخير سرعان ما أتضح موقفه من السلطة الفرنسية، حين استقال بدوره من منصب القائد سنة 1884 فقد لاحظ أنه لا فائدة تعود عليه وعلى الأهالي من هذا المنصب ما دامت كل السلطات مركزة في يد المستوطنين والإدارة الفرنسية، خاصة بعد تطبيق النظام المدني والذي أثّر سلبا على الأهالي المسلمين، لأنه – حسب ابن رحال- نظام يخدم الكولون بالدرجة الأولى، ويجعل القائد مجرد لعبة في أيدي الإدارة الفرنسية دون أي سلطة، وهذا ما عاد وأكده (ابن رحال) أثناء حضوره المعرض الدولي بباريس في ماي 1878[2].

وأثناء زيارته لهذا المعرض، لعب محمد بن رحال دور المترجم للوفد لكونه يحسن اللغة الفرنسية ويتكلمها بطلاقة، وقد قال فيه يومها الجنرال شانزي (Chanzy) لما لاحظه عليه من رزانة وقوة التعبير عن رأيه بين جمهور المعرض ما يلي: «إن القائد الشاب لمنطقة ندرومة صار يضع الملاحظات وذلك لسهولة التعبير عن رأيه بالفرنسية»[3].

وبالرغم من حرارة الاستقبال التي حضي بها ابن رحال وزملائه في قصر الإيليزي من طرف المسؤولين وأفراد الطبقة المرموقة في المجتمع الفرنسي، ورغم حماس ابن رحال الشديد في الدفاع عن قضيته، إلا أنه رجع إلى الجزائر خالي الوفاض ولم يحقق طلبه في إلغاء النظام المدني أو الحد منه، والذي زاد من سلطة الكولون وتحكمهم في الإدارة الفرنسية وفي السكان الأهالي، فلم

---

[1] - هو محمد بن حمزة بن بشير ابن رحال، وسجل في الحالة المدنية الفرنسية رحال محمد بن حمزة، وتشير معظم المصادر التي تكلمت عنه استنادا لملفه الإداري انه ولد سنة 1856 إلا أن شهادة عائلته تقول أن سي محمد بن رحال ولد في 16 ماي 1858.للمزيد ينظر: صبرينة (الواعر): **سي محمد بن رحال، دوره السياسي والثقافي 1856-1928**، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية،2002-2003.

[2] - محمد عبد الرحمن (الجيلالي)، **تاريخ الجزائر العام** ، ج4، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994ص467.

[3] Ch-R (Agéron), "Si M'hammed Ben Rahal, Une Conscience inquiète dans une Algérie en- Mutation", in, **Les Africains,** T8, JA, Paris, 1977, p319.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

يلبث أن استقال من منصبه – كما سبق الذكر -قبل أشهر من إصدار قانون 05 أفريل 1884 الخاص بالمجالس البلدية[1]، الذي أكّد من جديد قانون 24 نوفمبر 1871، لذلك لم يجد سي محمد بن رحال فائدة ترجى من بقائه في منصبه كقائد على ندرومة لأنه صار مجرد آلة بيد الكولون، وبمثابة جاسوس للإدارة الفرنسية، فمهمته تتمثل في إخبارها بكل ما يجري وسط الأهالي لا أكثر ولا أقل.

بعد هذا ابتعد محمد بن رحال فترة عن الإدارة الفرنسية دون أن يظهر لها العداء [2]، وعاش مدة طويلة داخل بيته وسط عائلته وشغل أوقات فراغه في الكتابة والتأليف، فكانت معظم أعماله الأدبية خلال هذه الفترة (1886-1892)، حيث نشر عدة مقالات كانت جلّها في الجمعية الجغرافية والأثرية لولاية وهران والتي انظم إليها سنة 1887، ومن ثمة نشر أول أعماله بعنوان "دراسات حول تطبيق التعليم العمومي في البلاد العربية"[3]، لكنه ما إن سمع بنية الحكومة الفرنسية في دراسة أوضاع الأهالي بالجزائر، وإعلانها عن تأسيس لجنة تحقيق تتولى هذه المهمة سنة 1891 حتى توّجه إلى باريس رفقة زميله الدكتور ابن العربي لمناقشة البرلمان الفرنسي ورئيسه جول فيري (Jules Ferry) حول الإصلاحات التي ستحملها لجنة الثمانية عشر التي ستقوم بزيارة الجزائر، وقدم خلال ذلك مذكرة [4] اشتملت على الخصوص إصلاح القضاء وتنظيم

---

(1) - قانون 5 أفريل 1884 يسمح للمسلمين (المعاونون الأهالي) الترشح للانتخاب داخل المجلس البلدي في الجزائر بشرط أن يكونوا متجنسين بالجنسية الفرنسية، بالرغم من تقاضيهم أجرا، لأنها (الجنسية) تشفع لهم بالدخول للمجلس البلدي، وليس لهم الحق في التدخل إلا في القضايا التي تهم الأهالي داخل البلدية دون الأوربيين؛ ذلك أن النائب الأهلي في المجلس البلدي ينتسب إلى هذا الأخير بصفته أهلي وليس بوصفه مواطنا فرنسيا رغم تجنسه. ينظر Cecile (Fernand) et F (Montégut) : **Les Adjoints indigènes des communes du pleins exercices et des communes Mixtes des territoires civile de l'Algérie**, 1913, p112-113.

(2)- Cecile (Fernand) et F t (Montégu) : Op.Cit, p322

(3) - ينظر القائمة الخاصة بأعضاء الجمعية سنة 1887 في B.S.G.A.O.

(4)- Jules (Cambon) : **Gouvernement général de l'Algérie 1819-1897**, Librairie H. Champion, Ed, Alger, 1918, p04.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المدارس العربية/الفرنسية، وإصلاح التعليم العربي، وتوسيعه إلى الطور الثانوي، بالإضافة لمطالبته بتوسيع القائمة الانتخابية للأهالي، وتمنى رفقة زميله ابن العربي تمثيلا نيابيا أهليا مستقلا [1].

وكانت مذكرة ابن رحال المرفوعة إلى البرلمان الفرنسي نتاج عمل وجهد كبيرين طاف خلالها محمد بن رحال الجزائر للحصول على إمضاءات النواب والوجهاء والأعيان، وكان له ذلك[2]، وكللت جهوده بالنجاح لأن لجنة 18 أدخلت بعض الإصلاحات على التعليم وعلى هياكل أخرى تهم الأهالي.

إنّ هذا الموقف من قبل قياد مدينة ندرومة يعبّر بحق عن مدى الوعي الذي كان سائدا في هذه المدينة الصغيرة، التي عرفت حركية سياسية وثقافية في وقت يعتبر مبكرا على عكس مناطق أخرى في الجزائر، وإن أعتبر مطلع القرن العشرين عند أغلب الباحثين هو بداية للحركة الوطنية في الجزائر، فإنّ ذلك يتعارض بحق مع ما كانت تشهده هذه المدينة، التي ضمت نخبة من المثقفين ثقافة عربية وفرنسية، عبروا عن مطالب الجزائريين قبل ظهور ما يعرف بحركة الشبان الجزائريين.

وكان من بين هؤلاء سي محمد بن رحال قائد مدينة ندرومة السابق، والذي تمكن من أن يصير ممثل للجزائريين في المجالس الانتخابية بداية من سنة 1913.

والواقع؛ أن موقف قياد ندرومة المعارض وغير المعادي للإدارة الفرنسية طيلة الفترة الممتدة من (1843 إلى 1884) يفسره سياسة الإدارة الفرنسية التي طبقت حكم عسكري في كافة المناطق، ورغم سلبيات هذا النمط من الحكم؛ إلاّ أنّه خدم عدد كبير من القبائل والأعراش وذلك بمنحه سلطات أوسع للزعامات المحلية من آغوات وقياد، هؤلاء الذين لم ينصاعوا كلية للإدارة الفرنسية، وأبدوا لها المعارضة منذ البداية، لكن الأوضاع لم تبق على ما هي عليه بعد تطبيق الحكم المدني سنة 1870، والذي وسّع من سلطات المستوطنين والأوروبيين في الجزائر وقلّص من نفوذ الزعامات المحلية، وصار القائد مجرد معاون أهلي وفي أغلب الفترات ناقل أخبار لا

---

(1)- Ch-R (Agéron) : Les Algériens…, Op. Cit, T1, p450

(2) - محمد عبد الرحمن (الجلالي): مرجع سابق، ج4، ص462.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أكثر ولا أقل، خاصة بعد تطبيق قانون 05 أفريل 1884، والذي لا يسمح للمعاونين الأهالي بالترشح في المجالس البلدية إلاّ إذا تجنسوا بالجنسية الفرنسية[1]، ولذلك لم يبرز في ندرومة بعد سنة 1884 قائد سلك نهج من سبقه من القياد، وعلى الرغم أن من خلف سي محمد بن رحال كان نجله عباس، إلاّ أنه لم يتبنى موقف والده واتخذ موقف المؤيد للإدارة الفرنسية.

5-2- موقف نواب ندرومة (تجربة سي محمد بن رحال) 1913-:1925

5-2-1-وضعية الأهالي في المجالس التمثيلية الفرنسية في الجزائر:

إن التمثيل النيابي في الجزائر من أهم القضايا التي حاصرت بها الإدارة الفرنسية الأهالي الجزائريين، وحرمتهم بذلك من حق الدفاع عن مصالحهم في مختلف المجالس وجعلته في الوقت نفسه الورقة الرابحة في يد الأوروبيين الذين حضوا بالقسم الأكبر في مختلف المجالس في الجزائر وخصتهم وحدهم دون الأهالي بتمثيل في البرلمان الفرنسي في الوطن الأم تطور مع مرور الوقت، فبعد أن كان لهم أربعة مقاعد عام 1848 صار لهم ستة مقاعد وفقا لمرسوم 4 أكتوبر 1870 والأمر لا يختلف بالنسبة لباقي المجالس، أما بالنسبة للأهالي فقد ظل تمثيلهم ضئيلا أو يكاد ينعدم.

ففي المجالس البلدية التي ظهرت سنة 1884 لم يتجاوز عدد الأهالي ربع الأعضاء أمّا الباقي فكلهم من الأوروبيين، أمّا في المجالس العامة فقد حدد ممثلي الأهالي بـ(06) أعضاء في كل مجلس مقابل (27)عضوا من الأوروبيين في كل من مجلس قسنطينة ووهران و(31) عضوا في مجلس الجزائر العاصمة ويتم تعين النواب الأهالي عن طريق الحاكم العام إلى غاية سنة 1908 أين صاروا ينتخبون من طرف الأهالي، لكن عددهم بقي على حاله، أمّا فيما يخص المجلس الأعلى الذي أنشئ سنة 1900 فقد كان حظ الأهالي فيه (27) ممثلا، بعضهم معين والباقي

(1)- Cecile (Fernand) et F (Montégut), Op.Cit, p112-113.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

منتخب، منهم سبعة (07) عن كل عمالة من العمالات الثلاث (الجزائر، قسنطينة، وهران)، وستة (06) من الجنوب (المنطقة العسكرية) ويعينون من طرف الحاكم العام[1].

أمّا المجلس الأعلى للحكومة الذي يضم (59) عضو، فلا يمثل فيه الأهالي سوى سبعة (07) أعضاء يتم انتخاب أربعة (04) منهم من طرف المجالس المالية، وثلاثة (03) يعينهم الحاكم العام، أما المجلس الوطني الفرنسي فلا يوجد به تمثيل للأهالي[2].

من خلال هذه النسب ندرك أن تمثيل الأهالي في المجالس الجزائرية ضئيل جدا، ولذا فهو لا يخدم مصالحهم لأنهم أقلية، كما لا يخوّل لهم القانون انتخاب رؤساء البلديات ولا مساعديهم، وبالتالي لا علاقة لهم بإدارة البلدية[3]، وحتى أنّ المرشح للانتخابات لا بد وأن تتوفر فيه شروط الإدارة الفرنسية وهي ولاءه الخالص لفرنسا بتقديم المساعدة لها والتعاون معها بواسطة التجسس على الأهالي، وأداء الخدمة العسكرية، ويمثل هذه الفئة من المنتخبين: الموظفون، المتقاعدون، المالكون لعقارات وأراضي فلاحية و الحاصلون على وسام الشرف، وغالبا ما كان هؤلاء المرشحون من المجموعة التي تعرف "ببني وي وي" (Beni OuiOui).

هذه الشروط التي وضعتها الإدارة الفرنسية لم يقبل بها الجزائريون، لأنهم عرفوا أهمية التمثيل النيابي كحق سياسي يمكنهم من إسماع صوتهم وتحقيق مطالبهم المستعجلة والمستقبلية لأنّ من يمثل الأهالي في المجالس البلدية والمالية يجهلون شؤون هذه المجالس من تنظيم وإدارة وقوانين...إلخ، كما أنهم لا يحسنون اللغة الفرنسية، وهي لغة التخاطب في هذه المجالس، كما أنهم ليسوا على دراية كافية بأوضاع الأهالي، ويؤكد بعض الكتّاب الفرنسيين أيضا هذه الظاهرة فيقولون: « في الجزائر كان المنتخبون الأهالي في المجالس البلدية لا يجدون ما يفعلونه سوى الصمت والاستماع إلى الأعضاء الأوروبيين الذين كانوا يناقشون بعض المسائل العامة، مثل الميزانية والأمن العام وغيرها، وحتى في المسائل التي كانت تتعلق بوضع الجزائريين مباشرة لم

---

(1)- Jacques (Bouvresse) : **Les Délégations Financières Algériennes (1898-1945)**, T.1, Thèse Inédite, Université de Nancy 2, 1979, p11.

(2)- Cherif (Benhabilis) **: L'Algérie Française vue par un Indigène**, Imprimerie Oriental, Fontana, Frères, Alger, 1914, p93.

(3)- Ibid, Idem.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

يتدخل المسلمون، وأثناء الاحتفالات التي أقيمت بمناسبة عودة المحاربين من الريف الإسباني ظل الجزائريون على نفس الحال؛ فقد تحدث الفرنسيون في هذه المناسبة ولم يتحدث المسلمون بكلمة واحدة»[1].

وقد ترجع هذه السلبية من طرف ممثلي الأهالي ، إلى وضعهم كأقلية في المجالس المحلية وسيطرة المستوطنين الأوروبيين عليها، وكذا جهلهم للغة الفرنسية وموالاتهم المطلقة للسلطة الفرنسية، فهم في الأصل قيّاد لدى السلطة الفرنسية، أو أعيان يتفاخرون بأموالهم وثرواتهم، أو مرابطون وشيوخ زوايا تتماشى مصالحهم مع المصلحة الفرنسية لذلك سمّوا ببني وي وي، وعرفوا كذلك بأصحاب العمائم القديمة (les vieux Turbans).

مع ذلك لا يمكننا إطلاق أحكام جزافية ومطلقة ضد هؤلاء، وحتى إن كانوا من أصحاب العمائم القديمة؛ فقد ضموا بينهم شخصيات واعية ومثقفة عبّرت عن مواقف الجزائريين وكانت مطالبها الأرضية التي أقيمت عليها مبادئ الحركة الوطنية الجزائرية، وكان من بينهم سي محمد بن رحال الذي سمي عميد الشبان الجزائريين، والذي برز كنائب نشط ومدافع متحمس عن القضية الجزائرية، وكان الممثل الرئيس لمدينة ندرومة ومقاطعة تلمسان طيلة الفترة الممتدة بين 1913-1925، ففيما تمثلت مواقف ابن رحال الندرومي تجاه السياسة الفرنسية؟ سواء في مدينة ندرومة أو في كافة المقاطعات الجزائرية؟

5-2-2- انتساب ابن رحال إلى المجالس الانتخابية:

شهدت الجزائر أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ميلاد مقاومة سياسية سلمية تبناها مجموعة من المثقفين الجزائريين، انقسموا إلى قسمين، القسم الأول: درس في المعاهد والجامعات العربية فكان بذلك ممثل التيار المحافظ، والقسم الثاني : مجموعة من خريجي المدارس الفرنسية، وكان من بينهم سي محمد بن رحال من مدينة ندرومة الذي انتهج سياسة الحوار والتفاوض مع السلطة الفرنسية منذ كان موظفا رسميا في إدارتها برتبة قائد ، وقد ساهم مستواه

[1] M . (Kaddache) : **LA vie politique à Alger de 1919 à 1939**, Alger, 1970, p53--54.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

التعليمي وإتقانه للغة الفرنسية والمكانة المرموقة لأسرته في مدينة ندرومة، وكذا نفوذه الأخلاقي بين أهل ندرومة والمناطق المجاورة لها كونه مقدم للزاوية السليمانية منذ سنة 1898 في بروزه كأهم شخصية في مدينة ندرومة آنذاك، فكان من القلائل إن لم نقل الأوائل الذين نالوا منصب سياسي في الإدارة الفرنسية؛ فقد تقلّد ابن رحال أوّل منصب سياسي في ديسمبر سنة 1903؛ وهو معاون القاضي المسلم في المجلس العام بوهران، خلفا لسي منور عبد الرحمن بن سي بومدين قاضي بلعباس الذي وافته المنية، وقد شغل محمد بن رحال هذا المنصب حتى سنة 1907[1]، في وقت لم يكن يسمح فيه للمسلمين بالانتخاب كمستشارين عامين في المجالس العامة إلا بعد مرسوم 24 سبتمبر 1908[2].

في سنة 1913 عين مستشارا عاما عن دائرة ندرومة –الرمشي بعد فوزه في انتخابات المجلس العام بوهران[3]، وقد أعيد انتخابه في فيفري 1921 لنفس المنصب بعد منافسة حادة مع محضر قضائي متجنس نجح في كسب رضا شيوخ الطريقة الطيبية والقادرية المنافسة للطريقة الدرقاوية التي ينتسب إليها ابن رحال، وبمساعدة كذلك بعض أعيان مدينة ندرومة الذين على حد قول مدير المنطقة الانتخابية ساءهم نفوذ عائلة ابن رحال ومكانتها الاجتماعية[4]، ولقد شاركه النجاح يومها زميله الأمير خالد الذي فاز بدوره بمنصب المستشار العام بالجزائر العاصمة بـ2995 صوت ضد منافسه تامزالي[5]، وقد زادت مكانة محمد بن رحال ارتقاء عندما أعيد انتخابه بالإجماع سنة 1925 نائبا لرئيس المجلس العام بوهران[6].

وإلى جانب وظيفته كمستشار عام (Conseiller Général) بالمجلس العام (Conseille Général)، كان يشغل وظيفة على قدر كبير من الأهمية، ففي 18 أفريل 1920 ترشح محمد

---

(1)- أحمد توفيق (المدني): **كتاب الجزائر**، ط2 ، دار الكتب، الجزائر،1963 ، ص 260.

(2)- A. (Djeghloul) : **Huit études sur l'Algérie**, ENAL, Alger, 1986, p36.

(3)- Ch-R (Agéron) : "Si M'hammed..", Op.Cit, p334.

(4)- Ibid, Idem.

(5)- A (Djeghloul) : Huit.., Op.Cit, p41.

(6)- Mahfoud (Kaddache) : **Histoire du Nationalisme Algériens,** T1, SNED, Alger, 1981 , p102.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بن رحال لانتخابات المجالس المالية (Délégations Financières) عن دائرة وهران، وقد نجح في نيل منصب مفوض مالي (Délégué Financier) بفضل شهرة زميله وصديقه الأمير خالد الذي دعمه بنجاحه في هذه الانتخابات، حيث حصل على (7000) صوت مقابل (2500) صوت لمنافسه محي الدين زروق الأمين العام للاتحاد الفرنسي الجزائري يومئذ.

ساهم فوز الأمير خالد في نجاح زملائه؛ محمد بن رحال بوهران، قائد حمود بالبليدة-المدية، والدكتور موسى بقسنطينة، ما عدا زميلهم حاج عمار الذي هزم أمام شيخ زاوية الهامل ببوسعادة[1]، وقد ظل محمد بن رحال في هذا المنصب إلى غاية انتخابات ديسمبر 1925، حيث انهزم ولم يحصل سوى على (2000) صوت من أصل (12000) صوت[2].

تمكن سي محمد بن رحال بفضل هذين المنصبين (المستشار العام والمفوض المالي) من الإدلاء بآرائه ومواقفه داخل المجالس الانتخابية، والاهتمام بقضايا الأهالي وانشغالاتهم وإيصالها للإدارة الفرنسية، وقد كان لمدينة ندرومة الحظ أن كان لها نائب يمثلها في وقت كان فيه عدد النواب الجزائريين في المجالس الانتخابية ضئيلا رغم كونهم أغلبية عددية أمام سيطرة فرنسية أوروبية ما هي في واقع الأمر سوى أقلية في المجتمع الجزائري. أمام هذا الوضع فيما تمثلت مواقف ابن رحال داخل تلك المجالس وما هو وقعها على أسماع السلطة الفرنسية؟

اهتم محمد بن رحال بمناقشة قضايا عديدة تنوعت بين سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية تخص الفرد الجزائري في ظل السيطرة الفرنسية وكان من أهمها ما يلي:

5-2-2-1- ابن رحال وحق التمثيل النيابي للجزائريين:

في الواقع، إن محمد بن رحال من الأوائل الذين طرحوا فكرة التمثيل النيابي للأهالي في المجالس، وطالبوا كذلك بتوسيعها فقد سبق ظهور الشبان الجزائريين في ذلك وعلى رأسهم الأمير خالد، وقد كانت له الفرصة بوضع يديه على حقيقة السياسة الفرنسية بحكم أنه كان موظف في إدارتها، فأثناء شغله لمنصب القائد كشف حقيقة تعسف الإدارة الفرنسية، فلذلك لم تطل مدة عمله

---

(1)- Mahfoud (Kaddache) : **Histoire du Nationalisme..,** Op.Cit, p 102.

(2)- Ch- R (Agéron): "Si M'hammed…", Op.Cit, p338.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

واستقال بعد ستة (06) سنوات معترفا بأن سياسة الإدارة الفرنسية هي التي جعلته يستقيل[1]؛ فوظيفة القائد صارت مرادفة لوظيفة الجاسوس، فلا عمل له سوى نقل أخبار الأهالي إلى الإدارة، وصادف استقالة محمد بن رحال من منصب القائد إصدار الإدارة الفرنسية قانون 5 أفريل 1884 الخاص بشروط ترشح الأهالي وانتخابهم في المجالس البلدية، والتي كانت في مجملها مستعصية وعلى رأسها شرط أن يكون المرشح متجنس بالجنسية الفرنسية.

بقي محمد بن رحال مبتعدا بعض الشيء عن الساحة السياسية وعن الإدارة الفرنسية حتى سنة 1891 لمّا ابتدأت الحكومة الفرنسية في إعداد لجنة تحقيق مكونة من أعضاء مجلس الشيوخ لدراسة أوضاع الأهالي في الجزائر، وباشرت في استلام التقارير والعرائض فرشّح وقتئذ محمد بن رحال وزميله ابن العربي لتمثيل الأهالي أمام هذه اللجنة -كما ذكرنا سابقا- وكان مطلب التمثيل النيابي من أهم المحاور التي تعرض لها محمد بن رحال وأورد مدى أهميتها كحق سياسي للأهالي، وضرورة أن يكون لهم أعضاء في كل المجالس الجزائرية، وحتى في البرلمان الفرنسي مثلهم مثل الأوروبيين، ومن المطالب التي استهل بها محمد بن رحال مداخلته حول التمثيل السياسي للجزائريين المسلمين في المجالس الجزائرية (المستعمرة): وجوب انتخاب الأهالي في المجالس البلدية بنوعيها المختلطة وذات السلطات الكاملة، خاصة وأن تنظيم 5 أفريل 1884 الذي أدخل على المجالس البلدية في الجزائر لم يحقق للأهلي أدنى الحقوق والامتيازات، فتمثيله بقي ضئيلا لا يتعدى الربع، والنائب الواحد ينوب عن (1000) من السكان حتى ولو كان متجنسا بالجنسية الفرنسية، أما الناخب المسلم فتصادفه قائمة كبرى من الشروط التعجيزية، وهذا ما لم يقبله الأهلي ولم يسكت حيَاله، ولقد أوضح سي محمد بن رحال هذا الأمر أمام هذه اللجنة؛ حيث طالب بوجوب انتخاب أعضاء المجلس البلدي بنفس الطريقة التي تتبعها الإدارة الفرنسية في انتخاب الفرنسيين، وأن يرفع كل العوائق وأن يمنح حق الانتخاب لكل من يدفع معلوم الباتيندة[2] ،

---

(1)- Ch- R (Agéron): "Si M'hammed…", Op.Cit,p339.

(2) - الباتيندة هي نوع من الضرائب، الغالب أنه يتعلق بالتجار. ينظر، عبد الرحمان بن إبراهيم (العقون): **الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر**، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص21.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أو من هو حاصل على شهادة ابتدائية وإبطال جميع القوانين المختصة بالمنتخب الأهلي ومســـاواته بالفرنسيين[1].

أراد محمد بن رحال أن يبلّغ الإدارة الفرنسية أن الأهلي قادر على تحّمل مسؤولية كل الوظائف الموجودة، وأن ثقافته وتعلمه عاملان أساسيان في تزكية فاعليته، بعكس المنتخبين الآخرين الذين يجدون أبواب المجالس البلدية وغيرها مفتوحة لهم بمجرد كونهم من ذوي الأملاك والعقارات، أو أصحاب الأوسمة بغض النظر عن كونهم أميين وغير أكفاء، وهذه الفكرة ليست بجديدة، فقد طرحها محمد بن رحال سنة 1887 في نصه حول تنظيم التعليم العمومي في البلاد العربية، حيث طالب بحق الاقتراع للتلميذ الذي أكمل دراسته.

أما فيما يخص المجالس العامة، فقد أوضح ابن رحال وزميله ابن العربي «أن النظام الذي تسير وفقه هذه المجالس هو من قبيل تلهية الصبيان بالنسبة لنيابة الأهالي الذين لا يتجاوز عددهم (06) مقابل 34 فرنسيا، ومع ذلك فالستة أشخاص و بالرغم من الصبغة التمثيلية للمجالس لا ينتخبون، بل تعينهم الإدارة من موظفيها... فمن الواجب أن يمنح هذا المجلس حرية أوسع وأن يضاعف عدد أعضائه الأهالي، وأن ترخي الحكومة حبل الخناق على رقاب الأهالي حتى يمكن سماع صوتهم الحقيقي»، ويضيف ابن رحال: « إنه في الوقت الحاضر أصول وأنفاس الأهالي منحدرة إلى مكان لا نعلم جهته»[2]، ولقد حضي تدخل محمد بن رحال حول المجالس العامة ببعض التأييد، حيث ألغي قرار تعيين الأعضاء الأهالي من طرف الحاكم العام، وصاروا ينتخبون بمقتضى مرسوم 1908، لكن عددهم لم يتغير وهو من أهم المطالب التي أصّر محمد بن رحال على تحقيقها.

تعرض ابن رحال كذلك لتنظيم المجلس الأعلى، وهو مجلس ينظر في الغالب كل المصالح التي تخص الأهالي، لهذا طالب محمد بن رحال وابن العربي بضرورة وجوب انتخاب نواب من طرف الأهالي الجزائريين ليرفعوا إليه حاجاتهم[3]، وقد بلغ دفاع محمد بن رحال أمام لجنة الثمانية

---

[1]- عبد الرحمان بن إبراهيم (العقون)، مرجع سابق، ص21.

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- محمد عبد الرحمن (الجيلالي)، مرجع سابق، ج4، ص463.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

عشر (18) حول تمثيل الأهالي في المجالس ذروته، عندما طلب بتمثيل الأهالي في مجلس الشيوخ الفرنسي (Conseil de Sénat)، حيث أكّد على أهمية انتخاب نواب من طرف الأهالي حضوا بثقتهم وعرف عنهم الإخلاص والتفان في العمل لخدمة قضية الأهالي التي هي قضيتهم هم أنفسهم، فهم سيكونون أدرى الناس بحالة منتخبهم، فهم عاشوا في وسطه وجرى عليهم ما جرى عليه. لذلك رأى ابن رحال أنّه من الضروري تأليف وفد حر يتوجه كل سنة إلى باريس ليقدم مطالب الأهالي الجزائريين لدى مجلس الأمة، كما كان في عهد نابليون الثالث من سنة 1860-1870، لأن ذلك حق من حقوق الأهالي، فهم كذلك يدفعون الضرائب مثل الأوروبيين[1].

إن طلب ابن رحال بعضوية الأهالي في مجلس الشيوخ، انطلق من فكرة أن الأهالي رعايا فرنسيين مثلهم مثل الفرنسيين -وهذا ما كانت تدعيه الإدارة الفرنسية نفسها-، وأنه لا اختلاف بينهما، فالأهلي يدفع الضرائب مثله مثل الفرنسي وربما أكثر منه، إضافة إلى هذا أدرك ابن رحال أنه لا يمكن أن يفهم ويوصل حقيقة الأوضاع التي يعيشها الأهالي ويدافع عن مصالحهم أمام الإدارة الفرنسية، سوى الأهلي، ولقد خاطب ابن رحال أعضاء البرلمان الفرنسي قائلا: « حينما تريدون القيام ببعض الشيء الجدي لا تضيعوا وجهة النظر هذه، إنكم لن تنالوا شيئا مطلقا من الأهلي سوى عن طريق الأهلي، نحن نريد عضو في مجلس الشيوخ، ونائب أهلي معين من طرف الأهالي وعلى الأقل مندوبون دائمون لهم صوت استشاري»[2].

كان ابن رحال السباق لطرح فكرة عضوية الأهالي في البرلمان الفرنسي، وكان موقفه مبنيا على المساواة بين الأهالي والفرنسيين، فهو لاحظ أن الأوروبيين حظوا بتمثيل لهم في البرلمان الفرنسي منذ السنوات الأولى للاحتلال عام 1848، وزاد تمثيلهم سنة 1870، لكن الأهلي لم يطرأ عليه أي تغيير ولم يمثل في البرلمان الفرنسي مقارنة مع المستعمرات الفرنسية الأخرى في إفريقيا التي كان لها أعضاء يمثلونها في هذا البرلمان.

لم تلق حجج ابن رحال المقدمة أمام هذه اللجنة (18) في فرنسا أذانا صاغية ، لأنها ظهرت في فترة بدأت فيها الإدارة الفرنسية بتوسيع سياسة الاندماج. و يكفي أنّ رئيس اللجنة جول فيري

---

(1)- عبد الرحمن بن إبراهيم (العقون)، مرجع سابق، ج1، ص21.

(2)- Ch-R (Agéron) : **Les Algériens…,** Op.Cit, T1, p450.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

كان من مؤيدي هذه السياسة، رغم أنه اختلف عن باقي الفرنسيين بطلبه باللامركزية في الإدارة (Décentralisation) وذلك بإعطاء حكم ذاتي للجزائريين، ولكنه كان قاصدا الأوروبيين وليس الأهالي.

لم يتوقف الأهالي عن مطالبتهم بالتمثيل النيابي، بل اتسعت حركات المطالبة بهذا الحق السياسي إثر إعلان الإدارة الفرنسية عن قانون التجنيد الإجباري في 3 فيفري 1912، الذي رفضه معظم الجزائريين، إلا في حالة ما إذا تحصلوا على تعويضات مقابل ذلك، ومن بينها حق التمثيل النيابي للأهالي في كل المجالس .

هذا الاقتراح تبناه محمد بن رحال، الذي طالب بإصلاح وتحسين أوضاع الأهالي أولا، ثم النظر في تطبيق قوانين وتنظيمات أخرى، فلا بد من رفع مكانة الأهالي وجعلهم على قدم المساواة مع الفرنسيين، ولن يكون هذا إلا بفتح مناصب العمل للأهالي، وسحب قانون الأنديجينا، و بتمثيل كاف وفعال لهؤلاء في المجالس البلدية، والعامة والمالية، وإيجاد مكان للأهلي في البرلمان الفرنسي بالوطن الأم، ولقد أوضح هذا في حواره سنة 1912 قائلا: « تمثيل الأهالي ضئيل في المجالس البلدية والمجلس العام، وفي النيابات المالية، ومنعدم تماما في البرلمان الفرنسي...»، ثم يبرز الآثار السلبية على الأهالي من جراء هذه السياسة، ويطلب من فرنسا تغييرها قائلا: « إن سياسة النعامة كانت دوما فاشلة، وإنه ينبغي على الوطن الأم الاعتراف بأنّ السكان الأصليين هم كذلك مواطنون ويجب معاملتهم على قدم وساق مع الفرنسيين»[1] .

وقد ساند ابن رحال العديد من رجال السياسة من الفرنسيين المعتدلين الأحرار أمثال: فيكتور باروكان[2] (Victor Barrucand) وبول أزان، حول ضرورة منح الأهالي حقوق سياسية بالإضافة إلى جماعة من الأعيان والمثقفين الأهالي، وبالرغم من هذا الدعم، إلا أن ابن رحال

---

(1) - Rachidi : art "Le Bâillon", 21 Juin 1912.

(2) - جاء فيكتور باروكان إلى الجزائر سنة 1900م، وهو نفس العام الذي أنشأ فيه جريدة الأخبار مع نائب فرنسي في مجلس الشيوخ بالجزائر يدعى جيرونت (Gérente) وباروكان هو صديق مقرب لمحمد بن رحال ومن مؤيديه، وقد كان ابن رحال عضوا في هيئة التحرير لجريدة الأخبار. ينظر. Zahir (Ihddaden): **Histoire de la presse indigène en Algérie, des Origines jusqu'en** 1930, ENAL, Alger, 1983, p150-151.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

انفرد في طرحه ولم ينضم إلى أي مجموعة واختار أن يمثل الأهالي شخصيا، ويلعب دور الناطق الرسمي لهم، فكان يحاور الإدارة الفرنسية منفردا فلم يرد أن ينتسب إلى أي حزب أو مجموعة وكان يواجه الحكومة الفرنسية بصراحة شديدة، فلم يخف عليها مغبة رفضها لتمثيل الأهالي قائلا:« إن رفض مطالب المسلمين الجزائريين يساهم في خلق وطنية جزائرية»[1]، خصوصا وأن فكرة الوعي القومي قد اتسعت بعد الحرب العالمية الأولى بعد مشاركة الأهالي فيها، ومعايشتهم للفرنسيين التي مكنتهم من لمس الفوارق بين الحياة في الجزائر وفرنسا، ومدى اتساع الفجوة بينهما حيث لاحظ الجنود الجزائريين الفارق الكبير بينهم وبين الفرنسيين وعرفوا طبيعة المواطن الفرنسي في الوطن الأم وتاريخه الذي أبرز نضال شعب قاوم الاستعمار من أجل تقرير المصير ولمسوا مدى الفارق بينه وبين الفرنسي المستعمر في الجزائر، هذه الفكرة نبتت في فكر الأهالي وحملها الأمير خالد وطالب بها بداية سنة 1919[2] ، وقد وجد المؤيد والمحفز لمطالبه في مبادئ الرئيس الأمريكي ويلسن[3].

وقد لمس الساسة الفرنسيون هذا الشعور القومي، وخوفا من ازدياد قوته واتساعه ومخافة ظهور نزعة استقلالية -كما لمح إليها محمد بن رحال- أصدرت الحكومة الفرنسية التي كان يرأسها آنذاك جورج كليمنصو قانون 4 فيفري 1919، الذي قضى بمنح الحقوق السياسية لفئة من الأهالي [4] ، وأهم ما جاء فيه[5]:

---

(1)- Ch-R (Agéron) : Les Algériens…, T1, p.450.

(2) - وبالموازاة مع هذه الإصلاحات عين جونار حاكما عاما على الجزائر، وهو معروف بسياسته المفتوحة تجاه الأهالي، وليحظى بثقة الكثير من النخبة الجزائرية. ينظر: عبد الرحمن بن إبراهيم (العقون)، مرجع سابق، ج1، ص73.

(3)- أبو القاسم (سعد الله): **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ط2،ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص ص54-58.

(4) - بالإضافة إلى تأثر الجزائريين بالحركات القومية الأخرى التي عمت الوطن العربي، وبرجال الفكر، أمثال: جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده.

(5)- أبو القاسم (سعد الله): أبحاث وآراء ...، مرجع سابق، ص73.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

1- إعطاء الحق لبعض الفئات للحصول على الجنسية الفرنسية بشرط طلبها والقبول بالتخلي عن القانون الإسلامي، وبشرط معرفة اللغة الفرنسية.

2- حق الانتخاب والترشح للمجالس البلدية، والعامة والمالية، وتقليص نسبة تمثيل الجزائريين في هذه المجالس على الربع.

3- الطبقة التي أعطاها القانون حق الانتخاب والترشح لا ينالها قانون الإنديجينا إلا في بعض الحالات، مثل المخالفات المتعلقة بنظام الغابات.

4- حق شراء واكتساب سلاح الصيد وذخيرته مثل الفرنسيين، ويدخل في ذلك حق الحصول على بعض الوظائف في الدولة.

لكن مع ذلك يشترط فيمن حاز هذه الشروط أن يكون حاصلا على المؤهلات التالية: أن يكون من الضباط أو الجنود الذين خدموا في الجيش الفرنسي، أو من معطوبي الحرب أو أصحاب الأملاك، أو التجار، أو المثقفون ثقافة فرنسية، أو أصحاب الشهادات، أو الحائزون على أوسمة أو الموظفون في الإدارة الفرنسية، أو أعضاء الغرفة التجارية، وأن تكون أعمارهم من 25 سنة فما فوق.

لكن هذه الإصلاحات في مجملها لم ترض طموحات المسلمين، لأنها لم تحقق أدنى ما طالبوا به، فشرط التجنّس ظل قائما، ما عدا الشرط الخاص بالشهادات، فهو فتح الباب للمثقفين لأخذ مكانهم إلى جانب الملاك وأصحاب الأوسمة، كما أن إيجابية هذا القانون تكمن في فسح المجال للانتخاب في المجالس البلدية والعامة، والمالية، فالتمثيل النيابي من أهم الحقوق السياسية التي طالب بها الأهالي مع أن قانون 4 فيفري 1919 لم يمنحهم سوى الثلث من المقاعد.

وقد تبع إصلاحات 1919 استقالة الأمير خالد في شهر نوفمبر من نفس السنة من الجيش الفرنسي وقرر خوض غمار السياسة بالدخول في الانتخابات البلدية -وهي من الإيجابيات التي حملها قانون 1919 للأهالي- رفقة الدكتور موسى، وقد تحصل هذا الأخيرعلى (940) صوت والأمير خالد على (925)، وتفوقا بذلك على القائمة المعارضة لهم والتي يترأسها الاندماجي الدكتور ابن التهامي، فكان هذا أول فوز لكتلة المسلمين المحافظين على أتباع الإدارة الفرنسية من

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ذوي الميول التجنيسية، الذي اتهموا خالد بالتمرد على الإدارة الفرنسية، وانّه إنسان تتحكم فيه ميوله الطرقية [1].

لم يسلم زملاء الأمير خالد بدورهم من تلك الاتهامات، ومن بنيهم محمد بن رحال الذي اتهم من طرف النواب الأوروبيين أنه من المؤيدين لفكرة الجامعة الإسلامية، لأنهم لمسوا من خلال تدخلاته ارتباطه بالقيم والأسس الدينية، وقد نكر هذا لكنه رغم ذلك اعترف بأنها ستظهر لا محالة قائلا: « الوطنية والجامعة الإسلامية لم أعرفهما في الجزائر، ولكن في المستقبل يمكن معرفتهما »[2]، ورغم هذه المعارضة فإن النجاح الذي حققه الأمير خالد شجع الكثير من المسلمين المساندين له للترشّح في انتخابات المجالس العامة والمالية ومنهم ابن رحال، ففي انتخابات جوان 1920 وبالرغم من المعارضة الشديدة من الإدارة الفرنسية دخل الأمير خالد متصدر قائمة زملائه محمد بن رحال الدكتور موسى، بن عبورة وقائد حمود، وتمكّن من الفوز نائبا ماليا ثم مستشارا عاما، وتمّ انتخابه بأكثرية ساحقة ضد مرشحي الإدارة الفرنسية، حيث حصل على (7000) صوت مقابل (2500) صوت نالها محي الدين زروق، الذي كان أمينا عاما للاتحاد الفرنسي الجزائري منذ سنة 1914، ومستشارا عاما بأكثرية (2505) صوت مقابل (256) صوت أحرزها الدكتور تامزالي، وهكذا دعم خالد زملاؤه المذكورين أعلاه، وضمن كل واحد منهم مقعدا في المجلس العام واللجان المالية[3].

ورغم أن قائمة الأمير خالد لم يفز منها إلا خمسة أعضاء من أصل (20) منتخب، إلا أنها حققت عملا إيجابيا، ذلك أنها ضمت شخصيات ثقافية متنورة لم تؤثر فيها أطماع الاندماج والتخلي عن الأحوال الشخصية، وهذا ما جلب إليهم تأييد الأغلبية الكبرى من الأهالي، ومما ساعد في تجمع هذه العصبة من المسلمين المثقفين جريدة "الإقدام"، التي كانت من نتاج قانون 4 فيفري 1919 والتي تعتبر خليفة لجريدتي "الرشيدي" الجيجلية، و"الحق" الوهرانية، لأنها تبنت مواقفهما المضادة للسياسة الفرنسية، وحملت شعارهما القائم على المساواة ونيل الحقوق السياسية، وصدر

---

(1)- Ch-R (Agéron) : **Politiques Coloniales au Maghreb**, PUF, 1972, p61.

(2)- Cherif (Benhabiles) : Op.Cit, p127

(3)- Ch-R (Agéron) : Politiques…, Op.Cit, p261.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أول عدد لها بتاريخ 7 مارس 1919 [1], وقد جمعت جريدة الإقدام فئة متناسقة من المسلمين عملت من أجل تحسين أوضاع الأهالي دون التمرد على الوطن الأم وكان شعارها التعاون الإسلامي الفرنسي[2].

ظهرت الإقدام بعد سكوت دام أربع (04) سنوات منذ اندلاع الحرب العالمية الأولى، فأغلب الجرائد الأهلية توقفت عن الصدور بعد قرار توقيفها من طرف الإدارة الفرنسية، وعلى رأسها الجريدتين المذكورتين أعلاه، فلما ظهرت جريدة "الإقدام"، اجتمع حولها المثقفون المسلمون بالإضافة إلى بعض الساسة الفرنسيين المعتدلين، وكان ابن رحال من أهم المشاركين فيها، لكنه كان مراسلا فقط وليس عضوا في الهيئة التحريرية الرسمية للجريدة [3].

على أية حال، فبعد أن كان محمد بن رحال وزملاؤه يعبرون عن مواقفهم ومطالبهم في صفحات هذه الجريدة، وكانت أغلب إمضاءاتهم مستعارة، صار لهم الحق في إبداء آرائهم صراحة داخل المجلس العام والنيابات المالية، وهذا ما آثار حقد واستنكار الأوروبيين الذين لاحظوا أن وجود مثل هؤلاء النواب المسلمين داخل المجالس يهدد مصالحهم، فضغطوا على الحكومة والبرلمان للرجوع عن موقفهما، وضرورة إعادة العمل بقانون الأنديجينا، وقد برز موقف الأوروبيين المعارض في مؤتمر رؤساء البلديات برئاسة "أبوو" (Abbo) في ماي 1920، الذي رفض منح حق الانتخاب للأهالي المصادق عليه من طرف البرلمان، وتعهد هو وزملائه بالتمرد على هذه القوانين، حتى قال أحدهم وهو رئيس لجنة الكولون في اللجان المالية « إذا منحت فرنسا حق الانتخاب للأهالي فإنّ ذلك سيكون خطأ كبيرا، لأنّ الانتخاب يتعارض مع حالة الأهالي الاجتماعية»، وحول نفس الأمر قال البروفيسور "برنارد لافرني" (Bernard Lavergne) :« إنّ وضعية الأهالي مشابهة لحالة إنسان العصر النحاسي إن لم نقل العصر الحجري، فكيف نمنحه إذن هذا الحق-الانتخاب- »[4].

---

(1)- Zahir (Ihddaden): Op.Cit, p311.

(2)- Ibid, Idem.

(3)- Ibid, p314.

(4)- Ch-R (Agéron) : Politiques…, Op.Cit, p262.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لكن النواب الأهالي لم يبقوا مكتوفي الأيدي ففي اجتماع للقسم العربي في اللجان المالية ليوم 1 جوان 1920، قدم محمد بن رحال رفقة زميله قائد حمود مذكرة احتجاج على اقتراحات رؤساء البلديات، بيّنا خلالها رفض الأهالي لما أعلنه رؤساء البلديات الذين عارضوا الأهالي بصفة عامة وقرارات الحاكم العام جونار بصفة خاصة، ومما جاء في هذه المذكرة: « اللجنة المالية الأهلية تعارض القرارات المعلنة من طرف مؤتمر رؤساء البلديات الذي يشتبه في إخلاصهم ووفائهم وقد تحقق الأهالي من ذلك كونهم عنصرا لإخلال الأمن والاضطراب في المستعمرة ... وتطالب اللجنة باعتبار اقتراحات مؤتمر رؤساء البلديات ملغاة وبخاصة تلك التي تنتظر مراجعة قانون 4 فيفري1919، القانون الذي كرّس القيادة المتألقة والوطنية الأكيدة للسكان المسلمين»، وطالب محمد بن رحال بالإبقاء و المحافظة على الإصلاحات الخاصة بالأهالي وتوسيعها وتأمين بصفة نهائية تمثيل صحيح لمصالح الأهالي داخل مجالس الشورى الجزائرية والفرنسية، وقد لقي اقتراح ابن رحال وزميله قائد حمود الموافقة بالإجماع من طرف اللجنتين العربية والقبائلية [1].

ولقد تبع احتجاج ابن رحال والقائد حمود اجتماع لمحرري جريدة "الإقدام"، وقرروا إرسال وفد إلى الحكومة الفرنسية بباريس، ضم ابن رحال والأمير خالد والدكتور موسى والقائد حمود وأحمد بلول. وصل الوفد يوم 29 جويلية 1920، حيث قابل رئيس الحكومة وأخبره بمعارضة الأهالي لقرارات مستشاري البلديات (Motion des Maires) التي تقضي بإعادة العمل بقانون الأنديجينا، وتشديد الرقابة على الأهالي، لكن مساعي ابن رحال وزملائه فشلت، وهذا بسبب الوفد الأهلي الآخر الذي أرسلته الحكومة العامة إلى باريس بإيعاز من نواب البلديات الفرنسيين، وضم الوفد محي الدين زروق، والدكتور ابن التهامي، والقائد صياح سي حني [2] للمطالبة بإقامة النظام الخاص بالمسلمين (قانون الأنديجينا) وكان له ذلك؛ فعشية وصول ابن رحال والأمير خالد إلى باريس تمت المصادقة على قانون 30 جويلية 1920، الذي يعيد العمل بقانون الأنديجينا لسنتين أخريين [3].

---

(1) - Délégation Financière, Séance de 1er Juin 1920, Section Arabe, p130

(2) - L'Ikdam 24 Septembre 1920, Cité par Ihddaden (Z), Op.Cit, p321

(3) - L'Ikdam 10 Septembre 1920, Cité par Bouveresse (J), Op.Cit, T1, p839

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وقد حاول ابن رحال والأمير خالد ومعهما الدكتور موسى قبل ذهابهم إلى باريس تنظيم مؤتمر موسع للنواب المسلمين لمواجهة مؤتمر رؤساء البلديات[1] ، لكنهم فشلوا في تحقيق ذلك [2]، وهذا بسبب الشقاق والتفرقة التي سادت بين النواب الجزائريين الذين تجزؤا إلى قسمين، قسم إلى جانب خالد، والقسم الآخر يمثله ابن التهامي، وهو أحد المساهمين في إرجاع العمل بقانون الإنديجينا.

وبعد عودة خالد من باريس قدم استقالته من أعماله رفقة مستشاري البلديات المسلمين يوم 9 أكتوبر 1920، احتجاجا على الوضع الذي آل إليه الأهالي بعد قانون 4 أوت 1920 المصادق عليه من طرف مجلس الشيوخ بعد تقرير قدمه المستشار "كوتولي" (Cuttoli) والذي هدف إلى إعادة العمل بالقوانين الاستثنائية[3]، وقد استفحل الأمر حين صادق المجلس الوطني الفرنسي يوم 20 ديسمبر 1922 على مشروع قرار يرمي إلى إعادة العمل بقانون الأنديجينا لمدة 5 سنوات أخرى[4].

أمام هذه الانقسامات التي وقع فيها النواب المسلمون، والتي لا تخدم القضية التي جمعتهم تدخل محمد بن رحال يوم 19 جوان 1920 في خطاب له وجهه للقسم الأهلي باللجان المالية في محاولة للمصالحة بين هؤلاء النواب، دعاهم للاتحاد عوضا من الفرقة، وإلى وجوب توحيد جهودهم لمصلحة القضية الإسلامية قائلا: «واجبنا نحن الجزائريون هو تنظيم صفوفنا بمختلف أعراقنا ومذاهبنا، وتوحيد قوانا والعمل على انسجام مصالحنا، وأن نؤسس في الجزائر ليس هدنة مقدسة، لكن شيئا أكثر ثباتا وإيجابية، هو السلم المقدس "السلم الجزائري"».[5]

---

[1] - وعلى أن يتشكل المؤتمر بالإضافة إلى الأسماء المذكور أعلاه من الأعضاء التالية أسماءهم: بن عبورة، خولي، عبد الرحمن أوروابح (نواب ماليين)، حاج عمار، عبد السلام طالب بن لونيسي (مستشارين عامين)، ابن العربي، وسيدي بومدين، ومحمد بن يحي، وإلياس بن سلمان (نواب بلديين).

[2] - J (Bouveresse) : Op.Cit T1, P338.

[3] - Ch-R (Agéron) : Politiques…, Op.Cit, p263.

[4] - Ch-R (Agéron) : "Si M'hammed…", Op.Cit, p.338.

[5] - S.P, 1920, p 292.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لقي نداء ابن رحال الترحيب والرضا، وبدأت تتبلور بوادر المصالحة بين النواب، دشّنها الأمير خالد بإجراء مصالحة مع معارضه الدكتور موسى بن شقوف النائب المالي عن خنشلة وذلك بحضور المعارض الآخر ابن التهامي[1] مما دفع برئيس الشرطة بالعاصمة والذي عمل طويلا من أجل هذا الانقسام والتمزق للقول: « لقد ظهر بأن الانقسام بين الأمير خالد وأعضاء حزب الجزائر الفتاة لم يكن انقساما نهائيا أو حاسما» [2].

أدرك محمد بن رحال أن الوحدة عامل هام ورئيسي لتحقيق ما يصبو إليه الأهالي من حقوق سياسية، وأداة فعالة لتمثيل أهلي صحيح داخل المجالس في الجزائر و باريس فرغم أقلية النواب المسلمين داخل هذه المجالس، إلاّ أن وحدة مواقفهم تقوّي من حججهم أمام النواب الفرنسيين وبالتالي تتشكل مجموعة من النواب الأكفاء تتمكن من إيصال صوتها إلى الحكومة الفرنسية لأن قاعدتهم صلبة ومتماسكة، ولأنّ الاختلاف في التوجهات والمصالح يؤثر سلبا على هذا الهدف، يضاف إلى ذلك لم يرغب ابن رحال في خلق فجوة بين الأهالي والإدارة الفرنسية فمطلبه بتمثيل سياسي لهم لا يعني التمرد، وظهور نزعة استقلالية بينهم، وإنما من منطلق أنهم رعايا فرنسيين وبالتالي تصير عليهم نفس الحقوق والواجبات التي لدى الفرنسيين سواء في الجزائر أو في الوطن الأم.

ولكي يؤكد محمد بن رحال الترابط الأهلي الفرنسي، قبل رغم الإجحاف الذي قوبلت به مطالبه، أن يكون فارسا لوسام الشرف الذي منح له في 19 سبتمبر 1905، وضابطا في 14 جويلية 1924[3]، لكي يبين للإدارة الفرنسية أنه لا ينوي التمرد عليها، ولكي تسهل له مهمة الدفاع عن مصالح الأهالي، وقد أوضح ذلك سنة 1927 قائلا: « كل نائب له أغراض وكل يحب الجاه، وكل يحب الأوسمة، وكل يحب الظهور، وكل يحب الرئاسة، لكن يجب أن نتغاضى عن

1- Ch-R (Agéron) : Politiques…, Op.Cit, p 268.

2- Ibid, Idem.

3- Ch-R (Agéron): "Si M'hammed…", Op.Cit, p339.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

هذا كله ونسعى للغرض المقصود»[1]، ولكي يكسب الإدارة الفرنسية في صفه أكثر فأكثر لم يعلن ابن رحال عن رفضه أو استيائه من قانون 4 فيفري 1919 الذي لم يحقق ويرضي طموحات الأهالي، واعتبره بادرة خير قامت بها الإدارة الفرنسية في الطريق لمنح الأهالي حقوق أخرى قائلا: «إن فرنسا منحت الأهالي آمالا متحررة بإصدارها لهذا القانون وهذا يعني أنها ستقدم تنازلات أخرى تحقق من خلالها المطالب المستعجلة للأهالي»[2].

لهذا السبب لم يكتف محمد بن رحال بانتخاب الأهالي في المجالس المالية والعامة فقط، بل طالب بتمثيلهم في اللجان الرئيسية لهذه المجالس[3]، فيصير بإمكانهم مشاركة الأوروبيين في جداول الأعمال ولن يبق عملهم مجرّد الاستماع لمحاضر الجلسات وتقديم التقارير، وهذا قليل مقارنة مع الأوروبيين، فمحمد بن رحال أراد مشاركة الأهالي في إدارة هذه المجالس على قدم المساواة مع الأوروبيين.

وقد أثار اقتراح ابن رحال انفعال شديد بين الأوروبيين، حيث قال أحدهم: «إذا أعطت فرنسا سابقا حقوقا كثيرة للمسلمين الجزائريين، فإنها تنتظر، من أجل منحهم حقوقا أخرى، رؤية كيف يمارسون تلك التي حازوا عليها سابقا »[4]، وأيّده آخر قائلا: «إن العرب لم يقوموا بشيء أثناء الحرب» نافيا جهود الآلاف من الجنود الأهالي في خط الدفاع مع الجيش الفرنسي.

لكن هذه المعارضة لم تؤثر على مساعي ابن رحال الذي طالب من جديد بتمثيل الأهالي في غرفة النواب وفي مجلس الشيوخ الفرنسي - وهي المطالب التي سبق وأن طرحها سنة 1891- وأهمية ذلك في الحفاظ على المصالح الأهلية في الجزائر، واستند ابن رحال في اقتراحه هذا على

---

(1) - مقتطف من مقابلة خاصة لمحرر جريدة النجاح السيد مامي إسماعيل مع سي محمد بن رحال بندرومة. ينظر. جريدة النجاح ع579. س9، يوم 15 أفريل 1928.

(2) - SA, 23 Mai 1920, p52.

(3) - M (Kaddache) :Histoire…, Op.Cit, T1, p55.

(4)- Ibid, Idem.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

السياسة الفرنسية نفسها التي تتبع نظاما تمثيليا، فلما لا يكون كذلك في الجزائر لأن إهمال مثل هذا الأمر يهدد بترك مصالح خمس ملايين من المسلمين دون حماية [1].

وقد لقي محمد بن رحال الدعم والمساندة من زملائه الأمير خالد، الدكتور موسى والقائد حمود، الذين بينوا للإدارة الفرنسية أنه من مصلحة الفرنسيين في الجزائر أن يكون للأهالي مدافعون أكفاء، ومنتخبون من طرفهم في البرلمان، لكن جواب مفوض الحكومة السيد "ميرانت" (Mirante) على اقتراح ابن رحال وزملائه كان مخيبا للآمال، حيث قال[2]: «إن مطلبكم هذا يثير قضية عويصة والتي اعتقد أنها ليست في صالحكم، لأنّها في الواقع تصطدم مع التنظيم الأساسي للقانون الدستوري الفرنسي، الذي يخصص للمواطنين الفرنسيين فقط دون سواهم حق الانتساب إلى البرلمان، وأن الدستور الأساسي للجمهورية أسس عن طريق المجلس الفرنسي وهو وحده الكفيل بإجراء تعديلات، ولذلك من الأحسن لكم الامتناع عن مثل هذه المطالب».

اعتبر محمد بن رحال معارضة ميرانت وغيره لتمثيل الأهالي في البرلمان الفرنسي لا أساس لها، حيث قال :«...فإن قالوا إنه ليس بإمكان الأهالي خلق قوانين لا تنطبق ولا تتناسب معهم، فالحال أن النواب الأوروبيين الجزائريين منذ دخولهم البرلمان وهم يشاركون في إحداث قوانين لا تجري دائما على الجزائر، وهذه حالة نواب السنغال والهند، مع أن هؤلاء لم يزالوا آنذاك متعلقين بقواعد ديانتهم الشخصية، وكذلك نواب الألزاس»[3].

لم تكن الإدارة الفرنسية مستعدة لقبول الأهالي المسلمين في البرلمان، لأن ذلك سيمكنهم من حق سياسي قد يجعلهم يطالبون بالاستقلال؛ غير أنّ هدف محمد بن رحال وزملائه النواب لا تحركه نزعة استقلالية، وإنما صونا لمصالح الأهالي وتحقيقا للتقدم والرقي بهم، ولن يكون هذا إلاّ في إطار التعامل المتبادل بين الطرفين الفرنسي والأهلي [4] حيث قال ابن رحال: « هل يستحق

1- SA, 26 Mai 1920, Op.Cit, P52.

2- Ibid, p53.

3- مقتطف من رسالة وجهها محمد بن رحال إلى المجلس العام بوهران في أكتوبر 1927. ينظر. **مجلة الشهاب**، ع128، 29 ديسمبر 1927، ص4.

4- SP, 2 Juin 1920, p290-291.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أهالي الجزائر البقاء مبعدين دوما عن باريس؟ تلك البلاد التي يمكنهم فيها عرض مصالحهم والدفاع عن حقوقهم، جزاء تعلقهم بحقوق ذواتهم الدينية؟ ... إن هذا سيعرقل سير وتقدم الأهالي، ويخاطر بمستقبلهم»[1].

اتبع محمد بن رحال سياسة اللين سواء مع الحكومة الفرنسية أو مع الكولون، رغم المعارضة الشديدة التي واجهها على عكس الأمير خالد الذي لم يقبل الوضع وارتأى تقديم استقالته من منصب المستشار العام (Conseiller Général) والمفوض المالي (Délégué Financier) يوم 2 ماي 1921 موضحا ذلك بقوله:« إنني لا أرى فائدة من وجودنا في هذه المجالس،إننا غارقون في وسط أكثرية ساحقة، وعلاوة على كوننا أقلية فهناك عدد كبير من الأتباع ، وعلى هذا فستكون أصواتنا معدومة»[2]، رغم أن استقالته كانت أسلوبا يجلب به انتباه الإدارة الفرنسية حول مطلب الأهالي بتمثيل في البرلمان الفرنسي.

بالإضافة إلى تمثيل الأهالي في البرلمان الفرنسي طالب ابن رحال وزملاؤه النواب المسلمون بالإجماع يوم 20 ماي 1922 في جلسة جماعية للنيابات المالية بإجراء تمثيل خاص بهم وانتخاب حر لهم، وإقامة مجلس خاص للمسلمين وأن يكون لهم نسبة الخُمسيْن 5/2 في المجالس الجزائرية أي (36) عضو أهلي مقابل (54) فرنسي، وأن لا ينفصل هذا المطلب عن إجراء تمثيل آخر للجزائريين للأهالي في البرلمان الفرنسي، وقد جاء اقتراح ابن رحال وزملائه ردا على قرار النائب "مورينو" (Maurinaud)، الذي قدمه إلى المجلس الاستعماري الجزائري[3]، والذي يمنح الأهالي نسبة ضئيلة بالمقارنة مع الأوروبيين، (28) عضو بالمقابل (54) عضو فرنسي لكن رئيس المجلس المالي يومئذ "إليزي ساباتيه" (Elysée Sabatier) رفض طرح الاقتراح للتصويت، مما أدى إلى مغادرة النواب المسلمين لقاعة الاجتماع احتجاجا على موقف رئيس المجلس[4]، فمشروع مورينو منح استقلالية أكبر للأوروبيين، لأنه قضى بجعل المجلس الاستعماري الجزائري، مجلس

---

(1)- مأخوذ من رسالة ابن رحال. ينظر: الشهاب، مقال سابق، ص5.

(2)- Ch-R (Agéron) : Politiques…, Op.Cit, p270.

(3)- Ch-R (Agéron) : **Histoire de L'Algérie contemporaine,** PUF, Paris, 1974, p305.

(4)- AP, 1922, pp179, 291

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

شيوخ جزائري له صلاحية تولي كل الشؤون الخاصة بالمستعمرة، ومكلف على الخصوص بميزانية الجزائر والضرائب[1]، ورغم ذلك حاول محمد بن رحال تهدئة الأوضاع وعدم غلق باب الحوار مع الإدارة الفرنسية وللتقليل من المشاحنات ما بين النواب المسلمين والأوروبيين، فقد قال :« إننا زملاء ورفقاء ومعاونون لبعضنا البعض»[2].

وقد سبق وأن أعترض النواب المنتخبون الأهالي وعلى رأسهم محمد بن رحال[3]، على هذا المشروع في اجتماعهم يوم 31 ماي 1921، واقترح محمد بن رحال على النواب الأهالي ضرورة التجمع لمواجهة النزعة الاستقلالية الأوربية قائلا: « إن التجمع الجزائري يسمح لنا بالتصويت على الأسس والأنظمة التي لا يمكن الاعتراف بها أو قبولها إلا بواسطتنا ومن قبلنا»[4]، وقد حاول الأمير خالد تحقيق ذلك عندما أنشأ جمعية الأخوة الجزائرية (La Fraternité Algérienne)، التي كرست جهودها من أجل المطالبة بالإصلاح المادي، والأدبي، والثقافي والاقتصادي، والسياسي للسّكان المسلمين، وقد عبّر خالد عن هذه الأهداف بقوله: « نحن نعمل بدون كلل لمقاومة الظلم وعدم المساواة والاستبداد والعنف»[5]، كما لم تقف هذه الجمعية مكتوفة الأيدي أمام الشغب الذي أثاره المستوطنون الفرنسيون بالجزائر، اعتراضا على مطالب المسلمين والوقوف في طريق مصالحهم، بل عملت جاهدة على القضاء على الأساليب التعسفية التي أوجدها قانون الأهالي وخضع لها المسلمون[6].

لم يترك محمد بن رحال الفرصة تفوته، فعندما قام الرئيس الفرنسي "ميليران" (Millerand) بزيارة للجزائر في أفريل 1922، قابله ابن رحال في وهران وأعاد طلبه حول التمثيل النيابي للأهالي، ومما قاله: « نحن نريد أن نكون عنصر قوة وفخر لفرنسا، ونبحث عن

---

(1)- Ch-R (Agéron) : Histoire…, Op.Cit, p304.

(2)- AP, 20 Mai 1922, p378

(3)- A (Lavenard) : **La représentation des indigènes Musulmans non naturalisés de l'Algérie au parlement Français**, Paris, P1922, p28.

(4)- Ch-R (Agéron) : Politiques…, Op.Cit, p270.

(5)- M (Kaddache) : La Vie…, Op.Cit, p57-58.

(6)- Ibid, p59.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

التوافق مع المواطنين الفرنسيين، ولهذا نطالب نحن مسلمو الجزائر بالانتفاع من فرنسا، وأن نكون أكثر قربا من مركزها باريس ... في إطار العلاقات المتأصلة بين فرنسا و المسلمين في الجزائر»[1]، وقد صبّت خطابات زملاء ابن رحال الأمير خالد وقائد حمود في نفس الاتجاه[2] ومما قاله الرئيس الفرنسي يومئذ: «أعتقد أن قانون 1919 قد أتى بثماره، ولم تصدر عنه أي معارضة» [3].

وقام ابن رحال وزملائه بنشر اقتراحاتهم المجملة بعد زيارة ميليران في جريدة الإقدام تحت عنوان "رغباتنا الأكثر استعجالا"[4]، وجاء فيها ما يلي:

1- تمثيل الأهالي الجزائريين غير المتجنسين بالجنسية الفرنسية في البرلمان.

2- تمثيل الأهالي الجزائريين في مختلف المجالس الجزائرية بنسبة خُمسيْن 5/2 .

3- الإلغاء الكامل والنهائي للقوانين الاستثنائية.

4- نشر التعليم.

5- إعادة تنظيم الميزانية المخصصة للقبيلة عن طريق "الجماعة" وبدون ضغط خارجي.

6- إشراك الأهالي وبصفة عادلة وفعالة في الأراضي المعدة للاستثمار.

7- مد الطرقات والسكك الحديدية في النواحي الأهلية المنسية كليا.

8- اختيار القياد بواسطة الانتخاب أو المسابقة.

9- احترام تطبيق الفصل الرابع عشر من قانون 4 فيفري 1919 من طرف كل السلطات.

وهذه المطالب تبناها محمد بن رحال في مجملها أثناء نشاطاته الإصلاحية السياسية والاجتماعية.

---

(1)- (La direction) : "Réflexions sur le voyage du président de la République d'après les discours officiel", In **Revue Indigène**, N°160-162, Avril- juin, A17, 1922, p91.

(2)- Réflexions sur le voyage du président…, Op.Cit , p91-102.

(3)- Ch-R (Agéron) : Politiques…, Op.Cit, p275.

(4)- عبد الرحمن بن إبراهيم (العقون)، مرجع سابق، ج1، ص79.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بالإضافة إلى ذلك أرسل النواب المسلمون رفقة زميلهم أحمد بلول مذكرة إلى لجنة مجلس الشيوخ الفرنسي بتاريخ 23 ديسمبر 1922، وضعوا فيها مطالبهم التي صودق عليها بالإجماع من طرفهم داخل النيابات المالية، وهي كالآتي[1]:

1- منح حق الانتخاب لغير المتجنسين من الأهالي ممثلين عنهم في غرفة النواب وفي مجلس الشيوخ.
2- حصول الأهالي على نسبة خمسين 5/2 من المجالس الجزائرية.
3- المحافظة على التمثيل الحالي في المجالس العامة واللجان المالية.
4- انتخاب ستة (06) نواب جدد من الأهالي اثنين عن كل عمالة، على أن يتم الاقتراع بهذا التمثيل للهيكل الانتخابي الذي تنبثق عنه مجالس المنتخبين أو النواب الماليين، وهذا يعني منح هذا الحق إلى 103,149 ناخب من المسلمين، ويصير للأهالي (12) عضو في كل من المجلسين المذكورين عوض (06) كما كان سابقا.
5- انتخاب ثلاث نواب أهالي في مجلس الشيوخ، واحد لكل عمالة من العمالات الثلاث؛ يتم انتخابهم من طرف:
أ- النواب الماليون والمستشارون العامون الأهالي.
ب- المندوبون المختارون من النواب البلديين الأهالي، وأعضاء المجالس البلدية للأقسام الأهلية في البلديات المختلطة.

كانت هذه المذكرة إجابة على موقف الأوروبيين الذين اتهموا الأهالي بعدم الكفاءة، وأن الانتخاب أسلوب غريب عن مجتمعهم، وقد رد محمد بن رحال على هذا الإدعاء بالقول:«...سيدرك الأهلي هذه المعرفة -ورقة الانتخاب- بعد التمرين، فبخدمة المِدْية يتوصل الحداد إلى معرفة حرفته كما يقول المثل»[2]، و يقصد ابن رحال من وراء هذا ؛ أن الأهلي أعلم بأخيه الأهلي والمحيط الذي يعيشه، وبالتالي فهو أولى للدفاع عن مصالحه وحفظها، ولكي يتحقق ذلك وضع

---

[1] - A (Lavenard) : Op.cit, p25-29

[2] - رسالة محمد بن رحال إلى المجلس العام ... مقال سابق، ص4.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

محمد بن رحال شرطين يجب توفرهما في المنتخب الأهلي في المجالس لا غنى عنها لمصلحة الأهالي أنفسهم وهي:

1- أن يكون النائب الأهلي من المثقفين العارفين للغة الفرنسية، لأنها لغة التخاطب الرئيسية في المجالس المالية والعامة، فالنائب الأهلي يستدعى للمناقشة وفحص التقارير من فترة إلى أخرى في المجالس أو الجلسات الجماعية (Assemblée Plénière) التي تضم الأهالي والكولون الفرنسيين والأوروبيين، وهؤلاء لا يتكلمون العربية، فيصير حضور النائب الأهلي الجاهل للفرنسية غير مجدي. وحتى عندما يكون الاجتماع مقتصرا على أعضاء القسم العربي فلا بدّ من الفرنسية، لأنهم يتناقشون ويطرحون أسئلة على مفوض الحكومة وهو فرنسي بالطبع، وحول هذا الأمر قال ابن رحال: « إنّ الكثير من الممثلين للأهالي في اللجان المالية لا يفهمون اللغة الفرنسية، ويدعون لمناقشة الميزانية والأسئلة المطروحة في الجلسات الجماعية، وهذا يضعهم في مهمة صعبة، ورغم حضورهم للجلسات الخاصة بالقسم الأهلي لا يهتمون بمتابعة المناقشات، ويصوتون على القضايا مع معرفة ضئيلة بها، فما ذا سيحدث إن لم يكن هناك قسم خاص بالأهالي في اللجان المالية وكانت هذه الأخيرة تعتمد على الجلسات الجماعية ؟»[1].

2- أن يكون النائب الأهلي من المتفقهين في أمور الدين والعبادات، وهي من الشؤون الخاصة والتي تستدعي عناية خاصة من النواب، يقول ابن رحال: «كانت وستبقى دائما مصالح أهلية خاصة مثل التي تتعلق بالعدالة والعبادات الإسلامية، والتي ينبغي على الأقسام العربية والقبائلية توضيحها، وإحاطتها باهتمام عند مناقشتها»[2]، فالثقافة التعليمية والدينية شرطان أساسيان لحفظ وصيانة مصالح الأهالي في المجالس الجزائرية، وحاجزا أمام استئثار ونفوذ الممثلين الجهلاء الذين يسارعون لخدمة الإدارة الفرنسية.

إن مطالبة ابن رحال بتمثيل نيابي للأهالي هدفه المساواة مع الفرنسيين، وإبعاد صفة الرعية عنهم، فما دامت الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا فلماذا لا يعتبر الأهلي مواطن فرنسي؟ وهذا ما

---

(1)- SA, Séance du 3 Décembre 1923, p53.

(2)- Ibid, p53-54.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أراد ابن رحال الوصول إليه، حيث قال: « يقولون هم رعايا ويجب أن يبقوا رعايا، كلا! حالة الرعية هذه لا تدوم إلا مدّة من الزمن، وتنتهي في الوقت التي يشعر فيه المرؤوس بأنها حالة مناقضة للهمة الإنسانية ويشعر فيه الرئيس بأنّها مخالفة لمصالحه الحقيقية ولسمعته» [1] ، لذلك رأى ابن رحال أن التمثيل النيابي من الحلول الرئيسية لمشكلة الأهالي، لأنه يمنحهم حق من حقوق المواطنة وبالتالي يمهد لهم الطريق لتحقيق المساواة المرجوة مع الفرنسيين، ولقد أكدّ أنّ ذلك هو السبيل الوحيد الذي يمكن به الدفاع عن حقوق الأهالي قائلا: « إعطاؤهم نوابا يدافعون عنهم فيكون أولئك النواب إعانة معتبرة لزملائهم الفرنسيين، فبدل أن يضعفوا سمعتهم فإنهم يزيدونها قوة واعتبارا ويكون للجزائر حظا وافرا في الوطن الأم، وبعكس أن تشوش الحالة السياسية بوجودهم، فإنها تتحسن بمشاركتهم في الأعمال، زد على ذلك فإن فكرة النيابة هذه ستكون سببا في تهدئة الأفكار وتسْلم بها المطالب في المستقبل من الغلوّ والمبالغات، ويكون اتحاد الطرفين من النواب شيئا تفتخر به فرنسا وتنال به الغبطة والتعظيم»[2].

بقي محمد بن رحال متشبثا بطلبه للتمثيل النيابي كحل سياسي إلى غاية انعزاله عن الحياة السياسية بعد فشله في انتخابات اللجان المالية في ديسمبر 1925 فلم يتحصل سوى على (2000) صوت من أصل (12000)، ولقد أحدث فشله خيبة أمل كبيرة وسط زملائه النواب الأهالي وأصدقائه الفرنسيين، ففي جلسة للقسم العربي يوم 1 ديسمبر 1925 عبّر رئيس القسم العربي عندئذ محمد الشريف سيسبان عن أسفه لفقدان أكبر ممثل لمصالح الأهالي، حيث قال: « إنّه لن يوجد سواء من قريب أو من بعيد من يدافع عن مصالح موكليه بوضوح وعلو نظر كما كان يفعل ابن رحال، الذي قوّى إعجابنا به، ولذلك ينبغي علينا الأخذ بهذه الاقتراحات القيمة»[3].

أما صديقه فيكتور باروكان فكتب في جريدة "الأخبار" مقالا يحمل عنوان "انهزام الأخيار" جاء فيه: « فشل صديقنا المحترم ابن رحال في الانتخابات الولائية بوهران لقد فاجئنا وأحزن كل

---

[1] - رسالة ابن رحال، مقال سابق، ص3.

[2] – المقال نفسه، ص6 .

[3] - Ch-R (Agéron) : "Si M'hammed…", Op.Cit,p338

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

من يعرف سمو شخصيته وعلو نظره، وامتياز فكره النبيل والمثقف، أليس هذا دليل على أن الزمن صار يفضل من لا يتحملون المسؤولية والمعجبون بأنفسهم ويقصي الأشراف والأخيار»[1].

وقد أكدّ محمد بن رحال هذا الأمر في رسالة الوداع التي وجهها إلى زملائه النواب والمسلمين بتاريخ 14 ديسمبر 1925، حيث أوعز فشله إلى جبن منتخبيه من أصحاب العمامات القديمة الذين تمثل هدفهم الرئيس في خدمة مصالحهم الشخصية، ومما جاء فيها: « شبابنا ضعيف ومتردد وغير متماسك... وآسفاه أنا خائف بحق أن لا أرى مطلقا إشراق شمس يومٍ تأخذون فيه موقفا شجاعا»[2].

5-2-2-2-موقف ابن رحال من القوانين الاستثنائية:

استاءت النخبة الأهلية المثقفة بنوعيها الاندماجي والمحافظ من سلسلة القوانين الاستثنائية التي يعاني منها الأهالي، فنشطت في أوساط هذه النخبة حركات احتجاجية معارضة لهذه القوانين، وكان ابن رحال من بين الكثيرين الذين حاوروا الإدارة الفرنسية حول هذه القوانين، وأرادوا إلغائها أو التخفيف من حدتها سعيا لتحقيق المساواة بين الأهلي والفرنسي.

تزامنت بدايات نشاط ابن رحال ضد هذه القوانين مع انعقاد لجنة مجلس الشيوخ الفرنسية سنة 1891 وبدئها في مناقشة تقارير ومذكرات المشاركين، وقد حضي ابن رحال كما سبق وأن أشرنا إليه وزميله ابن العربي بفرصة تمثيل الأهالي في هذه اللجنة وقد ضم تقريرهما (18) مسألة، وكان من بين المسائل قانون الأنديجينا الذي اعتبره النائبان المسلمان (ابن رحال وابن العربي) « حالة استثنائية اختص بها الأهالي دون غيرهم وملخصها تفويض الأمر إلى وكلاء الحكومة في الجهات التي تحت عهدتهم... وهو عبارة عن سيف معلق على رؤوس الأهالي يمنعهم حتى من التوجع بآلامهم، فضلا عن مطالبتهم بالحقوق الضرورية، فهي تعطي التفويض للحكام أن يعاقبوا من شاءوا من المسلمين دون محاكمة»[3]، ولهذا السبب طالب ابن رحال وزميله ابن العربي بوجوب

---

(1) - Zahir (Ihddaden) : Op.Cit, p28.

(2) - " Si M'hammed Ben Rahal et ses électeurs", in**, L'Afrique Française**, 1926, p77.

(3) - عبد الرحمن بن إبراهيم (العقون)، مرجع سابق، ص19.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

إلغاء هذا القانون لأنه يعطي سلطات أوسع للمتصرفين الإداريين في البلديات المختلطة بالتراب المدني؛ فصار بإمكانهم معاقبة الأهلي دون محاكمة، وهذا استثناء فرض على الأهلي دون غيره، وقد واصل ابن رحال موقفه المعارض للقوانين الاستثنائية، فلم تمر مناسبة أو فرصة ما حتى وأعاد طرح هذه القضية وتجلى ذلك عند الإعلان عن قانون التجنيد الإجباري في 3 فيفري 1912 وقانون 4 فيفري 1919، وفي تدخلاته في اللجان المالية والمجلس العام بوهران، وفيما يلي أهم المسائل التي وقف عندها ابن رحال في نشاطه ضد القوانين الاستثنائية.

1- قانون الملكية:

قانون الملكية من النظم التعسفية التي أصدرتها الإدارة الفرنسية في حق الأهالي المسلمين حيث سلبتهم مصدر رزقهم الأساسي بنهبها للآلاف إن لم نقل ملايين من الأراضي الزراعية وفقا لقانون سيناتوس كونسلت 22 أفريل 1863 الذي أقام الملكية الخاصة الجماعية في أوساط القبائل، لأنه اعترف للقبائل بملكية الأراضي التي كانت تنتفع بها بطريقة أو بأخرى، وبالتالي كانت الخطوة الأولى على طريقة إقامة الملكية الخاصة الفردية في الأراضي الجماعية[1]، وهذا ما يؤدي للقضاء على وحدة القبيلة والملك المشاع، وهما صفتان لاصقتان بحياة الأهلي.

ولقد اتضح ذلك جليا في قانون جويلية 1873 أو "قانون المستوطنين"، كما وصفه أحد محامي تلمسان سنة 1904[2]، الذي يقضي بتنظيم الملكية العقارية في الجزائر، والاحتفاظ بها والنقل التعاقدي للعقارات والحقوق العقارية، تنظم بواسطة القانون الفرنسي مهما كان المالك[3]، وبالتالي تسهل المهمة لأي مالك داخل هذا الملك أن يطالب بملكيته، فتقسم الأراضي ويفتح بذلك الطريق للكولون، وهذا ما يؤدي إلى خلافات ومشاحنات في أوساط القبيلة وهذا ما أوضحه محمد بن رحال أمام لجنة 18 سنة 1891 رفقة زميله ابن العربي، حيث قالا: «إن الجزائريين لما كانوا عائلة واحدة مرتبطة بالأرض، تحت نظر رئيسها لا يتم قوامهم إلا بالشياع في ملكية الأرض، لأن تجزئتها ما يؤدي إلى الفساد، أما اليوم فإن مظالم كبرى تنزل على العائلة المشتركة في الملكية

---

(1)- Estoublon et le Febure, Op.Cit, 1830-1895, pp269-272 .

(2)- Dj (Sari) : Op.Cit, p45

(3)- Estoublon et Le Febure : Op.Cit, pp.404-414

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وذلك حين يباع سهم أحد الشركاء لأجنبي، ثم يعلن هذا بيع الأرض بالمزاد ويؤول أمر العائلة كلها إلى التعاسة والشقاء» [1].

رفض محمد بن رحال سياسة الإدارة الفرنسية الهادفة إلى إلغاء هذا النوع من الملكية في المجتمع الجزائري، لأنها لا تخدمه وليست في صالحه، بل على حد تعبيره -ابن رحال- هي طريقة مثلى للاستحواذ على أملاك الأهالي الزراعية، ولقد سهل لها الأمر بعد الإعلان عن قانون الملكية لسنة 1873، والمعروف بقانون فاريني (Warnier)، نسبة إلى صاحبه عارض ابن رحال هذا القانون، لأنه يسهل للكولون الاستحواذ على الأراضي العرش، وهذا ضد مصلحة الأهالي قائلا: « عندما باشرنا تأسيس الملكية الأهلية، أردنا في الواقع تسهيل استعمار الأراضي العرش من طرف الكولون، وهذا ضد مصلحة الأهالي، نحن لا نطالب الحكومة بتضحية من أجلنا، إنما نريد إبعاد وإزالة هذا الفصل من القسم الرابع من جدول أعمال النيابات المالية»[2].

ويرى ابن رحال أن هدف الإدارة الفرنسية من تأسيس الملكية الأهلية هو خلق النزاع والشقاق بين ملاك الأراضي العرش، وبالتالي إيجاد أسباب التدخل في هذه الأخيرة، ومن الحجج التي استعانت بها الإدارة الفرنسية في الاستحواذ على الأراضي الأهلية ادعائها أن معظمها أراضي بور ومهجورة ولا فائدة من استصلاحها، ويضيف ابن رحال أنه ليس هذا هو السبب الوحيد، فقد تكون الأراضي صالحة ومهيأة للزراعة، لكنها لا تسلم من المصادرة دونما سبب، فقد قال: «أعرف قبيلة في الإقليم الذي أقطن فيه أنشئت فيها قناة للري، وعندما حان وقت سقي الزرع، استأثرت الإدارة الاستعمارية بأكبر كمية من المياه مدعية أن هذه القبيلة تملك عدد كبير من الأراضي !»[3] ، وما هي إلا وسيلة أخرى للسيطرة على الأراضي ومحاصرة الأهالي، ولهذا صرح ابن رحال بأن « مصلحة الملكية الأهلية أنشئت ظاهريا فقط، لأن باطنها هو تسهيل للإدارة الاستعمارية لتملك الأراضي الأهلية»[4].

---

[1] - عبد الرحمن بن إبراهيم (العقون)، مرجع سابق، ص20.

[2] - SA, Séance du 1 Juin 1920, p123

[3] - Ibid, Idem.

[4] - SA, 7 Juin 1920, p183.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وكحل لهذه الأزمة التي وقع فيها الأهالي طالب محمد بن رحال بعدم السماح لملاك الأراضي العرش من الأهالي بنقل ملكية أراضيهم إلا بعد 10 سنوات بعد تحرير سند ملكيتهم[1] تفاديا للبيع العشوائي والتقسيم السريع للأراضي العرش، التي يكون ملاكها في أغلب الأحيان معارضين لعملية البيع والتقسيم، بالإضافة إلى سد الثغرة التي يمكن للكولون من خلالها شراء الأراضي بسهولة ولو على حساب مصلحة الأهالي، وقد برز ذلك في التحقيقات التي تقوم بها مصلحة الملكية على الأراضي الأهلية، والتي تكبد مصاريفها المكلفة الأهلي الذي لا طاقة له على تحملها، ويوضح ابن رحال « أن معظم التحقيقات كانت بإيعاز من الأوروبيين ولمصلحتهم الخاصة، إذ أن أغلبها تصل إلى نتيجة واحدة وهي أن هذه الأراضي بور ولا مالك لها، وبالتالي يسهل للأوروبيين الاستحواذ عليها بسهولة بعدما يفقد الأهلي أي رجاء منها ويضطر لبيعها ليدفع مصاريف التحقيق زيادة على التزاماته الأخرى»[2].

كان اقتراح ابن رحال بخصوص نقل الملكية بعد 10 سنوات استنادا على البند السادس من قانون 31 ديسمبر 1919 الخاص بشروط دفع حقوق النقل المتعلقة بسندات تملك الأراضي[3]، وللتوضيح فقط؛ إن هذا القانون اختص به الأوروبيون دون غيرهم ولا علاقة للأهالي به، ولذلك طالب ابن رحال بضرورة مساواة الأهالي مع الكولون في كل القوانين والمراسيم التي تصدرها الإدارة الفرنسية.

وبالموازاة مع هذا، طلب ابن رحال بوجوب خضوع الأهالي لنفس شروط البيع أو نقل الملكية التي يتمتع بها الأوروبيون طبقا للقانون السابق الذكر -31 ديسمبر 1919- الذي لم يتطرق للأهالي رغم أن أصل الملكية تعود لهم[4]، في محاولة للمساواة بين الأهالي والأوروبيين ولضمان حقوق ومصلحة الأهالي التي تضررت بسبب قانون الملكية الذي شتت وحدة القبيلة وقضى على

---

(1)- SA, 7 Juin 1920, p183

(2)- Ibid, Idem.

(3)- Estoublon et le Febure, 1916-1920, pp457-461

(4)- SA, Séance 11 Juin 1921, P336

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الملك المشاع، زيادة على التفقير والتجويع الذي تعرض له الأهالي لبيعهم أراضيهم بأثمان بخسة والتزاماتهم الضريبية.

2- **قانون الغابات** (Le code Forestier).

لم تكتف الإدارة الفرنسية بسلب أراضي الأهالي، بل زادت في تفقيرهم ومحاصرتهم بمنعهم رعي مواشيهم في الغابات أو الاستفادة منها كما سبق، فأصدرت عدة مراسيم كانت كلها ضد الأهالي ولا تخدمهم، إنما تجعلهم الشخص الوحيد والرئيس المتسبب في الكوارث والأخطار بالغابات، وما هذه المراسيم إلا قوانين استثنائية أخرى تضاف إلى سجل قوانين الإنديجينا، وكان أول قانون غابي أصدرته الإدارة الفرنسية سنة 1874 في عهد الجمهورية الثالثة كان ضربة قوية للأهالي، فبالإضافة لحرمانهم من الرعي سنت مادته الأولى مبدأ المسؤولية الجماعية للأهالي حيال أي خطر أو حادث يمس الغابات، فإن حدث ذلك تقوم الإدارة الاستعمارية بعملية حجز لممتلكات الأهالي كغرامة على الخسائر التي سنها قانون 1845 [1] الذي جاء فيه: «عندما تظهر الحرائق بتزامنها أو بتنوعها اتفاقا من طرف الأهالي، فإنها تمثل بأحداث انتفاضية وبالتالي سيجب تطبيق الإجراءات السارية المفعول الآن، بموجب الأمر الملكي المؤرخ في 31 أكتوبر 1845، إضافة إلى منع الرعي مدة 6 سنوات متتالية في المناطق المحروقة»[2].

وهكذا، فإن هذا القانون يمس مباشرة الاقتصاد المعيشي الضعيف لسكان التلال وتطبيقه يتعارض وبقاء السكان داخل وقرب المساحات المزروعة، ورغم الأذى الذي لحق الأهالي، غير أن الإدارة الفرنسية لم تكف عن سياستها التعسفية، وأصدرت قانون 9 ديسمبر 1875 الذي عاد وأكد حرمان الأهلي من الرعي وتضمنت مادته 12 ما يلي: « إن اقتلاع الأشجار اليابسة ممنوع، لأنها أشجار أتلفها الرعي»، فتهاطلت العقوبات والإجراءات المشددة ومن بينها تسييج الأراضي

---

[1] - هذا القانون لم تتم المصادقة عليه من طرف المجلس الوطني الفرنسي.

[2] - محفوظ (قداش)، والجيلالي (صاري): **المقاومة السياسية 1954**، ت: بن حراث عبد القادر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص146-147.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الخاصة بالغابات، والترحيل غير المبرر لأسر بأكملها وغالبا ما يكون بمصادرة وسيلتهم الوحيدة لتعيش الماشية[1].

رفض ابن رحال هذا القانون وطالب باسم الأهالي تعيين أماكن ترعى فيها دوابهم ومواشيهم بشروط معقولة تحت مسؤولية الراعي بعدما أخرجتهم الإدارة بدعوى الحريق الموهوم [2] ، كما قدم اقتراح للحكومة سنة 1921 يرخص رعي المواشي في الغابات مدة 4 أشهر في السنة[3]، ونفى ابن رحال الاتهام الذي وجهته الإدارة الفرنسية للأهالي كونهم المسؤولون الرئيسيون عن حرائق الغابات، ورفض الغرامات التي يدفعها الأهالي والتي تفوق طاقتهم، بالرغم من براءتهم، بالإضافة لاحتجاجه عن سياسة بعض الموظفين الفرنسيين العنيفة تجاه الأهالي[4]، موضحا أن نية الأهالي هي الاستفادة من الغابة لا غير، حيث يقول: « ما هي مصلحة الأهالي في حرق الغابات؟ فهم يعلمون أن هذا الفعل يقاضيهم غرامات ضخمة، لذلك علينا الابتعاد عن هذه القسوة ... وأرغب أن تمارس مصلحتكم هذه التعليمات بتوافق مع الأهالي، فهم الأوائل الذين يستعملون الغابات ويستفيدون منها، فيصير بإمكانهم الاستفادة من ثروات الغابة دون ضرر لنشاطهم، وأن يسمح لهم بقطع الحطب والعمل القليل من الفحم وبقطع الأعشاب»[5].

ويتساءل ابن رحال عن عدم اتهام الأوروبيين بحرق الغابات، فهم ذلك من المستفيدين منها، ويقول: « لطالما رأيت أوروبيين يتمتعون بالهواء الطلق ويتنزهون في الغابات، ويشعلون خلالها النار التي لا يراقبونها في أغلب الأحيان وهكذا تنتشر النيران في الغابات المجاورة، وفي الأخير يتهم الأهالي بهذا الفعل»[6].

---

(1)- محفوظ (قداش)، والجيلالي (صاري): مرجع سابق، ص 146-147.

(2)- الجيلالي (محمد عبد الرحمن)، مرجع سابق، ج4، ص464.

(3)- SA, Séance du 18 Mai 1921, p16.

(4)- SA, Séance du 1 Juin 1921, p214

(5)- Ibid,p215.

(6)- Ibid, p216.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ويبين ابن رحال أن عدم منح الأهالي حق الاستفادة من الغابات، ومواصلة الإدارة الفرنسية تحيزها للأوروبيين « قد يهيج الأهالي ويدفعهم من خلال فكرة الانتقام للقيام بأعمال إجرامية، فلهذا من الضروري أن تتساهل إدارة الغابات وتحاول التفاوض مع الأهالي، وتوضح لهم أهميتها فبإمكان الإدارة أن توكل حراسة الغابات إلى جماعة الدواوير (Djamaâ) وأنها فكرة يمكن تحقيقها على الوجه الأكمل، ومن السهل إدراكها ومؤكدا ستحقق نتائج ممتازة فإذا نرخص للأهالي استغلال الغابات سيكونون الأوائل الذين يحمونها ويقدمون خدمات جليلة للإدارة عوض أن يكونوا أعداء لها»[1].

ولقد أصرّ محمد بن رحال حول هذا الطلب رغم المعارضة الشديدة التي تلقاها من الأوروبيين وأوضح « أن عدم امتلاك الأهلي لخبرات ومعارف تقنية لا بد منها في إدارة الغابات فإنه باستطاعته تلقي التعليمات الأساسية والضرورية من طرف الموظفين السامين والخبراء في مصلحة الجماعة المنفذون والذين يحضرون إذا لزم الحال بطلب من المحافظ أو من السلطات المحلية»[2]، فيصير بإمكان الأهلي مشاركة الأوروبي في إدارة الغابات، والسعي لحمايتها، لأنها مورد من موارد رزقه، وتلغى بذلك الشروط الاستثنائية المفروضة عليه، يقول ابن رحال: « يصير حراس الغابات الأهالي موظفون رسميون يتمتعون بنفس الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها الأعوان الأوروبيون ومن بينها الاستفادة من صندوق المتقاعدين الجزائري، خاصة وأنهم يؤدون نفس المهام ويقومون بأعمال أخرى خارجة عن نطاق وظيفتهم كتوزيع الرسائل في القرى، وإيصال الإشعارات والاستدعاءات للمتقاضين وللخاضعين للضريبة، واستدعاءات أخرى من كل الأصناف، كدعوة التجنيد الإجباري ...الخ، فلا شيء أهم من أن تنفك العزلة من هؤلاء الموظفين ويصبحون على قدم وساق مع الأوروبيين»[3].

---

(1)- SA, 1920, pp1-94, et SA, 1 Juin 1921, pp215-216.

(2)- SA, Séance du 18 Mai 1921, p.16 .

(3)- Ibid, p12.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

كما طالب ابن رحال بأن يقام في كل دوار مكتب أو محل يتكفل بالمصالح الإدارية إلى جانب البلدية، لكي يلتزم حراس الغابات بمهامهم ولا يضطرون للقيام بمهام خارجة عن نطاقهم، وبالتالي تتحقق الإدارة الأمثل للغابات وتنتهي مشاكلها»[1].

لكن مسعى ابن رحال لم يتحقق نظرا للمعارضة الشديدة من طرف الأوروبيين والإدارة الفرنسية التي واصلت اتهامها للأهلي أنه عدو للغابات[2].

5-2-2-3- ابن رحال وسياسة الادماج:

1- مفهوم سياسة الاندماج:

تعتبر سياسة الاندماج من أهم السياسات التي اتبعتها الإدارة الفرنسية ، بحيث أن جلّ القوانين والمراسيم التي أصدرتها هذه الإدارة في الجزائر ظهرت لتدعم سياسة الاندماج ولتجعل الجزائر مقاطعة فرنسية وامتداد لها، بغض النظر عن الفاصل الجغرافي وهو البحر الأبيض المتوسط فلم يمر وقت طويل على دخول فرنسا للجزائر حتى قامت بأول خطوة نحو تحقيق مخططها الاندماجي وتجلى ذلك في إصدارها لمرسومين اثنين وهما:

1-مرسوم 1834 القاضي بإلحاق الجزائر بفرنسا.

2-مرسوم 1848 الذي يؤكد المرسوم السابق ويعتبر الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا.

وهذان المرسومان مكنا فرنسا من تحقيق جزء هام من مشروعها الاندماجي وهو يعتبر قاعدة وأساس لاستكمال الأهداف الاندماجية الأخرى، وتحقيق وتجسيد للاندماج الإداري الذي تصير وفقه الجزائر إقليما فرنسيا يتشكل من مقاطعات ويتجزأ إلى مديريات، كما تتشكل وتتجزأ إداريا كل الأقاليم الفرنسية[3].

---

(1)- SA, Séance du 18 Mai 1921, pp12-13.

(2)- SA, 16 Septembre, 1924, pp50-53.

(3)- آلان (سافاري): **ثورة الجزائر**، ت: نخلة كلاس، د.ت، ص84-85.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وقد تجسد هذا الاندماج بوضوح في مرسوم 15 ماي 1869 الذي قسم الجزائر إلى قسمين: القسم الشمالي مدني، والقسم الجنوبي عسكري، وقسمت المنطقة الشمالية نفسها إلى ثلاث ولايات (الجزائر، وهران، قسنطينة)، والقسم الجنوبي قسمته إلى أربع مناطق خاضعة للإدارة العسكرية.

وبعد الإعلان عن أول حكومة مدنية في فرنسا برئاسة ألبير غريفي (Albert Grévy) أصدر هذا الأخير مرسوم 26 أوت 1881 الذي يقضي بإلحاق وربط كل الإدارات والشؤون الأهلية مباشرة بالوزارات المختصة في فرنسا، واعتبر الحاكم العام مجرد منسق ومساعد يسهل عملية الاتصال بالوطن الأم[1].

من خلال هذه السياسة أرادت فرنسا إيهام الجزائريين أنهم سيتمتعون بنفس الحقوق وسيعيشون في نفس الظروف وبأنها ستلحق كل إدارة بوزارتها المختصة وفي الواقع كان هذا سوى تمهيد لسيطرتها الكلية على الجزائر، فبعد احتلالها للأراضي وجهت سياستها نحو الأهالي وسلكت تنظيما تعسفيا لا يخدمهم وليس في صالحهم هذا التنظيم هو ما يعرف بـ: "سياسة الاندماج (L'assimilation) ، وهو نظرية فرنسية ترجع إلى العهد الملكي القديم (L'ancien Régime)، وقد تبنتها الثورة الفرنسية في شعارها التقليدي عن الوحدة وعدم التجزئة، وكانت سائدة في عهد حكومة المؤتمر(1792)، وقد صاغها "بواسي دانجلا" (Boissy D'Anglas) مقرر الدستور في السنة الثالثة للثورة على الشكل التالي : « ثمة طريقة واحدة للإدارة الحسنة إذا كشفناها في الأقطار الأوروبية فلم تحرم منها الأقطار الأمريكية»[2].

أما الاندماج اصطلاحا فهو: «التماثل بين المستعمرة والدولة الأم في نظام الحكم والمساواة بينهما، ويرتكز مذهب الاندماج على هذه الفكرة، وهي أن إقليم ما وراء البحار ليس امتدادا لدولة الأصل، فيجب إذن أن يوضع تحت نفس النظام، أو على الأقل تحت نظام مقارب له ما أمكن ذلك وأن سكان الدولة الذين في الجانب الآخر من البحر -كحال الجزائريين- يجب أن لا تكون

---

(1)- Jules (Combon) : Op.Cit, p3.

(2)- Ch-R (Agéron) : **France coloniale ou parti colonial?**, PUF, 1r édi, 1978, p190.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

حقوقهم وضماناتهم أقل من حقوق وضمانات أولئك -الفرنسيين- الذين يعيشون في الجزء الأصلي من الدولة»[1].

وبواسطة هذا النظام، لن تضم المستعمرات أية مرافق خاصة بها، وإنّما مجرد فروع من المصالح العامة في الدولة، فبعد أن كانت كل الإدارات بيد وزير المستعمرات أصبحت بمقتضى هذا النظام تقسم على الوزارات المختصة، ولقد حصل هذا فعليا طبقا للمرسوم السابق الذكر (26 أوت 1881) فعلى سبيل المثال؛ أصبحت شؤون الميزانية تابعة لوزير الخزانة والشؤون القانونية تابعة لوزير العدل والإدارة المدنية تابعة لوزير الداخلية، وهذا يعني أن هذه المستعمرة صارت مقاطعة إدارية من مقاطعات الدولة الأم[2].

ظاهريا، يؤكد مصطلح الاندماج على تحقيق المساواة بين الجزائريين والفرنسيين في كل المجالات، وبالتالي تحقيق التماثل بين المستعمرة والدولة الأم، كما لو كانت الأولى مجرد امتداد للثانية فالتشريع واحد، والنظم واحدة، والمالية واحدة، والاقتصاد واحد، والأمر نفسه بالنسبة للجيش والشرطة.

لكن مغزى الاندماج الحقيقي يختلف تماما عن مفهومه الأساسي لما يدل عليه معنى الاندماج من مدلولات قانونية وإدارية وسياسية؛ لأنه لا يجسّد في الجزائر إلا على الأرض ومن عليها من المستوطنين دون السكان الأصليين الذين تهدف الإدارة الفرنسية إلى إقصائهم ووضعهم على هامش هذه السياسة.

2- **<u>الوسائل التي اعتمدت عليها الإدارة الفرنسية لتحقيق الاندماج:</u>**

من ابرز خطوات الاندماج التي انتهجتها فرنسا هي فتح أبواب الهجرة للأوروبيين إلى الجزائر، تمهيدا لتغليب العنصر الأوروبي على العنصر الأهلي وتغيير الخريطة الديمغرافية في الجزائر، وقدمت لهؤلاء المستوطنين كافة مستلزمات المعيشة من سكن وعمل وأرض؛ فقد اقتطعت الإدارة الاستعمارية مساحات كبيرة من الأراضي الجزائرية التي اغتصبتها من أصحابها بفعل قانون

---

[1]- Ch-R (Agéron) : **France coloniale…**, Op.Cit, pp190-191.

[2]- أحمد (حسنين)، مرجع سابق، ص33.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

مجلس الشيوخ سنة 1863، الذي نصّ على الملكية الفردية، وبالتالي قضت على ما يعرف بالأرض العرش، التي كانت تجمع القبائل. وهذا المرسوم خطوة من خطوات إضعاف الأهالي والقضاء على الروح الجماعية وبالتالي تشتيت العائلات والقضاء نهائيا على الأسر الكبيرة التي كانت تقف ندا للإدارة الفرنسية والكولون.

ومما يدل على تعسف السياسة الفرنسية وابتعادها عن الفكرة التي طالما ادعت حمل شعارها ونشرها، وهي تحضير الشعب الجزائري، أنه لن تكتف (فرنسا) تفقير الأهالي وتشتيتهم بل حاولت خلق الاختلال بين أوساط الشعب الجزائري، ووجدت غايتها في عنصر اليهود الجزائريين الذين يشكلون طبقة من طبقات المجتمع الجزائري، لكنهم يختلفون في الدين والعادات، وهذا عامل مهم ارتكزت عليه الإدارة الفرنسية، حيث أصدر الوزير الفرنسي "كريميو" (Crémieux) وهو من المعروفين بتأييدهم لسياسة الاندماج في 24 أكتوبر 1870 مرسومين اثنين وهما.

المرسوم الأول: نصّ على وضع تنظيم جديد للإدارة الفرنسية في الجزائر، حيث ألغى منصب الحاكم العام العسكري وعوضه بموظف سامي يأخذ اسم الحاكم العام المدني، كما أنشأ لجنة استشارية تتألف من ستة مواطنين فرنسيين منتخبين لمدة ثلاث سنوات والكاتب العام للحكومة، والمفتش العام للأشغال المدنية، والمفتش العام للمالية، يرأسها الحاكم العام المدني، كما نص المرسوم على إنشاء مجلس أعلى للحكومة العامة في الجزائر تحت رئاسة الحاكم العامل أيضا، كما حافظ المرسوم على التنظيم الإداري السابق، لكن الملاحظ أنّه أبعد الأهالي الجزائريين عن الهيئات السياسية العليا للبلاد وأسندت مهمة رئاستها إلى موظفي الإدارة الفرنسية والمستوطنين وهذا لا يخدم الأهالي[1].

أما المرسوم الثاني: فقد أعطى حق المواطنة الفرنسية لكل يهود الجزائر «إن الإسرائيليين الأهالي لعمالات الجزائر قد أعلنوا مواطنين فرنسيين مع صيانة كل الحقوق التي اكتسبوها »[2]، وبالتالي فتحت الأبواب لليهود الجزائريين في كافة النشاطات السياسية والإدارية في الجزائر وصار بإمكانهم صيانة مصالحهم من داخل المؤسسات السياسية والإدارية الفرنسية.

---

(1)- Claude (Martin) : **Les Israélites Algériens**, Ed, Hérakès, Paris, 1936, p146.

(2)- Estoublon & Le Febure, Op.Cit, p374.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وتكمن خطورة هذا المرسوم في كونه جعل اليهود في وضعية تمكنهم من التضييق على الجزائريين المسلمين الذين عاملوهم قرونا معاملة أهل الذمة وهذا ما كانت تنشده الإدارة الفرنسية، فهي تمكنت من تقسيم الأهالي الجزائريين إلى قسمين وحاولت في نفس الوقت تغليب قسم على آخر لتحقيق أهدافها.

وللعلم إن اليهود لم يرحبوا في البداية بفكرة جعلهم مواطنين فرنسيين عن طريق تجنسهم بالجنسية الفرنسية فالقاعدة الواسعة للجماعة اليهودية لم يكن يهمها أمر الجنسية الفرنسية، فبعد صدور مرسوم سيتاتوس كونسلت 14 جويلية 1865 الذي فتح باب الجنسية الفرنسية لليهود والمسلمين بصفة فردية لم يحصل عليها سوى (4338) يهوديا من مجموع (34.574) يهوديا سنة 1872[1]، والذي غيّر موقفهم وجعلهم يقبلون التجنس الجماعي فيما بعد أي بعد صدور مرسوم 1870؛ هو وجود أرستقراطية يهودية مساندة من رجال المال اليهود في فرنسا نفسها استفادت من الجنسية الفرنسية التي منحوا إياها سنة 1808، وكانت تقود الجماعة اليهودية في الجزائر، هذه الأخيرة التي كانت تفتقر لطبقة وسطى قوية، فقامت العائلات الأرستقراطية باستغلالها بواسطة القرض خاصة، وكانت هي المشجعة لتجنسهم[2]، كما ساهم في ذلك رجال المال اليهود في فرنسا، وعلى رأسهم "ألفونس روتشيلد" على الخصوص، الذين استغلوا المساعدات المالية التي قدموها للحكومة الفرنسية للضغط عليها لتجنيس اليهود، وهذا ما أكده الحاكم العام "دي قيدون" لما أعلن أنه تخلى عن معاداة اليهود حتى لا يخلق صعوبات خطيرة لحكومة بلاده كي تحصل على النقود التي هي في حاجة إليها آنذاك[3].

هذا بالإضافة إلى الدور السياسي الذي لعبه الوزير اليهودي كريميو داخل لجنة تور، لكن مهما اختلفت المعطيات والأسباب حول تجنيس اليهود، إلا أن هؤلاء قبلوا في نهاية الأمر هذا

---

(1)- André (Chouraqui) : **Les juifs d'Afrique du Nord** , PUF, Paris, 1952, pp 139-321.

(2)- Claude (Martin) : Op.Cit,pp171-172.

(3)- Ch-A (Agéron) : Histoire de la …, Op.Cit, p468.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المرسوم، لأنه جعلهم فوق العرب والقبائل على حد تعبير الأمير عبد القادر في منفاه من الشام[1]، وصار اليهود عنصرا فرنسيا جديدا أضيف إلى المستوطنين.

على عكس الأهالي المسلمين، فسياسة الاندماج تتناقض مع تركيبتهم الاجتماعية والثقافية فكيف لمجتمع يدين بالديانة الإسلامية وله تقاليده وشريعته الخاصة أن ينسجم والنظام التشريعي الفرنسي الوضعي ؟

لم تهتم الإدارة الفرنسية بالجانب الديني للأهالي الجزائريين بدليل أنها وجهت سياستها نحو جانب أساسي وهام في الحياة الاجتماعية والثقافية الجزائرية، وهو القضاء الإسلامي الذي حاصرته بالمراسيم والقوانين التي تحد من اختصاصاته، فكان أهم قانون طبقته عليه هو مرسوم 1892 الذي قيّد صلاحيات القاضي المسلم، وحصر مهامه في الأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والميراث، بينما صارت الأمور الأخرى بيد الإدارة الفرنسية، التي خلقت ما يعرف بقاضي الصلح وهو فرنسي، بالإضافة إلى المحاكم الزجرية والجنائية، وهيئة المحلفين[2]، وهي من النظم التي لم يسبق أن جرت العادة عند المسلمين أن عرفوها، ولقد ألحقت كل الإدارات القضائية الجديدة بوزارة العدل الفرنسية، ماعدا القضاء الإسلامي الذي ظل تابعا لوزارة الحربية، فأين المساواة التي تبناها الاندماج؟ أين هو العدل؟ فإذا كانت فرنسا ترغب حقيقة في إدماج الجزائر، فلماذا تخضع الجزائريين لقوانين استثنائية؟ ولماذا لا تجعلهم على نفس درجة الفرنسيين في الحقوق والواجبات؟ ولماذا تقيد حريتهم؟

إن الإدارة الفرنسية لم ترغب يوما في جعل الجزائريين على قدم وساق مع الأوروبيين وهذا الأمر لم يكن غامضا ولا مخفيا فقد وضح بجلاء في أنظمتها وقوانينها، ومرسوم 14 جويلية 1865 واحد منها، وهو القاضي بمنح الجنسية والمواطنة الفرنسية للأهالي، وبالتالي يصيرون فرنسيين يتمتعون بالحقوق الفرنسية بشرط تخليهم عن أحوالهم الشخصية، وإن قيل أن اليهود هم كذلك رفضوا هذا المرسوم كما سبق وأن ذكرنا، وأن السيناتوس كونسيلت سنة 1865 قد ساوى بين

---

[1] - صالح (عباد): **الجزائر بين فرنسا والمستوطنين (1830-1930)**، ديوان المطبوعات الجامعية، 1999، ص69.

[2] - المرجع نفسه، ص ص 69-70.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

اليهود والمسلمين وأخضعهم لقانون جنسية واحد، فإن أمر التجنيس لم يكن خطرا على دينهم وعاداتهم، على عكس المسلمين الجزائريين الذين لم يكن باستطاعتهم تقبل التجنس نظرا لخصوصية الدين الإسلامي، فهو دين ودولة عكس بقية الديانات، والتجنيس كان يقتضي فصل الدين عن أمور الدولة، فلا يصير بإمكان الأهلي المتجنس الخضوع للقضاء الإسلامي، ولكن للقوانين الفرنسية[1].

هذا يؤكد أن هدف فرنسا انصب في خدمة مصالحها ومصالح مستوطنيها ورعيتها الفرنسيين، فالجزائر كانت تمثل لها الأرض وما تحتويه من خيرات تساعدها في تطوير صناعتها وتحقق لها الربح ورؤوس الأموال، وبالرغم من السلبيات الكثيرة التي حملتها سياسة الاندماج في الجزائر، ورغم أنها كانت في أغلب الأوقات إن لم نقل كلها في صالح الكولون والإدارة الاستعمارية، غير أنها استقطبت إليها الكثير من المثقفين الجزائريين الذين وجدوا فيها بابا مفتوحا لطموحاتهم وآفاقهم التي يصبون إليها، كون أنها تهدف إلى المساواة بين الأهالي والوطن الأم، لذلك قبل هؤلاء المثقفون هذا الوضع وتجنسوا بالجنسية الفرنسية، لكنهم لم يكونوا يمثلون كافة الشرائح الجزائرية، فهناك تيار آخر رفض سياسة الاندماج كونها تتعارض مع ثقافته وديانته.

3- <u>موقف الأهالي من الاندماج:</u>

برز موقف الأهالي من خلال تيارين اثنين وهما:

التيار الأول مثله النخبة، والنخبة مصطلح أطلق على مجموعة من الشبان الجزائريين المتخرجين من المدارس الفرنسية بالجزائر، وبعض الجامعات الفرنسية، وكانوا قادرين -على حد تعبير أحد أعضائهم- بأعمالهم أن يصعدوا فوق الجماهير وأن يضعوا أنفسهم في مصاف ناشري الحضارة الحقيقيين [2]، ويضم هذا التيار مجموعة من المحامين والصيادلة والمعلمين، وهم فريق طالب بالاندماج الكامل في فرنسا ورأى فيه النتيجة الحتمية للسياسة التي تنتهجها فرنسا في الجزائر وهو الوضع الأفضل لمسلمي الجزائر، ويعتبر الاندماج تجسيدا للمساواة بين الأهالي والفرنسيين بالنسبة لهم.

---

(1)- Estoublon & Le Febure, Op.Cit, pp302-309.

(2)- Cherif (Benhabiles), Op.Cit, p107.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أما التيار الثاني، فهم المحافظون، ويمثلون كل الطبقات الجزائرية التي قبلت المحافظة على شخصيتها ومعارضة الأفكار الغربية والتجنيس والتجنيد الإجباري في الجيش الفرنسي، وكل الخطط التي قد تدخل تغييرات على المجتمع الجزائري، مبدأهم الحفاظ على الدين الإسلامي والهوية الثقافية وشعار الجامعة الإسلامية[1]، ويعرف هذا التيار كذلك بأصحاب العمامات القديمة[2] ، وهو مصطلح أطلقه عليهم النخبة، لكن هذا التيار ضم مجموعة أخرى من المثقفين التقليديين الذين رحبوا بفكرة المساواة في الحقوق السياسية والاجتماعية بين الجزائريين والفرنسيين دون الاندماج، ومنهم ابن سماية والمجاوي وابن الموهوب؛ وهذا التقسيم يخص الفترة التي سبقت ظهور حركة الأمير خالد الذي يعد من الشبان الجزائريين إلا أنّه اختلف معهم في التوجهات والمبادئ وبالخصوص حول التجنيس والاندماج، وهذا ما سنوضحه فيما بعد.

4- أراء محمد بن رحال حول سياسة الاندماج:

من منطلق أن محمد بن رحال واحد من المثقفين الجزائريين المتخرجين من المدارس الفرنسية ويحسن اللغة الفرنسية وأدرى بثقافتها وحضارتها، فما هي وجهة نظره حول سياسة الاندماج، هل كان مؤيدا أم معارضا لها؟ وما هو موضعه بين النخبة والمحافظين؟

إن موقف ابن رحال بالنسبة لهذه النقطة واضح، فقد رفض سياسة الاندماج، لكنه في نفس الوقت لم يرفض خلق علاقات واتصالات مع الإدارة الفرنسية ومواطنيها، وهذا ما طبع تدخلاته في شتى القضايا التي تهم الأهالي الجزائريين، مثل التعليم، القضاء، التجنيس، التنجيد الإجباري ...الخ.

وكان أول تدخل عبر فيه ابن رحال عن رفضه لهذه السياسة ما كتبه سنة 1887 في نصه حول تطبيق التعليم العام في البلاد العربية، الذي بين خلاله موقفه وموقف الأهالي الجزائريين من السياسة الفرنسية تجاه التعليم، ومما جاء فيه: « في الحالة الراهنة باستطاعة الجزائري تقبل التعليم، أقول تقبل لأنه لم يطلبه، حتى أنه مستعد له، ما عدا بعض المستثنيات النادرة نظرا

---

[1] - سعد الله (أبو القاسم): **الحركة الوطنية...**، مرجع سابق، ج2، ص145.

[2] - كنية أطلقها النخبة الجزائريون على المحافظين، كونهم لم يتخلوا عن ثقافتهم وحافظوا على هيئتهم التقليدية.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لبساطتها وسذاجتها تراه فخا منصوبا لسلب وطنيتها ودينها، ولا يجب أن نمقت هذا لأن الارتباط بعادات وعبادات الأجداد شيئان خيران...».

نفهم من هذا أن ابن رحال رفض سياسة فرنسا تجاه التعليم الأهلي، لكنه لم يعترض على التعليم الفرنسي بشرط أن يحفظ للأهلي لغته وهويته الثقافية، فرغم التفتح الثقافي لديه إلا أن الدين والهوية الثقافية يحتلان مركزا ومكانة كبيرة في فكره، ولهذا السبب عرض بديلا لسياسة الاندماج يتمثل في التعاون والتبادل مع فرنسا، وغرضه من ذلك هو سعيه لتقدم وتطور الجزائريين، والذي يتحقق إلا بخلق علاقة تكاملية ترابطية تخدم الطرفين (الجزائري والفرنسي) وفي نفس الوقت لا تؤثر سلبا على المصالح والقيم العربية الإسلامية، ففي إحدى تدخلاته قال: «امتلاك القارة الإفريقية من طرف فرنسا يعد حتميا وما لا يمكن تجنبه الركيزة القوية التي يمتلكها العربي وهي الإسلام، فصار من الأفضل أن ننقد جزء من هذه الركيزة ... فرنسا بالتأكيد قد صنعت أو وضعت مكانا مناسبا له في سيطرتها -نقول سيطرة وليس استعمار- عندما غزت هذه البقاع الغنية، ذلك أنها تمكنت من التصرف في ملايين المسلمين المنظمين بطريقة جيدة، ومعها بإمكاننا خلق علاقات وارتباطات أبدية، وهذا يكون مع سياسة واضحة وحاذقة من طرفها نقدر من خلالها المرور أو الظهور كمدافعين على الإسلام وأبطال له و سنكون أنسب معلمين لهذا الدين، إفريقيا ستكون لنا»[1].

في هذه المداخلة اعترف ابن رحال بالوجود الفرنسي في الجزائر ورفض أن يطلق عليه اسم الاستعمار، بل جعله سيطرة؛ تمت بسبب ضعف الجزائر، لكنها سيطرة مكلفة بمهمة تحضير الجزائريين وليس تدميرهم، لأن الاستعمار مرادف لكلمة الدمار. هذا التحضر يكون عن طريق التفاهم بين الفرنسيين والجزائريين، وبخلق علاقة وطيدة تخدم الطرفين، وبالتالي تحقق الأهداف المرجوة من طرف فرنسا، وفي نفس الوقت تحافظ على حالة الجزائريين، لأنها ستخدمهم دون أن تطبق سياسة الاندماج.

---

(1)- J (Corriéras) : "L'assimilation des Arabes est- elle possible", Conférence Faite le 29 Avril - 1904, In **B.S.G.A.O**, T24, p55.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لم يتغير موقف ابن رحال من الاندماج، فخلال انعقاد الدورة الحادية عشر للمستشرقين سنة 1897، استغل المناسبة وقدم محاضرة بعنوان "مستقبل الإسلام" وهي في الحقيقة شرح وتفسير لمعادلة الترابط التي اقترحها على فرنسا، والتي لن تندم إن طبقتها بدل الاندماج. فحسب رأي ابن رحال إن المسلم قادر على الحداثة وعلى استيعاب كل الجوانب الخاصة بالعلوم الدقيقة، وكل ما له علاقة بالتجارة والزراعة والصناعة، فالمسلم ليس إنسان جاهل ومتخلف فكريا كما يشاع عنه [1]، لكن هذا لا يعني أنه بأخذه من الحضارة الفرنسية يتخلى عن إيمانه وثقافته.

قصد ابن رحال بالترابط ؛ أخذ المسلم للعلوم التي لا تتعارض مع دينه، فابن رحال كان يبحث عن الإيجابيات في الحضارة الفرنسية ولقد كان متأكدا من تحقيق تصوراته حيث قال: « لدينا رجال ممتازون، وهم صالحون لكل إدراك وفهم ولكل تمثل»[2].

إن كلمة تماثل أو الاندماج في مقولة ابن رحال هذه، قصد بها الانتقاء والاختيار من الحضارة الفرنسية، حيث واصل شرحه قائلا: « بالطبع، لا يجب أن نقبل بعيون مغمضة ما تقدمه لنا الحضارة، إن كثير من هداياها -التي لا تحسد عليها- يمكن تركها لها للحساب ولكن الكثير منها يمكن استعارته دون خطر، ومن أجل إفادتنا الكبرى يمكننا تبني كل ميادين العلوم الصحيحة وقسم كبير من التنظيم الداخلي والسياسي، ونظام الأشغال العامة، والتعليم وكل ما يتعلق بالتجارة والصناعة والزراعة، دون تعديلات كبيرة، لا شيء في العقيدة يناقضه، بالعكس كل شيء يحث عليها »[3].

موقف ابن رحال من سياسة الاندماج جلب إليه عدد كبير من المؤيدين والمساندين ومن بينهم الأمير خالد الذي طرح هو أيضا بديلا عن هذه السياسة أسماه "سياسة الاتحاد"، فكان يردد « لندع الحديث عن الدمج، ولنأخذ بسياسة الاتحاد، وقد أخذ في هذا المجال بالمقولة التي طرحها

---

(1)- Ch-R (Agéron) : **Histoire de l'Algérie…**, Op.Cit, p232.

(2)- Ibid, Idem.

(3)- Abdelkader (Djeghloul) : **Eléments d'histoire culturelle Algérienne**, ENAL, Alger, 1984, p57.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فكتور باروكان: «اعملوا على اتحاد العرقين -الجنسيتين- في إطار الاحترام المتبادل للطرفين» فتبنى في هذا المجال شعار "فرنسا والإسلام"»[1].

إن سياسة الترابط التي اقترحها محمد بن رحال بدل الاندماج جعلته يتوسط النخبة المؤيدة للاندماج، والمحافظين الرافضين له ، ذلك أنه نهل من الثقافة الفرنسية وفي نفس الوقت رفض أن تكون هذه الأخيرة ضربة قاضية للدين والهوية الثقافية، لذلك لا يمكننا أن نضمه إلى أي من التيارين ولكن نستطيع القول أنه كان همزة الوصل بينهما.

وعلى حد تعبير "أجيرون" إن موقف ابن رحال قريب جدا من صيغة ليوبولد سيدر سونغر (Léopold Seder senghor) «الاندماج في الحضارة الغربية؟ نعم، الاندماج على طريقتها؟ لا»[2]، ولقد أوضح هذا الأمر محمد بن رحال في مؤتمر للجمعية الجغرافية والأثرية لولاية وهران المنعقد سنة 1902، حيث قال: « اندماج الأهلي في الحضارة الأوروبية هو استحالة وخيال لا يتحقق، وإن اندماجه لن يكون إلا وسط أرضية المصالح المادية، إننا نرى أن الأهلي لم يستشار تقريبا وكان مدعوا بطريقة رديئة لإبداء رأيه المناقض والمخالف للقضايا العامة، وأنّه من الضرورة بمكان تحقيق هذا الأمل والرجاء»[3].

رفض ابن رحال الاندماج في الحضارة الأوربية عامة والفرنسية خاصة، ولكنه لم يمانع أخذ تقنيتها ومبادئها لتطوير مجتمعه بشرط أن لا تكون هذه الأخيرة معارضة لقيم ومبادئ المجتمع الجزائري المسلم، وهذا هو مقصد مقولة سونغر سابقة الذكر.

كان ابن رحال من الأوائل الذين رفضوا الاندماج، وقد سبق في ذلك الكثير من الجزائريين أمثال الأمير خالد الذي لم يبرز موقفه تجاه الاندماج حتى سنة 1919، وهو العام الذي أعلن فيه صراحة عن رفضه لهذه السياسة، وقد تجسد تأثره بموقف ابن رحال فتعبيره لا يكاد يختلف عنه، حيث قال: «...إن مشروع الدمج هو مشروع خيال -اتفاق حول تعبير الخيال- لأن كتلة المسلمين

1- Ch-R (Agéron) : **Politiques coloniales au Maghreb**, PUF, 1972, p266.

2- Ch-R (Agéron) :Histoire…, Op.Cit, p232.

3- J. (Corriéras), Op.Cit, p154-155.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لا تريده، وهي لا ترغب في نوعية المواطن الفرنسي ولا ترضى لحالتها بديلا، بسبب تمسكها بعقيدتها الدينية»، ويزيد قائلا: «إن فرنسا ذاتها لا توافق أبدا على مثل هذا البرنامج الاجتماعي خوفا من قيام خمسة ملايين مسلم جزائري بإغراق في وطنهم»[1].

كان هدف ابن رحال هو المصالحة بين الفرنسيين والجزائريين والابتعاد قدر الإمكان عن كل عنف وتشدد، وحسب رأيه؛ أن هذه المصالحة ستخلق تعاون وعلاقة وطيدة تساهم في رقي الجزائريين دون فقدهم لهويتهم التي سيحققها بدون تأكيد الاندماج الكلي في فرنسا وتطبيق جل القوانين والتشريعات الفرنسية على كل الإدارات والمؤسسات الجزائرية (الأهلية) والتي جلّها تتعارض وتختلف مع هذه القوانين، وفي هذا الشأن يقول: «عندما نفكر بإلحاق نصف قارة، تخفيض أو إنقاص البؤس عن الأهالي حتى ولو كان بالطريق الشرعي ليس بسياسة، والتكفل بكل القضايا والجرائم، فإنه ليس بالمبرر وليس بحل، نحن نعتقد أنه ليس من الصعب القيام بالأفضل، لكن يجب الإسراع إذا لم نرد أن تكون كل مصالحة أمرا مستحيلا. إن القرن العشرين سيعرف بالضرورة سياسة فرانكو إسلامية أفضل توافق، أو ستكون الكارثة، إن الإسلام في عرب إفريقيا إن لم يتحضر من فرنسا ومن أجل فرنسا فإنه سوف يتحضر رغما عنها وضدها»[2].

كان محمد بن رحال يؤمن بالتعايش الودي بين الجزائريين والفرنسيين وكان يصبو إلى توطيد علاقات متزنة بين الطرفين، لكن دون تأثير سلبي على كلا الطرفين بخاصة الجزائريين الذين يدينون بدين ولهم عادات وثقافات تختلف عن التي عند الفرنسيين.

موقف ابن رحال الرافض لسياسة الاندماج ومواقف مؤيديه سواء كانوا من الأهالي أو من الفرنسيين أنفسهم، زيادة على حالة عدم الاستقرار جراء هذه السياسة، وصلت أصداءها إلى فرنسا التي كانت تحت حكم "لوبي" (Loubet) الذي قرر القيام بزيارة للجزائر لسببين اثنين: الأول: هو سياسة الاندماج، والثاني: هو قضية المحاكم الرادعة ومدى شرعيتها، وقد كان لوبي أول رئيس دولة يزور الجزائر بعد زيارة نابليون الثالث[3]، وقد دامت رحلة لوبي من 15 إلى 26 أفريل سنة

---

(1)- Ch-R (Agéron) : Politiques…, Op.Cit, p265-266.

(2)- Ch-R (Agéron) : Les Algériens…, Op.Cit, T2, p1029.

(3)- أبو القاسم (سعد الله)، الحركة الوطنية...، مرجع سابق، ج2، ص89.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

1903، زار خلالها الجزائر من شرقها إلى غربها، ومن بين المدن التي توقف عندها مدينة تلمسان، فكانت الفرصة لمحمد بن رحال لمقابلة الرئيس الفرنسي وإيضاح موقفه من سياسة الاندماج، وفي الواقع فإن لوبي كان من معارضي سياسة الاندماج، فقد أوضح في خطاباته إلى الجزائريين والفرنسيين أنه كان شخصيا في صالح معاملة الجزائر كمستعمرة مع تركها تحتفظ بتقاليدها الخاصة ودينها وقوانينها بالإضافة إلى ذلك خص الجزائريين بخطاب قال لهم فيه « إن دماءكم قد سالت في ميدان معاركنا مع دماء الجنود الفرنسيين في جميع حروبنا بالقارة الأوروبية، في الهند الصينية، وفي مدغشقر»، مؤكدا لهم أن فرنسا ستتركهم أحرارا يبقون على حضارتهم، وبالتالي لا ضرورة للاندماج مصرحا «ستضمن لكم فرنسا ممارسة جميع الحريات التي هي عزيزة عليكم بما في ذلك الإبقاء على تقاليدكم القديمة»[1].

وقد زاد لوبي في تفهمه لقضايا الأهالي، أنه نادى بسياسة الجزائر جزائرية، التي كان يؤيدها فريق صغير في المجلس الوطني الفرنسي[2]، هذا الموقف من طرف لوبي ساعد وسهّل لمحمد ابن رحال إبراز موقفه من الاندماج عامة ومن سياسة التجنيس خاصة، حيث خاطب الرئيس الفرنسي بصراحة شديدة قائلا: « إن المسلمين لم يطالبوا أبدا بالمواطنة الفرنسية، لكن فقط بتمثيل رسمي»[3]، وزاد في صراحته أن قال: « إن العربي لا يقبل مطلقا الجنسية التي تفرض عليه التخلي عن أحواله الشخصية»[4]، وكان محمد بن رحال قد تعرض لمسالة تجنيس الأهالي في تقريره الذي قدمه للجنة التحقيق المشيخية برئاسة جول فيري سنة 1891 رفقة زميله الدكتور ابن العربي، حيث خاطب جول فيري قائلا: «إن إلزام الأهالي التجنس بالجنسية الفرنسية هو عبارة عن تسعير نار الفتنة لسائر جهات القطر، وأن الاستمرار نحو تحقيق هذا الهدف خطر عظيم على

---

(1)- X :"Le président et les indigènes", in **L'Afrique Française**, Op.Cit, Mai 1903, p159.

(2)- أبو القاسم (سعد الله)، الحركة الوطنية...، مرجع سابق، ج2، ص90.

(3)- Ch-R (Agéron), "Si M'hammed…", Op.Cit, p333.

(4)- Ch-R (Agéron) , Histoire…, Op.Cit, p232.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الحكومة؛ ذلك لأن حرية التجنس لا تلاءم أصول الشريعة الإسلامية لأن المتجنس له ما للفرنسيين وعليه ما عليهم قبالة جميع أحكامهم، وذلك مخالف لما أتت به الشريعة الإسلامية»[1].

كان التجنيس زاوية من زوايا الاندماج التي رفضها محمد بن رحال، فهو لم يترك جانبا ولم يدرسه، ويوضح موقفه تجاهه، حتى أنه أشار إلى وظيفة الوالي العام (Gouverneur Général) التي رآها مجرد صورة ومرآة عاكسة لمصالح الكولون. فإذا كانت فرنسا تدعي بأنها ستحقق العدل والمساواة بين الأهالي والكولون، فلماذا لا يكون الوالي العام برهانا صادقا على ادعائها؟ لمس محمد بن رحال هذه الحقيقة بيديه، وعرف أن الحاكم العام لا طاقة له في مواجهة الظلم واللامساواة، ولذلك واجه ابن رحال الحكومة الفرنسية فاضحا حقيقة الوالي العام ومطالبا بإصلاح وتعديل اختصاصاته لتكون في خدمة الكولون والأهالي معا، قائلا: «...نرغب أن يكون الوالي العام حرا عام التصرف قوي السلطان، لا مسؤولية لأحد عليه إلا مجلس الوزراء، وليس كما هو الآن موضوع تحت تصرف الكولون لا يستعملونه إلا لمضرة الأهالي»[2].

لقد أدرك محمد بن رحال أن الاندماج لا يمكن تحقيقه، لأنه قبل كل شيء يجب ويستلزم لتطبيقه محو وطمس كل معالم الحياة السابقة للأهالي، حيث يجب القضاء على اللغة والهوية والدين، وهذا ما لا يمكن حدوثه لكن الإدارة الفرنسية تحاول أن تغض بصرها عن هذه الحقيقة، فلماذا إذن واصلت حملتها الاندماجية التي لمست ركن من أركان الهوية الثقافية الجزائرية وهو على قدر كبير من الأهمية، ونقصد به القضاء الإسلامي التي أصدرت بخصوصه قانونا في 10 سبتمبر 1886 يقضي بإلغاء المحاكم الشرعية وتعويضها بما يعرف بقاضي الصلح (Juge du Paix) الفرنسي الجنسية.

أثار هذا العمل التعسفي استنكارا عظيما في أوساط الأهالي، لأنه حاول القضاء على ما تبقى من خصوصيات ومميزات المسلم الجزائري. لم يترك محمد بن رحال هذا الأمر يمر دون أن يبدي رأيه حوله، حيث سافر إلى باريس سنة 1891 وقابل اللجنة البرلمانية السابقة الذكر، وناقشها حول هذا المرسوم قائلا: «...منذ صدور الأمر المؤرخ في 10 سبتمبر 1886 القاضي بإبدال

---

[1]- عبد الرحمن (الجيلالي)، مرجع سابق، ج4، ص463.

[2]- المرجع نفسه، ص465.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الشريعة الإسلامية بشريعة أخرى، شعر الأهالي بألم خفي يدب في مفاصل هيئتهم الاجتماعية، أفقدتهم الراحة وألزمهم القلق من جراء هذا الأمر الذي يناقض رغباتهم ومصالحهم وديانتهم الإسلامية ... وفي تقديم قضاة فرنسيين على تركات المسلمين مصاريف تستغرق جل التركة وأحيانا جميعها، زيادة على ما في ذلك من هتك حرمة الأحكام الشرعية الدينية التي التزمت حكومة الاحتلال باحترامها بنص معاهدة سنة 1830»[1]، ثم يقول: « القرآن العظيم هو دين وشريعة وأداة فهمه هي العربية، وعادات المتمسكين به غير عادات غيرهم، وفي اختلاف اللغة والعادات ما يحمل على الاعتقاد بأن الحاكم الفرنسي المكلف بالقضاء بين الناس خصوصا إذا كان حديث السن هو في الوطن الجزائري بمنزلة القاضي المسلم إذا أسندت إليه خطة القضاء في الجهات الشمالية في بلاد فرنسا فلا يأتي إلا بالعبث لجهله أخلاق القوم وطباعهم... الخ»[2].

يرى ابن رحال ضرورة أن يتحمل أعباء القضاء الإسلامي قضاة مسلمون، لأنهم أحسن وأصلح موظفين في هذا المجال، لأن القضاء أو التشريع الإسلامي مستمد كله من القرآن الكريم وقاضي الصلح ووظيفته غريبان عن المجتمع الجزائري.

ونظرا لتمسك ابن رحال بمبادئه الدينية الإسلامية وعدم فصلها عن مواقفه السياسية آثار ضده حملة من القلاقل، أتّهم فيها بالتعصب والتشدد والتخلف، وهذا بسبب مطالبته بالتقدم والتطور في شتى المجالات دون الاندماج الذي يقضي بالتخلي عن الأحوال الشخصية والدينية ولقد استند أصحاب هذه الادعاءات على كونه رجل دين ومقدم زاوية، وهذين الأمرين يجعلانه في صف المحافظين التقليديين المتشددين والرافضين لكل تقدم وتطور، ولكل فكر حر وجديد.

ومن أهم العناصر التي اتهمت ابن رحال بالتعصب والتخلف شارل جينيو، وهو من أشد المعارضين لسياسة ابن رحال، وقد أبرز هذا في مقاله السابق الذكر في مجلة "العالمين" سنة 1922 وما تضمنه هذا المقال من أكاذيب اتخذها أسلوبا ضد موقف ابن رحال الرافض للاندماج مدعيا أن ابن رحال قال: « ابتعدوا عن هذه الأحذية اللامعة أميرنا عبر الطرق برجليه العاريتين

---

[1]- عبد الرحمن (العقون)، مرجع سابق، ج1، ص19. نقلا عن ابن العابد الجيلالي: **تقويم الأخلاق**، 1927، قسنطينة.

[2]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

مثل ناسك ... وللامساك جيدا بعصا الحاج رمى سوطه ذو الذراع الذهبي في يوم ظنّ أنّه جدير به طلاء وجهه بالكحل لكي يخادع الذين ينازعونه في تضرعاته وتقربه إلى الله» [1]، ومثل هذه الأشياء التي ذكرها شارل جينيو لا علاقة لها بالدين الإسلامي، ولا يمكن لابن رحال أن يقوم بها وهو من أكبر رجال الدين المحافظين.

أراد شارل جينيو الإساءة لمحمد بن رحال بتلفيق هذه الأكاذيب التي لا يقبلها العقل فإذا فرضنا أن ابن رحال كان حقيقة هكذا، فكيف نفسّر أنّه من أهم الشخصيات الجزائرية التي كونت علاقات وصداقات قوية مع الفرنسيين؟! وكيف استطاع التوفيق بين فكرة التعصب والتشدد التي أتّهم بها وأفكار زملائه الأوروبيين الحديثة؟

في الواقع إن إدعاء شارل جينيو كان تفسير منه لشخصية ابن رحال القوية فهو رغم تثقفه بثقافة مزدوجة، ورغم أنه كان يخالط الفرنسيين ويجالسهم كثيرا إلا أنّه لم تُغْرِه هذه العلاقات الشخصية للاندماج في المجتمع الفرنسي، بل على العكس من ذلك زادته قوة ورغبة في الحفاظ على الهوية والقيم العربية الإسلامية[2]، بل هو الذي أثر على الأوروبيين واستمالهم بدليل أن الكثير منهم أيّدوا وساندوا مواقفه تجاه الاندماج، ومن بينهم صديقه الحميم بول أزان الذي احتك وأخذ منه الكثير وعرف من خلاله الوضعية الحقيقية للأهالي، وحقيقة الاستعمار الفرنسي وكتابه المنشور سنة 1903 الذي يحمل عنوان "بحث عن حل لمسألة الأهالي في الجزائر" (Recherche d'une solution à la question Indigène en Algérie) حمل في طياته أفكار استمدها بول أزان من مناقشته المطولة مع ابن رحال، وقد أكد أزان هذا الحقيقة بإهدائه الكتاب لمحمد بن رحال كما تحدث عنه في توطئة كتابه.

---

[1] - Ch (Geniaux), Op.Cit. p667.

[2] - يذكر شارل أندري جوليان وهو زميل محمد بن رحال في المجلس العام بوهران أنه اثناء تواجد ابن رحال بباريس مع الأمير خالد سنة 1920 تناول العشاء بفندق كريلون Crillon رفقة زملائه الفرنسيين، وعندما حان وقت صلاة المغرب قام الشيخ ابن رحال من الطاولة واتخذ ركنا من القاعة وأدى صلاته على مرأى الجميع. ينظر:

Ch-R (Agéron), "Si M'hammed…, Op.Cit, p338.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وافق بول أزان محمد بن رحال بخصوص سياسة الاندماج، ومن أهم ما قاله: «إذا درست فرنسا بجدية عادات وأذواق وشخصية مسلمي الجزائر ستتجنب حتما الأخطاء التي تسببت في إبعاد الأهالي عنّا (الفرنسيين) وللأسف اهتم البلد الأم بالمواضيع الاستعمارية وأبدى محاولته الصريحة لتطبيق بأقصى سرعة قوانين خاصة بأناس ذوي حضارة وعقلية مختلفة... أيوجد في فرنسا خارج هذا النطاق الجغرافي -الجزائر- من هو على علم أو دراية بالمشكل الجزائري؟ ... في المناقشات والعلاقات التي حصلنا عليها في الجزائر نكتشف أن الكولون يتصرفون بقدر كبير في مقت الأهالي الذين يتعرضون للظلم الذي جعلهم حقلا لتجاربه، وأخيرا فرنسي فرنسا من جغرافيين وعلماء اجتماع وموظفون ميالون من خلال نظريات وهمية عامة ومن خلال حماس متهور إلى بث قضايا ينبغي دراستها مطولا، يسعون كلهم للتصعيد من هذه السياسة الاندماجية»[1].

ولقد حاول صديق محمد بن رحال فيكتور باروكان صاحب جريدة "الأخبار" بكل جهوده للدفاع ضد فكرة الاندماجيين، حيث قال [2]: « الاندماج هو محاولة خاطئة ووخيمة النتائج لكلا الشعبين، فهي تولد فوضى وتساهم في خلق نزاعات خطيرة... فالأهالي لا مصلحة ولا منفعة لهم في التخلص من حضارتهم وثقافتهم الإسلامية، وهويتهم الشخصية»

ولقد عمل باروكان من أجل الحفاظ على هوية وحضارة الأهالي المسلمين، فدعا بعض الأوروبيين الذين اهتدوا إلى الإسلام مثل إيزابيل إيبرهات (Isabelle Eberhart) وموندروس (Mandrus) مترجم قصة ألف ليلة وليلة (Mille et une Nuit) لتذكير الأهالي المسلمين عن طريق سلاسل من المقالات الهامة بقيم الإسلام والمراحل اللامعة والهامة في تاريخهم، وفضلا عن ذلك لم يفوّت باروكان الفرصة لكي يعلن استهزاءه وتهكمه على بعض الاندماجيين المسلمين أمثال إسماعيل حامد[3] صاحب كتاب مسلمو شمال إفريقيا (Les Musulmans Français du

---

(1)- J (Corriéras), Op.Cit, pp158-159.

(2)- Zahir (Ihddaden), Op.Cit, p208.

(3) - لم يعرف تاريخ ميلاد إسماعيل حامد، لكنه متفق على ولادته بالجزائر العاصمة، وأنه كان واحدا من خريجي المدرسة الفرنسية بالجزائر، وهي نفس المدرسة التي تخرج منها ابن رحال، كما أنه كان مترجما في الجيش الفرنسي.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

(nord de l'Afrique الذين خسروا ثقافتهم ورموها وأخذوا بثقافة بعيدة و غريبة عن مجتمعهم[1]، وهذا ليس غريبا من جانب إسماعيل حامد الذي كان متأثرا بالوجود الفرنسي، الشيء الذي جعله يستسلم فكريا ويؤمن ببقاء الوجود الفرنسي في الجزائر إلى الأبد، وقد ذهب أبعد من ذلك؛ لما شهد حركة الهجرة الأوروبية إلى الجزائر ونشاط الأوروبيين الاقتصادي المتزايد الذي ساعد على انتشار المستوطنين في كامل أرض الجزائر، أوضح وجهة نظره التي تؤمن بأن الجزائر ستصبح مكانا تذوب فيه كل الجنسيات المخالفة للمسيحية، تلك الجنسيات التي عاشت في الجزائر في أطوار تاريخية متعاقبة مختلفة من عرب وأمازيغيين، الذين بقوا بعيدين عن كل دخيل أجنبي، وعندما يتحقق ذلك يخلق فوق الأرض الجزائرية شعب واحد وهذا الشعب يدعى بالشعب الفرنسي.

فإسماعيل حامد لا يؤمن بوجود شعب جزائري مستقل له هويته وعاداته وتقاليده وحضارته الخاصة، بدليل أنه يدعو إلى الذوبان في الحضارة الأوروبية وقلب صفحة الماضي نهائيا، حيث قال[2]: « نقول مع السيد دوشاتولييه - وهو مفكر فرنسي لم يكن يؤمن بوجود الجزائريين أصلا، وهو واحد من أهم أنصار الاندماج- بأن الأهالي الجزائريين الذين تبنوا الأفكار العصرية سيتركون عاداتهم القديمة المتعصبة وينسون بعض تقاليدهم ولا يترددون في محاكاة الأوروبيين» ثم يستنتج قائلا « إن العناصر المختلفة التي يتكون منها المجتمع الجزائري لمدعوة للوحدة، وهذه الوحدة التي تكونت سابقا بقيادة الديانة الإسلامية على أساس الحضارة الإسلامية ستتكون هذه المرة على أساس الحضارة الفرنسية»، وهو بذلك يختلف كل الاختلاف عن ابن رحال وفيكتور باروكان الداعين إلى التعايش والتبادل بين الحضارتين دون اندماج. فإسماعيل حامد غير مدرك لهذه الفكرة أصلا، بدليل أنه أورد في كتابه أن ابن رحال هو صحافي ذو ثقافة فرنسية، وقد كان هذا بفضل الإدارة الفرنسية الداعية للعصرنة وللحداثة، ولم يفهم بأن ابن رحال رغم ثقافته الفرنسية إلا أنه كان

---

(1)- Zahir (Ihddaden), Op.Cit, p208.

(2)- Ismaïl (Hamet) : **Les Musulmans Français du Nord de l'Afrique**, A colin, librairie, Paris, 1906, p96

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

من أشد المعارضين للتخلي عن الهوية والأحوال الشخصية، كما لم يفهم إسماعيل حامد أن ثقافة ابن رحال الفرنسية استعملها كعامل لتقدم وتطور الجزائريين لخدمة دينهم ومجتمعهم[1].

في الحقيقة إن جهود باروكان ضد الاندماج وجهود زملائه التي خص بها المسلمون الجزائريون هي عبارة عن عملية توعية وتذكير بثقافتهم، فأراد أن يكون الناصح غريبا عن هذا المجتمع ومحبا للثقافة والحضارة الإسلامية، كي يستشف المسلم الجزائري صدق رسالتهم، ولا يجرده تيار الاندماجيين، لكنه مع ذلك لم يعارض فكرة التعايش الفرنسي الجزائري التي دعا إليها محمد بن رحال، بل وجدها وسيلة للتقدم والتطور دون خسارة وتهديم قاعدة المجتمع الجزائري.

رأى ابن رحال في فرنسا المنقذ للجزائريين والمسلمين بصفة عامة ولتخليصهم من حالة الجهل والتخلف والتشتت التي يغوصون فيها، لكن دون التخلي عن الأصول والأحوال الشخصية والعادات والتقاليد، لأنها الصور الحية الممثلة للمجتمع الإسلامي، فقد رفض الاندماج لأنه ضد هذه القيم، لكنه لم يرفض الترابط والمصالحة بين فرنسا والجزائر في إطار تحديث المجتمع الجزائري لكن في سياق لا يتعارض مع القيم الثقافية والهوية الدينية للمجتمع الجزائري، ولقد قدم محمد بن رحال صورة عميقة التأثير عن فكرته حول الارتباط مع فرنسا دون الاندماج، قالها لزميله بول أزان « نحن في الجزائر كالمسافرين على متن عربة واحدة ويحاول كل منا تنظيم وترتيب الوضع ليشعر بالارتياح قدر المستطاع، ففي البداية ينظر الواحد منا محاولا اختراق الوضع الذي هو فيه وربما تجدنا نتبادل كلمات لاذعة لا تروق لبعضنا البعض لكن مع مرور الوقت ندرك أنه من الضروري أن نقوم مقام الرجال الشجعان فنبدأ في دردشات تكون نتيجتها صداقات وطيدة، ويحاول كل منا تقديم الخدمة للآخرين بقدر المستطاع»[2].

ونزيد على هذا شهادة على قدر كبير من الأهمية من طرف سياسيين فرنسيين لهم وزن كبير وهم: جول فيري، وكومبس، وليوتي، الذين قالوا عن ابن رحال أنه: «وجه معتبر ومستقل أيضا

---

(1)- Ibid, p62.

(2)- Paul (Azan) : **Recherches d'une Solution de la question indigène en Algérie**, Augustine Challamel, Librairie Maritime et colonial, Paris, 1903, p77.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وهو خصم شرس لكل دمج، ورغم أنه تكون في مدرسة فرنسية إلا أنه مدافع بليغ عن العرب والإسلام»[1].

5-3- موقف أهالي ندرومة من التجنيد الإجباري:

5-3-1- موقف الجزائريين من التجنيد الإجباري:

رغم الخدمات التي قدمها الجنود الأهالي للجيش الفرنسي، إلا أن الإدارة الفرنسية بدأت تغير سياستها تجاههم، وتجاه الأهالي المدنيين، ذلك أنها بدأت تفكر في إقامة جيش من الأهالي يلزم بأداء الخدمة العسكرية الإجبارية دون حوافز ودون مقابل واعتبارهم مجرد متطوعين، وبرز هذا جليا عند إعلانها عن مشروع التجنيد الإجباري لأول مرة سنة 1891[2].

استقبل الأهالي هذا المشروع بالمعارضة الشديدة، فهو يلزمهم قتال إخوانهم في الدين وزيادة على ذلك فهم يقحمون في حرب لا علاقة لهم بها ولا فائدة يرجون منها، بل بالعكس فهم لا يؤمّنُونْ على حياتهم خصوصا والإدارة الفرنسية جعلتهم في مقدمة الصفوف والأكثر عرضة للمواجهة والقتال، كما أنهم رفضوه لأن الإدارة الفرنسية جعلتهم لعبة أو حقل تجارب إن صح التعبير بإتباعها لسياسة غير منسقة يشوبها التناقض؛ ففي الوقت الذي اعتبرت فيه الأهالي الجزائريين مجرد رعايا تطالبهم بأداء الخدمة العسكرية على غرار الفرنسيين، والخدمة العسكرية- كما نعلم- من واجبات الوطنية التي تتعارض مع الصفة السياسية والاجتماعية الحالية للأهالي المسلمين.

عموما؛ سادت في الجزائر موجة من السخط حول هذا المشروع التعسفي، وعمت المظاهرات في كامل القطر الجزائري ورفعت العرائض إلى الإدارة الفرنسية، ومنها عريضة أهل تلمسان المحررة بتاريخ 7 أفريل 1891، التي استعمل فيها أصحابها شتى السبل لكي تغير الإدارة الفرنسية من موقفها، ومن بين ما استندوا عليه أن التجنيد الإجباري يعتبر انتهاكا للعقيدة الإسلامية

---

(1)- A (Djeghloul), Huit…, Op.Cit, p36.

(2)- Ch (Favord) : **Le F.LN et l'Algérie**, Paris, 1962, p197.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ولمعاهدة 1830، ويضيف مقدمو العريضة أنهم وقفوا ضد بوعمامة وغيره من مثيري الفتن ضد السلطات الفرنسية على أمل المحافظة على الوعود حتى أنهم قالوا أنّ الجزائريين ليسوا أكفاء للخدمة العسكرية كما أن هذا الالتزام سيؤثر على شخصيتهم ودينهم[1].

وبالرغم من ذلك جندت الإدارة الفرنسية عددا كبيرا من الجزائريين وفرضت عليهم ضريبة الدم، وقد واصلت سياستها سعيا لجعل هذا المشروع قانونا رسميا، ففي 2 جانفي 1908 وسط أزمة المغرب الأقصى الأولى[2] ، والتهديد بإمكانية اندلاع حرب أوروبية شكلت فرنسا لجنة خاصة للنظر في تطبيق التجنيد العسكري الإجباري على الجزائريين وهذا المشروع الذي حاول الفرنسيون أن يبقوه سرا حتى يصدروا قرارهم الأخير في شأنها خلق جوا مكفهرا في الجزائر جعل كثيرا من المعاصرين يصفونه بأنه كان ينذر بالخطر[3].

ولقد عارض الجزائريون باختلاف اتجاهاتهم هذا الأمر بشدة ؛ لأن القانون التجنيد الإجباري في حد ذاته يتناقض والقرارات التي فرضتها الإدارة الفرنسية في ما قبل، وهذا للأسباب التالية:

1- أن قانون مجلس الشيوخ عام 1865 قد حرم الجزائريين من حق الجنسية الفرنسية إلا إذا تخلوا عن أحوالهم الشخصية كمسلمين، فقد اعتبرهم هذا القانون رعايا لا مواطنين على أساس أن الجنسية الفرنسية لا تتناسب مع حالة الجزائري كمسلم، والفرنسيون الذين يطبق عليهم التجنيد الإجباري كانوا يتمتعون بكل الحقوق كمواطنين، مقارنة مع الأهالي الرعايا الذي لا حقوق لهم فتطبيق واجبات التجنيد الإجباري على من ليس له حقوق كان يبدو للجزائريين متناقض[4].

---

(1) - Ibid, pp197-199.

(2) - عندما بدأ يسود التوتر في العلاقات بين سلطان المغرب وفرنسا، وبخاصة حول فكرة أن تتكفل فرنسا بتدريب الجيش المغربي، كذلك تدخل ألمانيا في المغرب وتزايد مصالحها وحصولها على امتيازات ملاحية تجارية. ينظر: جلال (يحي): **المغرب الكبير؛ العصور الحديثة وهجوم الاستعمار**، ج3، دار النهضة العربية، بيروت، 1971، ص554-555.

(3) - أبو القاسم (سعد الله): الحركة الوطنية...، مرجع سابق، ج2، ص176.

(4) - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

2- السبب الثاني هو أن الجزائريين يعيشون تحت وقع قوانين استثنائية التي يجسدها قانون الأنديجينا والمحاكم الزجرية ومنشور جونار[1]، وما التجنيد الإجباري في رأيهم سوى حمل ثقيل يضاف إلى سلسلة هذه القوانين.

3- السبب الثالث وهو الأكثر أهمية؛ هو أن التجنيد الإجباري لا يراعي مشاعر الجزائريين الدينية، فهم مسلمون ملزمون بعدم محاربة إخوانهم في الدين من أجل قضية لا علاقة لهم بها.

4- السبب الرابع، هو معاهدة 1830 التي أبرمتها الإدارة الفرنسية مع الجزائريين، والتي تقضي بالاحترام الكامل للدين والعادات والتقاليد الجزائرية، والتجنيد الإجباري يتناقض مع بنود هذا الاتفاق[2].

وقد عبر الأهالي كذلك عن موقفهم الرافض للتجنيد بالهجرة خارج البلاد، والواقع أن التجنيد الإجباري واحد من بين العديد من المشاكل والأسباب التي أدت بالأهالي للتفكير في الهجرة، فمنها السياسية، وهي اعتبارهم مجرد رعايا ليس لهم الحق في التمتع بكامل الحريات المدنية والسياسية كمواطنين -كما ذكر أعلاه-، بالإضافة إلى قانون الأهالي التعسفي، إلى جانب الأسباب الاقتصادية نتيجة الوضع المزري الذي يعيشونه، والتزامهم بضرائب ضخمة لا طالما حاولوا تخفيضها، لكن الإدارة الفرنسية لم تهتم لذلك، بل زادت في تفقيرهم بتشجيع الاستيطان، ونهبها لأراضيهم، فصار الأهالي خمّاسين في أملاكهم.

وقد كان التجنيد الإجباري من أهم الأسباب الرئيسية للهجرة الجزائرية، نظرا لرد الفعل القوي الذي برز من طرف الأهالي، فكل الطبقات الجزائرية عارضت التجنيد الإجباري، ولكن الأعيان التقليديين كانوا أكثر الناس معارضة، وعندما صار التجنيد الإجباري أمرا واقعا، لم يتردد الأهالي

---

[1] - صدر هذا المنشور سنة 1906 ، بأمر من الحاكم العام شارل جونار، ويقضي هذا المنشور بإغلاق مقاهي الجزائريين والمشتبه فيهم، ومنع التجمعات ، وسحب كل رخص حمل السلاح وسجن كل جزائري غير موثوق فيه، وقد منح هذا المنشور صلاحيات كاملة للرسميين الفرنسيين باتخاذ إجراءات ضد دعاية الجامعة الإسلامية. ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص117،106.

[2] - المرجع نفسه، ص176-177.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

في بيع كل ما يملكون ومغادرة بلادهم، وقد شملت هذه الهجرة كافة مناطق البلاد، فقد غادرت بعض الأسر الكبيرة مدينة مليانة سنة 1899 وسطيف سنة 1910 متجهة نحو سوريا[1].

لكن أهم هجرة جماعية شهدتها مدينة تلمسان؛ ففي سنة 1911 غادرت أكثر من (1200) عائلة الجزائر متجهة نحو سوريا[2]، وحول هذا الشأن يقول "جورج مارسي" واصفا حالة هؤلاء المهاجرين: «... وقد جرى هذا الحدث المرعب بينما كان الفرنسيون بصدد مناقشة قانون التجنيد الإجباري، ولما كان هؤلاء الجزائريون غير راضين وبائسين، فقد باعوا ممتلكاتهم الثمينة وذهبوا في جماعات من العشرين إلى المائة نحو ميناء مليلة في شمال المغرب، ومنه أخذوا الباخرة إلى الشرق الأدنى»[3]، فيا ترى فيما تمثل موقف سكان مدينة ندرومة تجاه هذا الإجراء البغيض؟

5-3-2- موقف سكان مدينة ندرومة:

عرفت مدينة ندرومة قيام مظاهرة كبرى ضد قانون التجنيد الإجباري يوم الخميس 23 ماي 1912 وهو يوم انعقاد سوق ندرومة؛ وكان على السلطات الإدارية الاستنجاد بالجيش لكي تفرق الآلاف من الريفيين الذين أتوا -على حد تعبير سي أحمد بن رحال- ليوضحوا « رفضهم تسليم أولادهم ذوو الثمانية عشر عاما للرومي»[4].

لقد كانت مظاهرة ضخمة صاخبة، استعمل خلالها الأهالي المسدسات والعصي، كما قدموا عريضة لمطالبهم للحاكم الإداري الفرنسي [5].

---

[1]- أبو القاسم (سعد الله): الحركة الوطنية...، مرجع سابق، ص123.

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها. وللمزيد حول هجرة التلمسانيين إلى سوريا. ينظر:

Gouvernement général de l'Algérie, **L'exode de Tlemcen, en 1911**, Beaugency, Imprimerie Réné Barrullier, 1914.

[3]- أبو القاسم (سعد الله): الحركة الوطنية...، مرجع سابق، ص123.

[4]- Ch-R (Agéron) : "Si M'hammed…", Op.Cit, pp333-334.

[5]- أبو القاسم (سعد الله): الحركة الوطنية...، المرجع السابق، ج2، ص179.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

رفض الندروميون هذا القرار البغيض، وقررت عائلات عديدة الخروج من المدينة قاصدة مدينة طنجة المغربية، طالبة الأمان والحماية من القنصل الألماني[1]، وقد بلغ عدد العائلات الندرومية التي غادرت المدينة؛ حوالي 82 عائلة هاجرت في ربيع 1912[2].

قبيل المظاهرات ذهب سي محمد بن رحال الذي كان يشغل آنذاك مقدم الزاوية السليمانية – الدرقاوية رفقة شيخ الزاوية محمد بن سليمان لمقابلة رئيس بلدية ندرومة الذي واجهه محمد بن رحال موضحا رفضه لهذا القانون قائلا :« إنني للمرة الثانية ألدغ في الصميم، كون هذا المشروع فيه ريبة، إنكم لن تعتمدوا علي أبدا ومطلقا في الذهاب معكم بعيدا عن ضروريات هذا الوقت أو التغاضي عنها، لكن لا تنسوا من فضلكم، إن طلبتم المساعدة، في أي وقت كان ومن أجل أيّ كان سوف ستجدونني في الخدمة »[3].

لم يتوقف استنكار سكان مدينة ندرومة والمناطق المجاورة بإعلانهم التمرد على حاكم البلدية فقط؛ بل زادوا على ذلك بإرسال وفد إلى باريس، بتزكية من جريدة الحق الوهرانية؛ ليعبر عن رفضهم الصريح لقانون التجنيد الإجباري، وكان كل أعضاء الوفد السبعة[4] من مدينتي نمور(الغزوات)، وندرومة يرأسهم سي محمد بن رحال الذي أوكلت إليه جريدة "الحق" هذه المهمة، وكان الوفد من الأعيان وأصحاب الأملاك والتجار ومن المثقفين ثقافة عربية، وأغلب أعضائه أدوا فريضة الحج[5].

حمل وفد ابن رحال إلى الحكومة الفرنسية مطلبا أساسيا وهو سحب القانون الخاص بالتجنيد، وفي حالة عدم تحقيق هذا المطلب لا بد من تحقيق أمرين أساسيين:

---

(1) - Gilbert (Meynier) : **l'Algérie Révélée**, librairie Droz, Paris, 1981, p98.

(2) - Ibid, Idem.

(3) - Jean (Melia) : **L'Algérie et la guerre (1914-1918),** Librairie Plon, Paris, 1918, p135-136.

(4) - وحسب جريدة الرشيدي بلغ عددهم 12، ينظر Rachidi, "Nos Délègues à Paris", 21 Juin , 1912.

(5) - Ch-R (Agéron), Op.Cit, T2, p1029.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

1- منح الأهالي تعويضات من جراء قبولهم لهذا القانون، وتتمثل في الحقوق السياسية والاجتماعية، ومحو كل القوانين الاستثنائية؛

2- السماح بحرية مغادرة البلاد دون قيد أو شرط لمن أراد ذلك[1]؛

سلّم محمد بن رحال هذا المطلب إلى الحكومة الفرنسية، وقد حضي باستقبال مُشّرِفْ من أعضاء هذه الحكومة أمثال: ألبين روزيت (Albin Rozet) و ميسيمي، وكان له الحظ أن استقبله رئيس الجمهورية فاليير (Fallières)، وبالرغم من الكلمات والتعابير المؤثرة التي وجهها ا بن رحال للرئيس الفرنسي، والاحترام الشديد الذي أحاطه به لم ينل منه سوى وعودا بدراسة مطلبين بخصوص التعويضات وحرية مغادرة البلاد، ولقد أكد له ميسيمي هذا الأمر أما فيما يتعلق بإلغاء قانون التجنيد الإجباري فلا تراجع عنه[2]، وبالتالي انتهى حوار محمد بن رحال مع الحكومة الفرنسية إلى نفس النتيجة التي وصل إليها وفد ابن التهامي، بالرغم من اختلاف توجههما.

أمام هذا الوضع الذي آلت إليه المفاوضات مع الإدارة الفرنسية لم يجد محمد بن رحال أمامه سوى الإمضاء على العريضة التي سلمها وفد ابن التهامي في جوان 1912 [3]. لكن هذا لا يعني أنه غير موقفه وانضم إلى جماعة ابن التهامي ذات التوجهات الاندماجية، بدليل أنه صارح الحكومة الفرنسية بعد الإمضاء على العريضة أن فرنسا برفضها إيجاد وضعية مناسبة للجزائريين، فإنها ستساعد وتساهم بطريقة مباشرة على إنشاء وخلق وطنية عند المسلمين الجزائريين[4].موقف ا بن رحال غير صورته لدى الإدارة الفرنسية التي عرفته منذ ذلك الوقت أي سنة 1912 كخصم لها، ومدافع كبير لقضايا الأهالي، وبالتالي نزعت عنه صفة صاحب العمامة القديمة[5] خاصة بعد الحوار الذي أجراه مع صحفي من جريدة الزمن (Le Temps) الفرنسية يوم 30 فيفري 1912، وهو عبارة عن رسالة موجهة للحاكم العام عبر فيه عن موقف الأهالي من التجنيد الإجباري،

---

(1)- A (Djeghloul) : **Eléments d'Histoire culturelle Algérienne**, ENAL, Alger, 1984, p54.

(2)- Ch-R (Agéron) : Les Algériens…,Op.Cit, T2, p1029.

(3)- Ibid, Idem .

(4)- Ch-R (Agéron), "Si M'hammed…", Op.Cit, p334.

(5)- Ch-R (Agéron), Les Algériens…, Op.Cit, T2, p1029.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ونشرته فيما بعد جريدتي "الحق" و"الرشيدي" أهم ما جاء فيه[1]: « يقول الأهلي نتحمل الضرائب الباهضة ونضطر إلى الحراسة الليلية والغابية، ولكل منّا حصته في أعمال السخرة المحرمة وغير المحرمة، ونحن مبعدون تقريبا عن الوظائف الرسمية، تمثيلنا في المجلس البلدي والمجلس العام واللجان المالية سيئ وضئيل جدا، فيما هو غائب في البرلمان، الضرائب الباهضة التي ندفعها يستفيد منها الآخرون وحدهم تقريبا تجاه الفئات الأخرى من الجزائري نجد أنفسنا في وضع ناقص مما يجرح كرامتنا ويضع من عزتنا نحن نواجه كبتا ومضايقات لا تحصى ورغم أننا أثبتنا ولاءنا بكل البراهين ينظر إلينا دائما نظرة شك. إن الربى يخرب بيوتنا فيما الاستعمار يكبتنا وحيثما رفعنا شكوانا لا صوت لنا يسمع وعندما نطلب الاغتراب وهذا هو المورد الأخير يحرم علينا ويمنع واليوم يطلب منا إعطاء الثروة الوحيدة المتبقية لنا وهي أولادنا، هل هذا صواب؟ !».

استمر رفض سكان ندرومة لقانون التجنيد الإجباري؛ ومع قوّة هذا الرفض قررت بعض العائلات الغنية الاستفادة من البديل المالي الذي طرحته السلطة الفرنسية، وعوضوا أبنائهم بمجندين من أبناء الفقراء من الريف اشتروا ذمتهم بالمال، ففي سنة 1917 دفع أعيان من مدينة ندرومة قيمة ثلاثة أشخاص ريفيين بدل ثلاثة من المدينة رفضوا التجنيد. مع ذلك يجب التنويه أنه تبعا للقائمة التي أعدتها الإدارة الفرنسية للمجندين سنة 1917، كان عدد الفارين من التجنيد في عمالة وهران خمسة أشخاص، أحدهم من منطقة لامورسيار(Lamoriciere) (أولاد ميمون) التي تبعد عن تلمسان بـ 31 كم، وآخر من منطقة عمي موسى بالقرب من غيليزان، وثلاثة من مدينة ندرومة، وهذا يوضح بجلاء مدى عدم قبول الندروميين للتجنيد الإجباري[2].

رغم الرفض الشعبي سواء في ندرومة أو في كافة الجزائر غير أنّ النواب الجزائريون اعتبروا ملف التجنيد المنقذ لطموحاتهم وآمالهم، وعلى رأسها نيل الحقوق السياسية ، وهو نفس الأمر الذي تبناه النائب سي محمد بن رحال الندرومي ففي مداخلة له في اللجان المالية "القسم العربي" بتاريخ 21 ديسمبر 1921 ؛ طالب بتخفيض مدة التجنيد الإجباري والحد منه ومنح الأهالي حقوقا وإصلاحات ضرورية رغم أنه على علم أن القانون طبق ولا رجعة فيه، وقد أكّد ذلك

---

(1)- Rachidi, Art: "Le bâillon", 26 Juillet 1912.

(2)- Gilbert (Meynier), Op.cit., p 570.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بقوله: « لقد صوتنا بالأغلبية في المجالس العامة في الجزائر بتخفيض مدة التجنيد الإجباري، ومع ذلك ليس في فكرنا أن ننتقد القرارات المتخذة من طرف هذا المجمع، ولكننا لا نستطيع ترك هذا الأمر دون الاحتجاج على المسائل التي هي قيد الطرح، وأن نوضح لهذا المجمع أن طلب تخفيض مدة التجنيد الإجباري صرح به جماعيا من معظم سكان الجزائر»[1]، وأضاف قائلا: « إن السكان المسلمين ماعدا البعض لم يترددوا في أي وقت وفي أي ساعة من مد يد المساعدة لفرنسا خلال الحرب، وليس اليوم والوضعية العالمية تبعث على اضطرابات في كل الحكومات بإمكان الأهالي التفكير بمسألة مشابهة لذلك، ولهذا فاللجنة الأهلية -القسمين العربي والقبائلي- جهرت من جديد بتعلقها وإخلاصها للوطن الأم، وهي تؤكد الرغبة الحازمة لمعظم المسلمين بطلب أن يكون للأهالي الجزائريين مقابل هذه الخدمة الثمينة نفس الرواتب ونفس الالتزامات التي للفرنسيين، وأن يكون لهم نفس الحقوق في كل الإجراءات والقوانين التي يتطرق لها البرلمان لتأمين صيانة ثروات فرنسا»[2].

كان رفض الندروميين للتجنيد واضح وصريح، ومن صور هذا الرفض ما نطق به لسان أحد شعراء مدينة ندرومة في قصيدته أولاد بوحمصة؛ وهو الشيخ قدور بن عاشور الزرهوني[3] والتي جاء فيها:

ياما أعظمها قصة	يامن تصغى لي
يوم أولاد بوحمصة	هجروا لمغنيـــة
يوم انطلبوا لعسكر	للدولة الفرنـسية
التموا في المحضر	تمة الربّي دبّـــر

(1)- Délégations Financières, Section Arabe, 21 Décembre 1921, p23.

(2)- Ibid, Op.Cit, p23-24.

(3) - الشيخ قدور بن عاشور الزرهوني (1850-1938) مؤلف كنوز الأنهار والبحور في ديوان السر والنور؛ وقد ألف حوالي (3000) قصيدة شعرية اغلبها في التصوف, ينظر الطاهر زرهوني، مقال سابق، ص 170.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أعطى لهم ح الأمر ما تبقى بقيـــــة

ما يبقيلهم حد أنفاق قال الربي إسحاق

قبايلنا حمـــــــاق يضربوا لهرويـــة

يضربونا خفنـــــــا ليس يحنوا فينـا

نخليوا المدينـــــة ونهربوا غدويـــة

كاذا من درب خلى حتى القيسارية

سوسان بن الزغبي ذاك نسيب الربّي

انتفخ قد القربـــــي راسو قد الطبرية

ابراهيم الطاياي ـــــو ربي تلف رايـــو

انتقب له غلايـــــه روى الناموسـية

يوسف ولد قريعش ظل وبات يهطش

جاء للكري يرعش ودر الشاشـــــية

موشي ولد مريطخ نعرفه رجل زايخ

ماشـــي وهو ينفخ كالبقرة الصحراوية

داك شلومو شقرون واكل زوج قـرون

خارج يجري مفتون زعبط كالمهـــرية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

يعقوب الشـــباني	قال الله بلانـــي
نهرب عند جراني	قبيلة صموديــة

إن تركيز الشيخ قدور بن عاشور في هجاء اليهود في هذه القصيدة لم يكن بدعوى التعصب والحنق على اليهود فلطالما تعايشوا مع العرب والمسلمين وتأثروا بهم- كما سبق الذكر- في المأكل والمشرب واللباس وحتى اللسان، لكن يهود ندرومة على غرار باقي يهود الجزائر خلال الفترة الاستعمارية تمتعوا بامتيازات الإدارة الفرنسية ومنها قانون كريميو سنة 1870 و المتعلق بمنحهم الجنسية الفرنسية مما جعلهم يميلون أكثر إلى صف الإدارة الفرنسية ويعملون على تحقيق أهدافها بما فيها التجنيد للأهالي الجزائريين المسلمين؛ مما ولد استنكارا كبيرا لدى الجزائريين الذين عبّروا عن ذلك بشتى الطرق بما فيها الضرب ومن صوره ما حدث ليهود ندرومة في حوادث ماي 1912 الرافضة للتجنيد الإجباري؛ خاصة وأنّ جل الاشتباكات بين السكان والإدارة كان مسرحها درب اليهود في ندرومة وهذا ما يفسر تركيز الشيخ قدور بن عاشور عليهم[1].

[1] - زرهوني (الطاهر) ، مقال سابق، ص 170.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

نستنتج مما سبق؛ أنّ الرفض الندرومي للإدارة الفرنسية قد اتضح منذ الأيام الأولى للاحتلال، ومن كافة الشرائح بما فيهم القيّاد ممثلو الإدارة الفرنسية داخل المدينة.

هذا الموقف لم يأت من فراغ؛ بل كان نتاج الاستقلالية الاجتماعية والإدارية التي اعتادها الندروميون على الأقل منذ زمن العثمانيين، وبالتالي كان من الصعوبة الانصياع لأوامر إدارة دخيلة وأجنبية كالإدارة الفرنسية ليس بينها وبين الجزائريين أية نقاط تشابه أو التقاء.

لكن مع التقادم الاستعماري بدأت نقاط الترابط والالتقاء بالبروز بين الندروميين والفرنسيين على غرار بقية الجزائريين وذلك عن طريق التعليم الفرنسي الذي وجهته الإدارة الفرنسية إلى الجزائريين ظنا منها أنّه سيخدم موقفها وسياسة الإدماج التي تبنتها، لكنها لم تتفطن إلى أن هذا التعليم قد فتح أعين الجزائريين على الثقافة والمدنية الأوروبية التي نهلوا منها ما يخدمهم ويخدم ثقافتهم العربية الإسلامية وتجلى ذلك في جماعة النخبة الجزائرية المثقفة التي برزت مع مطلع القرن العشرين، ولكن الملفت للانتباه وجود فئة سبقت هذه النخبة ووضعت اللبنة الأولى والقاعدة التي ارتكزت عليها النخبة ومن بين هؤلاء سي محمد بن رحال الندرومي، الذي حاور الإدارة الفرنسية وأوضح موقفه منها في وقت مبكر، وهذا من شأنه إيضاح مدى الوعي والتنوير الذي تغلغل إلى مدينة ندرومة والذي استمر بفضل عدد من شبانها الذين درسوا سواء في معاهد عربية وفرنسية وترجموا تعليمهم بتبني آراء وأفكار سياسية وإصلاحية لأحزاب سياسية ناشئة أسسوا لها فروع وشعب داخل مدينة ندرومة مع بداية الأربعينيات من القرن العشرين، فيا ترى ما هو صدى الحركات السياسية والإصلاحية في مدينة ندرومة وما هي النتائج التي أفضت إليها؟

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفصل السادس

الحركة السياسية والإصلاحية في مدينة ندرومة

(1945-1954)

6-1- الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري UDMA

6-2- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

6-3- حركة انتصار الحريات الديمقراطية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لم تكن مدينة ندرومة بمنأى عما يحدث على الساحة السياسية والإصلاحية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية؛ فقد ضمت رجال سياسة وثقافة ودين نشطوا في التعريف بقضايا الجزائريين ومشاكل عصرهم في وقت لم يشهد فيه القطر الجزائري انتشار وعي وتطور سياسي وإصلاحي للوقوف ضد ممارسات الإدارة الفرنسية التي تهدف في الأساس إلى تحسين وضع الفرنسيين والأوروبيين على حساب الجزائريين وتحقيق السيطرة على كل التراب الجزائري، ومن أمثلة الشخصيات الندرومية التي مارست السياسة في وقت جد مبكر؛ نذكر سي محمد بن رحال الذي لقب بعميد الشبان الجزائريين؛ ذلك أنه مهد الأرضية لمن جاء بعده من القادة السياسيين وقدم جملة مطالب اهتمت بقضايا المجتمع الجزائري كانت بمثابة اللبنة الأولى لمسار الحركة السياسية في الجزائر وذلك بفضل ثقافته المزدوجة العربية والفرنسية وسعة إطلاعه ومهارته وحسن علاقاته سواء مع الجزائريين أو مع الفرنسيين، كما لا يجب إغفال دوره الإصلاحي من خلال سعيه لتمجيد اللغة والثقافة العربية ومنحها الرسمية حتى ولو كان ذلك في إطار الدولة الفرنسية.

والأمر لا يقتصر هنا على سي محمد بن رحال فقط؛ فقد احتضنت مدينة ندرومة نشطاء سياسيين تزامن بروزهم مع بروز حركة الشبان الجزائريين أو ما يصطلح عليها بالنخبة الجزائرية المثقفة؛ نذكر منهم أحمد رحال مؤسس جريدة الحق الوهرانية التي نادت برفع الغبن عن الأهالي، وتزامن ظهورها مع إعلان قانون التجنيد الإجباري وكنا قد أشرنا سابقا إلى وفد أهالي ندرومة الذي سافر إلى فرنسا معلنا رفضه لعمليات التجنيد؛ هذا الوفد كان بدعم من جريدة الحق، ويضاف إلى هؤلاء نسبة معتبرة من مثقفي مدينة ندرومة خريجو المدارس والمعاهد الفرنسية الذين تأثروا بالمناخ السياسي في الجزائر العاصمة، وهران، وتلمسان، وبخاصة في فترة ما بين الحربين وما بعد الحرب العالمية الثانية، وكانوا أوّل من مثّل شُعَب وفروع الحركات السياسية الجزائرية الناشئة في مدينة ندرومة.

إن النماذج كثيرة فيما يتعلق بمن مارس السياسة في ندرومة قبل تطور الحركة السياسية في الجزائر ونشوء الأحزاب؛ غير أنّ الجانب الإصلاحي في ندرومة تجلى في سلسلة الكتاتيب القرآنية المدعمة من طرف الطرق الصوفية والتي كانت تنتشر على نطاق واسع في مدينة ندرومة رغم صغر مساحتها، لكن الممارسات الدينية التي كانت تتبعها هذه الطرق وإن كانت قد لقيت قبولا من

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

طرف سكان ندرومة الذين أبرزوا تأثرهم الشديد بها كباقي السكان في مختلف القطر الجزائري؛ فقد عارضها رجال الإصلاح في الجزائر مع مطلع القرن العشرين وكذا رائدة حركة الإصلاح في الجزائر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ سنة 1931، التي أعلنت رفضها لأساليب الطرقيين التي لا تمت بصلة إلى الدين الإسلامي، والتي عملت على مسخ عقول الجزائريين ببعض المعتقدات الغريبة.

لكن على الرغم من النفوذ الطرقي في مدينة ندرومة، إلاّ أنّها كانت مجالا خصبا للتعريف بمبادئ الجمعية وأهدافها التي حفّزها المناخ الطرقي أكثر فأكثر لإيجاد مكان لها في ندرومة.

6-1- الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري UDMA:

كان لإعتقال فرحات عباس[1] عقب أحداث 08 ماي 1945 انعكاس على مساره السياسي؛ بحيث كتب وصيته السياسية وهو في المعتقل، والتي نوّه من خلالها إلى ضرورة نبذ العنف الذي يعتبره جريمة ضد الشعب، وأنّه وسيلة أثبتت فشلها، وقد أوصى فرحات عباس الفلاحين بأن يرفضوا من يدعوهم إلى السير في هذا الطريق، كما أوصاهم بنبذ العنف الديني

---

[1] - ولد فرحات عباس يوم الخميس24 أوت 1899، ابن سعيد ومعزة عاشورة بنت علي بقبيلة بني عافر التابعة لبلدية الطاهير شرق مدينة جيجل، وتوفي بألمانيا في 23 ديسمبر 1985. ينحدر فرحات عباس من أسرة فلاحية كثيرة العدد بها 12 طفلا، وكان والده سعيد بن أحمد عباس يعمل في الإدارة الاستعمارية، قايدا . زاول فرحات عباس تعليمه الابتدائي في مسقط رأسه، والثانوي في مدينة سكيكدة ، وقام بالخدمة العسكرية فيما بين عامي 1921 و1923 انتقل للعاصمة لإكمال تعليمه الجامعي وتخرج بشهادة عليا في الصيدلة عام 1931، وفتح صيدلية في سطيف سنة 1932، وقد كان خلال فترته الجامعية نشيطا إذ ترأس جمعية طلبة شمال أفريقيا المسلمين بالجزائر فيما بين 1927 و1931 بعد أن كان تولى نيابة رئيسها قبل ذلك عام 1926-1927 ، أصدر سنة 1930 مجموعة مقالاته الصحفية في كتيب عنوانه "الشاب الجزائري" وفيه عبر عن أفكاره الإصلاحية والتحديثية، كما أصدر فرحات عباس خلال الحرب العالمية الثانية بيان الشعب الجزائري في فيفري 1943 ، وأسس في مارس 1944 حزب حركة أحباب البيان والحرية، بهدف الدعاية لفكرة الأمة الجزائرية، وبعد مجازر 8 ماي 1945 حل حزبه وألقي القبض عليه ولم يطلق سراحه إلا في عام 1946 بعد صدور قانون العفو العام على المساجين السياسيين، أسس بعد ذلك حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وأصدر نداء أدان فيه بشدة ما اقترفته فرنسا من مجازر رهيبة في 8 ماي 1945، وعبّر فيه عن أهداف ومبادئ حزبه التي لخصها في " تكوين دولة جزائرية مستقلة داخل الاتحاد". للمزيد ينظر؛ عبد الحفيظ (بوعبد الله): **فرحات عباس بين الإدماج والوطنية 1919- 1962**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2005- 2006.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والروح القبلية الضيقة وضرورة التعايش بين كل الأديان والأعراف في ظل الجمهورية القائمة على الحرية والديمقراطية [1] .

إن وصية فرحات عباس هي إعلان صريح من طرفه بتبرئة نفسه من أحداث ماي 1945، ومن كل الممارسات التي تدعو إلى العنف، وفي الوقت نفسه قدّم فرحات عباس من خلال هذه الوصية تصوراته المستقبلية حول الحياة السياسية في الجزائر في ظل جمهورية جزائرية تتمتع باستقلاليتها في ظل الاتحاد الفرنسي، وقد كان لفرحات عباس الفرصة لإيضاح هذه التصورات بعد إعلان العفو الشامل الذي أقرته الإدارة الفرنسية؛ حيث تمّ إطلاق سراحه يوم 16 مارس 1946.

وإن كان فرحات عباس قد أشار في وصيته إلى ابتعاده عن الحياة السياسية؛ إلاّ أنّه سرعان ما غيّر موقفه وقد أوضح ذلك قائلا: « رأينا أنّه من واجبنا نظرا لنوايا أعدائنا، أن نبقى في الكفاح وأن نستأنف العمل الذي تركناه»[2].

خرج فرحات عباس للساحة السياسية من جديد، لكن هذه المرة منفردا مبتعدا عن التكتل والاتحاد الذي حققه مع حزب الشعب الجزائري في ظل بيان الشعب الجزائري سنة 1943، وكان هذا مؤشرا على ابتعاد فرحات عباس عن المواقف المتشددة والوطنية التي برزت في فحوى البيان والعودة من جديد إلى أسلوب الملاينة مع الإدارة الفرنسية[3].

تمحور برنامج فرحات عباس حول تأسيس جمهورية جزائرية تحقق التعايش مع الأقلية الأوروبية واليهودية في ظل الدولة الفرنسية؛ يعني منح الجزائر حكم ذاتي[4]، ومن بين ما ورد في تدخلاته السياسية حول هذا الموضوع قوله:« كانت غايتنا إبراز شعب فتي حتى يتكون تكوينا سياسيا وديمقراطيا واجتماعيا، يتجهز في الميدان الصناعي والعلمي، وذائب في تجديد ثقافته

---

[1] - عبد الحميد (زوزو): "الجديد في معركة الثامن ماي 1945"، **مجلة الثقافة**، ع 107-108، 1995، ص 16.

[2] - فرحات (عباس): **ليل الاستعمار**، ت: رحال أبو بكر، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، 1962 ص 194.

[3] - عبد القادر(حميد): **فرحات عباس رجل الجمهورية**، دار المعرفة، الجزائر، 2001، ص 106.

[4] - يحي (بوعزيز): **الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية من خلال نصوصه 1912-1948**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987، ص ص 104-111.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وأخلاقه، مشتركا مع دولة قوية وحرة؛ غايتنا هي إنشاء دولة فتية تقود خطاها الديمقراطية الفرنسية»[1] .

تبنى فرحات عباس شعار جديد لإيديولوجيته الجديدة؛ هو "لا للاندماج، لا لأسياد جدد، لا للانفصال"، وقد راعى فرحات عباس في ذلك الرأي العام الفرنسي رغم الرفض الواضح من قبله لسياسات الإدارة الفرنسية كسياسة الإدماج التي كان يدعوا إليها طيلة مشواره السياسي الذي دام قرابة (25) سنة، كما أوضح فرحات عباس إيديولوجيته القائمة على نبذ العنف والرافضة للفكر الثوري؛ نظرا لإيمانه بتحقيق التغيير عن طريق العمل السلمي داخل إطار الشرعية الجمهورية التي كان يدعو إليها أو بصريح العبارة الثورة بالقانون[2] .

---

[1]- فرحات (عباس)، مرجع سابق، ص 195.

[2]- شارل أندري (جوليان): **إفريقيا الشمالية تسير**، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976، ص 341 .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لقد بعث فرحات عباس برنامجه السياسي الجديد من خلال حزب جديد أسماه " الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري" رفقة عدد من حملة أفكاره كالدكتور سعدان[1] ، أحمد بومنجل[2] أحمد فرانسيس[3] وآخرون.

وقد احتوى برنامج هذا الحزب الجديد على محاور عديدة هي:

- تحرير الجزائر من النظام القديم للسيطرة الاستعمارية أي كان نوعها، مع احترام مبدأ الجنسيات وبتعبير آخر بناء مستقبل البلاد على أسس الواقع و التاريخ [4] .

---

[1] - الشريف أحمد سعدان من مواليد عام 1895 بباتنة، وتوفي ببسكرة عام 1948، درس المرحلة الثانوية في مدينة قسنطينة، بعدها التحق بكلية الطب بالجزائر العاصمة أين نال شهادة الدكتوراه بنجاح، وسرعان ما برزت توجهاته السياسية وصار نائب غب المجلس العام عن دائرة باتنة- بسكرة طيلة الفترة ما بين 1934- 1945. في جوان 1946 تم انتخاب سعدان كنائب عن حركة الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري في المجلس التأسيسي، وكان يشغل في الوقت نفسه نائب رئيس النواب المسلمين لفيدرالية قسنطينة، ورئاسة اللجنة التنفيذية لحركة الاتحاد الديمقراطي. للمزيد ينظر:
http://www.senat.fr/senateur-4eme-republique/saadane_hadj_ahmed_cherif0080r4.html

[2] - ولد أحمد بومنجل سنة 1920 ببني يني بالقبائل الكبرى ، عمل معلما ثم واصل دراسته و تحصل على شهادة الليسانس في الحقوق، وامتهن المحاماة، عمل إلى جانب فرحات عباس أثناء الحرب العالمية الثانية في أحباب البيان والحرية ثم الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ، انتخب في مجلس الاتحاد الفرنسي ، انتقل بومنجل من الجزائر إلى فرنسا وأصبح عضوا في إطار فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا منذ سنة 1957 وعضوا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية من 1957 إلى 1962 . للمزيد ينظر؛ Achour (Cheurfi) : **La classe politique Algérienne de 1900 à nos jours, dictionnaire biographique**, Casbah éditions, 2001 .

[3] - ولد أحمد فرنسيس بمدينة غليزان عام 1912 ، تابع جل تعليمه بفرنسا ، أين تحصل على دكتوراه في الطب من جامعة باريس ، عاد إلى الجزائر وباشر مهنته بمدينة سطيف عام 1942. بدأ أحمد فرنسيس نضاله السياسي وهو طالب بكلية الطب الفرنسية، في إطار جمعية طلبة شمال إفريقيا ، حيث كوّن رفقة أحمد بومنجل نخبة من الشباب المهتمين بالبحوث السياسية المتعلقة بالقضية الجزائرية . عند عودته للجزائر استأنف نشاطه السياسي مع فرحات عباس حيث أصبح من أكثر المقربين إليه. شارك في تأسيس حركة أحباب البيان والحرية . ساهم أحمد فرنسيس عام 1946 في تأسيس حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ، وعين مندوبا للحزب لدى المجلس الجزائري ، أين واصل نشاطه السياسي حتى اندلاع الثورة التحريرية. للمزيد ينظر؛ Achour (Cheurfi) : Op.Cit

[4] - Claude (Collot) & Jean (Robert Henry) : **Le Mouvement National Algérien, Textes 1912-1954**, 2eme Ed, OPU Alger, 1981, p222.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

- إقامة جمهورية مستقلة استقلالا ذاتي ومتوحدة مع الجمهورية الفرنسية المتجددة، والمناهضة للاستعمار وللإمبريالية، وكان فرحات عباس يرى أن ذلك يأتي نتيجة منطقية لتطور التاريخ؛ إذ يقول:« لقد استعمرت الجزائر وهي حقيقة، وفي أوساطنا زرع الاستعمار مليون أوروبي مسيحي وهذه حقيقة ثانية، وتعايش المسلمون والمسيحيون مدة أكثر من قرن وهي حقيقة ثالثة وكل هذه المعطيات هي التي أسست الجمهورية الجزائرية التي فرضت وتفرض نفسها على جميع الملاحظين»[1] .

- الدولة الجزائرية يجب أن تكون متعددة المجموعات لأن فرحات عباس يرى أنّ الجزائري المسيحي أو اليهودي يجب أن يكون أخا للجزائري المسلم بعيدا عن كل عمليات الاستغلال والإقصاء والاستعباد [2].

- التعليم الإجباري والمجاني بالنسبة لجميع أطفال الجزائر، والنضال من أجل ترقية اللغة الوطنية والرسمية، ولأنها لغة الإسلام مثل " الكنيسة بالنسبة للمسيحية فالمسجد يقول فرحات عباس لا يعني شيئا عندنا ولكن تلاوة القرآن هي كل شيء" لأجل ذلك يرى الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري؛ أنّ الاهتمام باللغة العربية أساسي لأنه يشكل قاعدة الإيمان[3].

- تخليص الإسلام من الواقع الذي آل إليه بفعل اعتداءات الإدارة الاستعمارية عليه، وهو واقع وصفه لوشاتليي (Lechatelier) مدير مجلة العالم الإسلامي بقوله: « لقد أوجدنا في الجزائر إسلاما وحيدا من نوعه: الأوقاف منعدمة والمساجد خاضعة للإدارة بواسطة أئمة مأجورين، والقضاة موظفون والحج بإذن، والقانون عبارة عن نتاج هجين لالتقاء الشريعة الإسلامية بالعرف الفرنسي[4] .

- إلغاء الملكية الإقطاعية والتركيز على إصلاح زراعي واسع لفائدة الخماسين المعدمين من سكان الريف، وممّا لا ريب فيه أنّ هذه الفكرة مقتبسة مباشرة من البرنامج السياسي

---

(1) - Mesbah (Med-Chalik) : **Idéologie Politique et Mouvement National en Algérie**, S.E, 1981, p 83.

(2) - محمد العربي (الزبيري): **تاريخ الجزائر المعاصر**، ج1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999، ص 111-112.

(3) - المرجع نفسه، ص 112.

(4) - Amar (Naroun) : **Ferhat Abbas ou les chemins de la souveraineté**, Paris, 1961, p163.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الذي كان نجم شمال إفريقيا قد صادق عليه سنة 1933، هذا في الظاهر؛ لكن في الواقع غير ذلك لأن نصوص الاتحاد الرسمية تؤكد بما لا يدع أي مجال للشك:« أنّ الحكومة الجزائرية تضمن الملكية العقارية الإسلامية والفرنسية على حد سواء، ولا يمكن أن يلجأ إلى التأميم إلاّ إذا كان الصالح العام في إطار القانون وبعد تعويض عادل»[1] .

- الجمهورية الجزائرية علمانية؛ ففرحات عباس يرفض أي طرح ديني لمسألة المواطنة ويعارض قيام دولة ذات طابع إسلامي ويدعو إلى دولة جزائرية بحقوق مدنية متساوية للجميع دون أي تمييز في العرق [2] .

- نبذ العنف كوسيلة لتقويض الاستعمار، والاكتفاء فقط بالنضال السياسي في إطار ما يسمح به القانون الفرنسي [3].

مباشرة بعد الاعتماد؛ قرر الحزب المشاركة في الانتخابات التشريعية الفرنسية التي حدد تاريخ إجرائها 02 جوان 1946 لتعيين أعضاء المجلس التأسيسي الثاني الذي خصص فيه للجزائريين (13) مقعدا، وقد فاز الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بـ11 مقعدا خاصة بعد عدم ترشح أعضاء حزب الشعب للانتخابات[4] .

وبتاريخ 09 أوت 1946 تقدم فرحات عباس وأعضاء الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بمشروع دستور الجمهورية الجزائرية إلى المجلس التأسيسي في وقت لم يكن للجمهورية الفرنسية وجود[5].

ومن مواد هذا المشروع [6] :

المادة الأولى: تعترف فرنسا بالجمهورية الجزائرية وحكومتها وألوانها الوطنية؛

---

[1] - محمد العربي (الزبيري)، مرجع سابق، ص 112.

[2] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] - المرجع نفسه، ص 112-113.

[4] - شارل أندري (جوليان)، مرجع سابق، ص 342.

[5] - أعلن عن قيام الجمهورية الفرنسية الرابعة في أكتوبر 1946.

[6] - فرحات (عباس)، مرجع سابق، ص 200-201.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المادة الثانية: تصير الجمهورية الجزائرية عضوا في الاتحاد الفرنسي كدولة شريكة، وتكون العلاقات الخارجية والدفاع مشتركة، وللجزائر صلاحيات ممارسة السلطات وتساهم مع سلطات الاتحاد في الإشراف على العلاقات الخارجية وشؤون الدفاع؛

المادة الثالثة: للجمهورية الجزائرية السيادة المطلقة على كل القطر الوطني، وتشرف على جميع المرافق الداخلية بما فيها الشرطة، وسيادة يمارسها نواب تنتخبهم الأمة الجزائرية؛

المادة الرابعة: يمنح كل فرنسيو الجزائر الجنسية الجزائرية، ومنها يتمتعون بكامل الحقوق الممنوحة للمواطن الجزائري؛

المادة الخامسة: يمنح الجزائري في فرنسا الجنسية الفرنسية ووفقها يتمتع بكامل حقوق المواطنة الفرنسية؛

المادة السادسة: يمكن لهذين المقتضيين أن تمتد إلى جميع أعضاء الاتحاد الفرنسي بعد المصادقة عليهما؛

المادة السابعة: اللغات الرسمية في الجمهورية الجزائرية هي الفرنسية والعربية، والتعليم إجباري للجنسين.

لكن دستور الجمهورية الرابعة الفرنسية عام 1946 كان مخيبا للآمال؛ لأنّه أكّد من جديد على أن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا بعدما كان طموح فرحات عباس هو نيل الحكم الذاتي في الطريق إلى نيل الاستقلال التام، كما تمّ استبعاد مشروع فرحات عباس بعد أن صادق البرلمان الفرنسي على قانون 20 سبتمبر 1947[1].

ورغم التخاذل الذي تلقاه الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري من طرف الإدارة الفرنسية بسبب استبعاد مشروعه وكذا كم أفواه نوابه في المجلس بفعل الضغط الفرنسي المستمر؛ غير أنّه قرر المواصلة وعقد مؤتمر يوم 13 أكتوبر 1946 قيّم فيه سير الانتخابات ونتائجها وحدد الاستراتيجيات المستقبلية للحزب وذلك وفق مشروع دستور الجمهورية الجزائرية التي طرحها، وبالموازاة مع ذلك واصلت قيادة الحزب -منذ اعتماد الحزب رسميا لدى السلطة الفرنسية- في تنصيب الخلايا والقسمات والاتحادات مستثمرة رصيد حركة أحباب البيان والحرية، وبقاء حزب

[1] - محمد العربي (الزبيري)، مرجع سابق، ص 110.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الشعب ينشط في السرية؛ وذلك قصد توسيع القاعدة الشعبية للحزب وخلق ثقل ووزن سياسي له على الساحة السياسية في الجزائر[1].

برز مسعى الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري والذي كان يهدف إلى إقامة جمهورية جزائرية والتعريف بمشروع دستوره للجزائريين في فترة وجيزة وقد ساعده في ذلك عدد من المثقفين المنتشرين في العملات الثلاث الذين عملوا على تأسيس وإقامة شعب وقسمات للحزب في المدن الكبرى، وكذلك في بعض المدن الداخلية والصغرى وفي وقت جد قصير، ومن بين تلك الشعب؛ شعبة ندرومة التي أسست في أكتوبر 1946.

6-1-1-تأسيس وتنظيم فرع UDMA بندرومة:

قرر أربعة معلمين من مدينة ندرومة يدّرِسون بمدرستها الابتدائية التي يعود تاريخ إنشائها إلى سنة 1865؛ تأسيس فرع للاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بمدينة ندرومة بتاريخ 01 أكتوبر 1946. كان هؤلاء خريجو المدرسة الفرنسية، وأغلبهم تلقوا تعليمهم في المدرسة العليا ببوزريعة.

كان كل واحد منهم واع ومدرك لمسؤولياته الفكرية والثقافية والتربوية تجاه تلاميذه من جهة، وتجاه سكان ندرومة من جهة ثانية، وقد ترجم وعيهم الفكري والثقافي وكذلك التربوي بقرار نهائي بتأسيس فرع الاتحاد الديمقراطي في مدينة ندرومة، وقد عقدوا جمعية عامة شاركت فيها مختلف الشرائح من المجتمع الندرومي وذلك في نوفمبر 1946، وخلصت الجمعية العامة إلى الإعلان عن اللجنة المؤسسة لفرع ندرومة والتي تضم الأعضاء الآتية أسماؤهم[2]:

- محمد زرهوني: الأمين العام؛
- محمد بن عمار جباري: مساعد الأمين ؛
- عباس بن حمزة بن رحال: مسؤول مالي؛
- أحمد المدعو حميدة رحالي: مكلف بالإعلام؛

محمد رحموني وأحمد رحال: مساعدين؛ هذين الأخيرين خرجا من لجنة الحزب بعد وقت قصير

---

[1] - المرجع نفسه، ص 111.

[2] - Mohammed Benamar (Djebarri), Op.Cit, T2, p 185.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وقد تّم كراء محل للفرع بفضل مساهمة السكان، ووقع الاختيار على منزل من الطراز الأندلسي مجهز بمختلف الأثاث كان ملك للحاج محمد غزالي؛ هذا الأخير كان جار للقائدين (Caïds) سليمان بلعابد، وعبد الرحمان بكوش[1] ؛ وذكرنا لهذين الأخيرين له أسبابه وهذا ما سيتضح في العناصر القادمة.

كان فرع الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري في ندرومة يتألف من أربعة غرف ومباني ملحقة وقد بدأ نشاطه بفتح اشتراكات في جرائد ومجلات سياسية وثقافية ساهم فيها المنخرطون في الفرع وكذلك المناضلون في الحزب الذين تهافتوا عليها بأعداد كبيرة، وقد مثلوا مختلف الشرائح من المجتمع الندرومي من برجوازيين وعامة الناس ؛ فمن بين الفئة الأولى التجار والصناع، وكذلك صغار الملاك؛ نذكر منهم محمد لمين بسام، طاهر براهمي، ميسوم داحور، حاج بن عمار غزالي، حاج بالحاج غزالي، محمد بن عزوز، حامد رحال، الإخوة بونخالة؛ أحمد، دريوش، براهم، لخضر، عبد الله، إلخ...

ومن الطبقة المتوسطة ؛ كالجزارين أمثال: طالب أحمد جازولي، الحاج حدندال ركاب، محمد بن داود، الإخوة أحمد ومحمد صنهاجي، ومن تجار الخضار: جنان مكي، بيفار المانشو، بالإضافة إلى الحرفيين والحلاقين أمثال: لعربي بوري، عبد القادر غرناطي، أحمد طكوك، ومصطفى طكوك، قدور غنيم، وآخرون لا يسع المجال لذكرهم[2] .

وبناء على شهادة عضو نشط في الفرع وهو محمد بن عمار جباري فقد أقبل سكان ندرومة بكثرة على الفرع المحلي للإتحاد الديمقراطي الذي ضاق بالمنخرطين رغم قاعاته الأربعة وصحنه الواسع، وقد وصل صدى هذا الإقبال على الفرع إلى زعيم الحزب فرحات عباس؛ الذي اعتبره فرع من أهم الفروع المعروفة بحسن تنظيمها والأكثر نشاطا على المستوى الوطني[3] ، والواقع أن اهتمام الندروميين بفكر وسياسة فرحات عباس يعود إلى أيام حركة أحباب البيان والحرية؛ حيث أسسوا جمعية أصدقاء البيان والحرية في وقت كان فيه فرحات عباس قيد الاعتقال[4]، كما تهافت

---

(1)- Mohammed Benamar (Djebarri), Op.Cit, T2, p 185.

(2)- Ibid, Op.Cit, T2, pp186-187.

(3)- Ibid, Idem .

(4)- Gaston (Philibert) :Rapport **sur la situation politique, Commune Mixte de Nedroma**,1er au 15 Mars 1946 et le 30 Juin 1946, AOM, **Carton N° 19H/16**.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الندروميون على الاشتراك في جريدة المساواة لسان حال الحركة وتصفحها منذ الإعلان عن صدور أول عدد لها بتاريخ 16 أوت 1946[1].

6-1-2- زيارات فرحات عباس لمدينة ندرومة:

6-1-2-1- زيارة 19 ديسمبر 1946:

إنّ تأسيس فرع للاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بمدينة ندرومة لم يكن نتاج قرار فردي من طرف أعضاء الحزب؛ بل كان وليد اتصالات هؤلاء بقيادة الحزب التي أعلنت مساندتها وتشجيعها لهم، وسرعان ما اتضح ذلك من خلال زيارة فرحات عباس إلى ندرومة بعد فترة وجيزة من تأسيس الفرع، بتاريخ 19 ديسمبر 1946 بعد ترقب لسكان ندرومة لهذه الزيارة منذ 28 نوفمبر[2].

رافق فرحات عباس في هذه الزيارة السيناتور محداد، والدكتور أحمد فرانسيس، وحصّارْ المستشار البلدي بتلمسان، ونائب بلدي آخر من الأبيار.

توّجه فرحات عباس إلى مدرسة الإناث حيث الجماهير المحتشدة للقائه ، ثم توجه سيرا على الأقدام إلى ساحة صغيرة شمال المدينة حيث خاطب (500) شخص هناك باللغة الفرنسية وبدرجة أقل باللغة العربية.

أشار المدير الرئيسي لبلدية ندرومة المختلطة في تقرير له إلى حيثيات زيارة فرحات عباس والخطاب الذي ألقاه قائلا: «كان خطاب فرحات عباس شديد اللهجة تجاه القياد، وتجاه بعض الحرفيين الندروميين الذين أخفقوا في الانتخابات، لكن بقية الخطاب كان معتدلا فلم يفاجئ فرحات عباس أتباعه المحليين (الندروميين) الذين انتظروا منه أسلوبا جريئا وبالأخرى عنيف تجاه فرنسا»[3].

ومن بين ما جاء في خطاب فرحات عباس: « ليس علينا أن نخاف من الفرنسيين، فهم مليون فقط قبالة ثمانية ملايين من المسلمين، لكنهم بالنسبة إلى المسلمين متفوقون بعلمهم

---

(1)- Philibert (Gaston): **Rapport sur la situation politique, Commune Mixte de Nedroma**, 16 Aout 1946,AOM, **Carton N° 19H/16**.

(2)- **Lettre de l'Administrateur de la Commune Mixte de Nedroma à M^er^ le Sous Préfet de Tlemcen ; Activités des partis politiques Musulmans. A/S. voyage de Ferhat Abbas ,** Nedroma le 26 Décembre 1946, AOM, **Carton N° //683** .

(3)- Ibid.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وبتعليمهم، ولذلك نحن بحاجة إلى قوتهم للدفاع عنّا؛ و ينبغي ألاّ تنطوي إصلاحاتنا على زوال الجيش الفرنسي الذي سيجنبنا دفع نفقات أكثر لصيانة هذه القوات. إليكم المقدمة لكن لا ترتكبوا أخطاء بسعيكم للذهاب بسرعة كبيرة؛ فعددكم غير كاف، وتكتل إخوانكم ليس بمقدوره اللحاق بكم فهم لديهم الكثير ليتعلموه، اهتموا بتثقيفهم، طالبوا بفتح المدارس، ساعدوا من لا معرفة لهم على زيادة معرفتهم، وهكذا حين يصلون كلهم إلى درجتكم من التعليم؛ لن يعد بإمكان فرنسا رفض حقوقكم، ولكن لا تنسوا بالموازاة مع التعليم الفرنسي أن تتلقوا تعليما باللغة العربية، يجب عليكم إتقان هذه اللغة مثل الفرنسية، وإلاّ ستصيرون كالطيور المحرومة من أحد أجنحتها »، وقد أردف قائلا: « نحن مسلمو الجزائر؛ ذلك اليتيم الذي قرر في يوم ما رجل كريم حمايته لكن أطفاله متحجري القلوب رفضوا تمتع اليتيم بدفئ المنزل وبحقه في الميراث، لقد قدمت من باريس؛ أين يبدو أن الفرنسيين لا يرغبون في فهم ما ننتظره منهم، اعتمدوا عليّ في الدفاع عنكم، لقد أحببت مدينتكم، ولن أنسى مطلقا الاستقبال الذي أحطتموني به والذي أثارني بشدة...»[1].

إنّ ما ورد في خطاب فرحات عباس هو ترجمة لإيديولوجية حزبه الجديد، وللخطوط العريضة في برنامجه القائمة في الأساس على التطور والتقدم والمساواة تحت غطاء السلطة الفرنسية حتى و إن نادى بجمهورية جزائرية.

كانت هذه الزيارة الأولى لزعيم الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري إلى مدينة ندرومة؛ هذه الأخيرة التي تأثر بعض سكانها ومثقفيها بإيديولوجية فرحات عباس فأسسوا فرعا لحزبه حتى قبل قدومه، لكن الإدارة الفرنسية وإن أبدت اهتمامها بنشاطات فرحات عباس وجولاته عبر التراب الجزائري، وترقبها ومراقبتها لزيارته إلى مدينة ندرومة؛ إلاّ أنّها أنكرت بناء على ما ورد في تقاريرها وبالأخص تقرير مدير بلدية ندرومة المختلطة وجود وعي وحركة سياسية في ندرومة ، ولم تشر سواء من قريب أو من بعيد إلى تأسيس فرع الاتحاد الديمقراطي بندرومة، ولم تخص بالذكر أعضاء هذا الفرع بل ركزت على أعضاء مجلس الجماعة ما عدا في آخر التقرير أشارت الإدارة الفرنسية أنّ فرحات عباس شجّع ورحب بتأسيس فرع لحركته ولكن ليس فرع حزبه الجديد الاتحاد

---

[1] – **Lettre de l'Administrateur de la Commune Mixte de Nedroma à M^er^ le Sous Préfet d'Oran**, le 26 Déc 1946, Op.Cit.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الديمقرطي للبيان الجزائري بل حزبه السابق أحباب البيان والحرية وهذا ما يثير أسئلة عديدة ؟[1]، لكن هذه الأسئلة تتبدد بسرعة لأنّ لا دخل لفرحات عباس فيها، فالأمر متعلق بالإدارة الفرنسية ممثلة في مدير بلدية ندرومة المختلطة والذي كان متناقضا في طرحه فبناء على التقرير السابق الذي أرسله إلى نائب الوالي بتلمسان أشار مدير البلدية أنّ زيارة فرحات عباس أفضت إلى تأسيس فرع لأحباب البيان، لكنه في التقرير النصف شهري لبلدية ندرومة والمتعلق بالأسبوعين الأخيرين لشهر ديسمبر 1946؛ أوضح أنّ ممثلي فرع الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بندرومة -الذين غيّبهم في التقرير الأول- رفضوا رؤية فرحات عباس ومشاركته مأذوبة الغذاء التي أعدت على شرفه[2] وهذا يولد تناقضا آخر وأسئلة أخرى فإن كان الفرع في الأصل هو ترجمة لسياسة و إيديولوجية فرحات عباس في ندرومة، فكيف يرفض أعضاء الفرع استقبال فرحات عباس؟

إنّ هدف الإدارة الفرنسية من هذا الأمر هو محاولة إنكار وجود وعي سياسي وثقافي لدى سكان ندرومة، ويتجلى هذا الهدف في قول مدير بلدية ندرومة أن معظم الأسئلة التي طرحت على فرحات عباس هي أسئلة ساذجة، وأن جل من كان حاضرا يومها جاء بداعي الفضول لا أكثر، كما اعتبر مدير بلدية ندرومة المختلطة أن زيارة فرحات عباس هي مجرد دعاية لجريدته المساواة؛ ذلك أنه كان يبحث عن طباعة راقية لها، وأن يبلغ عدد مشتركيها (25000) قارئ[3].

6-1-2-2- زيارة 09 أكتوبر 1948:

جاءت هذه الزيارة إلى ندرومة في إطار استعداد حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري لدخول معترك انتخابات الجمعية العامة في نوفمبر 1948، وقد زار فرحات عباس أعضاء الفرع المحلي؛ أين هنّئ المنخرطين في الحزب على نشاطاتهم التي ساهمت في تجذّر الحزب بقوة في هذه المدينة، ودعاهم للاشتراك في الانتخابات المقبلة دون الشك في نتائجها.

---

(1) - **Lettre de l'Administrateur de la Commune Mixte de Nedroma à M^er le Sous Préfet d'Oran**, le 26 Déc 1946, Op.Cit.

(2) - **L'Administrateur Principal : Rapport Bi- Mensuel de la commune Mixte de Nedroma**, 2^eme Quinzaine de Décembre 1946, AOM, **Carton N° 19H/16.**

(3) - **L'Administrateur Principal : Rapport Bi- Mensuel de la commune Mixte de Nedroma**, 2^eme Quinzaine de Décembre 1946, AOM, **Carton N° 19H/16.**

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

كما أبرز فرحات عباس أهمية مدينة ندرومة ذات الخاصية الإسلامية البحتة والتي حسب وجهة نظر فكرية وثقافية تأتي في المرتبة الثانية بعد تلمسان، كما قام بتشجيع ممثلي الحزب على مواصلة العمل مع المدير الرئيسي للبلدية المختلطة دون التخلي عن مبادئهم[1]، وكان من بين ما قاله يومها: «ندرومة هي قلعة الحزب في الجزائر؛ قلعة تكتسي أهمية كبيرة باعتبار أنها كانت على الدوام مرتع للموظفين المسلمين الذين توزعوا في مختلف الإدارات الجزائرية والمغربية، كمعلمين ومدرسين، قضاة، خوجات، مترجمون، قضاة، أئمة وأمناء»[2].

6-1-3- نشاطات فرع ندرومة:

تعددت نشاطات فرع الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري على غرار باقي فروع الحزب في القطر الجزائري لكن الفرع أبدى اهتماما بأنشطة ثلاث وهي:

6-1-3-1- التربية السياسية للسكان والنضال ضد الجهل والأمية:

كل مساء بعد ساعات العمل؛ يجتمع المناضلون والمنخرطون في مقر الفرع للاستماع سواءً لقراءة تعاليق الصحافة الأهلية (الجزائرية)؛ مثل جريدة المساواة والتي صارت تسمى فيما بعد الجمهورية الجزائرية وهي لسان حال الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وكذلك قراءة مقالات جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وجريدة الحرية لسان حال الحزب الشيوعي الجزائري [3].

زيادة على معرفة مستجدات الحركة السياسية والإصلاحية في الجزائر؛ ينشط فرع ندرومة باستضافة قادة وزعماء سياسيين لإلقاء محاضرات، وفي أغلب الأحيان استضافة أحد أعضاء

---

(1) - L'Administrateur de la Commune Mixte de Nedroma : **Rapport Mensuel**, Octobre 1948, AOM, **Carton N°//19**.

(2) - L'Administrateur de la Commune Mixte de Nedroma : **Rapport Mensuel**, Décembre 1948, AOM, **Carton N°//19**.

(3) - Mohammed Benamar (Djebbari) : **Nedroma petite ville- grands noms**, Imprimerie IEF, Tlemcen, 2010, p87.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الحزب الذين يتنقلون عبر التراب الجزائري للإطلاع على نشاطات الفروع بما فيهم زعيم الحزب فرحات عباس[1] .

كما يقدم فرع ندرومة دروس للغة العربية والفرنسية موجهة للبالغين وللأغلبية الأمية؛ قصد محاربة الجهل وتوعية السكان[2] .

6-1-3-2- المشاركة في الانتخابات والحملات الانتخابية:

كافة الأحزاب السياسية الجزائرية، كالاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، حزب الشعب ومن بعده حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وحتى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؛ كانت تسعى إلى تحقيق مطالبها وأهدافها في إطار الشرعية الفرنسية، ومنها وجوب المشاركة في انتخابات مختلف المجالس المحلية؛ لكن هذا المسعى الشرعي الذي أرادته الحركات السياسية والإصلاحية في الجزائر لقي صعوبات جمة وضعتها الإدارة الفرنسية حائلا دون تحقيق طموحات الجزائريين؛ فالانتساب للمجالس المنتخبة لم يكن بالأمر الهين والبسيط ذلك أنّ مفتاح الانتساب وهو الانتخاب كان بيد السلطة الفرنسية والتي لم تكن انتخاباتها يوما حرة ونزيهة، وهذا بسبب تدخلاتها المستمرة لقطع الطريق على من يعارضها، وقد تنوعت هذه التدخلات من ممارسات ملئ صناديق الاقتراع، وطرد ممثلي الأحزاب من مراكز الانتخاب وقمع المرشحين الجزائريين، وأصدق مثال على ذلك ما وقع في انتخابات سنة 1948 من طرف الحاكم العام إيدموند ناجلان ذو التوجهات الاشتراكية.

في مدينة ندرومة؛ كان مجلس الجماعة المجلس الوحيد الذي يتألف من جزائريين، والذي انخرط وتحوّل جل أعضائه إلى مناضلين في فرع الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ولسنوات عديدة وعلى رأسهم زعيم الجماعة محمد زرهوني[3] الذي كان في الوقت نفسه أمين فرع الاتحاد

---

[1]- ينظر جريدة الجمهورية الجزائرية، والعمود الأسبوعي الذي يحمل عنوان حياة الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، الشطر الخاص بفرع ندرومة، وذلك في مختلف أعداد الجريدة على سبيل المثال: La république Algérienne, 16 Mai 1952.

[2]- Mohammed (Benamar Djebbari) : **un parcours rude…**, Op.Cit, T2, p 187.

[3]- هو ابن أخ الحاج محمد الزرهوني الذي شغل سابقا منصب رئيس الجماعة ولمدة طويلة ولكن في ظروف مغايرة تختلف كلية عن ظروف مدينة ندرومة في الأربعينيات من القرن العشرين.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بندرومة، لكنه تخلى عن منصبه كأمين عام لزميله محمد بن عمار جباري، واكتفى بمنصب أمين مساعد بالموازاة مع منصبه كرئيس للجماعة[1].

هذا الأمر خدم حزب الاتحاد الديمقراطي ومناضليه في مدينة ندرومة؛ باعتبار أنّ مجلس الجماعة يحض باحترام من طرف السكان؛ لأنّه يضم صفوة القوم من الأعيان والمثقفين ذوو السمعة والمكانة الاجتماعية، يضاف إلى ذلك فإن لمجلس الجماعة مساحة- نقول مساحة وليس مكانة- لدى السلطة الفرنسية الممثلة في مدير البلدية المختلطة، وهذا من شأنه أن يرفع من قيمة نشطاء الحزب ويشكل ضغط على الإدارة الفرنسية.

غير أنّ ذلك لم يكن كافيا؛ فمسعى الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري على غرار باقي الأحزاب هو نيل مقاعد في مختلف المجالس الانتخابية؛ لذلك نشط فرع الاتحاد الديمقراطي بندرومة في دعم مرشحي الحزب في المجالس الانتخابية الأخرى، وتأمين فوزهم؛ وذلك عن طريق الحملات الانتخابية المنظمة والتي كان يقودها قادة الفرع في مدينة ندرومة ونواحيها بجهودهم الخاصة وجهود و إمكانيات وانضباط المتطوعين من سكان المدينة [2].

6-1-3-3- **المشاركة في العمل الثقافي والإصلاحي:**

برز اهتمام فرع ندرومة بالمجال الثقافي والإصلاحي منذ الأيام الأولى من تأسيسه ليس لكون الفرع يترجم أهداف وبرنامج الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، ومشروع الجمهورية التي دعا إليها فرحات عباس والتي تدعو إلى احترام الدين الإسلامي وتشجيع اللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم؛ وإنما لكون أغلب أعضاء فرع ندرومة كانوا في الوقت نفسه أعضاء فرع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بندرومة، فبهم كان يكتظ المسجد الكبير والقاعة الكبرى لمدرسة جمعية العلماء التي أنشئت سنة 1949 قصد الاستماع لخطب ومحاضرات المسؤولين في المدينة وكذلك ممثلو الحركة الإصلاحية المتنقلون عبر الشعب والفروع [3].

---

(1)- L'Administrateur Principal : **Rapport Mensuel de la Commune Mixte de Nedroma ; Février 1948** , Nedroma ; le 1 Mars 1848, AOM, Carton N° //19.

(2)- Mohammed Benamar (Djebbari) : **un parcours rude …,** Op.Cit, T2, p 188.

(3)- Mohammed Benamar (Djebbari): **Nedroma…**, Op.Cit, p87.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

كان أعضاء جمعية العلماء وأعضاء الإتحاد الديمقراطي يجتمعون يوميا وبطريقة غير رسمية بعد منتصف النهار أو بعد العشاء في المصرية[1] المتواجدة بقلب ساحة التربيعة قبالة الزاوية الطيبية وهي كانت ملك لها [2].

كان الشغل الشاغل لهؤلاء الأعضاء النضال ضد سياسة التجهيل، إنشاء المدارس وتوسيعها في المدينة والأرياف المجاورة، وتدريس اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية.

6-1-4-سياسة الإدارة الفرنسية تجاه فرع الاتحاد الديمقراطي بندرومة:

6-1-4-1- انتخابات سنة 1948:

شاركت التكتلات السياسية الجزائرية في انتخابات برلمان الجزائر سنة 1948 على الرغم أن ما جاء في قانون أو دستور الجزائر في 20 سبتمبر 1947 يتعارض مع آرائها وأهدافها؛ بما فيها أهداف ومبادئ حركة الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري؛ لأنه يعيد الحركة السياسية في الجزائر إلى الوراء أي إلى زمن ما قبل حركة أحباب البيان والحرية، فقد جاء في المادة الثانية من قانون 1947 إبقاء الجزائر في شكلها السابق أي مجموعة عمالات مزودة بالشخصية المدنية والاستقلال المالي، وفي المادة الواحدة والثلاثين تثبيت للمجموعتين الانتخابيتين أي جعل قائمتين انتخابيتين الأولى للفرنسيين والثانية للجزائريين، وعودة لمقاييس مشروع فيوليت من أجل تعيين المسلمين الذين

---

[1] - المصرية هي فضاء يجتمع فيه الشبان وبخاصة العزاب بعيدا عن أعين معارفهم وأقاربهم الذين يتفادون الالتقاء بهم في أماكن الترفيه والاستراحة كالمقاهي من باب الحشمة والعادات والتقاليد، والمصرية هي غرف صغيرة لها منفذ خاص ، توجد في عدد من المساكن القريبة من ساحة التربيعة قبالة المسجد الكبير، وفي الغالب تكون في الطابق العلوي للمسكن، ومع مرور الوقت صارت المصريات فضاء فكري واجتماعي وثقافي على غرار المصريات في مدينة تلمسان؛ فكانت بمثابة النادي والجمعية الثقافية، وبخاصة للفرق الموسيقية ذات الطابع الأندلسي الحوزي، ومنها فرقة الشيخ محمد الغفور. ينظر:

Mustapha (Guenaou) : " Tarbi^aa espace socio- culturel et patrimoine historique", In : **5eme Colloque sur le patrimoine scientifique et Culturel de la ville de Nedroma et sa région**, le 20,21, 22 Décembre 2006, Nedroma, Tlemcen, pp 49-50.

[2] - هذا من شأنه إثارة تناقضات عددية؛ ذلك أن جمعية العلماء قد تأخرت في تأسيس فرع لها بندرومة إلى غاية سنة 1946؛ وذلك بسبب النفوذ الطرقي في ندرومة، ومع ذلك أبدت بعض الطرق تقبلها للحركة الإصلاحية بدليل المصرية التي سلمتها الزاوية الطيبية للإصلاحيين. ينظر : Mohammed Benamar (Djebbari) : **Nedroma…**, Op.Cit, p 87

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

يمكنهم الارتقاء إلى المجموعة الأولى أي مجموعة المواطنين الفرنسيين [1]. هذا الأمر كان يتعارض كلية مع مشروع الجمهورية الجزائرية الذي طرحه فرحات عباس؛ ومع ذلك قبل الاتحاد الديمقراطي بسياسة المهادنة والسير قدما نحو تحقيق أهدافه فأعلن عن رغبته في المشاركة؛ حيث تمّ تجنيد كافة فروع الحزب بما فيها فرع ندرومة لدعم المترشحين وحث السكان على الانتخاب؛ حيث قام الفرع بجولات في مختلف الدواوير المحيطة بمدينة ندرومة، وحاول أعضاء الفرع جلب انتباه وعطف سكان الريف وتوعيتهم بضرورة الانتخاب[2]، كما عكف فرع الاتحاد الديمقراطي بندرومة بتعيين مندوبين عن فروع الحزب لتمثيله في مكاتب الاقتراع ، ومراقبة سير الانتخابات، وهذا وفق ما نصت عليه التشريعات والمراسيم الفرنسية، وبالتالي عدم تجاوز قراراتها.

واستعدادا لانتخابات 1948؛ أجتمع قادة فرع الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بندرومة يوم 22 فيفري 1948، وقرروا إرسال أمين الحزب محمد بن عمار جباري يوم 26 فيفري إلى وهران قصد الاجتماع مع باقي أعضاء الحزب لاختيار مرشح الحزب في الانتخابات[3]، كما كان مبرمجا زيارة فرحات عباس لمدينة ندرومة يوم 03 مارس للفصل في اختيار المرشح للانتخابات بين شخصيتين نافذتين وهما محمد زرهوني رئيس جماعة ندرومة، ومحمد صالح الكبير المستشار العام من نمور، وقد وقع الاختيار على محمد صالح لكن دون حضور فرحات عباس[4].

وفيما يتعلق بتعيين ممثلين عن الأحزاب السياسية لمراقبة سير الانتخابات كان أمر نظري فقط ولم يطبق بالصورة التي كان ينتظرها الجزائريون، وهذا ما لمسه أحد ممثلي فرع الاتحاد الديمقراطي بندرومة السيد محمد بن عمار جباري الذي شارك كمندوب عن الاتحاد الديمقراطي في دوار بني مسهل؛ حيث جاء في مذكراته:« توجهت مع ديدي محمد وعبد القادر صفراوي[5] إلى زاوية سيدي بن عمار في دوار بني مسهل، وهو مكان صعب بالنظر إلى الضغط الإداري الذي

---

(1)- محمد العربي (الزبيري)، مرجع سابق، ص 124.

(2)- L'Administrateur Principal: **Rapport Mensuel de la Commune Mixte de Nedroma,** ; Mars 1948, AOM, **Carton N°//19**.

(3)- Ibid, Idem.

(4)- Ibid, Idem.

(5) - توفي يوم 12 أوت 1957 بعد مناوشات مع فرقة عسكرية سينغالية أسقطت الكثير من القتلى في سوق ندرومة.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

كان قويا، عندما وصلنا إلى زاوية سيدي بن عمار وجدنا أعوان القائد، حراس الغابات، والدرك الذين كانوا على أهبة الاستعداد كأنهم في حالة حرب؟! رفض رفقائي المضي قدما، ووقفوا في مكانهم رافضين التقدم إلى مكتب الاقتراع خوفا من الإدارة، وكذلك خوفا على مستقبل أسرهم، فأخذت منهم حزمة من بطاقات الانتخاب المحتمل توزيعها على الناخبين، وقد تفاجئ أعوان الإدارة والدرك من تقدمي نحوهم ... دخلت مكتب الاقتراع واكتشفت أنه لا يوجد سوى مندوب واحد عن حركة انتصار الحريات الديمقراطية كان قد قدم من الغزوات، نصحني رئيس مكتب الاقتراع مختار بغدادي بمراقبة سير الانتخاب ونصحني بعدم الكلام وعدم إبداء أي ملاحظة مهما يحدث...، لم يمر وقت طويل حتى طرد مندوب حركة الانتصار قسرا من مركز الانتخاب بعد ملاحظة جد تافهة، أمّا أنا فقررت البقاء بصرف النظر عن أي مخالفات رأيتها لكنني لم أتردد في طرحها والكشف عنها في تقريري». [1]

إن هذه الرواية تبرز بجلاء الضغوطات التي تعرض إليها الجزائريون خلال عملية الانتخاب والعوائق التي تضعها أمامهم السلطة الفرنسية، وليس أدل على ذلك ما تفاجئ به مندوب الاتحاد الديمقراطي محمد بن عمار جباري حين عاد إلى ندرومة بعد غلق مكاتب الاقتراع واكتشف أنّ كل مندوبي الحزب في نواحي ندرومة قد عادوا صباحا ومنعوا من حضور ومراقبة سيرورة الانتخاب؛ حتى أنهم كانوا متخوفين – على حد قوله- حول مصيره لمّا لم يروه في ندرومة [2].

تجاهلت الإدارة الفرنسية عمليات التزوير التي لحقت بانتخابات سنة 1948، واعتبرت هزيمة ممثلي الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري مرتبطة بمدى نفوذهم في المنطقة والذي شهد على حد تعبيرها تراجعا حتى قبل إجراء الانتخابات، وأضاف مدير بلدية ندرومة في تقريره الشهري موضحا أن عددا من الموالين لفرع الاتحاد الديمقراطي بندرومة صاروا مترددين وأعلنوا أسفهم في الوقوف إلى جانب الحزب الذي انهزم في الانتخابات[1].

---

(1)- Mohammed Benamar (Djebbari) : **un parcours rude…**, Op.Cit, T2, p 190

(2)- Ibid, p 191.

(1)- L'Administrateur Principal : **Rapport Mensuel de la Commune Mixte de Nedroma** ; Novembre 1948, AOM, **Carton N°//19**.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

هذه محاولة من طرف الإدارة الفرنسية لخلق البلبلة أوساط الندروميين والتأثير عليهم لإضعاف مكانة الإتحاد الديمقراطي بينهم، وسرعان ما اتضح مسعاها بعدما بدأت بملاحقة أعضاء الحزب، وهذا ما سنشير إليه في العناصر القادمة.

6-1-4-2-حادثة القائد عبد الرحمان بكوش:

القائد عبد الرحمان بكوش من أصول ندرومية ينتسب إلى العائلة الكبرى غمارة؛ كان رجل متواضع ، كما لم يبرز تبعيته المطلقة للإدارة الفرنسية، وقد أنهى مشواره باكرا حيث قطع علاقاته مع الإدارة الفرنسية والتجأ إلى المغرب [1].

لكن تواضع هذا القائد لا يفسر موقفه تجاه فرع الاتحاد الديمقراطي بندرومة؛ ففي عشية انتخابات مجلس الجماعة في مساء 14 نوفمبر 1947 في خضم اجتماع للمناضلين اقتحم القائد بكوش محل مجاور لمنزله ولوّح بمسدسه نحو المناضلين وبخاصة صوب المناضل محمد لمين بسام وهو بائع أجهزة، ومن أعيان مدينة ندرومة؛ بحجة أن قادة الفرع أزعجوه بأصواتهم الصادرة من مقرهم [2] ، فهل كان مبعوثا من طرف جهة معينة للقيام بهذا العمل المجنون؟!

قرر قادة الفرع وعلى رأسهم الأمين العام محمد زرهوني ومحمد بن عمار جباري ومحمد بسام رفع شكوى ضد القائد عبد الرحمان بكوش وقصدوا درك المدينة بالفعل.

بتاريخ 12 ديسمبر 1947؛ قدم مدير بلدية ندرومة المختلطة الجديد وهو بول لوسات (Paul Le Sept)، وبعد أيام قلائل من قدومه تمّ إخطار فرع الاتحاد الديمقراطي بموعد الجلسة الأولى لمحاكمة عبد الرحمان بكوش ، لكن المدير لوسات قام بدعوة أعضاء فرع الاتحاد الديمقراطي إلى مكتبه، وطالبهم بسحب شكواهم ضد القائد بكوش؟![1]

في الحقيقة؛ يجب أن نأخذ بعين الاعتبار أن الأمين العام لفرع الاتحاد الديمقراطي بندرومة هو رئيس مجلس الجماعة في الوقت نفسه وكان هذا عاملا فاعلا في دعم الحزب، وخلق امتعاضا سواء لدى السلطة الفرنسية أو عند قياد المدينة الذين كانوا يخضعون أولا وأخيرا لقرارات السلطة الفرنسية، وحتى وإن كان عبد الرحمان بكوش قائد سابق للمدينة بالنظر إلى قائدها في تلك الفترة

---

(1)- Mohammed Benamar (Djebbari) : **un parcours rude…**, Op.Cit, T2, p 192

(2)- Ibid, Idem.

(1)- Ibid, p 193

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وهو سليمان بلعابد؛ غير أنه لا يزال يحض بمكانة لدى هذه السلطة، وهذا ما أكده بول لوسات لقادة فرع ندرومة لمّا أخبرهم أنّ عبد الرحمان بكوش عون سلطة إدارية، ولا يجب أن يخضع للمحاكمة كأي شخص من العامة.هذا القول من شأنه أن يدعم فكرة أن السلطة الفرنسية هي التي حرضت القائد بكوش للقيام بمثل هذا العمل بطريقة ما؟[1]

قرر قادة فرع ندرومة عقد اجتماع بحضور كافة المنخرطين وعرض اقتراح لوسات الذي منحهم مهلة يومين للرد عليه، وخلصوا إلى كتابة تقرير من صفحتين أعده كل من محمد زرهوني ومحمد بن عمار جباري، وتمّ تقديمه إلى مدير البلدية.

غلب على هذا التقرير الأسلوب الدبلوماسي، ورغم احتوائه على تصريح من قادة الفرع بسحب الشكوى؛ غير أنّ قيادة الفرع قررت عرض مطالبها وكان أهمها[2]:

1- وجوب حضور القائد لتقديم اعتذار علني أمام كل أعضاء الفرع المجتمعين وبخاصة أمام السيد بسام الذي خضع للتهديد؛

2- لا ينبغي على أعوان الإدارة الفرنسية أن يخلقوا لنا عقبات وصعوبات حين تنقلنا إلى الدواوير؛

قرأ لوسات (Le Sept) التقرير بتمعن حتى نهايته، وقد لقيت بعض المطالب قبولا عنده وأخرى رفضها، ومن بين ما رفض المطلب الأول المتعلق باعتذار القائد عبد الرحمان بكوش؛ حيث أشار لوسات أنه مطلب لا يمكن تصوره على الإطلاق بحجة ما سيلحق القائد من ضرر لكرامته وهيبته، وبالمقابل وعد لوسات (Le Sept) أنّه سيرغم عونه (القائد) بتقديم اعتذاراته لممثلي فرع الاتحاد الديمقراطي السيد زرهوني ومحمد بن عمار جباري، وبصفة فردية للسيد محمد بسام بحضوره إلى المكتب (مكتب مدير البلدية)، وليس أمام الملأ.

أما فيما يتعلق بالمطلب الخاص بتنقل قادة الفرع بين الدواوير؛ فقد قبل لوسات (Le Sept) كتشجيع من قبله لمناضلي الفرع لكن مع وجوب إخبار الإدارة برغبتهم هذه قبل خروجهم بثمانية وأربعين (48) ساعة لدواع أمنية[1].

1- Mohammed Benamar (Djebbari) : **un parcours rude…**, Op.Cit, T2, p 194

2- Ibid, Idem.

1- Ibid, p 195

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

على كل حال أجبر القائد بكوش على تقديم الاعتذار لمسؤولي الفرع في مكتب مدير البلدية، وهذا ما أرضى القادة ولو بعد حين؟ لأنّ علاقة فرع الاتحاد الديمقراطي مع مدير بلدية ندرومة المختلطة السيد بول لوسات (Paul Le Sept) أخذت منحى آخر.

6-1-4-3- بول لوسات مدير بلدية ندرومة المختلطة وفرع الاتحاد الديمقراطي:

سعى بول لوسات (Paul Le Sept) مدير بلدية ندرومة المختلطة لفرض سيطرته على مدينة ندرومة مركز البلدية والمناطق المجاورة لها منذ الأيام الأولى لقدومه إليها، وقد اتضح ذلك في وساطته في قضية القائد عبد الرحمان بكوش وفرع الاتحاد الديمقراطي؛ هذا الأخير أدرك مسعى بول لوسات في تقوية سند الإدارة الفرنسية في ندرومة بمحاصرة كل سكان المدينة والقبائل المجاورة وإخضاعهم لرغبات وتعسف قياد المدن والدواوير ممثلو هذه الإدارة، بالإضافة إلى المراقبة المستمرة لجماعة الأعيان والمثقفين في المدينة وبخاصة معلمي مدرسة ندرومة التي التحق بها أطفال بول لوسات، والتي أغلب قادة فرع الاتحاد الديمقراطي معلمون يشتغلون فيها، والذين كانوا واعين بملاحقة بول لوسات لهم، باعتبارهم ممثلين لحركة سياسية هي الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري التي بدأت تضر بمصلحة وسيادة الإدارة الفرنسية؛ وبالتالي لا بد من محاصرتها وتضييق الخناق على كل فروعها بما فيها فرع ندرومة الذي كان في أغلب الفترات مزدوج الإيديولوجية؛ فمن جهة ممثل لحزب الاتحاد الديمقراطي وممثل للتيار الإصلاحي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من جهة ثانية[1].

حاول بول لوسات (Paul Le Sept) خلق التفرقة والبلبلة بين قادة فرع الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري؛ وقد استغل فرصة غياب رئيس الفرع محمد زرهوني ونائبه محمد بن عمار جباري لحضور مؤتمر للاتحاد الديمقراطي يومي 25 و26 سبتمبر 1948 في مدينة سطيف[2] وتمكن من جذب انتباه أحد أعضاء الحزب وهو محمد رحموني الذي تفاجئ رفقائه المتواجدين آنذاك في مدينة سطيف بمقال موّقع باسمه في جريدة (Alger Républicain) لسان حال الحزب الشيوعي

---

[1] - استقل محمد البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حين زار ندرومة سنة 1949 لتدشين مدرسة ندرومة سيارة السيد فرحات عباس زعيم الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري؛ وهذا يعد نموذجا من نماذج التقارب بين التيارين الإصلاحي والسياسي في الجزائر.

[2] - L'Administrateur Principal : **Rapport Mensuel de la Commune Mixte de Nedroma ;** Septembre 1948, AOM, Carton N° //19 .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

يعتذر فيه لجماعة المعلمين المنخرطين في فرع الاتحاد الديمقراطي بندرومة؛ بأنه لا ينتسب إلى هذا الحزب[1].

في الواقع؛ إن هذا التصريح من طرف المدعو محمد رحموني لا يبرز تدخل مدير بلدية ندرومة المختلطة بول لوسات (Paul Le Sept) سواء من قريب أو بعيد، لكن محمد بن عمار جباري وهو مناضل بارز في فرع الاتحاد الديمقراطي والذي كان متواجدا يومها في مدينة سطيف لحضور فعاليات مؤتمر الحزب يؤكد ذلك بقوله:« نجح لوسات في ضربته الأولى» [2] ، هذا العمل من طرف رحموني لم ينقص من عزيمة قادة الفرع الذين اعتبروه عمل جبان، وقرروا مضاعفة نشاطهم.

لكن استغراب وتفاجئ محمد بن عمار جباري في انضمام زميله السابق رحموني إلى الحزب الشيوعي ليس له تفسير، خاصة وأنه جاء متأخرا – حوالي سنتين- لأنّ رحموني كان قد عين رئيسا لفرع الحزب الشيوعي بندرومة بتاريخ 28 مارس 1946[1] في اجتماع علني لممثلي الحزب الشيوعي بمغنية في مدينة وهران حضره عدد معتبر من سكان ندرومة[2].

بتاريخ 14 سبتمبر 1950؛ زار فرحات عباس ندرومة رفقة أحمد فرانسيس والبروفيسور طاهر أحمد؛ يومها لم يسمح لهم مدير البلدية بول لوسات بعقد اجتماع عام مع السكان، وبعد ثلاثة أيّام صرح فرحات عباس في مدينة بني صاف قائلا: « في ندرومة؛ لم يسمح لنا المدير بالكلام... سيأتي يوم على هذا المدير ينزع فيه قبعته أمام محمد-مسلم- ويدعوه لتناول القهوة »[3].

مارس بول لوسات كل سلطاته لتضييق الخناق على فرع الاتحاد الديمقراطي في ندرومة؛ حتى أنه راسل مدير الأكاديمية في وهران لإصدار عقوبات ضد المعلمين الأهالي في ندرومة وهم يشكلون أغلبية في صفوف المنخرطين في الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري؛ لكن

---

(1)- Mohammed Benamar (Djebbari) : **un parcours rude…**, Op.Cit, T2, p 198

(2)- Ibid, Idem.

(1)- ينظر الملحق رقم 15.

(2)- Commune Mixte de Nedroma : **Rapport sur la situation politique** ; 31 Mars 1946, AOM, **Carton N° 19H/16**

(3)- Gilbert (Grandguillaume) : "une médina de l'ouest Algérien : Nedroma", In : **Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée**, N° 10, 1971, p 72.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

رئيس الأكاديمية السيد بوري (Boury) رد عليه بالقول أنه يأخذ بعين الاعتبار فقط الجانب المهني للمعلمين والذي لا غبار عليه[1].

ركّز بول لوسات سياسته ضد المعلمين المسلمين سواء كانوا من جماعة الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري أو من أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؛ وذلك عن طريق تجنيد بعض من المعلمين الموالين للإدارة الفرنسية من الجانبين الجزائري والفرنسي، وقد اتضحت سياسة بول لوسات خلال زيارة والي وهران السيد بوراني (Perany) إلى ندرومة يوم 21 جانفي 1951؛ يومها اغتنم مدير البلدية بول لوسات وأعوانه ومنهم القائد بلعابد الفرصة لإطلاق جام غضبهم على جماعة المعلمين المسلمين من جماعة الاتحاد الديمقراطي، وقد دعمهم في ذلك معلم جزائري [1] – لا نعلم من يكون- شبّه المعلمون المسلمون في مدينة ندرومة بالرعاة السيئين (les mauvais Bergers) الذين يسعون لتحقيق مصالحهم بخلق الفرقة والفتنة بين الناس و جعلهم أعداء.

هذه الاتهامات التي أطلقها هذا المعلم لا علاقة لها بالأمر الواقع؛ ذلك أن هؤلاء المعلمون عملوا على نشر الوعي بين السكان وحثهم على التعلم، وتنويرهم سياسيا وذلك من خلال إكسابهم فكر الانتماء إلى وطنهم والشعور به وكذلك المطالبة بالتمتع ببعض السيادة داخله، والكشف عن ظلم وإجحاف النظام الاستعماري [2] .

وبعد أن نشر أحمد رحالي وهو عضو نشط في فرع الاتحاد الديمقراطي مقالا في جريدة الجمهورية يندد فيه بموقف والي وهران وإدارة بلدية ندرومة، رد عليه مدير البلدية بول لوسات قائلا: « إنّ الرعاة السيئون الذين وردوا في الخطاب، تمت معرفتهم بسرعة، ومن بينهم رحالي أحمد...»[3].

---

(1)- Mohammed Benamar (Djebbari) : **un parcours rude…**, Op.Cit, T2, p 198.

(1)- نشر هذا الأمر في مقال للسيد أحمد رحالي عضو فرع الاتحاد الديمقراطي بندرومة والمكلف بالإعلام في جريدة الجمهورية الجزائرية لكنه لم يذكر اسم المعلم، للمزيد ينظر La république Algérienne, 01 Février 1952.

(2)- Ahmed (Rahali) : "les mauvais Bergers et les bons", In **La république Algérienne**, 01 Février 1952.

(3)- Service des liaisons Nord- Africaines (département d'Oran): **Renseignement**, le 13 Février 1952, AOM, **Carton N°//111**.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

مع ذلك واجهت الإدارة الفرنسية في ندرومة ممثلة في مدير البلدية بول لوسات صعوبة في فرض سيطرتها حين اصطدمت بالدعم الكبير الذي كان يقدمه السكان لفرع الاتحاد الديمقراطي وبخاصة عند كل موعد انتخابي.

أمام هذا الدعم من طرف السكان لفرع الاتحاد الديمقراطي؛ تبنى بول لوسات سياسة لينة ودبلوماسية تجاه السكان الذي كان يبدي لهم النصح والابتسامة باستمرار سعيا لجذب المقاومين إليه ومنهم جماعة الاتحاد الديمقراطي قائلا " **الدكتاتورية ليست صنيعي** " [1] ، وقد نجح في ذلك إلى حد بعيد؛ ذلك أنّه تمكن من جذب رئيس فرع ندرومة الذي كان رئيس مجلس الجماعة في الوقت نفسه، وباعتباره رئيس الجماعة كان يحضر ويشارك في اجتماعات اللجنة البلدية، وبالتالي كثير الاحتكاك بممثلي الإدارة الفرنسية وفي مقدمتهم بول لوسات الذي نجح في الفوز بثقته، وقد اتضح ذلك بعزوف رئيس الجماعة وممثل فرع الاتحاد الديمقراطي بندرومة عن نشاطه النضالي داخل الفرع والحزب، حيث قدّم استقالته من عضوية الحزب ورئاسته للجماعة على التوالي يوم 5 أفريل 1951؛ وذلك بعدما أصرّ أعضاء من مجلس الجماعة وكذلك من فرع الاتحاد الديمقراطي على زرهوني بالذهاب إلى مدير البلدية لإيضاح رفضهم واستنكارهم لما لحق بمدير مدرسة جمعية العلماء بندرومة السيد عبد الوهاب بن منصور، وذلك بعد زيارته لمنطقة بن عايش بدوار السواحلية بتاريخ 30 مارس 1951 [1].

والواقع؛ أنّ أعضاء فرع الاتحاد الديمقراطي بندرومة رفضوا استقالة زرهوني وقاموا بإقصائه من عضوية الحزب لما أبرزه من عدم الانضباط وانحراف في السلوك تجاه الحزب[2].

استمر فرع ندرومة في النشاط، و قد تولى رئاسته محمد بن عمار جباري، وأحمد رحالي ظل مكلفا بالإعلام والصحافة، وعباس رحال مكلف بالأمور المالية، وأحمد رمعون مساعد، وقد

---

(1)- Nedromah ; un administrateur modèle, In : **la république Algérienne**, 18 Juillet 1952.

(1)- L'Administrateur Le Sept : **Rapport Mensuel de la Commune Mixte de Nedroma, Mois d'Avril 1951**, AOM, Aix en Provence, **Carton N° //34.**

(2)- Ibid.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أكد الفرع من جديد استمراريته وارتباطه بالحزب وبقادته والإشادة بأعمالهم؛ حيث أقام جلسة بتاريخ 28 أكتوبر 1951 بمناسبة ذكرى وفاة الدكتور سعدان[1] .

طبّق فرع الاتحاد الديمقراطي بندرومة سياسات الحزب وقرارات زعيمه فرحات عباس، ومن تلك القرارات عدم المشاركة في الانتخابات [2] بالنظر إلى عمليات التزوير والإزعاج والتعسف بكل أشكاله الذي كانت تمارسه الإدارة الفرنسية عند كل حملة انتخابية في شتى المناطق والأقاليم، وقد برز امتناع فرع الاتحاد الديمقراطي بندرومة عن الانتخابات استجابة لقرار زعيم الحزب فرحات عباس أثناء انتخابات تجديد أعضاء المجالس العامة ومنها المجلس العام بوهران يوم 07 أكتوبر 1951، والتي فاز فيها ممثل الإدارة الفرنسية سليمان بلعابد آغا ندرومة و بني منير أمام المستشار العام لمنطقة نمور(الغزوات) صالح أحمد الكبير ممثل قائمة الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري [1].

أجواء دعر، وتهديد، ووشايات، ومضايقات كانت تزداد كلما اقترب موعد الانتخابات [2]؛ لذلك قرر فرع الاتحاد الديمقراطي ضرورة التواجد والحضور باكرا بالقرب من مكتب الانتخاب قبل بدء الاقتراع وإلى غاية منتصف النهار، وقد لاحظ قادة الفرع أنّ عدد الناخبين قليل باستثناء من عرفوا على الدوام بعلاقاتهم مع الإدارة الفرنسية، كما لاحظوا أنّ أول من لحق بمكتب الاقتراع كانوا من جماعة البرجوازيين الذين كانوا في السابق عونا معنويا وماديا لمناضلي حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، ويضاف إلى هؤلاء عدد من السكان والمناضلين في الحزب والذين كانوا أكثر عرضة لضغوط ورقابة الشرطة الفرنسية وأعوانها وفي مقدمتهم القائد[3] .

رغم قلة نسبة المشاركة في الانتخابات؛ غير أنّ الصناديق كانت مملوءة، وجل البطاقات صوتت لصالح ممثل الإدارة الفرنسية القائد سليمان بلعابد بـ (850) صوت من مجموع (997)،

1- **La république Algérienne**, 09 novembre 1951.

2- قررت حركة الانتصار للحريات الديمقراطية MTLD بدورها المشاركة في الانتخابات.

1- L'Administrateur Paul le Sept : **Rapport Mensuel de la Commune Mixte de Nedroma** ; Septembre 1951, AOM, **Carton N°//34**.

2- **la république Algérienne**, 18 Juillet 1952.

3- Mohammed Benamar (Djebbari) : **un parcours rude…**, Op.Cit, T2, p 202.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وقد أخذ بعين الاعتبار الأصوات المقبولة والملغاة معا[1] وهذا بالنظر لما كان يحض به سليمان بلعابد من إعجاب واحترام من طرف الإدارة الفرنسية التي نشرت في احد تقاريرها سنة 1946: « سليمان بلعابد قائد دوار ندرومة وبني منير موظف شاب؛ ذوو أحاسيس فرنسية ومنها الذكاء الذي فرضه على زملائه»[2]، فكيف نفسر إذن حفلة السُكْرْ التي أقامها لوسات في منزله على شرف هذا القائد[3] ، الذي كسب ثقة السلطة الفرنسية إلى عشية اندلاع الثورة التحريرية فقد ورد في شأنه:« الباش آغا بلعابد؛ تمكن بذكائه، ومعرفته، وبأسلوبه الحديث في فهم دور القائد من اكتساب سلطة ونفوذ كبير»[1].

أيّام قليلة بعد الانتخابات؛ قام والي ولاية وهران السيد لومبار (Lambert) بزيارة إلى مدينة ندرومة، وقد وصفته جريدة الجمهورية الجزائرية لسان حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري تهكما كجنرال فتح مدينة.

ترأس لومبار (Lambert) اجتماعات بمكتب المدير بحضور كل السلطات والأعيان المحليين من الفرنسيين، والإسرائليين، والمسلمين الموالين لمدير بلدية ندرومة المختلطة السيد بول لوسات.

كان من ضمن المشاركين بعض المعلمين الفرنسيين ومنهم السيد فافيي (M^{er}.Favier) مفتش الشعبة والآنسة بيرونجي هانغيت (M^{elle} Béranger Henriette) مديرة مدرسة الإناث بندرومة؛ هذه الأخيرة أخبرت بعض المعلمين من فرع الاتحاد الديمقراطي عن استغرابها كونهم تتلمذوا في المدارس الفرنسية ويتقاضون أجورهم من فرنسا ومع ذلك يعملون ضدها. إنّ تصريح هذه المعلمة الفرنسية يوضح ولو بنسبة قليلة ما كان يناقش داخل مكتب مدير البلدية ووالي عمالة وهران وسعيهما لمحاصرة المعلمين الأهالي وتضييق الخناق عليهم وبخاصة

---

(1)- L'Administrateur Paul le Sept : **Rapport Mensuel de la Commune Mixte de Nedroma** ; Octobre 1951, AOM, **Carton N° //34**

(2)- L'Administrateur Principal : **Rapport Bimensuel de la Commune Mixte de Nedroma** ; 2eme Quinzaine de Novembre 1946, AOM, Carton N° 19H/16.

(3)- **La république Algérienne**, 18 Juillet 1952 .

(1)- **Lettre de Sous- Préfet de l'arrondissement de Tlemcen à M^{er} le Préfet - SLNA :Situation Région Marnia-Nedroma,** Le 15 Septembre 1954, AOM, **Carton N° 5I/153**.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المنخرطين في حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري. ففي مساء يوم الاجتماع مع والي وهران؛ وبعد انتهاء الحصص التدريسية خرج المعلمون الأهالي من الأقسام رفقة تلاميذهم وكان من بينهم المعلم محمد بن عمار جباري؛ الذي تفاجأ بمدير المدرسة السيد قراسي (M^er. Grassi) يطلب منه العودة إلى المكتب أين كان يتواجد المفتش فافيي الذي يريد محادثته، ولمّا وصل إلى المكتب، تفاجئ أنه ليس الوحيد بل هناك عدد آخر من المعلمين وهم رفقاؤه في فرع الاتحاد الديمقراطي ؛ عباس رحال، أحمد رحالي، وسيد أحمد رمعون، والذين عرض عليهم المفتش فافيي توصية الإدارة الفرنسية وبأنّه مجرد وسيط بينها وبين المعلمين، وصرّح لهم قائلا: « أنتم مسلط عليكم الضوء؛ تنشطون في حزب لا يرضي البتة الإدارة المدنية»، ثم أضاف قائلا: « عليكم بإيقاف نشاطاتكم في هذا الحزب، وستسير الأمور للأحسن، أو تواصلون نشاطاتكم وتعلمون عواقب ذلك»[1] .

هذه الملاحقة من طرف السلطة الفرنسية لم تقتصر على المنخرطين في فرع ندرومة فقط؛ بل كل الفروع في الناحية الغربية، وقد حدث لممثل فرع الاتحاد الديمقراطي بمغنية السيد عبد اللطيف رحال نفس الأمر الذي لحق بزملائه في مدينة ندرومة، وكان عبد اللطيف رحال قد تعرض لأعمال استفزازية من طرف مفوض الشرطة في مدينة مغنية إزاء نشاطه النضالي، فقرر فرع ندرومة عقد جمعية عامة ندد من خلالها بأعمال مفوض الشرطة وأعلن مساندته للمناضل عبد اللطيف رحال[2] .

لكن الإدارة الفرنسية أغفلت حقيقة التلاحم بين فروع الاتحاد الديمقراطي بما فيها فرعا ندرومة ومغنية وحقيقة مراقبتها لأعضاء فرع ندرومة، وادعت أنّ فرع مغنية « قد أسرع في طلب عودة عبد اللطيف رحال إلى الفرع قصد إنعاشه تفاديا لما حدث من الانفصاليين في مدينة ندرومة التي أبدى عدد كبير من سكانها المسلمين مساندتهم لما جاء في خطاب والي عمالة وهران، وأعلنوا تمنياتهم ورغبتهم في إبعاد هؤلاء الإنفصاليين الذين عكروا صفو عقول سكان المدينة»[3].

---

(1)- Mohammed Benamar (Djebbari) : **un parcours rude…**, Op.Cit, p 203.

(2)- **La république Algérienne**, 25 Avril 1952.

(3)- Service des liaisons Nord- Africaines (département d'Oran): **Renseignement**, le 13 Février 1952, AOM, **Carton N°//111**.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

في ظل هذه المتابعة والمراقبة المستمرة من طرف الإدارة الفرنسية؛ قرر الأعضاء الأربعة لفرع ندرومة وهو جباري، رحالي، رحال، ورمعون رفقة عبد اللطيف رحال الاجتماع لدراسة الوضع قبل تفاقمه، وقد كان الاجتماع بمنزل محمد بن عمار جباري الذي كان من حين إلى آخر يخرج لاستطلاع الوضع، والذي تفاجئ بسي محمد بوعناني خوجة القائد سليمان بلعابد يقوم بجولته بهدف مراقبة أعضاء الحزب، وهذا دليل على مدى الضغط الذي كان يتعرض له قادة الفرع.

خرج أعضاء الحزب بقرارات هي:

1- إخطار فرع النقابة الوطنية للمعلمين (SNI)، وإرسال تقرير لها حول ما يحدث لهم باعتبارهم معلمين؛

2- أخذ الاحتياطات؛ حيث يجب على كل واحد منهم طلب تحويل من مدرسة ندرومة قبل أن تقوم الإدارة بإجراءاتها وتصادق عليها، وقبل نهاية السنة الدراسية.

وبالفعل تمكن الأعضاء والرفقاء الثلاثة عباس رحال، أحمد رحال، وأحمد رمعون من نيل وثيقة التحويل إلى مدارس في ولاية وهران التحقوا بها في 01 أكتوبر 1952، واستقروا هناك لسنوات طوال.

وكانت أسماء القادة الأربعة للفرع وهم جباري، رمعون، رحالي، ورحال؛ قد بدأت تغيب عن قائمة النشطين في الفرع والفاعلين في الجمعيات العامة، وقد اتضح ذلك في العناوين المحلية لجريدة الجمهورية الجزائرية ابتداء من شهر فيفري 1952؛ ففي اجتماع لفرع ندرومة بمناسبة الذكرى التاسعة لبيان الشعب الجزائري ورد إسم الشيخ عبد الوهاب بن منصور وهو من رجال الإصلاح في شعبة جمعية العلماء بندرومة، وغميني قدور كأمين للفرع بدل محمد بن عمار جباري، وسي عبد القادر نورين مكلف بالمالية بدل عباس رحال [1]، وقد أوضحت جريدة الجمهورية في عدد آخر؛ أنّ كبار المناضلين في الفرع (المؤسسين) وفي مجملهم أساتذة منشغلون بتربية النشء وتقديم محاضرات حول الأمة والتراث، وكذلك حول الشخصية التاريخية عبد المؤمن بن علي [2]، وما هذا الأمر إلاّ محاولة لتغطية غياب القادة الرئيسيون في فرع ندرومة عن نشاطات الفرع الرئيسية ونقصد بذلك النشاطات السياسية.

---

(1) - **La république Algérienne**, 22 Février 1952 .

(2) - Ibid., 29 Février 1952.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والواقع أنّ الأعضاء الجدد للفرع لم يكونوا من فئة المعلمين والمثقفين، فمصطفى طكوك كان حلاق، وعبد القادر صفراوي وعبد القادر نورين كانا من أهل الريف الأول من بني منير، والآخر من سواحلية[1] ، ومع ذلك ظل فرع الاتحاد الديمقراطي بندرومة أحد الفروع القليلة التي حققت أهداف الحزب وهي: فرع سطيف، فرندا، أوغليون فيل (الشلف)، وفرع ميلو، التي تمكنت من تجديد كل بطاقات المنخرطين[1]، مما يبرز اهتمام السكان ببرنامج وأهداف هذا الحزب.

أن سياسة المحاصرة والملاحقة التي أعلنتها السلطة الفرنسية على إدارة فرع ندرومة لم تأت من فراغ وذلك بالنظر إلى الأجواء الحماسية التي بثها أعضاء الفرع بين السكان وزكتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي رافقت مناضلي الاتحاد الديمقراطي في أنشطتهم داخل ندرومة وخارجها وشكلت دعما قويا لهم زاد من تأثيرهم على السكان وجعلت إيديولوجية الاتحاد الديمقراطي في ندرومة إيديولوجية مزدوجة تجمع بين الحداثة والأصالة. هذا الأمر رفضته الإدارة الفرنسية التي ضغطت بقوة على المعلمين المحرك الرئيسي للفرع والذين ردوا عليها بتأكيد ثباتهم على مواقفهم والعمل على مضاعفة نشاطاتهم، والتي استقبلها السكان بحفاوة وقد عبروا عن ذلك بتهافتهم على مقر الفرع الذي ضاق بهم، فاستعان أعضاء الفرع برفقائهم من جمعية العلماء وبخاصة من المعلم عبد الوهاب بن منصور المسؤول عن مدرسة جمعية العلماء بندرومة الذي لم يتوان في تقديم الدعم والمساعدة لهم[2] إلى حد المشاركة وترأس اجتماعات الفرع وهذا تعبير قوي على مدى التقارب بين فرع الاتحاد الديمقراطي وشعبة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ندرومة.[3]

على الرغم من مضايقات الإدارة الفرنسية المستمرة؛ لقي حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري الترحيب من طرف سكان ندرومة ، وكان التيار السياسي الأول في المدينة بدعم من فئة الأعيان والبرجوازيين ومنهم رئيس مجلس الجماعة و بمساندة فئة المعلمين الذين وسعوا قاعدته أكثر فأكثر داخل ندرومة وخارجها، وقد زاد ثقل ومكانة حزب الاتحاد الديمقراطي في ندرومة دعم

- (1) Mohammed Benamar (Djebbari) : **un parcours rude…**, Op.Cit, T2, p 220
- (1) **La république Algérienne** , 07 Mars 1952.
- (2) Ibid, 04 Janvier 1952
- (3) Ibid, 23 novembre 1951

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

العلماء الإصلاحيين له بعد تأسيس شعبة جمعية العلماء المسلمين في المدينة، وهذا ما سينضح في العنصر القادم.

6-2-جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

نصّ القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين على ضرورة العودة إلى تعاليم الإسلام الصحيحة وضرورة تطبيق ما نص عليه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والابتعاد عن المعتقدات الخاطئة والممارسات التي لا تمت بصلة للإسلام كالتمسح بالأضرحة، وتقديس وتمجيد ما يسمى بالأولياء الصالحين، ومحو كل الطقوس التي صار يمارسها الجزائريون بتزكية من رجال الطرق الصوفية والزوايا. هذه الأخيرة كان لها وزن وثقل داخل المجتمع الجزائري فقد سيطر الطرقيون على عقول الجزائريين فصاروا يخضعون لأوامرهم ويلبون رغباتهم، وهذا ما كان يحدث في أقاليم ومدن كثيرة بما فيها مدينة ندرومة التي شهدت انتشار واتساع للنفوذ الطرقي رغم صغر مساحتها.

إنَ النفوذ والسيطرة التي عرفتها الطرق الصوفية في المدن والأرياف الجزائرية بما فيها مدينة ندرومة يتعارض مع مبادئ وأهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الرامية لتثبيت قواعد الإسلام الصحيحة في أذهان الجزائريين، ولذلك قررت جمعية العلماء مواجهة النفوذ الطرقي وإرشاد الجزائريين إلى المنهج الصحيح في ممارسة الدين، وقد اعتمدت في ذلك على طرق عديدة كان أهمها المقالات الإصلاحية وكذلك الرحلات والجولات العلمية في مختلف المدن والأرياف الجزائرية التي قام بها رجال جمعية العلماء طيلة مشوارهم الإصلاحي، ومن بين تلك الرحلات والجولات جولة عبد الحميد بن باديس في نواحي وهران ومروره بمدينة ندرومة. فيا ترى ما كان وقع هذه الزيارة على سكان مدينة ندرومة وبخاصة على رجال الطرق الصوفية؟

6-2-1-زيارة عبد الحميد بن باديس لمدينة ندرومة سنة 1932:

سعيا لتحقيق أهداف الجمعية وتطبيق قوانينها أعلنت الجمعية حملتها الإصلاحية لمسح الشوائب التي غطت تعاليم الإسلام الصحيحة والأصيلة؛ وذلك عن طريق مقالاتها الصحفية في جريدة الشهاب وبعثاتها وجولاتها العلمية في القطر الجزائري، فمن بين أهم أعمالها الصحفية مقالات الشيخ الطيب العقبي والتي تمحورت في الأساس على الهجوم على الطرقيين والطرق

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الصوفية، وكذلك مقالات مبارك الميلي التي جمعت بعد ذلك في كتاب بعنوان الشرك ومظاهرة بهدف إعادة الجزائريين إلى الطريق الصواب والتخلي عن المعتقدات البالية التي اعتنقوها.

أما بالنسبة للرحلات والبعثات العلمية؛ فقد كلف بها رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ البدايات الأولى لجمعية العلماء، ومن أهم تلك الرحالات والجولات العلمية؛ تلك التي كان يقوم بها رئيس الجمعية عبد الحميد بن باديس في العمالات الثلاث، ومنها عمالة وهران التي زارها سنة 1932[1] ، وقام بجولة في أهم مدنها وقراها وكان من ضمن ما زاره مدينة ندرومة « ... البلدان التي زرتها المدية، البرواقية، قصر البخاري، الجلفة الأغواط، آفلو، سوقر، تيارت، فرندة، معسكر، سعيدة ،البيض، وهران، سيق، بلعباس تموشنت، تلمسان، مغنية، الغزوات، ندرومة، آرزيو، بريقو، مستغانم، زاوية الشيخ ابن طكوك، غليزان»[2] .

زيارة عبد الحميد بن باديس إلى مدينة ندرومة لم تلق الترحيب المنتظر من السكان فقد كانت زيارة خاطفة وذلك بسبب نفوذ الطرقيين على المدينة، الذين فرضوا سيطرتهم طيلة فترة الثلاثينيات من القرن العشرين، وحتى بعد تمكن جمعية العلماء من تدشين مدرسة الحديث سنة 1936 بتلمسان؛ لم يكن لجمعية العلماء وجود في مدينة ندرومة، وحول هذا الأمر أشار روهرباشي (Rohrbacher) المدير السابق لبلدية ندرومة المختلطة قائلا :« أنّ مدينة ندرومة ظلت مستعصية على جمعية العلماء بسبب التأثير الطرقي على سكان المدينة، ففي سنة 1935 منع محمد البشير الإبراهيمي ممثل جمعية العلماء بتلمسان من إلقاء محاضرة بالمدينة»[3] .

وقد ورد في وصف عبد الحميد بن باديس في رحلته إلى العمالة الوهرانية ما يؤكد خضوع وانصياع السكان لأوامر أصحاب الطرق الصوفية حيث قال:« ماذا كنت أقوم به في كل بلدة؛ كنت أزور في الأكثر قبل كل شيء المسجد لأن البداءة به وهي السنة ولا لفت نظر الأمة إلى حرمة المسجد وفضله وأنّه هو الأحق بأن يقصد عند الملمات للوقوف بين يدي الله والحصول على أقرب أحوال العبد إلى مولاه وهي السجود فإن العامة فيما رأيت من كثير منهم يفزعون إلى

---

[1] - عبد الحميد (بن باديس): "رحلتنا إلى العمالة الوهرانية"، **الشهاب**، ج 8، مج 8، السنة الثانية، أوت 1932، ص ص 401- 409.

[2] - المرجع نفسه، ص 402.

[3] - Ali (Merad) : **le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940 ; essai d'histoire religieuse et social**, Mouton, 1967, p142, 193, 197.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

البناءات المضروبة على الأضرحة ويظهرون فيها الخشوع والخضوع ما لا أراه منهم في بيوت الله، ومن ذا الذي يسوي بيت الخالق ببيت المخلوقين لولا انتشار الجهل وكثرة الغفلة والسكوت عن الحق وقعود من لا يجوز لهم القعود عن التعليم والتبيين...»[1].

إن حالة الجهل التي لمسها رئيس جمعية العلماء المسلمين عبد الحميد بن باديس في إقليم عمالة وهران بما فيه مدينة ندرومة وشغف السكان بالتمسح بأضرحة وقبور الأولياء هي نفس الحالة التي تحدث عنها متجول جمعية العلماء المسلمين أحمد حماني الميلي؛ الذي استغرب اهتمام أهل ندرومة ببناء الأضرحة وتقديس الأولياء والشخصيات التي كان لها وزن وسمعة في المدينة، واستغراب أحمد حماني الميلي لم يأت من فراغ فهل يعقل أن لا يمجد شخص مثل سي محمد بن رحال ببناء مدرسة أو تأسيس نادي، أو مواصلة مسعاه للرقي بالجزائريين إلاّ عن طريق نبش قبره وأخذ التراب منه للتبرك به؟![2]

هذا ما كان يحدث في ندرومة سنة 1938 على الرغم من أنّ سي محمد بن رحال وهو إبن مدينة ندرومة والمتوفي سنة 1928؛ قد عرف بثقافته ودينه وورعه ، وكان مثال التقدم والرقي والمعرفة، لكن غلبة الفكر الطرقي في المدينة وانتشار الخرافات والأباطيل ساهم في تأخر وضعف الفكر الإصلاحي في المدينة.

كما نلمس من وصف عبد الحميد بن باديس لرحلته في مقاطعة وهران كم الضغط الهائل الذي تعرض له حيث قال:« قد منيت هذه الجمعية بمن يحاربها بالباطل ويعرقلها بالإفك ويستحل في إذايتها العظائم فأشاعوا عنها كل إشاعة شنيعة ورموها بكل نقيصة ورذيلة حتى قالوا أنها جمعية تنكر البعث والنشور دع ما هو دون ذلك...»[3].

ساهمت هذه الإشاعات في تأخير مسار الحركة الإصلاحية في عدد من المدن الجزائرية بما فيها مدينة ندرومة التي لم يؤسس بها فرع جمعية العلماء المسلمين حتى سنة 1946، ومع ذلك لا يجب إلغاء فكرة تأثر مدينة ندرومة بالفكر الإصلاحي حتى وإن لم ينجح قادة جمعية العلماء من بسط نفوذهم داخل المدينة في وقت مبكر لكنهم تمكنوا على الأقل من ترك بصمتهم

---

[1] - عبد الحميد (بن باديس)، مرجع سابق، ص 402.

[2] - أحمد (حماني):" حديث المتجول"، **مجلة البصائر**، ع 144، 16 ديسمبر 1938، ص36.

[3] - عبد الحميد بن باديس، مقال سابق ، ص 403.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المتمثلة في جريدة الشهاب التي اشترك فيها مجموعة من القراء الندروميين أواخر الثلاثينيات من القرن العشرين ، والذين أبرزوا ميولا للتيار الإصلاحي والسياسي فيما بعد، ومن بين هؤلاء المشتركين[1]:

- شقرون محمد الصغير؛
- جبار محمد (بناء)؛
- مختار بن رحال (خوجة)؛
- رمضاني محمد (تاجر)؛

ويبدو أن الإدارة الفرنسية كانت ترقب هذا الاهتمام من طرف سكان ندرومة بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وبحركتها الإصلاحية، وقد اتضح ذلك في تتبعها لجديد صحافة الجمعية المتعلق بمدينة ندرومة، ومنه مقال أحمد حماني في جريدة البصائر والذي أوضح خلاله حماني أن الإصلاح قد انتشر بقوة في ندرومة التي كانت موطن الطرقية قائلا: « ...والحركة الإصلاحية نشطة الآن بندرومة وأكثر أتباعها من الشبان ومعهم بعض الشيوخ وكثير من الكهول» وهذا من شأنه أن يولد إزعاجا لدى السلطة الفرنسية التي كتبت تقريرا حوله[2].

---

(1) - Nedromah ; **liste des abonnes à la revue Ach-chihab**, Novembre 1939, AOM, **Carton N° 5I/153**.

(2) - Préfecture d'Oran (centre d'informations et d'études) : **Extraits de presse au sujet de Nedroma**, Oran, le 26 Décembre 1938, AOM, **Carton N° 5I/ 153.**

للمزيد ينظر، أحمد حماني:" حديث المتجول"، مقال سابق.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

6-2-2-تأسيس شعبة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بندرومة:

تأسست شعبة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمدينة ندرومة في شهر ديسمبر 1946، وقد تمّ ذلك حول مائدة غذاء عند الحاج بالحاج غزالي الذي عيّن رئيس للشعبة، وبحضور الشيخ سعيد الزموشي [1] مفتش المدارس المقيم في وهران.

تكونت اللجنة الأولى لشعبة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بندرومة من [2] :

- الحاج بالحاج غُزالي — رئيس ومكلف بالمالية
- أحمد زرهوني — نائب الرئيس ومساعد
- محمد جبّار المدعو خليفة — مساعد
- عبد القادر غرناطي — مساعد
- أحمد بونخالة — مساعد

يتضح لنا من خلال قائمة الأعضاء الخمسة؛ أنّ إثنان منهم كانت لهما مسؤوليتان في الوقت نفسه، وهذا يبرز عدم وجود مرشحين لشعبة الجمعية في بداياتها.

كانت لجنة الشعبة تجتمع رفقة بعض مناصريها وأصدقائها أمثال طاهر براهمي، محمد بن عزوز، حامد رحال، محمد لمين بسام، حاج بن عمار غُزالي، مصطفى غُزالي وآخرون في مصرية التربيعة التابعة للزاوية الطيبية.

يتمحور نشاط شعبة ندرومة حول النقاط الثلاثة في شعار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وهي:

---

(1) - ولد الشيخ السعيد الزموشي في 04 مارس 1904م بالعين البيضاء ولاية أم البواقي حفظ القرآن منذ حداثة سنه وتعلم مبادئ العلوم على يد علماء فقهاء المدينة، هاجر لطلب العلم والمعرفة إلى تونس بجامع الزيتونة إلى أن تحصل على شهادة التطويع بجدارة، بعد ذلك رجع إلى الجزائر وانضم إلى الحركة الإصلاحية، وصار مدرس في جامع الأخضر بقسنطينة لفترة معينة حتى يتهيأ له المكان الذي يتوجه إليه. انتقل إلى معسكر في سنة 1932 ليقود الحركة العلمية والإصلاحية فيها، ثم عين من قبل جمعية العلماء معتمدها في وهران والمدن التابعة لها، فأسس مدرسة الفلاح في المدينة الجديدة ومدرسة التربية والتعليم بمديوني، وظل الشيخ الزموشي يناضل في سبيل العربية والإسلام حتى اندلعت الثورة التحريرية، وتوفي الشيخ الزموشي يوم 19 ديسمبر 1960 بمدينة وجدة المغربية.

(2) - Mohammed Benamar (Djebbari) :**un parcours rude…**, Op.Cit, T2, p205.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

- العربية لغتنا؛
- الإسلام ديننا؛
- الجزائر وطننا؛

وقد اهتمت شعبة جمعية العلماء بندرومة ببرنامج الجمعية الإصلاحي والسياسي والثقافي، وقد عكفت على تقديم دروس اللغة العربية للسكان من مختلف الشرائح والأعمار، وقد برز ذلك قبل تأسيس مدرسة الجمعية بندرومة؛ فقد تمّ إرسال معلم من قسنطينة بتزكية من مركز جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ويتعلق الأمر بسي عبد الباقي بن الشيخ الحسين والذي كان يقدم دروس في اللغة العربية في جامع لالة الزهرة الشريفة، وفي جامع القدارين بعد ذلك[1] .

الملاحظ أن دروس جمعية العلماء لم تكن تقدم في المسجد الكبير بساحة التربيعة وهو أشهر وأهم المساجد على الإطلاق في ندرومة ومركز المدينة كذلك، ويعود سبب ذلك لكون المسجد الكبير كان تحت وصاية الإدارة الفرنسية، فالإمام والمؤذن والقائمون على شؤون المسجد قد تمّ توظيفهم من طرف الإدارة الفرنسية، حتى أنّه في بعض الفترات كان قائد المدينة هو إمامها، لذلك منع المعلمون و الأئمة غير الرسميون من إلقاء خطبهم ومحاضراتهم داخل هذا المسجد.

6-2-2-1- تأسيس مدرسة ندرومة:

قررت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تدشين مدرسة بمدينة ندرومة على غرار المدرسة التي دشنتها في مدينة تلمسان، وقد حفزها على ذلك حماس مناضلي ومناصري الجمعية الذين عبروا عن ذلك بشراء قطعة ارض كان مقاما عليها في السابق فندق قديم ملك لعائلة براهمي، وقد تمّ تشييد خمسة أقسام، وساحة، ومراحيض سنة 1949 وقد كان مبرمجا تشييد عشرة أقسام أخرى في السنتين الآتيتين، وقد ذكر رئيس الجمعية محمد البشير الإبراهيمي دار ملاصقة للمدرسة يملكها رجل ندرومي مقيم في المغرب؛ تصلح أن تضاف إلى المدرسة وتخصص للبنات، وسرعان ما تمّ شراء هذا المنزل بفضل السيد محمد خطاب الفرقاني الذي عرف بكرمه وسخائه تجاه جمعية

(1) - Mohammed Benamar (Djebbari) : **un parcours rude…**, Op.Cit, T2, p205.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

العلماء فقد ساهم في تشييد مدارس كثيرة كما قدم مساعدات مالية لجمعية العلماء، وقد قام بشراء ذلك المنزل كونه صديق لمالكه. [1]

كما شارك سكان ندرومة في تشييد المدرسة بمساهمات مالية منذ وضع حجر الأساس في نوفمبر 1948 وكان من أوائل المتبرعين منهم من عائلة رحال؛ السيد جعفر بن رحال وهو صيدلي في بني صاف والذي بعث إلى شعبة الجمعية بندرومة بمبلغ مالي قدره (100000) فرنك[2]، كما لم تتأخر نساء ندرومة عن المشاركة في تشييد المدرسة وذلك بتقديم حليها ومجوهراتها، ويضاف إلى ذلك توفير اليد العاملة والتقنية التي تطوعت بالمجان للإسراع في تدشين المدرسة، ولم يقتصر الأمر هنا على سكان ندرومة فقط بل شمل كافة مقاطعة وهران وبخاصة سكان تلمسان[3] .

تمّ تدشين مدرسة ندرومة في 11 نوفمبر 1949 من طرف شعبة الجمعية بندرومة وقد حضر حفل التدشين جماهير غفيرة من مدينة ندرومة ونواحيها على الرغم من العراقيل التي وضعتها الإدارة الفرنسية[4] ، وقد زاد التهافت على مدينة ندرومة بقدوم رئيس جمعية العلماء الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وبعض علماء الجمعية وشيوخها؛ نذكر منهم الشيخ السعيد الزموشي، الشيخ العربي التبسي، الشيخ توفيق المدني، الشيخ عبد اللطيف السلطاني، الشيخ مصباح، الشيخ خير الدين[5] .

تقدم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي وتناول مفتاح المدرسة وفتحها، وقد افتتح الاحتفال بآيات من الذكر الحكيم، بعدها تداول على الكلام وإلقاء التحية والترحيب برئيس الجمعية كل من الحاج محمد تومي رحال رئيس الجمعية الثقافية الإسلامية، والحاج بالحاج غزالي رئيس شعبة ندرومة، وقد شكر الطرفان سكان ندرومة على مجهوداتهم وهباتهم المقدمة للجمعية، ودورهم في إنهاء مشروع مدرسة ندرومة، ومما قاله البشير الإبراهيمي يومها:« وجئنا نحن اليوم لا لنضع

---

[1]- أحمد طالب (الإبراهيمي): **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (عيون البصائر)**، ط1، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص572.

[2]- أحمد (غزالي): "مدرسة ندرومة"، **البصائر**، ع 61، السنة الثانية، 28 ديسمبر 1948، وينظر كذلك
L'Administrateur Principal : **Rapport Mensuel de la Commune Mixte de Nedroma**, Mois de Novembre 1948, AOM, **Carton N°//19**.

[3]- باعزيز (بن عمر):" تدشين مدرسة ندرومة"، **البصائر**، ع 92، 17 أكتوبر 1949.

[4]- Mohammed Benamar (Djebbari) : **un parcours rude…**, Op.Cit, T2, p207.

[5]- Ibid, Idem.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

حجرا في بناء أو جدار بل لنحفر الأسس وننشئ كل شيء من جديد على خلاف ما ترى أبناء الأمم المعاصرة التي ليس على المتأخر من أجيالها إلاّ إتمام ما بدأ المتقدم منها» [1] ، كما تطرق الشيخ الإبراهيمي إلى أسباب تأخر المسلمين وتقدم غيرهم كانحلال الخلق الاجتماعي بينهم، فضعفت ثقتهم بالله ففقدوها بينهم، وعملوا عمّا أودعه الله في نفوسهم من معاني القوة والرحمة، والجمال وأرشدهم إليه من التعاون والتآزر فتخطتهم الاستقامة و جهلوا سبيل الحياة فلم يهدهم الله سبله، وإذا لم يستقيموا لم يستطيعوا أن يقيموا غيرهم...، وبعد نهاية الخطاب أطلق رئيس الجمعية اسم عبد المؤمن بن علي على المدرسة[2] ، كما أكّد محمد البشير الإبراهيمي من جديد على برنامج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وبالأخص تمجيد اللغة العربية والعمل على تدريسها ونشرها.

تمّ بعد ذلك جمع تبرعات قدرت بـ(400000) فرنك فرنسي، وحوالي (400)غ من الذهب، بالإضافة إلى هبات أخرى كانت أغلبها عينية، وقد انتهى الاحتفال بعشاء كسكس على شرف زعماء الجمعية أعدته نساء ندرومة[3] .

6-2-2-2-معلمو مدرسة ندرومة

تمّ تعيين الهيئة الدراسية لمدرسة عبد المؤمن بن علي منذ الأيام الأولى لتدشينها، وتتألف هذه الهيئة التدريسية من:

1- **مدير المدرسة:** عبد الوهاب بن منصور(1920-2008) أدار المدرسة منذ تدشينها بتاريخ 11 سبتمبر 1949 إلى غاية غلقها من طرف السلطات الفرنسية في 7 مارس 1956، ولد في مدينة فاس سليل عائلة من منطقة عين الحوت نواحي تلمسان، تلقى تعليمه في جامع القرويين، أين تتلمذ على يد عدد من الأساتذة منهم علال الفاسي إلى أن نال إجازة العالمية، لكنه لم يطل المقام في المغرب بسبب طرد سلطات الحماية له؛ فقصد مدينة تلمسان وانضم إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وصار مدرسا بدار الحديث، وقد نشط بعض الوقت بهذه

---

[1] - باعزيز (بن عمر)، المقال السابق.

[2] – المقال نفسه.

[3] - Mohammed Benamar (Djebbari) : **un parcours rude…**, Op.Cit, T2, p 207.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المدينة وبجامعها الكبير، وقد لفت الأنظار بفصاحته وبسعة علمه وإطلاعه وهجماته ضد السياسة الاستعمارية خلال الدروس التي كان يلقيها على مسامع الحاضرين.

لم يستقر عبد الوهاب بن منصور بمدينة تلمسان؛ حيث قصد مدينة ندرومة بعد أن تمّ تحويله للتعليم بمدرسة عبد المؤمن بن علي، وبدأ يقدم دروسه في جامع القدارين وليس في الجامع الكبير نظرا لكون إمامه يعين من طرف السلطة الفرنسية وإلقاء الخطب والمحاضرات منوط بموافقة السلطة، هذه الأخيرة كانت قد أخطرت قبلا من خلال تقرير صادر عن نائب الوالي بتلمسان أن تحويل عبد الوهاب بن منصور وانتقاله إلى ندرومة قد رافقه ضجيج[1]، وهذا معناه مدى ثقل مكانة هذا المعلم والوزن الذي يتمتع به في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

مع مرور الوقت ضاق جامع القدارين بالجماهير التي كانت تحضر دروس عبد الوهاب بن منصور؛ فقرر إلقاء درسه في الجامع الكبير دون إذن السلطات الفرنسية، ولم يكتف بذلك فقط ، فحين أنهى درسه تصدى بجرأة للسلطات المحلية من بلدية وشرطة وكل من كان على صلة بها وقام بنزع العلم الفرنسي الذي كان يرفرف فوق صومعة المسجد الكبير[2] ، هذا العمل لا يستبعد من شخص غيور على الدين الإسلامي واللغة العربية، فلم يكتف بأن يكون مصلحا دينيا فقط؛ بل أبرز فطنة ووعي سياسي كونه في الوقت نفسه مناضل في فرع الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بندرومة- كما سبق الذكر- فلم يخفي موقفه تجاه السلطة الاستعمارية التي تسعى لطمس الهوية الجزائرية بحرمان الجزائريين من تعليم عربي إسلامي حر، وحول هذا الشأن كتب سنة 1950، في مقال حول حادث ألمّ بالطلبة الجزائريين في مدينة فاس قائلا: [3] « ... إنّ مسؤولية هذا الحادث الأليم يقع على عاتق الإدارة الاستعمارية الجزائرية من غير شك، فهي التي لم تفتح لطلبة الجزائر جامعة عربية بعيدة عن الأهواء الاستعمارية مثل الموجودات بالمغربين الأقصى والأدنى وغيرهما من أقطار الإسلام، وهي التي لم تبذل العون المجدي، والمساعدة الناجعة لأبناء من تبتز منهم الأموال ظلما وعدوانا، وترهقهم بالضرائب والجبايات، وهي التي لم تؤسس لطلبة الجزائر في دار غربتهم وتعلمهم ديارا و مثاوى عصرية تحفظ فيهم الصحة، وتنمي النشاط كما تفعل الإدارات

---

(1) - **Lettre de sous Préfet de l'arrondissement de Tlemcen à M^er^ le Préfet : les Ulema,** Tlemcen le 10 Octobre 1949, AOM, **Carton N°//679**.

(2) - Mohammed Benamar (Djebbari): **Nedroma…**, Op.Cit, , p 85.

(3) - عبد الوهاب (بن منصور): "وفاجعة ثانية"، **البصائر**، ع 101، السنة الثانية، 2 جانفي 1950.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

العادلة البارة بأبنائها لسائر أبنائها وطلبتها في ديار الغربة ومواطن التعلم...». نستشف من هذا القول صلابة وجدية وصراحة عبد الوهاب بن منصور مدير مدرسة عبد المؤمن بندرومة، والذي وفّق إلى حد بعيد في جمع سكان ندرومة حول مبادئ الجمعية أكثر من رئيس الشعبة، وهذا ما سيتضح عند الإشارة إلى نشاطات الجمعية في المدينة.

واصل عبد الوهاب بن منصور تقديم دروسه ومحاضراته في القاعة الكبرى لمدرسة ندرومة بعد توسيعها سنة 1954، والتي أقيمت بغرض التجمعات والمحاضرات وكمصلى كذلك[1].

2- **المعلمون:** لحق بعبد الوهاب بن منصور عدد من الأساتذة عينتهم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين للسنة الدراسية 1949-1950، وقد ظلوا في مناصبهم إلى غاية سنة 1956، وهم المعلمون محمد جريدي، وبوزغاية صالح، والغالب أنّ هذان الاثنان من مدينة قسنطينة، و بن يلس من تلمسان [2] ، بالإضافة إلى المعلم بوعلام باكي من (Geryville) (البيض) [3] ، والمعلم معطى الله و يخلف بوعناني من الدواوير المجاورة لندرومة، [4] وهذان الأخيران التحقا بالمدرسة فيما بعد، وكذلك المعلم عبد القادر دلاي المدعو الشيخ السنوسي والذي حوّل من مدرسة جمعية التربية والتعليم بوهران التي عمل فيها منذ 1947 إلى مدرسة ندرومة في أكتوبر 1951[5].

6-2-2-3-نظام المدرسة:

1- **أجور المعلمين:** جل المعلمين أحرار ويتقاضون راتبهم الشهري من مال السكان المحليين ومن مال التلاميذ المنخرطين في المدرسة[1] . لكن هذا الأمر كان يتم وفق ضوابط فرضتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عبر لجنة التعليم العليا التي أصدرت عدد من القرارات

---

(1) - Mohammed Benamar (Djebbari) : **un parcours rude…,** Op.Cit, T2, p 208.

(2) - قائمة توزيع المعلمين لسنة 1949-1950، البصائر، ع 92، 17 أكتوبر 1949.

(3) - صار فيما بعد وزير الشؤون الدينية، ينظر Mohammed Benamar (Djebbari) : **un parcours rude…**, Op.Cit, T2, p 208.

(4) - Ibid, Idem .

(5) - Police des renseignements généraux du district d'Oran : **Rapport**, Oran, 18 Octobre 1951, AOM, **Carton N° //679**.

(1) - أنيسة (بركات): "مدرسة عبد المؤمن بن علي بندرومة"، **التراث العلمي والثقافي لمدينة ندرومة ونواحيها، أعمال الملتقى الدولي الخامس حول مدينة ندرومة**، بين 20 و 22 ديسمبر 2006، وهران، ص 32.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

منها القرار الذي نشرته جريدة البصائر بتاريخ 14 فيفري 1949؛ والذي قضى بمنع اقتطاع رسوم التعليم من الأطفال مباشرة ولا من آبائهم، إنّما على الجمعيات المحلية القيام بذلك بنفسها، ويجب أن يطالب بدفع رسوم التعليم أولياء أمور التلاميذ لا التلاميذ أنفسهم؛ وذلك اتقاء لجرح عواطفهم وتعويض العاجزين منهم لسخرية زملائهم، لذلك توجب على الجمعية المحلية (الشعبة) القيام بهذا الواجب سواء بواسطة بعض أعضائها أو بأن تختار من تراه أهلا لذلك، وأن تدفع بعد ذلك مرتبات المعلمين في أول الشهر كاملة كما يحددها المنشور الذي أصدره المكتب الدائم للجنة التعليم العليا لكي يقوم هو بتوزيعها عليهم في الحين[1] .

2- **التلاميذ**:

تلاميذ مدرسة عبد المؤمن بن علي بندرومة نوعان:

- تلاميذ وتلميذات يتلقون الدروس طوال النهار صباحا ومساء خلال السنة
- تلاميذ يأتون من المدرسة الفرنسية يدرسون في المساء فقط بعد خروجهم يتوجهون إلى المدرسة الحرة لتعلم اللغة العربية [2] .

3- **المقرر الدراسي:**

عرفت المدرسة إقبالا كبيرا من قبل التلاميذ، فقد التحق بها قرابة (300) تلميذ ذكورا وإناثا منذ الأيام الأولى من تدشينها، وقد كانت طرق التعليم حديثة وليست كالتعليم التقليدي القائم على حفظ القرآن الكريم فقط؛ بل شملت مواد عديدة منها اللغة العربية وآدابها، مبادئ علم الحساب، والعلوم، بالإضافة إلى التاريخ العربي والإسلامي[1] ، وكلها مواد أساسية في منهاج مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والمتمثل في[2] :

- القرآن وتفسيره وتجويده؛
- اللغة العربية: دراسة النصوص تفسيرها والمطالعة؛
- النحو والصرف؛

---

[1] - إسماعيل (العربي): "إلى الجمعيات القائمة بشؤون المدارس"، **البصائر**، ع 68، 14 فيفري 1949.

[2] - أنيسة (بركات)، مقال سابق، ص 33.

[1] – Mohammed Benamar (Djebbari) :**un parcours rude…**, Op.Cit, T2, p 208.

[2] - أنيسة بركات، المقال السابق، ص 33.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

- الإملاء والإنشاء؛
- المحفوظات والأناشيد الوطنية والدينية؛
- الفقه ومبادئ الدين الإسلامي؛
- التاريخ الوطني والإسلامي؛

تضاعف عدد التلاميذ في وقت قصير، فلم تتسع الأقسام الخمسة للمدرسة لاستقبالهم فقررت شعبة ندرومة إجراء توسيع في المدرسة سنة 1954، وذلك بتشييد خمسة أقسام جديدة، وفناء، ومكتبين، بالإضافة إلى مسكنَيْنْ إضافيين، كما تمّ تشييد ثلاث محلات خارج المدرسة للتأجير، كمدخل مالي إضافي لصيانة المدرسة.

حددت شعبة ندرومة تاريخ تدشين المدرسة الجديدة بتاريخ 13 جوان 1954[1] ، وقد بلغ عدد تلاميذها (700) تلميذ بين ذكور وإناث، فتجاوزت بذلك المدرسة الفرنسية؛ التي بلغ عدد تلاميذها (500) تلميذ، وهؤلاء أنفسهم كانوا تلاميذ الحصص المسائية لمدرسة الجمعية [2] .

وقد ظلت المدرسة في نشاطها المعهود إلى غاية 7 مارس 1956؛ حين تعرضت المدرسة لقمع وحشي و إهانة فضيعة من طرف الإدارة الفرنسية عندما مرّ حاكم عمالة وهران بندرومة؛ أطلق المجاهدون رصاصة على حارس الأمن الفرنسي الذي أصيب بجروح بقرب مدرسة عبد المؤمن بن علي، فقرر حاكم العمالة إغلاق المدرسة وإلقاء القبض على عدة شخصيات من جمعية العلماء، ولم تفتح هذه المدرسة أبوابها إلاّ بعد الاستقلال [1].

بعد إغلاق المدرسة قصد تلاميذ ندرومة معهد ابن باديس بقسنطينة لاستكمال دراستهم، وعدد آخر منهم قصد جامع الزيتونة، في حين فضّل آخرون الالتحاق بالمعاهد العربية في المشرق العربي وقد استكملوا دراساتهم العليا[2] .

---

(1)- **البصائر**، ع 273، 28 ماي 1954.

(2)- Mohammed Benamar (Djebbari) : **un parcours rude…**, Op.Cit, T2, p 208.

(1)- أنيسة (بركات)، مقال سابق، ص35.

(2)- Mohammed Benamar (Djebbari): **Nedroma…**, Op.Cit, p 83.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

6-2-3- نشاطات جمعية العلماء في ندرومة وموقف السلطة الفرنسية منها:

أعلنت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ تأسيسها محاربة الطرقيين ورجال الزوايا الذين أثروا على أذهان الجزائريين، وشوّهوا عقيدتهم الإسلامية ببعض العادات والطقوس التي لا تمت بصلة للإسلام، كالتنبؤ والتطير والسحر وتقديس الأضرحة، وقد برز هذا في قانونها الأساسي وفي أعمدتها الصحفية من خلال جرائدها كالصراط، والشريعة، والشهاب، والبصائر، ومن خلال مدارسها الحرة وشعبها المنتشرة عبر التراب الوطني.

كان حال مدينة ندرومة لا يختلف عن بقية المدن الجزائرية بالنظر للضغط الطرقي في المدينة والمدعم من طرف الإدارة الفرنسية، لكن مع ذلك أبرزت بعض الطرق الصوفية في ندرومة ميلها لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وقد اتضح هذا من خلال الدعم الذي قدمته الطريقة الطيبية لقادة الإصلاح في ندرومة بمنحهم مصريتها كمقر لاجتماعاتهم، يضاف إلى ذلك أنّ رئيس شعبة ندرومة في حد ذاته وهو الحاج بالحاج غزالي كان من أهم رجال الطرقية في ندرومة. هذا الأمر إن كان قد خدم شعبة ندرومة لبعض الوقت فقد عاد عليها بالسلب بعد وقت قصير؛ فحماس الشعبة كان في ازدياد خاصة بعد تدشين مدرسة ندرومة سنة 1949 وقدوم المعلم العالم عبد الوهاب بن منصور، هذا الأخير هو الذي غيّر مجرى أحداث الحركة الإصلاحية في ندرومة بهجومه الدائم والمستمر ضد الطرقيين في المدينة والأرياف المجاورة؛ ممّا وّلد صراع قوي بين الطرقيين والإصلاحيين وصل إلى حد العنف في أغلب الأحيان.

تمحورت مداخلات عبد الوهاب بن منصور حول الطرقية وضرورة التخلص منها، وقد نجح في جلب السكان إلى صفه رويدا رويدا؛ فكما سبق الذكر اعتاد تقديم دروسه في جامع القدارين لكن هذا الأخير لم يكن يتسع للمستمعين والمتابعين لدروسه فبدأ بتقديم دروسه في الجامع الكبير، وهذا ما استفز الإدارة الفرنسية وأتباعها من الطرقيين ورجال الزوايا الذين صاروا يحضرون دروس عبد الوهاب بن منصور لمعرفة ما يقوله عنهم وعن الإدارة الفرنسية التي أكد مدير بلديتها آنذاك بول لوسات أن عبد الوهاب بن منصور قد طلب من المستمعين إليه تدمير أضرحة المرابطين[1]

---

(1)- Gilbert (Grandguillaume) : **une médina de l'ouest Algérien**, Op.Cit, p71.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

قوبلت الحركة الإصلاحية في ندرومة بمقاومة عنيقة من رجال الطرق الصوفية، فعمت الفوضى واختلطت الأمور على الناس، وصار أفراد العائلة الواحدة مختلفين ومتفرقين بين موالين للجمعية، ومعارضين لها رفقة الطرقيين، أمام هذا الوضع أراد رئيس شعبة جمعية العلماء الحاج بالحاج غزالي محاولة إثبات صحة مذهب الطرقيين ومواقفهم وهو واحد منهم؛ بإجراء مناظرة بين المعلم عبد الوهاب بن منصور الذي صار له أعداء كثر في ندرومة وخارجها، والشيخ المهاجي من وهران[1] بغية معرفة الحقيقة ومن هو الأصدق؛ الإصلاحيون أم المرابطون، وقد خطط لذلك بإعداد وجبة على شرفهما من طرف الأخ الأصغر لرئيس الشعبة وهو الحاج بن عمار غزالي والذي كان يختلف عن أخيه في موقفه الرافض للطرقية.

كانت المناظرة يوم 10 جوان 1950 واستعان كل عالم بحجج قوية مستمدة من القرآن الكريم والحديث والسنة النبوية الشريفة، وقد احتدم النقاش بين الطرفين وكان الفوز لصالح عبد الوهاب بن منصور، الأمر الذي استفز رئيس الشعبة الحاج محمد غزالي فكان عنيفا على عبد الوهاب بن منصور الذي تعرض لمحاولة خنق من طرف رئيس الشعبة حين تعرض لضغط على حنجرته؛ فقام أحد الشبان الذين حضروا المناظرة وهو عبد العزيز غزالي إبن أخ الحاج غزالي محاولا إيقاف الأمر فقام بضرب الحاج غزالي؛ فصار المعتدي هو الضحية وسارع إلى رفع شكوى كمحاولة ليس لرد الاعتبار بقدر ما هي تشديد الرقابة أكثر فأكثر على عبد الوهاب بن منصور.

وقد تواصلت سياسة العنف من طرف الطرقيين تجاه الإصلاحيين؛ ففي 12 جويلية 1950 تعرض أحد أعضاء الجمعية ورفيق عبد الوهاب بن منصور السيد عبد القادر نورين وهو عضو نشط كذلك في فرع الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري إلى الضرب بالعصا بعد تفوهه بكلمات مهينة ضد الشيخ الهبري في منطقة أحفير[1] (Martimprey du kiss)[2].

---

(1)- حسب جيلبار غراند غيوم، شيخ الزاوية الذي واجه عبد الوهاب بن منصور هو الشيخ زيدور الطيب شيخ الزاوية السنوسية. ينظر Gilbert (Grandguillaume) : une médina de l'ouest Algérien, Op.Cit, p 71-72

(1) - أحفير: مدينة صغيرة توجد في أقصى الشمال الشرقي للمغرب الأقصى قرب مدينة باب العسة بالجزائر والتي تبعد بـ30 كم غرب مغنية.

(2)- Gilbert (Grandguillaume) : une médina de l'ouest Algérien, Op.Cit, p 72

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

رغم الضغط الذي تعرض له عبد الوهاب بن منصور وزملائه من جمعية العلماء من طرف الطرقيين والإدارة الفرنسية إلاّ أنّه واصل نشاطه الإصلاحي حتى بعدما تمّ منعه من تقديم خطبه ودروسه بالجامع الكبير؛ حيث قرر مواصلة نشاطاته في جامع الحدادة بداية سنة 1951 بتقديم دروس كل يوم خميس، وقد تمحورت دروسه كالعادة حول قضايا إصلاحية دينية تجتذب عدد كبير من المستمعين وبخاصة المتعلقة بمحاربة الطرقيين، لكن دروسه سرعان ما انتقلت لمناقشة قضايا سياسية أوضح فيها رفضه للوجود الفرنسي في الجزائر[1].

وسعيا لتقوية الحركة الإصلاحية في ندرومة؛ سعى عبد الوهاب بن منصور لتوسيع نفوذ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على حساب التيار الطرقي في القبائل والدواوير المحيطة بمدينة ندرومة، ومن بين القبائل التي قصدها ابن منصور؛ قبيلتي سواحلية وجبالة، وكانت البداية بدوار دار بن عايش بسواحلية وذلك يوم 30 مارس 1951 ورافقه يومها المدعو دراريس الطيب، ودراريس الحاج بن عيسى، وبرّباح مكي من جبالة، والماحي عمار بن حسين، ونوار مصطفى ولد الهبري من ندرومة، ويضاف إلى هؤلاء ثلاثة معلمين من مدرسة ندرومة وعشرات الآخرين، لكن وفد عبد الوهاب بن منصور فوجئ على بعد كيلومترين من الدوار بشيخ الدوار طاهري عبد الغني يرافقه مجموعة من سكان دار بن عايش يطلبون منه عدم الدخول إلى المسجد، ومنعه من إلقاء كلمة[1].

وقد نشر عبد الوهاب بن منصور وقائع ما حدث له في جريدة الجمهورية الجزائرية قائلا:« ...عرض أصدقاء من دوار بن عايش التابع لقبيلة سواحلية ببلدية ندرومة المختلطة أن أذهب عندهم قصد القيام بنزهة عادية يوم 30 مارس 1951؛ إلاّ أنّ طاهري عبد الغني قدم عندي مطالبا بعدم تلبية الدعوة، وفي حالة رفضي سيرسل فرقة الدرك... على بعد (300) متر من الدوار لاحظنا عدد من النسوة والأطفال مسلحين بالحجارة، قبل أن نصل إليهم كنا نظن أنهم قدموا للترحيب بنا، وفجأة نرى قائد الدوار طاهري عبد الغني يمتطي حصانه وصوب بندقيته نحوي قائلا: استجابة لأوامر المدير أمنع الشيخ عبد الوهاب من الدخول إلى قريتي، لكن إن كان لديكم

---

(1)- L'Administrateur Le Sept : **Rapport Mensuel de la Commune Mixte de Nedroma**, Mois de Mars 1951, AOM, **Carton N°//34**.

(1)- Ibid.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تصريح رسمي من طرف السلطة نفسها سأسمح لكم بالمرور، وفي حالة ما إذا تقدمتم خطوة إلى الأمام سأطلق النار عليكم... بعدها تزّجل عن حصانه وأمر النسوة والأطفال بقذفنا بالحجارة... »[1]، بعد هذه الحادثة قرر عبد الوهاب بن منصور رفع شكوى لدى السلطات المعنية تضمنت ثلاث نقاط[2]:

1- التهديد بالقتل؛
2- منع المرور والسير بالطريق العام
3- الاحتقار والاعتداء على الحقوق دون أسباب معقولة.

مع ذلك أنكرت الإدارة الفرنسية ما لحق بالمعلم عبد الوهاب بن منصور في دوار بن عياش؛ بل ذهبت بعيدا عندما ادعى مدير بلدية ندرومة المختلطة بول لوسات أن عبد الوهاب بن منصور كان مسلحا، وحاول الدخول إلى مسجد دار بن عايش بالقوة [1]، في حين أغفل كلية ما قام به قائد الدوار.

والواقع؛ أنّ الإدارة الفرنسية قد مارست هذه السياسة تجاه عبد الوهاب بن منصور لما لمست فيه من وعي ونشاط سياسي، فعلى الرغم من كونه ممثل حركة دينية إصلاحية وهي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلاّ أنّه كان يحتك كثيرا برجال السياسة وبخاصة ممثلي فرع الاتحاد الديمقراطي الذين كان يشاركهم في أفكار سياسية عديدة اعتبرتها الإدارة الفرنسية أفكار وطنية لم تكن في صالح السيادة الفرنسية، لذلك كانت هذه الإدارة في ترقب دائم لتحركات عبد الوهاب بن منصور وبكل ما يقوم به من نشاطات داخل مدينة ندرومة وخارجها.

وقد اشتدت الرقابة الفرنسية على عبد الوهاب بن منصور وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد تدشين مدرسة ندرومة سنة 1949، واتضح ذلك من خلال سلسلة التقارير التي أعدتها بلدية ندرومة المختلطة ونيابة الولاية بتلمسان وكذا من طرف والي وهران في الفترة ما بين 1950-1954.

---

(1)- A Nedroma l'arbitraire ne connait plus de limite, In. **La République Algérienne**, 20 Avril 1951.

(2)- Ibid

(1)- L'Administrateur Le Sept : **Rapport Mensuel de la Commune Mixte de Nedroma**, Mois de Mars 1951, AOM, **Carton N°//34**.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ففيما يتعلق بتقارير بلدية ندرومة المختلطة ونيابة الولاية بتلمسان؛ فقد ركزت على نشاطات عبد الوهاب بن منصور مدير مدرسة جمعية العلماء بندرومة وحول مختلف الاتصالات والأعمال التي يقوم بها، فقد ورد في تقرير لنائب الوالي بتلمسان والمؤرخ في 30 ماي 1950؛ أن عبد الوهاب بن منصور وأتباعه من العلماء أبرزوا تحركات واسعة في مجال الإصلاح الذي شهد تضاعفا وانتشارا في مدينة ندرومة وامتد ليشمل نقاط ريفية عديدة من أهمها سواحلية وجبالة من خلال الدروس التي تقدم في المساجد، والتي تهدف في الأساس لمحاربة رجال الطرق الصوفية و سياسة الإدارة الفرنسية، هذه الأخيرة التي قالت أنّ هذا النشاط الديني ما هو إلاّ غطاء لحركة معادية للفرنسيين[1].

ورغم أنّ ما كان يقوم به عبد الوهاب بن منصور لا يؤدي مصالح الإدارة الفرنسية؛ غير أنّ هذه الأخيرة أبرزت تخوفا وحرصا من نشاطه الإصلاحي واستندت في ذلك على ما كان يطالعه ابن منصور من عناوين صحفية تقول عنها الإدارة الفرنسية أنها تهدد الوجود الفرنسي في الجزائر، ومن بين تلك الصحف صحيفة رأي العين التي تصدر في فاس المغربية، وصحيفة الشعلة التي تصدر في قسنطينة، التي قام ابن منصور بتوزيع وبيع نسخ منهما في مدينة ندرومة[1].

هذا الحرص من طرف الإدارة الفرنسية على متابعة نشاط عبد الوهاب بن منصور لم يكن من منطلق ديمومة السيادة الفرنسية في الجزائر، ولكن مخافة أن تؤثر هذه العناوين الصحفية على عقول الندروميين والجزائريين كافة؛ فيتفقهوا أكثر في مجال السياسة والدين والثقافة وبالتالي يصيرون مصدر إزعاج للسلطة الفرنسية، والأدلة التاريخية كثيرة نذكر منها – على سبيل المثال لا الحصر - وصول جريدة المنار إلى الجزائر سنة 1903 بعد زيارة محمد عبده وكيف كان لها دور في بروز حركة فكرية وإصلاحية واسعة النطاق كان أهمها بروز جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[2]، وبالتالي ماذا سيكون حال الإدارة الفرنسية إذا علمنا أنّ عبد الوهاب بن منصور كان شغوفا بالمطالعة ومعرفة أحوال الدول وذلك من خلال العناوين الصحفية الكثيرة التي كانت تصله

---

(1)- Lettre de M^er^ le Préfet à le sous Préfet de l'Arrondissement de Tlemcen: **Activité des Oulama**, Tlemcen,30 Mai 1950, AOM, **Carton N° //679**.

(1)_ Ibid.

(2)_ Ibid.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

من أصدقائه خارج الجزائر وبخاصة من المغرب الأقصى، وفي هذا الصدد ؛ ورد في تقرير لنائب الوالي بتلمسان أنّ عبد الوهاب بن منصور على اتصال مع شخص يدعى عشوبة من مدينة طنجة أرسل له بتاريخ 06 جوان 1950 عدد من الجرائد وهي[1]:

- المصري: صحيفة تصدر في القاهرة، نسخ 10، 12، 14، 15، 16، و19 ماي 1950؛
- البرق الشعاع: صحيفة تصدر في القاهرة، نسخة 14 ماي 1950؛
- رسالة المغربي: جريدة مغربية، نسخة 22 ماي 1950؛
- الرسالة: مجلة أسبوعية كلاسيكية تصدر في القاهرة، نسخة 24 ماي 1950؛
- المشوار: جريدة تصدر في القاهرة، العددان 1329، و1331.

هذه التقارير المقدمة من طرف مدير بلدية ندرومة المختلطة ونائب الوالي بتلمسان جعلت والي وهران بدوره يعد تقريرا أهم ما جاء فيه قوله :« في الواقع؛ يبدو لي أن نشاط العلماء في منطقة ندرومة يجب أن يأخذ كل انتباهنا ... أطلب منكم (نائب الوالي بتلمسان) المتابعة الدقيقة للعمل السياسي للعناصر الإصلاحية وأخذ كل الاحتياطات التي من شأنها التحكم في تطور الوضع»[1]، وقد استرسل الوالي في تقريره وأخبر نائبه في تلمسان أن دوريات الاستعلام التي تقوم بها مصالح الاستعلام العام (PRG) والشرطة القضائية في ندرومة لا جدوى منها، وغير كافية ولذلك يتوجب على نيابة الولاية في تلمسان أن توكل مهمة الرقابة الدائمة لإحدى المصلحتين، ويؤخذ بعين الاعتبار في هذا الاختيار مدى توفر الأعوان بتلمسان[2].

بغض النظر عن إشارة والي وهران إلى تنامي الحركة الإصلاحية في ندرومة؛ نستشف من هذا التقرير تلميح الوالي إلى غياب مركز شرطة في ندرومة يضمن الأمن والهدوء في المدينة ويكون على أهبة الاستعداد في حالة تفشي الفوضى والاضطرابات.

---

(1)- Rapport de sous Préfet de l'Arrondissement de Tlemcen à M^er^ le Préfet : **Activité des Oulamas**, Tlemcen, le 13 Juin 1950, AOM, **Carton N° //679**.

(1)– Lettre de M^er^ le Préfet de Département d'Oran à M^er^ le Sous Préfet de Tlemcen : **Activité des Oulama dans la région de Nedroma**, Oran le 12 Juin 1950, AOM, **Carton N°//679**.

- ينظر الملحق رقم: 16

(2)- Ibid.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أكدت الإدارة الفرنسية في ندرومة أن نشاطات عبد الوهاب بن منصور الإصلاحية ما هي إلا غطاء لحركة سياسية معادية لفرنسا، لكن مواقف عبد الوهاب بن منصور السياسية وتحالفه مع فرع الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري كانت واضحة وصريحة وأمام العيان، ومن أهم مواقفه السياسية معارضته لنتائج انتخابات أكتوبر 1951 الخاصة بالمجالس العامة والتي انتصر فيها القائد سليمان بلعابد على حساب ممثل حركة الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري أحمد صالح الكبير؛ حيث أبرز ابن منصور دهشة ومرارة لفوز سليمان بلعابد بأغلبية الأصوات (850) من مجموع (977)، حتى أنّه قرر مغادرة ندرومة، لكن بعد مساعي من طرف رئيس شعبة جمعية العلماء غزالي الحاج بن عمار وأخوه الحاج بلحاج أمام محمد البشير الإبراهيمي رئيس الجمعية؛ عدل ابن منصور عن رأيه لكنه حلف يمينا بأن لا يقدم دروسا بعد ذلك بالجامع الكبير، وهذا ما حدث بالفعل[1] لأنّه صار يقدم دروسه في جامع الحدادة، لكن بول لوسات أخفى ذلك في تقريره وقال أنّ ابن منصور لم يلتزم بالقسم وعاد لتقديم الدروس يومي الأحد والخميس[2].

إن المعارضة التي واجهتها شعبة ندرومة من طرف الطرقيين والإدارة الفرنسية في المدينة تصدى إليها سكان ندرومة الذين أثبتوا ولائهم لجمعية العلماء بتشجيعهم ودعمهم المادي والمعنوي وساهموا في التخفيف من الصراع الذي كان بين أعضاء الجمعية والطرقيين الذين أوقفوا هجماتهم على الإصلاحين ليس في ندرومة فقط؛ بل وخارجها فقد كان لهم الدور الفعال إلى جانب أعضاء الجمعية في تأسيس مدرسة مغنية التي وضع حجر أساسها يوم 25 فيفري 1951، حيث كانوا الأوائل في إرسال سياراتهم المحملة بمواد البناء التي يتبرع بها أغنياؤهم، كما أرسلوا المتطوعين من العمال والبنائين، وكان على رأس المتطوعين رئيس شعبة ندرومة الحاج بالحاج غزالي وهو من الطرقيين وأخوه الحاج بن عمار غزالي، واللذان قصدا مدينة مغنية برفقة مرشد ومعتمد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الأستاذ عبد الوهاب بن منصور [3] الذي استطاع أن يخضع الطرقيين ويحكم سيطرة الجمعية على الحركة الدينية والثقافية في مدينة ندرومة، ويذاع صيته في

---

(1)- L'Administrateur Principal : **Rapport Mensuel de la commune Mixte de Nedroma**, Mois d'Octobre 1951, AOM, **Carton N°//34**.

(2)- L'Administrateur Principal : Rapport **Mensuel de la commune Mixte de Nedroma**, Mois de Novembre 1951, AOM, **Carton N°//34.**

[3] - شاهد عيان:" يوم خالد بمغنية"، **البصائر**، ع 146، السنة الرابعة من السلسلة الثانية، 12 مارس 1951.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

كافة الغرب الجزائري وبخاصة منطقة طرارة؛ فقد كان للأستاذ عبد الوهاب بن منصور شرف وضع حجر أساس مدرسة مغنية على الرغم من حضور رئيس شعبة مغنية السيد أحمد موسى بن سلطان، وهذا ما يدل على مكانة ابن منصور في ندرومة ونواحيها وقد كان له شرف إلقاء كلمة بالنيابة عن رئيس جمعية العلماء محمد البشير الإبراهيمي الذي لم يحضر مراسيم بداية الأشغال بالمدرسة[1].

وقد امتد صيت شعبة جمعية العلماء في ندرومة، وتفوق المعلم عبد الوهاب بن منصور ليس في منطقة طرارة فقط؛ بل امتد تفوقه إلى عاصمة عمالة الغرب وهران، فقد لازم المعلم عبد الوهاب بن منصور قادة الجمعية في مختلف جولاتهم في الغرب الجزائري، ولم يقتصر تمثيل شعبة ندرومة في باقي الأقاليم في شخص عبد الوهاب بن منصور وحده؛ فقد تقاسم معه هذا التمثيل باقي أعضاء الشعبة وسكان ندرومة الذين كانوا السباقين في تقديم التبرعات وتشجيع التعليم العربي الإسلامي، وهذا ما برز عندما دشنت جمعية العلماء مدرسة الفلاح بمدينة وهران بتاريخ 11 أوت 1952؛ يومها كانت شعبة ندرومة في طليعة المتبرعين للمدرسة بتقديم (100000) فرنك، ثم جاءت بعدها شعبة تلمسان بـ (200000) [1]، وعلى الرغم من أنّ تبرع التلمسانيين كان ضعف ما قدمه الندروميون؛ غير أنّه لا يقارن مع ما قدمه سكان مدينة ندرومة صغيرة المساحة، وقليلة الكثافة السكانية مقارنة مع حاضرة كبيرة كمدينة تلمسان ذات النمو الديمغرافي المعتبر.

6-2-4- سياسة الإدارة الفرنسية تجاه شعبة جمعية العلماء بندرومة:

إنّ النجاح الذي حققته شعبة ندرومة جاء بعد ضغوطات قوية من طرف الطرقيين في المدينة وكذلك من طرف أعوان الإدارة الفرنسية التي سعت لتطبيق سياستها بمحاصرة المعلمين ومنعهم من تقديم دروسهم؛ وذلك بسيطرتها على أهم مسجد في المدينة وهو الجامع الكبير الذي يعد مركز المدينة فإمامه وكل النشطين فيه يعينون من طرف الإدارة الفرنسية؛ وبالتالي كانت الاجتماعات وإلقاء الخطب وصلاة الجماعة التي يدعو إليها المعلمون الأحرار من شعبة الجمعية تتطلب موافقة الإدارة الفرنسية، وقد سبقت الإشارة إلى حادثة المعلم عبد الوهاب بن منصور الذي

---

[1] - شاهد عيان:" يوم خالد بمغنية"، مقال سابق.

[1] - شاهد عيان، "افتتاح مدرسة الفلاح بوهران"، **البصائر**، ع 202، السنة الخامسة، 29 سبتمبر 1952.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لم يجد متسعا لمستمعيه بعد أن ضاق به جامع القدارين؛ فقرر تقديم الدروس في الجامع الكبير مما أثار استفزاز الإدارة الفرنسية وأعوانها.

لم يتوقف الأمر عند هذا الحد؛ فقد قررت الإدارة الفرنسية تشكيل خط موازي من رجال الدين وأعوان الإدارة لمواجهة معلمي جمعية العلماء، وصار الجامع الكبير مركز الموظفين الرسميين من القائد وأتباعه، فما كان من أعضاء شعبة ندرومة سوى الابتعاد عن تقديم دروسهم وخطبهم في المسجد، وزادوا من حنقهم على الإدارة الفرنسية برفض الصلاة خلف إمام الجامع الكبير باعتباره موظف الإدارة الفرنسية، أمام هذا الوضع قررت الإدارة الفرنسية ممثلة في المدير بول لوسات التطاول أكثر فأكثر على أعضاء الشعبة، فاستغل أهم الأيام عند المسلمين وهو عيد الفطر؛ وأصدر قرراه بمنع الندروميين من أداء صلاة العيد، واستدعى عبد الوهاب بن منصور وفتح له محضرا لدى الشرطة، وقد استعان بول لوسات برجال الطرق الصوفية المساندين للإدارة الفرنسية، لكن رغم الضغط كانت رغبة الندروميين واضحة فأغلبهم قرر الصلاة مع المعلمين الأحرار، وقد كتب الشيخ العربي التبسي حول هذا الأمر قائلا: « بقرية ندرومة... نرى الحاكم يتدخل في هذه الشعيرة الإسلامية، ويستدعي العالم الوحيد بتلك الجهة، ويفتح له محضرا وبحثا عن عزمه على إقامة صلاة العيد مستقلة عن صلاة العيد في إطار الإسلام الجزائري، وخلف الموظف في ذلك الإسلام، وبات الأستاذ الجليل الشيخ عبد الوهاب إمام جريمة يسأل عنها...»[1]

أمام هذا الوضع سارعت إدارة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بقيادة العربي التبســـي إلى إصدار برقية احتجاج إلى الحاكم العام، وإلى حاكم عمالة وهران تنديدا بأعمال حاكم مدينة ندرومة بول لوسات تجاه الحرية الدينية للسكان، وقد جاء في هذه البرقية ما يلي: « نرفع احتجاجنا الصارخ ضد حاكم ندرومة الذي أباح لنفسه التدخل في قضية دينية إسلامية بمناسبة عيد الفطر، إذ أصدر أمره بمنع أحد علماء الدين الأحرار مع شعب ندرومة من أداء الصلاة خارج المدينة» [2].

---

[1] - العربي (تبسي): "حاكم ندرومة يمنع المسلمين من صلاة العيد خلف العلماء الأحرار"، **البصائر**، ع 196، السنة الخامسة، 21 جويلية 1952.

[2] - **البصائر**، ع 196، 21 جويلية 1952.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لقي أعضاء شعبة ندرومة الدعم من زملائهم من فرع الاتحاد الديمقراطي بندرومة الذين ساندوا المعلم عبد الوهاب بن منصور ورفضوا الصلاة في الجامع الكبير، ونشروا فضائح مدير البلدية وعصبته من خلال اجتماعاتهم في الفرع ومن خلال الصحافة كذلك؛ فقد نشروا مقالا بعنوان " الحاكم لوسات يمنع صلاة العيد"، أوضحوا من خلاله حقيقة المجتمع الندرومي الذي مال أغلبه إلى صف الإصلاحيين، وأنّ فئة قليلة ظلت مساندة للإدارة الفرنسية التي استخدمتها في هجومها على الإصلاحيين. بالإضافة إلى ذلك اتضح مدى غضب قادة الفرع الديمقراطي من سياسة بول لوسات (Le Sept)؛ فنادوه باسم جديد وهو الصفر (Le Zéro) [1] .

إن حملة التصعيد التي شنتها الإدارة الفرنسية على شعبة الجمعية بندرومة، وعلى أعضاء الاتحاد الديمقراطي تزامنت مع بداية تغلغل حزب الشعب الجزائري- حركة انتصار الحريات الديمقراطية إلى مدينة ندرومة، فيا ترى كيف كان وقع هذا الأمر على سكان مدينة ندرومة، وعلى التيارات السياسية و الإصلاحية الفاعلة داخلها؟

6-3-حركة انتصار الحريات الديمقراطية :

6-3-1-ظروف تأسيس حركة الانتصار :

نتج عن حوادث ماي 1945 تفكك الوحدة الوطنية التي حققتها حركة أحباب البيان والحرية، فتفرّق النواب والعلماء وقادة حزب الشعب، وقرر هذا الأخير المضي قدما في سياسته السابقة وعدم العودة إلى العرائض والبيانات، وأدرك أنّ فرنسا لن تف بوعودها وخير دليل على ذلك المجازر الفظيعة في 8 ماي1945، ورغم ذلك وجد الحزب نفسه مترددا؛ فيما إذا كان سيواصل العمل السّري منذ أن حلّ سنة 1939 وهو أسلوب تعوّد عليه وساعده إلى حد بعيد في التحرك بين أوساط الجزائريين دون مضايقة من طرف السلطات الفرنسية، وبين الظهور العلني على غرار النواب بقيادة فرحات عباس، وهذا قد يضطره للتنازل عن أمور عدّة، ولا يخفى علينا أنّ فرحات عباس قد اكتسب شهرة واسعة بين الأهالي الجزائريين بعد بيان 1943، وهذا ما ساهم ولو بطريقة غير مباشرة في ابتعاد الأضواء عن حزب الشعب الجزائري صاحب النزعة الاستقلالية، وكانت ضرورة اكتساب الصفة الشرعية للحزب أمام الإدارة الفرنسية ملّحة خاصة وأنّ الأحزاب الشرعية

---

(1)- Nedromah ;" l’Administrateur le Sept interdit les prières de l’Aid - Seghir" , In : **la république Algérienne**, 4 Juillet 1952.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

(معترف بها رسميا من قبل الإدارة الفرنسية) قد كانت تتحرك على نطاق واسع، وبعدد تردد طويل قرّر الحزب في شهر نوفمبر 1946 إبقاء "حزب الشعب الجزائري" المنحل من طرف الإدارة الفرنسية منذ عام 1939 يواصل عمله السّري، وإنشاء حزب شرعي يُعلن عنه لدى الإدارة الفرنسية، فأسس "حركة الانتصار للحريات الديمقراطية" كغطاء شرعي يسمح له بتحرك واسع، ويخوّل له حق الترشح لمختلف المجالس، وأن يعرف بمطالبه وأهدافه أكثر فأكثر للجماهير الجزائرية[1].

والحقيقة أن سبب الإبقاء على حزب الشعب الجزائري وعلى النشاط السّري كان مرّده رفض بعض قادة الحزب انتهاج الحزب سياسة الأحزاب الأخرى الملاينة والمسايسة للإدارة الفرنسية وهذا الأمر قد يؤثر سلبا على مبدأ وهدف الحزب الأساسي ويبعده عن القضية الرئيسية وهي الاستقلال الوطني، لكن مصالي الحاج أقنع الأعضاء بأهمية العمل العلني، وفي نفس الوقت المحافظة على العمل السرّي في إطار حزب الشعب.

6-3-1-1- تجربة الانتخابات:

بعد أن فصل النقاش حول مصير حزب الشعب، تقدم هذا الأخير بعنوان جديد هو حركة الانتصار للحريات الديمقراطية-كما سبق وأن ذكرنا- كواجهة شرعية له، وخاض بهذه التسمية معترك الانتخابات في أواخر 1946، ومع ذلك لم يتقبل العديد من المناضلين المتمسكين بالسّرية، والعمل الثوري، ترشح الحزب للانتخابات، ورأوا في ذلك انحرافا عن الهدف الحقيقي وقد يضطر إلى التنازل وإلى قبول بعض القرارات التي لا تتجاوب مع مبدأ الاستقلال، لهذا تقرر عقد مؤتمر يضم إطارات الحزب يومي 15و16 فيفري 1947.

اجتمع القادة يوم15 ببوزريعة ويوم16 ببلكور لأسباب أمنية، وقد هاجم التيار المتحمس قيادة الحزب واللجنة المركزية لإنشائها حزبا شرعيا دون استشارة المناضلين، وأخيرا انتهى المؤتمر بتوصيات توفق بين التيارات[1].

---

[1] - لمين (شريط): **التعددية الحزبية في تجربة الحركة الوطنية 1919-1962**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، ص 42.

[1] - أحمد (مهساس): **الحركة الوطنية الثورية في الجزائر**، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2003، ص 292.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أمّا القرار الذي أرضى الطرفين فكان كما يلي:

1-الإبقاء على حزب الشعب الجزائري في إطاره السّري القديم، للعمل على توسيع القاعدة الحزبية، ونشر الفكرة النضالية الاستقلالية.

2-متابعة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بمظهرها الشرعي، وإطارها القانوني لمساعيها ونشاطها في الأوساط الرسمية والشعبية لتوعية الجماهير بصفة عامة، وللتخفيف من المشاكل اليومية التي تواجه المواطنين في حياتهم اليومية لدى الإدارة الفرنسية.

3-إنشاء منظمة شبه عسكرية سرية، عرفت فيما بعد "بالمنظمة الخاصة" أو "المنظمة السرية" (OS) تتولى الإعداد والتعبئة للعمل الثوري.

وعوض أن يتصدع الحزب من جراء الانتقادات التي وّجهت إلى قيادته، سكنت المشاحنات بمجرد صدور قراره الخاص بالمنظمة الخاصة التي عيّن على رأسها محمد بلوزداد[1].

بالنسبة للانتخابات 1946 تحمّس فرحات عباس زعيم الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري لفكرة الترشح للبرلمان الفرنسي، فرشح نخبة من خيرة عناصره المثقفة وتحصلت على (11) مقعدا من بين(13) مقعدا وقد عارض حزب الشعب الجزائري هذه الانتخابات، ثم عدل عنها وخاض بدوره معركة الانتخابات بغطائه الشرعي الجديد ونجح 5 من مرشحيه، ومنذ البداية صرّح نواب حركة انتصار الحريات الديمقراطية بأنّهم لا يعترفون بالقوانين الفرنسية، ورددوا داخل قاعات البرلمان مطلب الاستقلال التام، رافضين في الوقت نفسه السياسة الفرنسية المتبعة بالجزائر منذ عام 1830، وكان لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية الفرصة في المشاركة في انتخابات المجالس البلدية عام 1947، وتحصلت فيها تقريبا على جميع البلديات، وكان نجاحها برهانا على دعم الجزائريين لها وإيضاح رغبتهم الجامحة في نيل الاستقلال، ومع ذلك صادفت الحركة عدّة مشاكل على رأسها عدم التوفيق بين العمل الشرعي المقتصر على تحسين وتسوية مشاكل المواطنين والعمل السري الساعي للاستقلال[1].

وفي عام 1948 جاء دور الترشح للمجلس الجزائري الذي تقرر تكوينه في الجزائر من 120 نائبا مناصفة بين الجزائريين والفرنسيين في الجزائر، ومخافة أن يصير الجزائريين على قدم

---

[1] - أحمد (مهساس)، مرجع سابق، ص 293- 294.

[1] - المرجع نفسه، ص 291.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المساواة مع الفرنسيين، شرعت الإدارة الفرنسية لتزييف الانتخابات التي حاك خيوطها آنذاك إيدموند نيجلان الذي اشتهر بالتزوير، وقام باعتقال المرشحين قبل يوم الانتخاب، ومنع المناضلين الوطنيين من الإشراف على مكاتب وصناديق الاقتراع، وبالتالي لم يفز إلاّ عدد ضئيل من مرشحي حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ونفس الأمر بالنسبة لباقي الأحزاب الجزائرية الذين ضاعت أصواتهم في وسط أغلبية فرنسية[1].

كان على حركة انتصار الحريات الديمقراطية إيجاد مكان لها في الساحة السياسية الجزائرية وحشد الجزائريين إلى صفها عن طريق الانخراط والاشتراك؛ فعملت على تأسيس خلايا وفروع لها عبر كل القطر الجزائري، وانتشرت بسرعة فائقة وبخاصة في المناطق الريفية مقارنة مع المناطق الحضرية، والأسباب متعددة منها :

- اهتمام برنامج حركة انتصار الحريات الديمقراطية بالفلاح الجزائري والعمل على الرقي به والذي هو استمرار لبرنامج حزب الشعب وما جاء في دستور 1933؛
- محاولة تقريب فئة الفلاح إلى الحزب؛ خاصة وأنها تشكل الأغلبية في المجتمع الجزائري؛
- سعي حزب الشعب- حركة انتصار الحريات الديمقراطية إلى محاربة الإقطاع والإقطاعيين الذين استولوا على أراضي الجزائريين وساهموا في تفقيرهم؛
- الضغوط التي كان يتعرض إليها سكان الريف باستمرار من الكولون، وأعوان الإدارة الفرنسية كالباش أغا والقائد؛ ساهمت في تقوية النزعة الثورية لدى الفلاحين مقارنة مع سكان المدن؛
- هجرة أعداد من الفلاحين إلى المدن، وإلى فرنسا ساهم في تنويرهم وتوعيتهم سياسيا.

إن وضعية الفلاح الجزائري كانت متشابهة في كافة التراب الجزائري؛ من فقر وعوز، وجهل ، وسيطرة للكولون والبرجوازيين أصحاب الملكيات والعقارات، يضاف إلى ذلك ضغط وتعسف القياد والباش آغاوات الذين كانوا العين الساهرة للسلطة الفرنسية، وكنّا قد أشرنا ضمن حديثنا عن نشاطات المناضلين السياسيين في ندرومة عمّا كانوا يعانوه من ظلم قياد المدينة

[1] – أحمد مهساس، مرجع سابق، ص 319.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المدعومين من طرف السلطة الفرنسية؛ هذا الأمر كان يزداد كلما توغلنا في الريف أكثر فأكثر، وهو المجال الذي سعى حزب الشعب- حركة انتصار الحريات الديمقراطية التركيز عليه خاصة وأنّ الأجواء السياسية كانت تنذر برد فعل قوي من طرف السكان تجاه السلطة الفرنسية التي استبدت في قمع رجال السياسة والإصلاح[1] .

وحول هذا الشأن ينقل لنا أحمد بن بلة وهو عضو نشط في حركة انتصار الحريات الديمقراطية في الغرب الجزائري وفي مغنية مسقط رأسه مدى غضب واستنكار سكان الريف لما كانوا يلاقونه أواخر الأربعينيات وبداية الخمسينيات من القرن العشرين قائلا:« ذات يوم قال لي فلاح " اسمع يا بني هل تعلم ماذا يقع عندما تعرف الإدارة أنّ واحدا منّا عضو في حركة انتصار الحريات الديمقراطية؟ إنها ترسل إليه رجال الدرك فيخرجونه من داره، بعد أن يضربوه ويهينوه أمام زوجته، ويرمون به في السجن دون محاكمة، وعندما يخرج منه يضطهده القائد والباش آغا. هذا هو النظام، إننا مسحوقون، معصورون، ومطحونون، وبعد هذا يتحدث الحزب عن الانتخابات...لم نعد نريد أن نسمع الحديث عن الانتخابات! إنّ ما يلزمنا اليوم هو البنادق».[1]

إنّ نزوع الفلاحين إلى الفكر الثوري بدأ يبرز رغم جهل الكثيرين لهم للمنظمة الخاصة؛ التي تأخرت في البروز في القطاع الوهراني نظرا لضعف القيادة إلى أن أسندت إلى أحمد بن بلة من مدينة مغنية الذي لاحظ توافق فكر الفلاحين الثوري مع مساعي المنظمة[2] ، وبخاصة مساعي آيت أحمد التي طرحها في مؤتمر بوزريعة سنة 1947، والرامية إلى نقل مركز ثقل الحزب من المدينة إلى الريف وتعبئة الفلاحين وتوعيتهم قد الإعداد للثورة عن طريق قادة متنورين سياسيا [3] .

---

(1)- Jacques (Simon) : **Le MTLD ; Le Mouvement pour le triomphe des libertés démocratiques 1947-1954** , L'Harmattan, Paris, 2003, p 31.

(1)- روبير (ميرل): **مذكرات أحمد بن بلة**، تر: العفيف الأخضر، منشورات دار الآداب، بيروت، ص79.

(2)- Belaid (Abane) : **L'Algérie en guerre ; Abane Ramdane et les fusils de la rébellion**, L'Harmattan, Paris, 2008, p 192.

(3)- روبير ميرل، مرجع سابق، ص 78.

(4)- Jacques (Simon), Op.Cit, p 31.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

6-3-2-نشاط حزب الشعب- حركة انتصار الحريات الديمقراطية في ندرومة:

انتشرت حركة انتصار الحريات الديمقراطية بصورة واسعة في أرياف الغرب الجزائري بما فيه منطقة طرارة، وبخاصة في دوار السواحلية التابع إداريا لبلدية ندرومة المختلطة[1]، ويعود تاريخ تمركز حزب الشعب- حركة انتصار الحريات الديمقراطية في هذه البلدية مع بدأ الحملات الانتخابية للمجلس التأسيسي سنة 1948، وعلى الرغم من فشل الانتخابات غير أنّ الحركة واصلت نشاطها واتضح ذلك بازدياد عدد المنخرطين في ظل رقابة إدارة الفرنسية وأعوانها من القياد[1] .

مثلت الحملات الانتخابية مرحلة الظهور الرسمي للحزب داخل مدينة ندرومة التي شهدت نفوذ الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري والحركة الإصلاحية، ومع ذلك تمكن حزب الشعب- حركة الانتصار من إيصال صداه إلى سكان مدينة ندرومة في وقت سابق عن طريق لسان حال الحزب جريدة الأمة التي دخلت المدينة أواخر الثلاثينيات بواسطة يشير عبد القادر وهو مساعد طبي بندرومة كانت ترسل إليه الجريدة بطريقة سرية و يقوم بالدعاية لها، وحسب ما جاء في تقارير مصلحة الشؤون الأهلية؛ أن يشير عبد القادر كان على صلة مع مدير جريدة الدفاع في مناطق نمور، ندرومة، وتلمسان، والذي كان يسعى لجمع اشتراكات لجريدته بالمدينة في ذلك الوقت[2].

وإذا كانت جريدة الأمة توزع في ندرومة بطريقة سرية؛ فحالها كحال باقي الجرائد التي كانت تتداول بين أيدي المثقفين في ندرومة بصفة غير رسمية نظرا لغياب هيئات حزبية أو جمعيات ونوادي ثقافية تمثلها وهذا طيلة فترة الثلاثينيات وإلى غاية أواسط الأربعينيات من القرن العشرين ؛ حين بدأت تتضح الصورة تدريجيا ببروز فروع حزبية علنية ورسمية في ندرومة، لكن وعلى الرغم من تأخر الحركة السياسية والإصلاحية في ندرومة، إلاّ أنها ظهرت في صور وأشكال أخرى غير السياسة مما يؤكد الوعي السياسي وتنامي الشعور الوطني لدى الندروميين، ومن أمثلة تلك الصور والأشكال الموسيقى والفن في ندرومة والذي كان بمثابة لغة موازية للغة الحوار

---

(1)- L'Administrateur Principal : **Rapport Mensuel de la commune Mixte de Nedroma**, Mois de Septembre 1953, AOM, **Carton N° 19H/34**.

(1)- Mohammed Benamar (Djebbari) : **un parcours rude…,** Op.Cit, T2, P 214 .

(2)- **Lettre de Mohammed Henaoui à M^er^ le Gouverneur Général de l'Algérie** (Direction des Affaires Indigènes), Tlemcen, le 24 Mai 1939, AOM, **Carton N° 5I/153.**

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والطاولة المستديرة؛ حيث أثبتت التقارير ميول بعض الفنانين الندروميين وتأثرهم بحزب الشعب منذ ظهوره، وليس أدل على ذلك ترديدهم للنشيد الوطني الرسمي لحزب الشعب في سهراتهم وحفلاتهم بما فيها حفلات الزواج، وهذا ما تفطنت إليه الإدارة الفرنسية، وأعلنت تخوفها من ذلك خاصة وأنها أصدرت قانون يمنع النشيد الرسمي لحزب الشعب وفق اللائحة الحكومية رقم (B19.593) بتاريخ ديسمبر 1936، وحول هذا الشأن كتب مدير بلدية ندرومة المختلطة روهرباشي (Roherbacher) حول حفلة زفاف بتاريخ 08 أكتوبر 1938 في منزل الحاج غزالي بن عمار وهو من أعيان ندرومة، وعضو نشط في جمعية العلماء أحياها جوق ندرومي بقيادة رمضاني محمد وهو بدوره من أعضاء فرع جمعية العلماء الذي ابتدأ الحفل بالنشيد الوطني لحزب الشعب الجزائري وابتدأه بالقول " بلاغ من رئيس الحزب الوطني الجزائري مصالي الحاج إلى الأمة الجزائرية الكريمة"[1].

اعتبر روهرباشي (Roherbacher) مدير بلدية ندرومة المختلطة أنّ هذا النشيد هو مجرد عادة للفرق الموسيقية بغية أن ينال رئيس الجوق بقشيشا لقاء ذلك ولا علاقة له بالحركة الوطنية [2]، وهذا الأمر يعد استصغارا من شأن الحدث، فإن كان الأمر لا يعدو كونه عادة، فلماذا تصدر الحكومة العامة قانونا يمنع هذا النشيد؟، ولماذا يتكبد روهرباشي نفسه عناء كتابة تقرير مفصل حول هذا الأمر لنائب الوالي بتلمسان؟

إن جنوح سكان ندرومة للفكر الوطني والثوري سرعان ما بدأ بالظهور؛ وقد اتضح الأمر من تلاحم الحركات السياسية حول قضايا عديدة تخص بلدية ندرومة المختلطة، وقد عبروا عن تلاحمهم هذا بتأسيس جمعية عرفت بمجموعة الموحدين (Cercle des Almohades)؛ تضم جماعة أحباب البيان والحرية إلى جانب ممثلي حزب الشعب الجزائري وذلك في شهر جويلية عام 1946[3]، وهذا يؤكد مسألة تغلغل حزب الشعب داخل مدينة ندرومة قبل فترة الأربعينيات وحتى قبل تأسيس فرع الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري.

---

(1) – **Lettre de l'Administrateur Principal de la commune Mixte de Nedroma à M^er^ le Sous Préfet de Tlemcen : PPA ; Agissements locaux,** Nedroma , le 13 Octobre 1938, AOM, **Carton N° 5I/153**.

(2)- ينظر الملحق رقم: 17 - Ibid

(3)- Commune Mixte de Nedroma : **Rapport sur la situation politique**, Nedroma, le 31 Juillet 1946, AOM, **Carton N° 19H/16**.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

إن السيطرة التي حققها فرع الاتحاد الديمقراطي بمدينة ندرومة، وشهرة الحركة الإصلاحية والعلماء في ندرومة لم تمنع فئة ولو قليلة من المجتمع الندرومي من الانخراط في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وبخاصة بعد الأحداث التي تعرض إليها رجال الإصلاح والسياسة في ندرومة؛ كحادثة تعرض أعضاء الاتحاد الديمقراطي للتهديد بمسدس من طرف القائد عبد الرحمان بكوش سنة 1947، وما تعرض له المعلم والمصلح عبد الوهاب بن منصور من ملاحقة الإدارة الفرنسية ، وما كان يتعرض له في زياراته للمناطق الريفية؛ كالزيارة التي قام بها رفقة بعض المصلحين إلى دار بن عايش في دوار السواحلية يوم 30 مارس 1951 قصد تقديم درس هناك لكنه منع من دخول المسجد بأمر من قائد الدوار في ظل سكوت للإدارة الفرنسية على الرغم من الشكوى التي أودعها المعلم عبد الوهاب بن منصور[1].

إن كل هذه الأحداث من شأنها أن تولد انطباع جديد سواء لدى المنخرطين في الحياة السياسية والإصلاحية أو عامة الشعب في مدينة ندرومة ونواحيها؛ الذين قرروا الابتعاد عن أسلوب الملاينة مع السلطة الفرنسية فوجدوا بغيتهم في انضمامهم إلى حركة انتصار الحريات الديمقراطية، ومن أبرز الأسماء التي لحقت بهذه الحركة نذكر: المسؤول عن الحركة في ندرومة وهو الخليفة ميسوم من الزاوية السليمانية ، فأرادت الإدارة الفرنسية كعادتها تمييع الأحداث وإخفاء حقيقتها حيث اعتبر مدير بلدية ندرومة المختلطة أن دعم خليفة ميسوم لحركة انتصار الحريات الديمقراطية جاء بعد نزاع شخصي بينه وبين مصلحة الإعانات الأسرية التي لامها على عدم مراعاة مكانته كمرابط ، كما لم يستبعد مدير البلدية أن ميسوم كان يتلقى أوامر من المغرب الأقصى[2].

إنّ مسعى مدير بلدية ندرومة من هذا الأمر؛ هو محاولة إخفاء حقيقة نمو الوعي الوطني لدى مختلف الشرائح الندرومية بما فيهم رجال الطرق الصوفية الذين خضعوا للسلطة الفرنسية مدة طويلة من الزمن وكانوا عائقا أمام الحركات السياسية والإصلاحية بالمدينة، لكن عامل الزمن كان كفيل بتغيير مواقف هؤلاء الطرقيين وقد اتضح ذلك من خلال دور البعض منهم –كما سبق

---

(1)- Mohammed Benamar (Djebbari) : **un parcours rude…**, Op.Cit, p 212.& Amar (Belkhodja) : **Colonialisme ; les crimes impunis**, Ed. Alpha, Alger, 2006, p 130.

(2)- L'Administrateur Principal : **Rapport Mensuel de la commune mixte de Nedroma**, Mois de Juin 1951, AOM, **Carton N°//34**.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الإشارة- في تأسيس شعبة جمعية العلماء بندرومة، يضاف إلى هذا؛ فتاريخ الزاوية السليمانية يضم أحداث ومواقف لشيوخها الذين حاوروا السلطة الفرنسية ولكن في إطار خدمة سكان المدينة ومن أشهرهم سي محمد بن رحال مقدم الزاوية الذي كان له مواقف هامة في مجال السياسة والإدارة خدمت الندروميين والجزائريين كافة، ومن أهمها نشاطاته فيما يتعلق بالتجنيد الإجباري، ولا يستبعد أنّه قد ترك بصمته في الأجيال التي تعاقبت على هذه الزاوية الواقعة في مركز المدينة قرب ساحة التربيعة.

كان الخليفة ميسوم ممثّل حركة الانتصار الحريات الديمقراطية في مدينة ندرومة، ويساعده في ذلك رفقاؤه في الريف وهما محمد المبخوت بوحفص، وعمار مولاي ومحمد عزي من ريف جبالة، ويضاف إليهم زميلهم أحمد بن بلة الناشط السياسي في مغنية والذي كان يشاركهم بعض اجتماعاتهم بمدينة ندرومة و كذلك الحملات الانتخابية التي عرفتها المدينة كانتخابات سنة 1948. كان عدد هؤلاء المنخرطين بمدينة ندرومة قليل، ولم يكن يجمعهم مكان إقامة واحد فكانوا أغلب الأوقات مبعثرين؛ مما جعلهم أكثر عرضة لرقابة الإدارة الفرنسية [1] .

إن الرقابة المستمرة من طرف الإدارة الفرنسية على أعضاء حركة الانتصار في مدينة ندرومة والمناطق المجاورة لها؛ سرعان ما برزت نتائجها والتي لم تكن في صالح الإدارة الفرنسية وأعوانها، ذلك أنّ الندروميين أعلنوا مقاومتهم ورفضهم الصريح للإدارة الفرنسية بإعلانهم حركة العصيان والذي لم يكن مدنيا قدر ما كان ثوري في وقت لم تشهد فيه الجزائر مثل هذا الحماس منذ 1945؛ وقد تجلى هذا العصيان في أحداث 15 أكتوبر 1953.

6-3-3- حركة الانتصار وأحداث 15 أكتوبر1953 بمدينة ندرومة:

قررت حركة انتصار الحريات الديمقراطية في شهر أكتوبر 1953 وبالتنسيق مع لجنة دعم ضحايا العنف (CSVR) إجراء لقاءات واجتماعات على مدار 15 يوم ضد العنف المسلط ضد الشعب الجزائري، وقد انتهت جلسات التنديد بالعنف بعقد ثلاثة تجمعات شعبية كبرى في كل من الجزائر العاصمة، وهران وقسنطينة[2].

---

(1)- Mohammed Benamar (Djebbari) : **un parcours rude…**, Op.Cit, p 214 .

(2)- Amar (Belkhodja) : Op.Cit, p 138.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

خلال تلك الاجتماعات؛ وزعت حركة انتصار الحريات الديمقراطية منشور تدعو فيه الشعب الجزائري للتضامن مع الحزب والمطالبة بإطلاق سراح المعتقلين السياسيين وعودة مصالي الحاج، وقد تمّ ذلك في نقاط عديدة في الجزائر دون حدوث مواجهات كبرى مع الإدارة الفرنسية، لكن الأمر اختلف في مدينة ندرومة التي وقعت فيها مواجهات صاخبة بين ممثلي حركة انتصار الحريات الديمقراطية والإدارة المحلية للمدينة بسبب المنشور السابق الذكر [1] .

وقعت هذه الأحداث بمدينة ندرومة يوم الخميس 15 أكتوبر 1953، وهو يوم انعقاد السوق الأسبوعي الذي كان يكتظ بالباعة والمشترين من ندرومة وخارجها؛ وكان من بين المتواجدين بالسوق بعض الشبان من حركة انتصار الحريات الديمقراطية تواجدوا في السوق منذ الصباح الباكر، وذلك بغية توزيع مناشير، والعدد 81 من جريدة "الجزائر الحرة" "L'Algérie Libre" لسان حال الحزب، لكنهم اعتقلوا على الفور من طرف أحد ضباط الأمن العام الذي طلب من أحد الشبان بالكف عن توزيع المنشورات وقام بصفعه [2].

استفز هذا الأمر حشد من السكان الذين عارضوا اعتقال مناضلي حركة انتصار الحريات الديمقراطية، لكن الضابط زاد من استفزازهم برفعه لمسدسه وإطلاقه رصاصة طائشة صوب الجماهير، والتي تسببت في مقتل فلاح يدعى محمد بن داود يبلغ من العمر (42) سنة، وسرعان ما تحوّل الأمر إلى مظاهرة شعبية عامة، وفي الحين همّ أحد الجمركيين الأوروبيين لنجدة الضابط الفرنسي؛ لكن السكان أوقفوه وأخذوا سلاحه [3]

وصلت أصداء ما يحدث في السوق إلى أسماع مدير البلدية بول لوسات؛ فقصد السوق رفقة دركيين اثنين، وأمر على الفور باعتقال مناضلي الحركة اللذان كانا قد أخذا إلى مقهى قريب من السوق (حانة مورسيانو)، ممّا زاد من حنق السكان الذين طالبوا بإطلاق سراح المعتقلين من حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وحاصروا مدير البلدية الذي تعرض للضرب من طرفهم ،

---

(1) - Jean Charles (Jauffret) : **la guerre d'Algérie par les documents**, T2, service historique de l'Armé de la terre, Vincienne, 1998, p 367.

(2) - Louis (Pelozuelo) : "Evénement de Nedroma", **Conseil Général d'Oran**, Séance du 21 Octobre 1953, p 206.

(3) - Ibid, Idem.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وكان هذا الأمر بداية لتحول مظاهرة السكان إلى العنف؛ فقد احتشدوا في ساحة التربيعة الشهيرة وبدأوا بالسير نحو مركز المدينة[1] .

أوضح سكان ندرومة مدى غضبهم من إدارة المدينة؛ وذلك من خلال اعتدائهم على أعوانها ومنهم جمركيين وحراس غابات، وطاردوا أعدادا منهم. أمام هذا الوضع طلبت إدراة المدينة المساعدة من المناطق المجاورة، فأرسل الدعم العسكري من الغزوات، وبني صاف، وتلمسان، وبدأوا بالانتشار في المدينة لمواجهة مدنيين عزل استعملوا العصي والحجارة، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد فقد شارك في الدعم العسكري فصيلة من الدرك وقسمين من الفيلق الخارجي، وقد لحق بهم فصيلة أخرى من الدرك في المساء[1] .

أثناء النهار؛ قام فيلق بني صاف والدوريات المتنقلة لإدارة تلمسان بالتنقل في دواوير نمور(الغزوات) وندرومة، وقامت بمحاصرتها، كما أرسلت الإدارة الفرنسية طائرة تحلق على علو منخفض تبث الدعر في نفوس النساء والأطفال.

رغم أن الأحداث قد جرت داخل مدينة ندرومة؛ غير أنّ الإدارة الفرنسية سلطت رقابتها و استبدادها على سكان الريف وذلك لأسباب أهمها أنّ الريف يضم مناضلين كثر من حركة انتصار الحريات الديمقراطية، كما أنّ جل من كان في السوق يومها كان من الفلاحين من الدواوير المجاورة، لذلك قامت الإدارة الفرنسية بهذه الخطوة لكبح جماح المناضلين السياسيين ولزرع الرعب في أوساط الفلاحين [2] .

كانت أقوى وأهم قوى الدعم العسكري متمركزة في دوار بني منير الذي ينتمي إليه الضحية محمد بن داود الذي قتل في أحداث السوق بندرومة، التي انتقل إليها في اليوم الموالي هيئة أركان الإدارة الاستعمارية بأكملها، وكان من بينهم نائب حاكم العمالة بونوم (Bonhomme)، الكولونيل مونتينيي (Montigny)، نقيب الدرك جويللي (Jouillé)، ومفوضا الشرطة بومروك وفالنتيني (Valentini)، وآخرون... [3]

---

(1) - Amar (Belkhodja), Op.Cit, p 131.

(1) - Ibid, Idem.

(2) - Conseil Général d'Oran, séance 21 Octobre 1953, p 207.

(3) - Amar (Belkhodja), Op.Cit, p 132.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

قامت الإدارة الاستعمارية بسلسة من الاعتقالات، وقد قاد بول لوسات مدير بلدية ندرومة المختلطة بنفسه عناصر الدرك وأعوان الأمن لمطاردة السكان في الدواوير المجاورة للمدينة بغية تسليط الرقابة عليها[1] .

بلغ عدد المعتقلين (69) شخص، وأرسلوا إلى السجن المدني بتلمسان وظلوا في زنزاناته إلى غاية 18 فيفري 1954، وهو موعد جلسة محاكمتهم بقصر العدالة بتلمسان الذي كان محاطا بقوات الشرطة، كما منع المرور في النواحي القريبة من المحكمة[2] .

تولى أمر الدفاع عن (52) متهم في أحداث ندرومة السادة رينيه ستيب (Renée Stibb)، وكولومبي دي بارو (Colombet) من باريس، وتوفني (Thuveny) من وهران، ولاسكار (Laskar) ، هيرتاس (Hertas)، والحاج سليمان من تلمسان[3].

توبع الندروميون بثلاث تهم وهي العنف مع القضاة، حمل السلاح، وسرقة بنادق، وفي قفص الاتهام لا أثر لقاتل محمد بن داود الذي سقط في أحداث 15 أكتوبر 1953. كان من ضمن 32 شخص الذين قدموا شهاداتهم؛ بول لوسات (Paul Le Sept) مدير بلدية ندرومة المختلطة، والذي نقل إلى تيارت عقب الأحداث. كشف بول لوسات خلال شهادته؛ أنّه أثناء المظاهرات كان يحمل سلاح رشاش، وأعترف أنّه لم يتلق أي أمر يقضي بمصادرة المنشورات والعدد (81) من جريدة الجزائر الحرة التي وزعت يوم 15 أكتوبر في ندرومة، وذكر أيضا أنّ الوثائق الموزعة لم تكن ضمن ما هو ممنوع بقرار إداري؛ لكنه لكي يبرر فعلة الضابط الذي أطلق النار على مدني قال أنّ الأعداد السابقة لجريدة الجزائر الحرة كانت ممنوعة[4].

والملفت للنظر أن بول لوسات لم يسترسل في سرد أحداث 15 أكتوبر كما كان منتظرا في تقاريره الشهرية وفي مقدمتها تقرير شهر أكتوبر 1953 المؤرخ يوم 30 أكتوبر، وكذلك تقرير شهر نوفمبر واكتفى بالإشارة إلى نشاط حزب الشعب- حركة الانتصار في المناطق الريفية كجامع الصخرة وسواحلية وأثنى على نفسه لمّا خاطب حاكم العمالة مذكرا أيّاه بالخطر الذي كان ينبَه به

---

(1) - Amar (Belkhodja), Op.Cit, p 132.

(2) - Ibid, p 134.

(3) - Ibid, p 136.

(4) - Ibid, p 137.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الإدارة منذ أشهر والمتعلق بتنامي حزب الشعب- حركة الانتصار وأعمال العنف التي كانت تقوم بها في أرياف بلدية ندرومة المختلطة وزرع الرعب في نفوس المسلمين الرافضين الانخراط فيها وكذلك قطع أسلاك الهواتف لقطع الاتصالات بين المراكز الفرنسية، ولم يتحدث على الإطلاق حول ما حصل في ذلك اليوم[1].

دامت المحاكمة مدة يومين؛ أوضحت من خلالها هيئة الدفاع في مرافعاتها استنكارها للعنف الذي يتعرض له السكان الجزائريون طيلة أربعة أشهر لكن ذلك لم يؤثر بأي شكل من الأشكال على قرارات العدالة الاستعمارية التي كانت أحكامها قاسية؛ (36) جزائري حكم عليهم بسنوات سجن تتراوح بين سنة إلى أربعة سنوات، ومن (03) سنوات إلى (10) سنوات نفي. كما حكم على ثلاثة (03) آخرين بأربعة سنوات سجن، وعشر سنوات نفي، وحكم على تسعة أشخاص بثلاثة سنوات سجن، وعشر سنوات نفي، و صدر حكم بثلاثة سنوات سجن، وعشر سنوات نفي في حق تسعة، كما حكم على إثنان بسنة سجن، وستة عشر آخرون تمّ تبرئتهم [2].

كانت أحكام مجحفة في حق أناس بسطاء، وفي حق مناضلي حركة انتصار الحريات الديمقراطية الذين لم يسعوا إلى العنف والتمرد؛ بل كانوا يسعون إلى بث الوعي والثقافة السياسية في صفوف الجزائريين، ويستخدمون جزء ولو بسيط من حقوقهم المدنية.

لم تكتف الإدارة الفرنسية بإجحافها في حق المشاركين في أحداث أكتوبر 1953؛ ومارست إجحافها وتسلطها مرة أخرى ضد سكان ندرومة ولكن هذه المرة ضد النساء لا الرجال فبتاريخ 21 جانفي 1954؛ انتقل ثمانية من الدرك إلى دشرة جامع الصخرة والتي تبعد عن ندرومة (08) كلم على طريق الغزوات وذلك لإلقاء القبض على أحد السكان يدعى مختار ودّاحة والذي كان عنصر خطر حسب ما ادعته الإدارة الفرنسية [1]، ولما وصل الدرك طلب المتهم

- [1] L'Administrateur Paul Le Sept : **Rapport Mensuel de la Commune Mixte de Nedroma**, Mois d'Octobre et Mois de Novembre 1953, AOM, **Carton N° 19H/35.**
- ينظر الملحقان رقم 18 و 19.

- [2] Amar (Belkhodja), Op.Cit, p 137.

- [1] Rapport de la délégation du MTLD sur l'arrestation des sept femmes de Nedroma" , In **: L'Algérie libre**, N° 101, 5 Mars 1954.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

منحه بعض الوقت لإبلاغ عائلته لكنهم رفضوا فتجاهل ذلك ودخل إلى مسكنه؛ فاقتحم الدرك منزله بعنف واعتدوا عليه وعلى أخيه علي، وتمّ اقتيادهما بالقوة إلى عربة الدرك[1].

اجتمع الناس رجال ونساء وأطفال حول المكان وقاموا برمي الحجارة على قوات الدرك وشاحنتهم، وطلبت النسوة اللحاق بأزواجهن وآبائهن إلى السجن، وفي اليوم الموالي عادت مرة أخرى الدورية المتنقلة و درك ندرومة ونمور إلى جامع الصخرة لاعتقال سبعة (07) نساء؛ خمس أمهات وفتاتين سنهما بين (14) و(16) سنة، وقد أصدرت محكمة تلمسان يوم 12 فيفري 1954 قرارات بالسجن لمدة شهرين للنسوة الخمس، أمّا الفتاتين فصدر في حقهما حكم بالسجن مدة ستة أشهر غير نافذة [2].

6-3-4- ردود الفعل تجاه أحداث أكتوبر 1953 بمدينة ندرومة:

6-3-4-1-موقف الإدارة الفرنسية:

في الواقع؛ إنّ موقف الإدارة الفرنسية كان واضحا من خلال سياسة القمع والاعتقال التي شنتها ضد السكان في ندرومة والدواوير المجاورة، وزاد وضوحا من خلال دورات وجلسات المجلس العام بوهران والتي تصادف انعقادها مع الأحداث.

ففي جلسة 16 أكتوبر1953؛ تمّ تخصيص وقت كاف في جدول الأعمال لدراسة أحداث ندرومة التي احتلت المرتبة الثالثة في برنامج الجلسة التي انقلبت الأمور فيها على عكس ما حدث في ندرومة ولم يمر بعد أكثر من يوم؛ فقضية الشبان الذين تعرضوا إلى الضرب والاعتقال من طرف أحد أعوان الإدارة الفرنسية بسبب توزيعهم لمنشورات وجريدة حركة انتصار الحريات الديمقراطية تغيرت إلى هجوم من طرفهم على أعوان الإدارة الفرنسية، وقد سرد هذه الرواية المغايرة على أسماع المشاركين في الجلسة وفي مقدمتهم حاكم عمالة وهران؛ أحد أعوان الإدارة الفرنسية والموالين لها وهو نائب وقائد مدينة ندرومة "سليمان بلعابد" الذي قال: « ...سيدي الحاكم البارحة على الساعة التاسعة وخمس وأربعون دقيقة (09:45)؛ قامت مجموعة مؤلفة من (300) شخص بحماية بائع لجريدة " الجزائر الحرة " الممنوعة من طرفكم هاجم أحد ضباط السلطة، وطعنه بسكين عشرات المرات مما أصابه بجرح بليغ، وجمركي أتى لتقديم المساعدة للشرطة سرقوا

---

[1] - Mohammed Benamar (Djebbari) : un parcours rude…, Op.Cit, T2, 224.

[2] - Amar (Belkhodja), Op.Cit, p 134.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

سلاحه....»[1] ، وقد واصل سليمان بلعابد وصفه للأحداث وإلى سلسلة العنف والضرب الذي تلقاه أعوان الدرك والشرطة من طرف مدنيين عزل؟! قائلا: « تمّ ملاحقة أعوان آخرين وتهديدهم بالسكاكين...انتشرت الغوغاء في القرية محطمة زجاج مكاتب البلدية المختلطة، ومحفزة المسلمين بالانضمام إليها لزيادة الوضع تفاقما والمشاركة في المجزرة...، توقفت الأحداث وعاد الهدوء بفضل الله، وبفضل هدوء الأعصاب التي تحلى بها كل من كان متواجدا هناك، من مدير، وفرسان، وأعوان وحتى معلمين»[2] .

أراد سليمان بلعابد إيصال فكرة أن مناضلي حركة انتصار الحريات الديمقراطية هم مجموعة من المشاغبين والمحرضين يسعون لخلق البلبلة في مدينة ندرومة ونواحيها وإلحاق الأذى بالسيادة الفرنسية من خلال تحفيز السكان على التمرد، وقد استطرد في مداخلته قائلا:« أقف ومعي كل الفرنسيين الطيبين وكل البرقيات التي فوق مكتبي ، لإيضاح رفضنا للعمل الإرهابي الذي يسعى حزب الشعب وحركة الانتصار لإقامته في هذا البلد الفرنسي»[3] .

كان سليمان بلعابد السباق إلى طلب الكلمة في جلسة المجلس العام، وقد كان تدخله طويلا ألقى فيه اللوم منذ البداية على مناضلي حزب الشعب وحركة انتصار الحريات الديمقراطية، وأخفى نهائيا أي دور للإدارة الفرنسية في خلق الشغب يوم السوق، ولم يتحدث إطلاقا على التدخل العسكري؛ بل على العكس جعل من الفلاحين في السوق وسكان ندرومة إرهابيين يركضون خلف أعوان الدرك بالخناجر والسكاكين، وطالب في الأخير من السلطات المعنية « ضرورة تحقيق السلم والأمن العام، وبعدم التردد في اتخاذ إجراءات نهائية حاسمة وصلبة قدر الإمكان للتخلص من بعض المجرمين المجانين الذين يريدون إغراق هذا البلد، بلدنا في الفوضى والبؤس»[1] .

---

(1) - Slimane (Belabed) : Evénement de Nedroma, **Conseil Général d'Oran**, séance du 16 Octobre 1953, p 154.

(2) - Ibid , p 155.

(3) - Ibid, Idem.

(1) _ Ibid, Idem.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تمّ تزكية أقوال سليمان بلعابد من طرف أعضاء المجلس، وقد دعّم أقواله السيد جاربو(Gerbaux) ممثل شعبة نمور، مغنية وندرومة في المجلس العام؛ حيث أوضح وجود بعض المحرضين ومثيري الشغب يسعون إلى تعميم مناخ إرهابي في هذه المناطق [1].

هذه المواقف من طرف أعوان الإدارة الفرنسية وجماعة بني وي وي توضح مدى الحصار والضغط الذي كان يعانيه أعضاء حزب الشعب- حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وكيف أنّ الإدارة الفرنسية كانت ترقب تحركاتهم في المناطق الريفية، ونحن لا نستغرب هذا الأمر؛ فوضع حركة انتصار الحريات الديمقراطية لم يكن في أحسن حال، وتداعيات الأزمة داخل الحزب بدأت بالظهور خاصة بعد اكتشاف المنظمة الخاصة.

بتاريخ 31 أكتوبر 1953 صرح الحاكم العام في الجزائر العاصمة أنّ أحداث ندرومة كانت بسبق إصرار وترصد من المحرضين، الذين قدموا من الميتروبول- فرنسا- أين تلقوا تعليما خاصا في مدارس دعائية، وتكوين داخل حزب الشعب، وفي بعض معسكرات الشمال الإفريقي المتواجدة في بلديتين في منطقة با دي كالي (Pas de Calais) [2] ، وقد أوضح جون فوجور (Jean Vaujour)؛ أنّ أحداث ندرومة ما هي إلاّ حلقة من سلسلة طويلة بدأت توضح تباشير الاستعداد للعمل العسكري، كما أوضح أنّ المهاجرين كان لهم دور فاعل فيها فقد كان أحد النشطين في خلايا حركة الانتصار في الخارج ممن شهدوا أحداث ندرومة[3]، وقد أضاف فوجور(Vaujour)؛ أنّ حزب الشعب- حركة الانتصار قد عمل على تعبئة المناضلين في ثلاث مناطق نواحي ندرومي، وأسند هذا العمل إلى شخص يدعى بابا أحمد الذي سعى لتحقيق أهداف الحزب وباستعمال القوّة إذا لزم الأمر، ولذلك كان توزيع المناشير و الجريدة في ندرومة باعتماد السكاكين والعصي [1] .

---

(1)_ **Conseil Général d'Oran**, séance du 16 Octobre 1953, p 156.

(2)- Jean René(Genty) :, Op.Cit, p 114.

(3)- Jean (Vaujour) : **de la Révolte à la Révolution : aux premiers jour de la guerre d'Algérie**, A. Michel, 1985, p 114.

(1)- Ibid,p 88.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

6-3-4-2-موقف التيار الشيوعي:

على عكس ما أتى به سليمان بلعابد نائب ندرومة في المجلس العام؛ كان ممثل الحزب الشيوعي مساندا للجزائريين، ولحركة انتصار الحريات الديمقراطية ففي جلسة 21 أكتوبر 1953 أوضح بوليزويلو (Pelozuelo) شرعية ما قام به شبان حركة انتصار الحريات الديمقراطية؛ فهم لم يخطئوا بتوزيعهم لبعض المناشير وعدد من جريدة الجزائر الحرة لأنّ ما تتضمنه كان في إطار شرعي ولا يؤذي السيادة الفرنسية، التي سارعت حسبه إلى طلب التعزيزات العسكرية التي عجلت بخلق الفوضى والشغب.

وقد أشار بوليزويلو (Pelozuelo) أنّ أحداث ندرومة لم تكن الوحيدة؛ فقد عرفت نمور (الغزوات)، وأغليون فيل (Orléanville) (الشلف) أحداث دامية، ومع ذلك تكتف الإدارة الفرنسية بوضع الملاحظات دون البحث عن الأسباب، وحسب بوليزويلو فالأسباب تتنوع بين سياسية واقتصادية واجتماعية. أمّا الأسباب السياسية فتتمثل في غياب الحرية؛ فالحريات الديمقراطية يستهزأ بها، لذلك طالب بتوسيع حرية التعبير، أمّا الأسباب الاقتصادية في هذه المناطق؛ فتتمثل في وضعية البؤس المروّع الذي يعيشه الفلاح، لذلك اقترح بوليزويلو تثبيت سعر الشعير و تسهيل سلفات البذور في المنطقة، أمّا الأسباب الاجتماعية فتتمثل في كون العمال الزراعيين الجزائريين يأتون في الدرجة الثانية ولا يصل أجرهم إلى (300) فرنك في اليوم، وليس لديهم تأمين اجتماعي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يقضي العمال الزراعيون معظم السنة في بطالة داخل دواويرهم، وبخاصة في نمور وندرومة. فكل هذه الأمور مجتمعة ساهمت في توليد حالة توتر في منطقة ندرومة ونواحيها[1].

إنّ الأسباب التي أشار إليها النائب الشيوعي ليست بعيدة عمّا كان يعيشه سكان ندرومة والمناطق المجاورة، والأمور التي طالب بها هي من أساسيات برنامج حركة انتصار الحريات الديمقراطية.

---

[1] - Conseil Général d'Oran, séance du 21 Octobre 1953, pp 206-210.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

6-3-4-3- موقف حركة انتصار الحريات الديمقراطية:

أوضحت حركة الانتصار عبر صحيفتها الجزائر الحرة؛ مدى العنف الهمجي الذي يتعرض له السكان في ندرومة ونمور منذ شهور والذي لم يسلم منه الرجال ولا النساء على السواء، وطالبت بإطلاق سراح المعتقلين ضحايا العنف الاستعماري، و نددت الحركة واستنكرت بشدة في احتجاج رسمي القرارات التي أصدرتها محكمة تلمسان، ورأت أنّ الحكم الوحيد الذي كان ينبغي لهذه المحكمة إصداره؛ هو حكم البراءة لا غير.

كما أكدت حركة انتصار الحريات الديمقراطية أن أسلوب العنف الذي تتبناه السلطة الاستعمارية هو الذي سيحقق لها الاستمرارية، وليس القوة من تمنع الجزائريين من زيادة ومضاعفة كفاحهم العادل من أجل قضيتهم العادلة[1].

وكان فرع حركة الانتصار بتلمسان قد عقد اجتماع يوم 11 فيفري 1954 بالتنسيق مع جمعية النساء المسلمات الجزائريات[2] عشية إصدار العقوبات ضد نساء ندرومة لاستنكار العنف وإعلان التضامن مع النساء السبعة، وقد حضر الاجتماع قرابة (2000) شخص، وقد أفضى الاجتماع إلى اعتماد قرار يسّلم إلى رئيس المحكمة الجنائية بتلمسان التي استعصى على الناس وعلى أعضاء حركة انتصار الحريات الديمقراطية الوصول إليها بسبب الإجراءات الأمنية التي سلطتها السلطة الفرنسية[1].

6-3-4-4-موقف التيارات السياسية والإصلاحية الجزائرية:

اتضح موقف التيارات السياسية والإصلاحية في الجزائر بصورة دقيقة بعد انتهاء المحاكمة التي كانت قرارتها بغيضة وقاسية؛ فقد اتفقت أطراف مختلفة من النشطين السياسيين والإصلاحيين

---

(1)- L'Algérie libre , N° 100, 26 Février 1954.

(2)- أسست جمعية النساء المسلمات الجزائريات في جويلية 1947؛ وهي جمعية ذات طابع اجتماعي بالدرجة الأولى، تهدف إلى توعية النساء بأهميتهن في المجتمع، ودفعهن للمشاركة في النضال السياسي الذي أعلنه الشعب ضد نير الاستعمار، وقد لعبت هذه الجمعية دور فعال إلى صحيفة الجزائر الحرة للمطالبة بالإفراج عن النسوة الندروميات السبعة. ينظر

Anissa (Barrak) & Bénédicte (Muller) : "Femmes et guerres", In : **Confluences Méditerranée ; revue trimestrielle**, N° 17, Ed. L'Harmattan, Paris, 1996, p101.

(1)- L'Algérie libre, N° 104, 20 Février 1954.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

على استنكار هذه القرارات وقد عبرت عن ذلك بإرسال برقية إلى رئيس الجمهورية الفرنسية، وإلى وزراء الداخلية والعدالة، وإلى الحاكم العام في الجزائر، وقد ضمت البرقية إمضاءات كل من [1] :

- هيئة المساعدة الشعبية: جماد الشريف، وجورج رافيني (Rafini Georges)؛
- الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري: الدكتور أحمد فرانسيس؛
- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: أحمد توفيق المدني؛
- حركة انتصار الحريات الديمقراطية: أمبارك جيلاني؛
- الكشافة الإسلامية الجزائرية: محفوظ قداش؛
- لجنة دعم ضحايا العنف: السيد أوجواج (Ougouag)؛
- الكنفديرالية العامة للعمال CGT: لخضر قائدي، و أندري رويز (André Ruiz)؛
- اتحاد الشبيبة الديمقراطية الجزائرية: نور الدين ربّاح؛

كانت أحداث أكتوبر 1953 بمدينة ندرومة مؤشر على تحول الفكر السياسي من أسلوب الملاينة والدبلوماسية التي اتبعه فرع الاتحاد الديمقراطي مع الإدارة المحلية إلى المواجهة الصارمة والصريحة معها؛ ليس بحمل السلاح كما أدعت هذه الإدارة وإنما بتزكية التيار الاستقلالي المتمثل في حزب الشعب- حركة الانتصار الذي تأخر في الظهور على الساحة السياسية في هذه المدينة، الأمر الذي جعل الإدارة الفرنسية تتبنى فرضية أنّ عناصر حركة انتصار الحريات الديمقراطية الذين كانوا وراء أحداث أكتوبر هم دخلاء على المدينة وجلهم فلاحون قدموا من القبائل المجاورة محاولة منها لإخفاء انضمام الندروميين الحضريين إلى حركة الانتصار، لكن الإدارة الفرنسية أغفلت حقيقة أنّ الريف لطالما كان مرتبطا بالمدينة، والعكس صحيح.

---

[1] - L'Algérie libre , N° 100, 26 Février 1954.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

شهدت مدينة ندرومة رغم صغر مساحتها مقارنة مع باقي مدن الغرب الجزائري حركة سياسية وإصلاحية نشطة، وقد ساهم في ذلك قرب المدينة من مركز الأحداث ونقصد بذلك مركز عمالة الغرب مدينة وهران وكذلك مدينة تلمسان اللتان عرفتا نشاطا ملحوظا من طرف الحركات السياسية سواء الفرنسية أو الجزائرية؛ فلا يخفى علينا أن مدينة تلمسان – على سبيل المثال لا الحصر - كانت حاضرة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في منطقة الغرب وكان لهذا الأمر أثره الفعال على الندروميين حتى وإن استهلك الفكر الإصلاحي وقتا حتى يتغلغل إلى المدينة، ولا يختلف الأمر بالنسبة لبقية الأحزاب كالاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بزعامة فرحات عباس والذي أبرز اهتماما بمنطقة الغرب الجزائري التي خصّها بعدة زيارات بما فيها مدينة ندرومة التي قصدها ثلاثة مرات، كما لا ننسى اهتمام حزب الشعب الجزائري – حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بدوره بزرع أفكاره في مختلف ربوع الجزائر بما فيها الغرب الجزائري الذي ينتمي إليه زعيم الحزب مصالي الحاج تلمساني المولد.

إن نشاط الحركات السياسية الإصلاحية التي عرفت انتعاشا وحركية شبه دائمة في مدينة ندرومة شجعه الفئات الندرومية المثقفة والتي شكلت انتلجانسيا حقيقية نظرا لمدى كفاءاتها، وتقدمها الثقافي المزدوج العربي والفرنسي؛ فقد ضمت ندرومة التي عدّت مشتلة المثقفين عددا من المعلمين خريجي المعاهد الفرنسية، كما ضمت صيادلة وأطباء ومن أشهرهم محمد النقاش الذي يعد أول حائز على دكتوراه في الطب على مستوى الجزائر وذلك سنة 1881.

وجود مثل هذه النخبة مجتمعة في مدينة ندرومة شكل إرثا ثقافيا جعل المدينة على اتصال ووعي مستمر حول ما يحيط بها من أحداث، وقد ترجم هذا الوعي في النشاط السياسي الذي عرفته المدينة، والتي أوضح الندروميون من خلاله رفضهم لممارسات الإدارة الفرنسية، وطالبوا بنيل حقوقهم المدنية على غرار الفرنسيين.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وإن كانت الإدارة الفرنسية قد أحكمت سيطرتها على زمام الأمور داخل المدينة ، ومنحت فضاءً واسعا في إدارتها لبعض الأعيان والعائلات الكبرى في المدينة الذين حافظوا على امتيازاتهم من خلال مجلس الجماعة وكذلك المجلس البلدي، وحتى من خلال نشاطاتهم الاقتصادية، إلاّ أنّ عامة السكان تمكنوا من إيصال أصواتهم بواسطة الفروع الحزبية التي أسست في المدينة والتي ضيقت الخناق على إدارة بلدية ندرومة المختلطة التي صارت تطالب حاكم العمالة بإمدادها بالدعم الأمني والعسكري، وهذا ما يدل على أن ندرومة تمكنت من مواجهة الاستعمار الفرنسي وكانت من أوائل المدن الجزائرية التي ثارت على السلطة الفرنسية سنة 1953.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

خـــاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بناء على الدراسة المونوغرافية التي خصصناها لتاريخ مدينة ندرومة وسيرورة مجتمعها خلال الفترة الاستعمارية؛ عرفنا أنّ وقوع مدينة ندرومة القريب من المغرب الأقصى قد فتح المجال لبعض العائلات المغربية وكذلك بعض اليهود إلى التوافد على هذه المدينة عبر فترات تاريخية مختلفة مما ولّد فسيفساء اجتماعية من عناصر إثنية ودينية مختلفة، إلاّ أن هذا التنوع خدم سكان المدينة الذين عاشوا في تآلف وانسجام رغم اختلاف الثقافة والدين، وبخاصة بين المسلمين واليهود الذين تأقلموا مع بعضهما البعض ولم تشهد ندرومة صراعا وتنافسا فيما بينهما طيلة الفترة التي سبقت الاستعمار الفرنسي؛ حيث مارست كل فئة عرقية عاداتها وتقاليدها وطقوسها الدينية، لكن ضمن الحدود التي رسمتها الفئة الإسلامية المسيطرة على المدينة، وقد اتضح هذا الأمر من خلال أسماء بعض الشوارع والدروب والتي كانت مقرا لبعض الأقليات وبخاصة اليهودية كشارع القناوة ودرب اليهود.

كانت مدينة ندرومة حاضرة على قدر كبير من الأهمية وذلك لما تميزت به من رصيد تاريخي وحضاري لازمها حتى عشية الاحتلال الفرنسي لها؛ هذا الأخير الذي استعصى عليه احتلال المدينة إلى غاية سنة 1842، وتأخره هذا لم يكن بسبب مقاومة الأمير عبد القادر فقط؛ وإنما كذلك بسبب قوة قبائل جبال طرارة بما فيها قبيلة ندرومة التي كان الطابع الجغرافي التضاريسي الحصن المنيع لها لِمَا منحها من عزلة وفرت لها الاستقلالية التي جعلتها ترفض كل حكم خارجي ؛ ففي الماضي رفضت ندرومة وقبائل طرارة التواجد العثماني، كما رفضت الانصياع لأوامر الأمير عبد القادر، فكان من الطبيعي أن ترفض الخضوع بسهولة للسلطة الفرنسية.

لكن تنامي قوة الجيش الفرنسي وتشتت قوة الأمير عبد القادر بعد احتلال مدينة تلمسان؛ سهّل أمر احتلال مدينة ندرومة التي سقطت بعد فترة وجيزة، وعلى الفور باشرت السلطة الفرنسية تثبيت سلطتها وسيادتها وقد اتضح ذلك من خلال جعل المدينة مركزا للبلدية المختلطة التي تضم عددا من الأرياف المحيطة بها وسَهّلَ عليها بذلك إحكام إدارتها ومراقبتها المستمرة على القبائل، ومع ذلك عجزت الإدارة الفرنسية من فرض هيمنتها على مدينة ندرومة؛ فصغر مساحة هذه الأخيرة وقدم هيكلها العمراني الذي وقف عند حدود السور العتيق حال دون التوسع داخل المدينة

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وإحداث تغييرات فيها؛ مما أضر بمساعي الإدارة الفرنسية في خلق مدنية أوروبية عن طريق تشجيع الاستيطان وإقامة شوارع أوروبية بندرومة والتي اقتصرت على شارع وحيد خارج أسوار المدينة معظم سكانه من موظفي البلدية.

إن عدم تمكن الإدارة الفرنسية من جعل ندرومة مركز استيطاني كان له الأثر على الأنشطة والتفاعلات الاقتصادية في مدينة ندرومة بفروعها الثلاث الصناعة، التجارة، والزراعة التي وإن ظلت نشاطات محلية في أيدي الندروميين؛ إلاّ أنّها كانت نشاطات معيشية لم ترتق إلى التجارة والتصنيع ولم تخرج عن حدود بلدية ندرومة المختلطة، وسبب ذلك هو افتقار الندروميين للتقنيات والآليات التي تتماشى وروح العصر والمدنية الحديثة، وكذا عدم اكتراث الإدارة الفرنسية بتقديم الدعم للسكان؛ في حين شجعت بعض الأنشطة التي عادت عليها بالفائدة، كصناعة الساف النباتي الذي كان يصدر إلى فرنسا والخارج، بالإضافة إلى بعض الزراعات التي كانت تنتجها أراضي الكولون وعلى رأسها الكروم، لكن اللامبالاة التي أبرزتها الإدارة الفرنسية تجاه الأنشطة الاقتصادية للمجتمع الندرومي والتي كانت في تقهقر مستمر ساهم فيها الندروميون أنفسهم وذلك بسبب حياتهم الاجتماعية المنغلقة، ولا يقصد بالغلق هنا التخلف؛ وإنما التشبث ببعض العادات التي لم تكن لتتماشى مع تزايد النفوذ الاستعماري داخل المدينة؛ فأساليب الحياة بدأت تتغير والتأثير الأوروبي بدأ يتضح لبروز قابلية لدى بعض الفئات الندرومية للمدنية الأوروبية، ومما زاد من حجم التأثير الذي أضر ببعض الصناع والفلاحين؛ هو أنّ أغلب الفئات التي تبنت المدرسة الأوروبية كانت من أعيان المدينة الذين تنوعت أدوارهم بين السياسة والمشاركة الإدارية مع السلطة الفرنسية، وبين الدور الثقافي والديني، وكذلك الدور الاقتصادي فلا يخفى علينا أن جلّ الأراضي الزراعية الكبرى والتفاعلات التجارية والصناعية كانت بيد هؤلاء، مما ولد ضغط أضر باقتصاد العامة في ندرومة وهم النسبة الكبرى، والذين شكلوا بروليتاريا حقيقية زاد من حدتها زحف سكان الريف إلى المدينة والذين ساهموا في تراجع اقتصاد المدينة أكثر فأكثر.

اتضح الرفض الندرومي للإدارة الفرنسية منذ الأيام الأولى للاحتلال، وهذا الأمر لم يأت من فراغ بل كان نتاج الاستقلالية الاجتماعية والإدارية التي اعتادها الندروميون- كما سبقت الإشارة- ، وبالتالي كان من الصعوبة الانصياع لأوامر إدارة دخيلة وأجنبية كالإدارة الفرنسية التي

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لم يكن بينها وبين الجزائريين عوامل مشتركة، لكن مع ازدياد النفوذ الاستعماري داخل المدينة بدأت عوامل الترابط والالتقاء بالتشكل بين الندروميين والفرنسيين على غرار بقية الجزائريين وذلك عن طريق التعليم الفرنسي الذي وجهته الإدارة الفرنسية إلى الجزائريين ظنا منها أنّه سيخدم موقفها وسياسة الإدماج التي تبنتها، لكنها لم تتفطن إلى أن هذا التعليم قد فتح أعين الجزائريين على الثقافة والمدنية الأوروبية التي نهلوا منها ما يخدمهم ويخدم ثقافتهم العربية الإسلامية وتجلى ذلك في جماعة النخبة الجزائرية المثقفة التي برزت مع مطلع القرن العشرين، غير أنّ الملفت للانتباه وجود فئة سبقت هذه النخبة ووضعت اللبنة الأولى والقاعدة التي ارتكزت عليها النخبة ومن بين هؤلاء سي محمد بن رحال الندرومي، الذي حاور الإدارة الفرنسية وأوضح موقفه منها في وقت مبكر، وهذا من شأنه إيضاح مدى الوعي والتطور الفكري الذي تغلغل إلى مدينة ندرومة والذي استمر بفضل عدد من شبانها الذين درسوا سواء في معاهد عربية وفرنسية وترجموا تعليمهم بتبني آراء وأفكار سياسية وإصلاحية لأحزاب سياسية ناشئة أسسوا لها فروع وشعب داخل مدينة ندرومة مع بداية الأربعينيات من القرن العشرين.

إن نشاط الحركات السياسية الإصلاحية التي عرفت انتعاشا وحركية شبه دائمة في مدينة ندرومة شجعته الفئات الندرومية المثقفة والتي شكلت انتلجانسيا حقيقية نظرا لمدى كفاءاتها، وتقدمها الثقافي المزدوج العربي والفرنسي؛ فقد ضمت ندرومة التي عدّت مشتلة المثقفين عددا من المعلمين خريجي المعاهد الفرنسية، كما ضمت صيادلة وأطباء ومن أشهرهم محمد النقاش الذي يعد أول حائز على دكتوراه في الطب على مستوى الجزائر وذلك سنة 1880 من كلية الطب بباريس، وسبق بذلك الدكتور ابن العربي الذي نال شهادة الدكتوراه سنة 1884.

إنّ وجود مثل هذه النخبة مجتمعة في مدينة ندرومة شكل إرثا ثقافيا جعل المدينة على اتصال ووعي مستمر حول ما يحيط بها من أحداث، وقد ترجم هذا الوعي في النشاط السياسي الذي عرفته المدينة، والتي أوضح الندروميون من خلاله رفضهم لممارسات الإدارة الفرنسية، وطالبوا بنيل حقوقهم المدنية على غرار الفرنسيين، وإن كانت الإدارة الفرنسية قد أحكمت سيطرتها على زمام الأمور داخل المدينة ومنحت فضاءً واسعا في إدارتها لبعض الأعيان والعائلات الكبرى في المدينة الذين حافظوا على امتيازاتهم من خلال مجلس الجماعة وكذلك المجلس البلدي، وحتى

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

من خلال نشاطاتهم الاقتصادية، إلاّ أنّ عامة السكان تمكنوا من إيصال أصواتهم بواسطة الفروع الحزبية التي أسست في المدينة والتي ضيقت الخناق على إدارة بلدية ندرومة المختلطة التي صارت تطالب حاكم العمالة بإمدادها بالدعم الأمني والعسكري، وهذا ما يدل على أن ندرومة تمكنت من مواجهة الاستعمار الفرنسي وكانت من أوائل المدن الجزائرية التي ثارت على السلطة الفرنسية سنة 1953.

في الأخير لا يمكن إغفال حقيقة التأثير والتأثر بين الندروميين والفرنسيين؛ فهو قد حدث لا محالة، وبروز شخصيات ندرومية نبغت في الثقافة والسياسية منذ أواخر القرن التاسع ما هو إلاّ ترجمة وتفسير لحدوث تقارب بين الطرفين؛ مع ذلك يبقى هذا التأثير وفق حدود رسمها كلا الطرفين وبخاصة الندروميين الذين استوعبوا وتبنوا بعض صور المدنية الأوروبية لكنهم فضلوا الحفاظ على ثقافتهم العربية الإسلامية وقد برز هذا في كافة النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية للفرد الندرومي، لكن مع فارق وحيد هو الفضاء الذي يقطنوه وهو المدينة التي تراجع مركزها مع بقية المدن في ظل السيطرة الفرنسية التي اعتبرتها في أغلب الأوقات مجرد قرية.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الملاحـــق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الملحق رقم: (01)

صورة جوية لمدينة ندرومة توضح مدى تقارب السكنات والأحياء في المدينة العتيقة

المصدر : Google Earth

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الملحق رقم: (02)

درب غير مفتوح

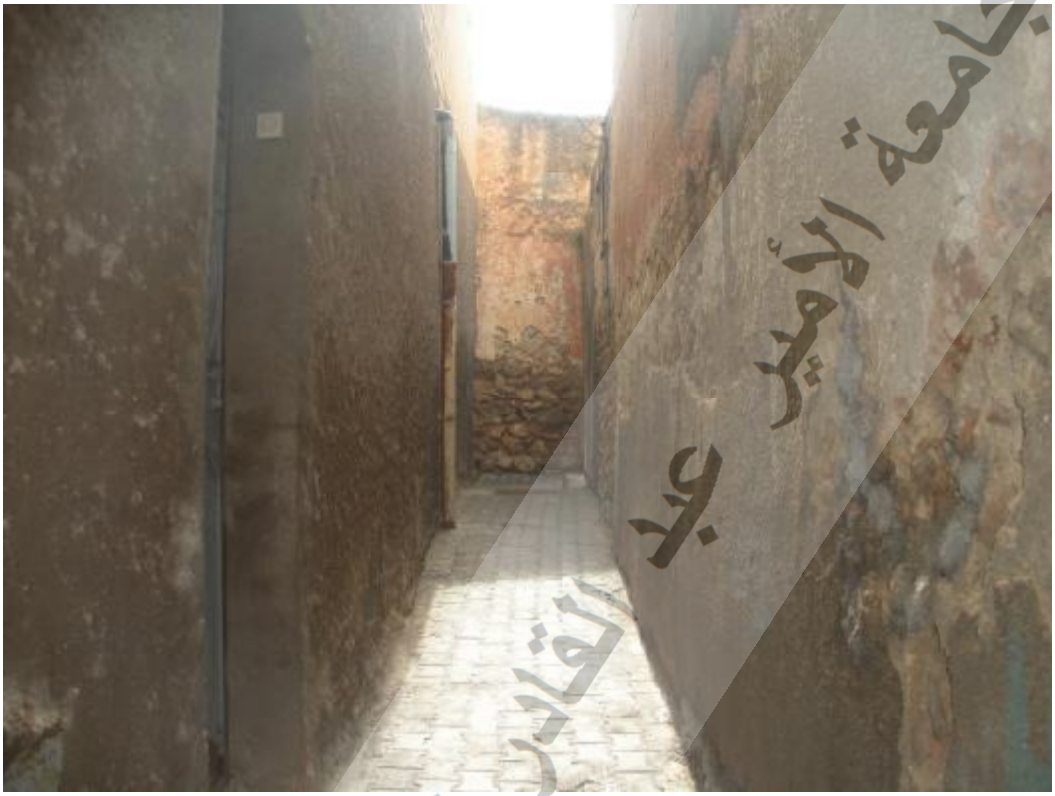

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الملحق رقم: (03)

صورة قديمة لدرب مفتوح

درب القدارين

صورة حديثة لدرب القدارين

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الملحق رقم: (04)

لوحة المرمر داخل المسجد الكبير بندرومة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الملحق رقم: (05)

الجامع الكبير

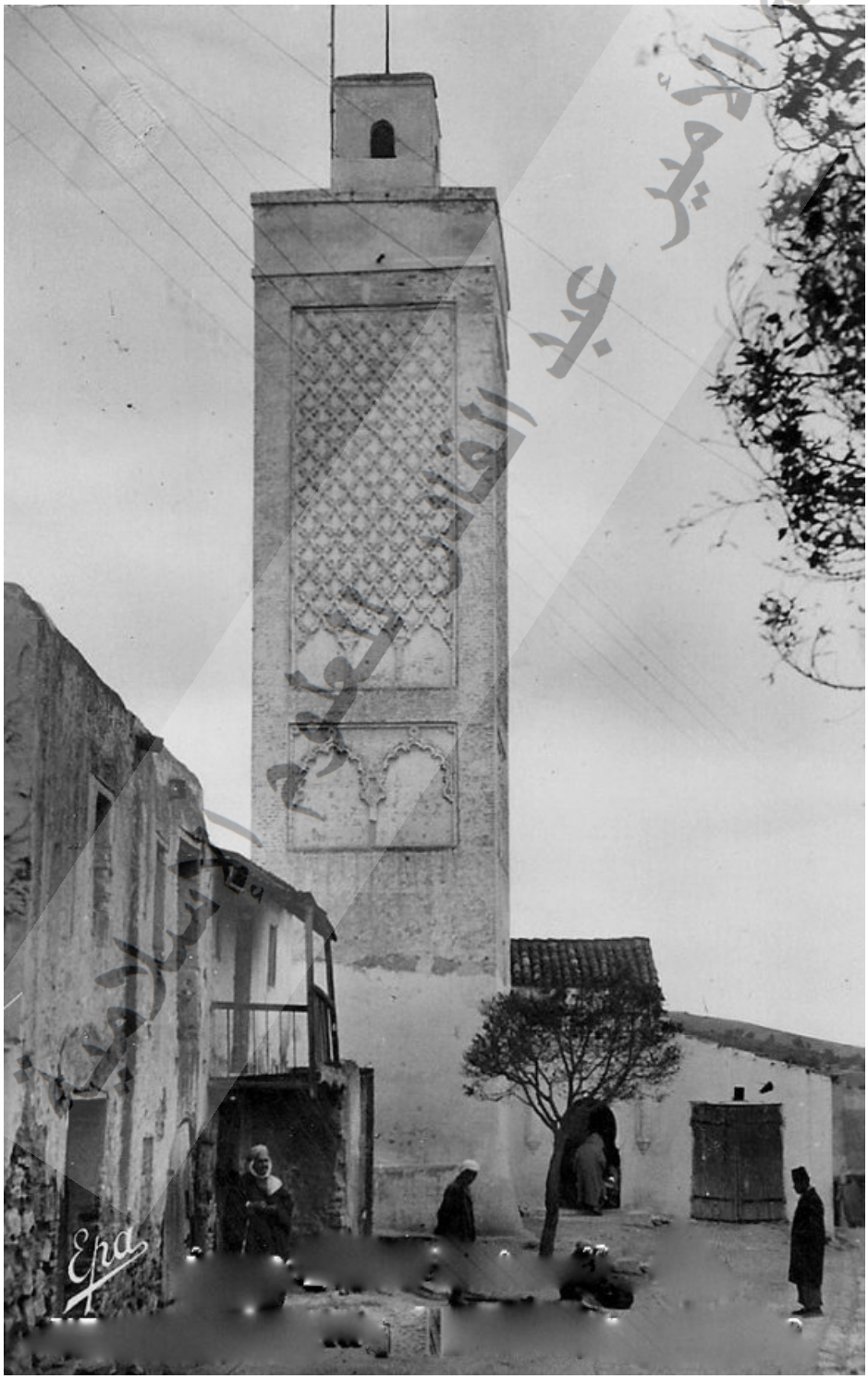

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الملحق رقم: (06)

ضريح أحمد البجاي

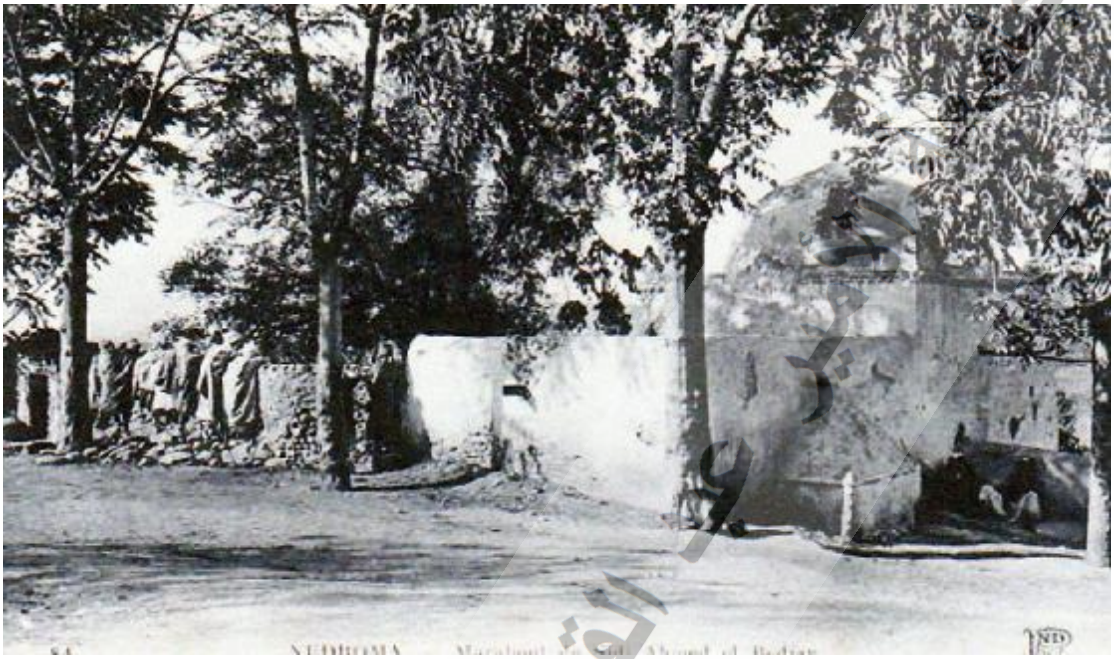

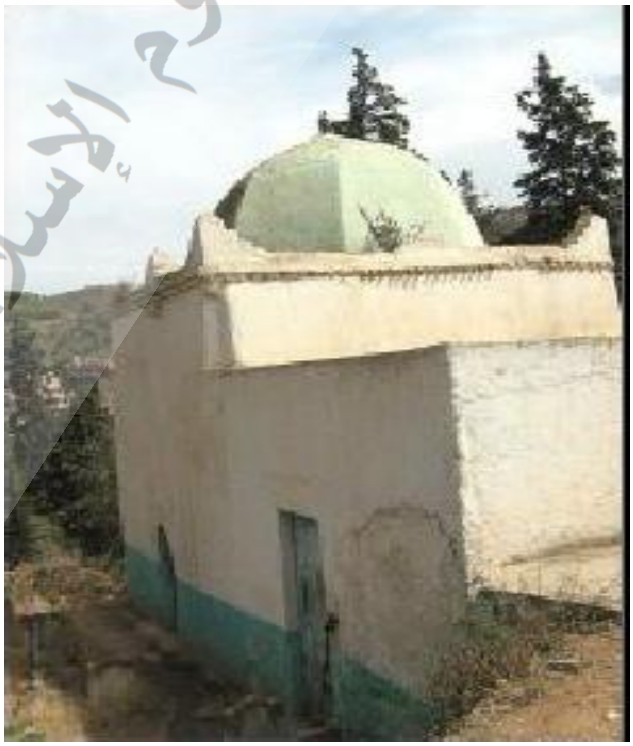

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الملحق رقم: (07)

جامع سيدي سياج

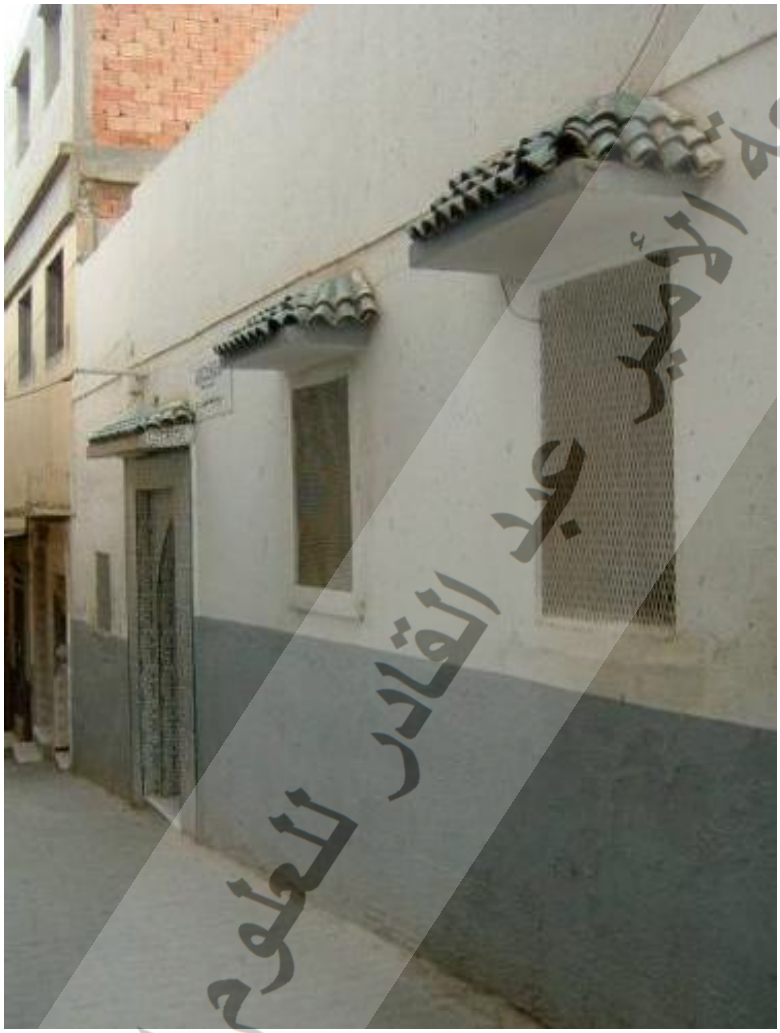

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الملحق رقم: (08)

مسجد الحدادين

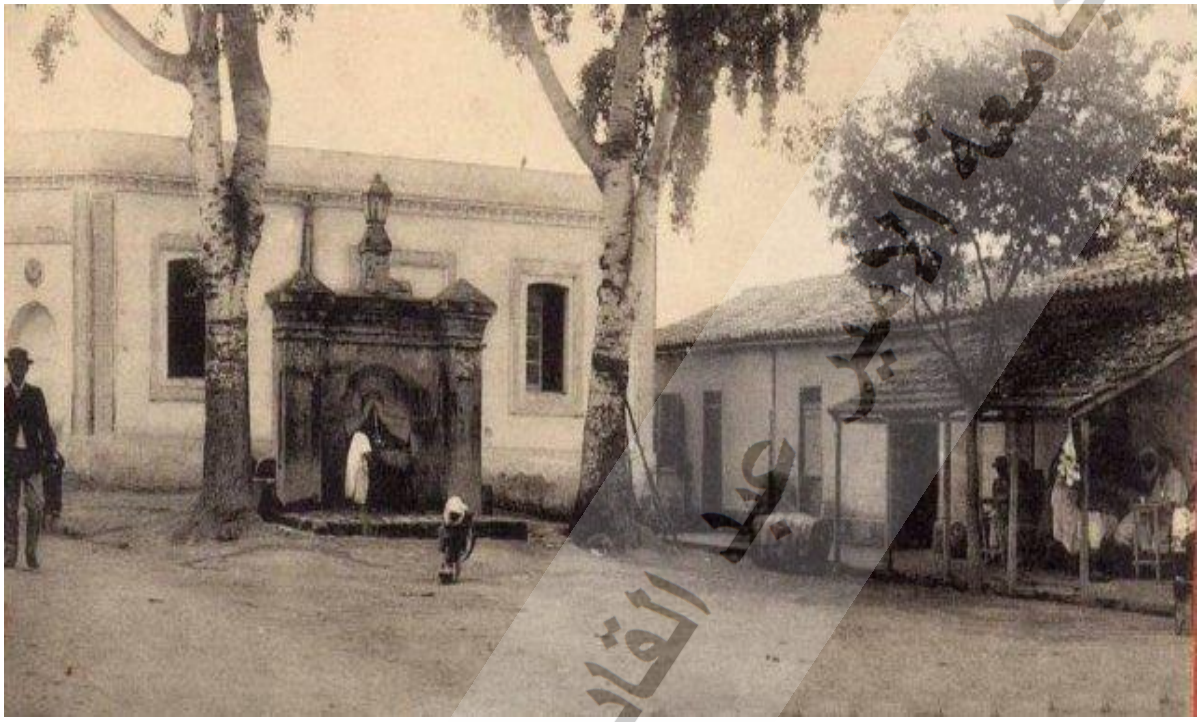

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الملحق رقم (09):

مسجد سيدي يحي بن الزعيوف

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الملحق رقم (10) : تحديد وتوزيع أراضي قبيلة ندرومة

Délimitation et répartition de la tribu de Nedroma, AOM, Carton 2N/67

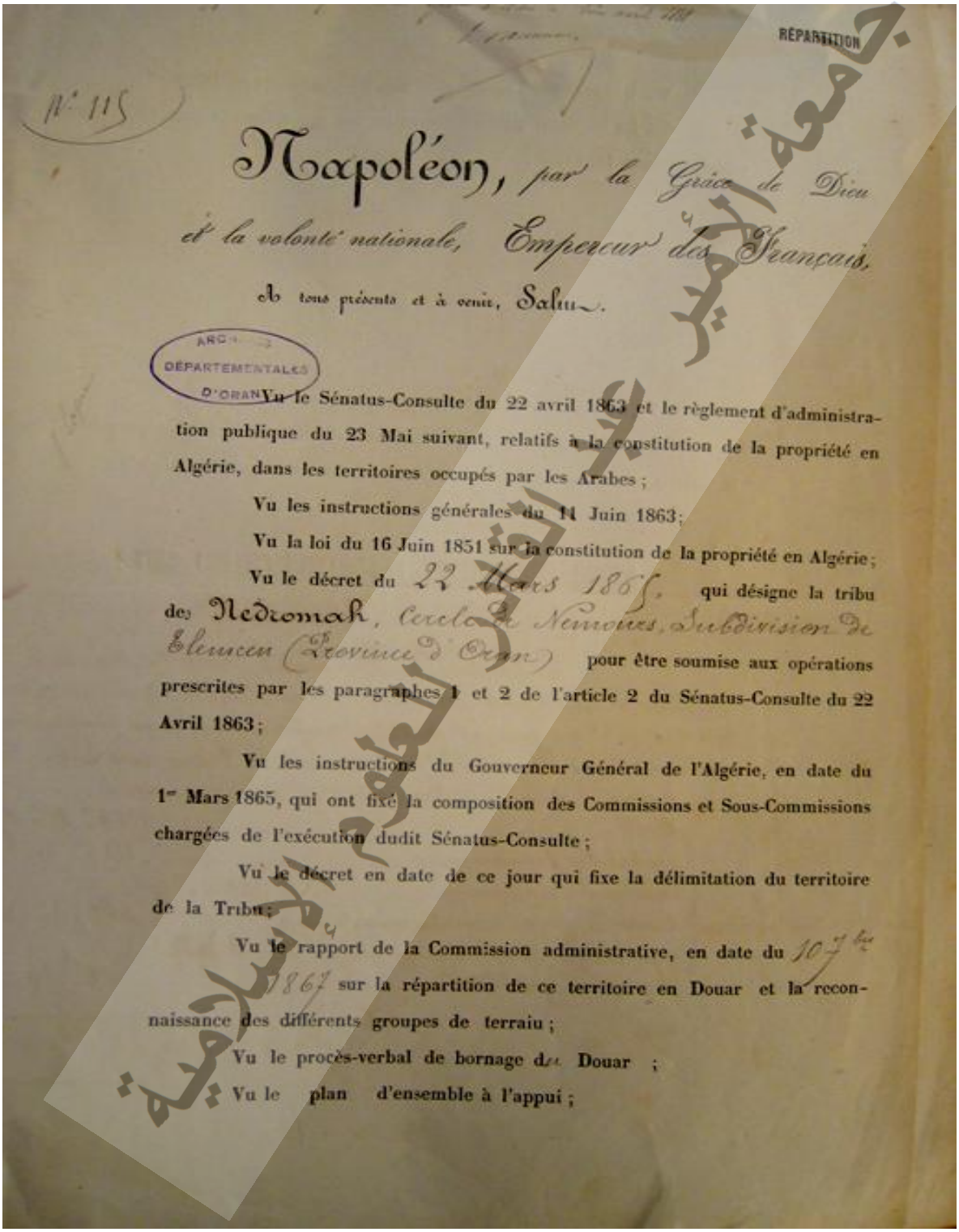

RÉPARTITION

N° 115

Napoléon, par la Grâce de Dieu et la volonté nationale, Empereur des Français,

A tous présents et à venir, Salut.

ARCHIVES DÉPARTEMENTALES D'ORAN

Vu le Sénatus-Consulte du 22 avril 1863 et le règlement d'administration publique du 23 Mai suivant, relatifs à la constitution de la propriété en Algérie, dans les territoires occupés par les Arabes ;

Vu les instructions générales du 14 Juin 1863;

Vu la loi du 16 Juin 1851 sur la constitution de la propriété en Algérie;

Vu le décret du 22 Mars 1865, qui désigne la tribu des Nedromah, Cercle de Nemours, Subdivision de Tlemcen (Province d'Oran) pour être soumise aux opérations prescrites par les paragraphes 1 et 2 de l'article 2 du Sénatus-Consulte du 22 Avril 1863;

Vu les instructions du Gouverneur Général de l'Algérie, en date du 1er Mars 1865, qui ont fixé la composition des Commissions et Sous-Commissions chargées de l'exécution dudit Sénatus-Consulte ;

Vu le décret en date de ce jour qui fixe la délimitation du territoire de la Tribu;

Vu le rapport de la Commission administrative, en date du 10 Juin 1867 sur la répartition de ce territoire en Douar et la reconnaissance des différents groupes de terrain ;

Vu le procès-verbal de bornage du Douar ;

Vu le plan d'ensemble à l'appui ;

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

Vu l' arrêté constitutif de la Djemmâa de Douar ;

Vu les bulletins portant détermination des différents groupes de terres contenus dans la Tribu ;

Vu l'avis du Conseil de Gouvernement ;

Sur le rapport de notre Ministre Secrétaire-d'État au département de la Guerre et sur les propositions du Gouverneur Général de l'Algérie ;

AVONS DÉCRÉTÉ ET DÉCRÉTONS CE QUI SUIT :

ARTICLE 1er

Le territoire des Nedromah, cercle de Nemours, subdivision de Tlemcen, province d'Oran, territoire délimité par notre décret en date de ce jour, est constitué conformément aux propositions contenues dans l'ensemble des documents ci-dessus visés, en une Douar qui conserve le nom de Nedromah et se décompose ainsi :

Melk			1524 h. 85 a. 85 c.
Propriétés domaniales			150 - 73 - 82 -
Propriétés Communales	Communal de parcours	439	462 - 36 - 37 -
	Cimetières, mosquées, marchés, remparts, places, rues et autres voies communales	23 36 37	
	Domaine public		18 - 64 - " -
	Total.....		2156 h. - " -

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

— Article 2 —

Il est attribué aux Indigènes ci-après nommés de la tribu de Nédromah savoir:

A Abd-el-Kader ben Guermouche quatre parcelles de terres domaniales d'ensemble 1ha 14a 30c

A Mohamed el Abeid, une parcelle de 65 50

Total 2-80-40

ARCHIVES DÉPARTEMENTALES D'ORAN

Cette attribution est faite à titre d'échange pour tenir compte aux sus-nommés de l'abandon qu'ils ont fait à l'état de 7ha 45a de terrain affecté au café posté des deux frères, tels que les dits immeubles sont figurés aux plans ci-dessus visés

— Article 3 —

Notre Ministre Secrétaire d'Etat au département de la Guerre et le Gouverneur Général de l'Algérie sont chargés, chacun en ce qui le concerne, de l'exécution du présent décret.

Fait à Paris, le 29 Février 1868.

Signé: Napoléon.

Par l'Empereur.

Le Maréchal de France,

Ministre Secrétaire d'Etat au Département de la Guerre.

Signé: Niel.

Pour Copie Conforme

Le Colonel

Chef du Bureau Politique.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الملحق رقم (11) : تقرير حول مشروع توسيع الاستيطان في ندرومة

Rapport sur le projet d'agrandissement de la colonisation à Nedroma, AOM, Carton N° 2M/121.

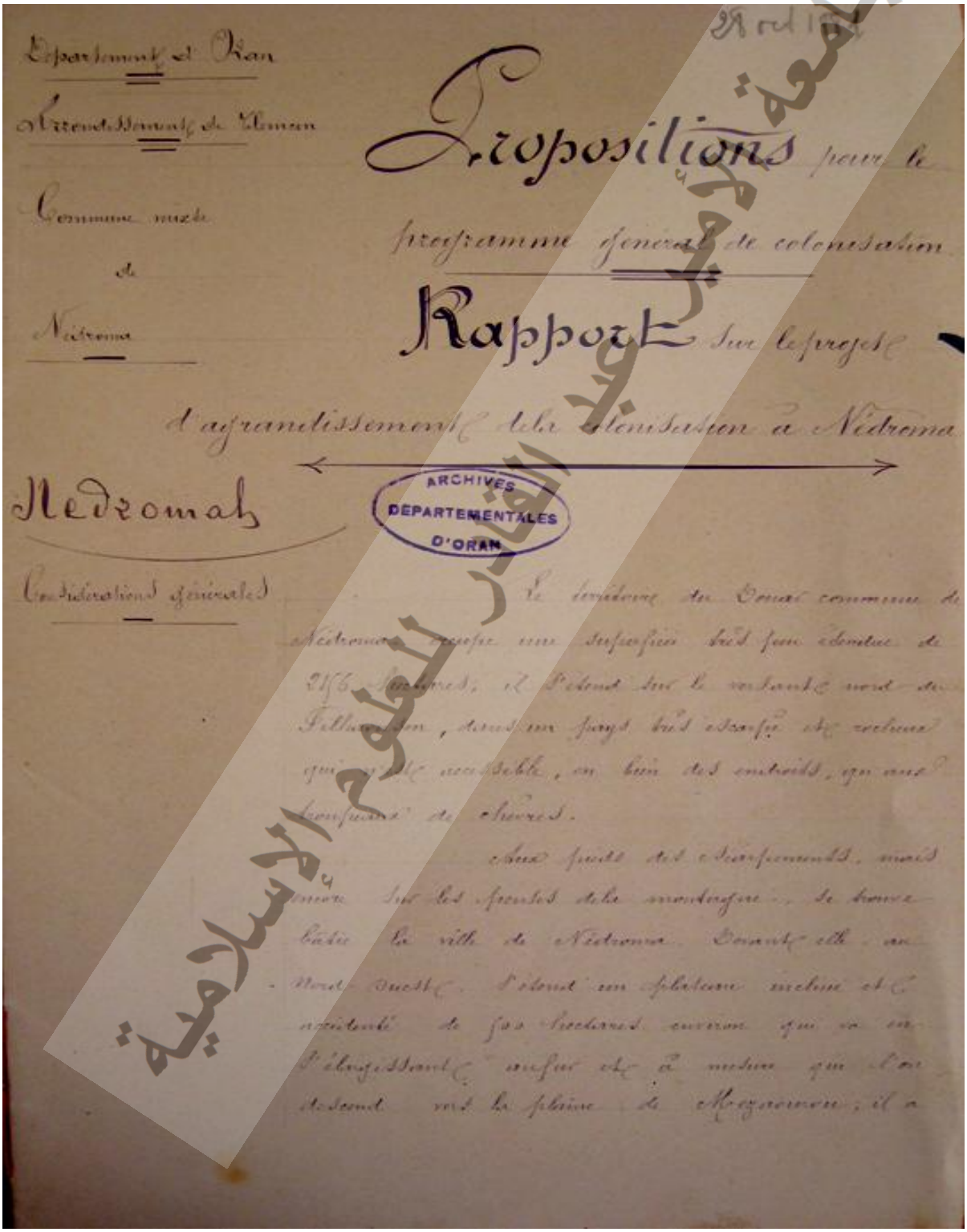
Département d'Oran

Arrondissement de Tlemcen

Commune mixte

de

Nédroma

Propositions pour le programme général de colonisation

Rapport sur le projet d'agrandissement de la colonisation à Nédroma

Nedromah

Considérations générales

Le territoire de Oued commune de Nédroma couvre une superficie très forte étendue de 2156 hectares, il s'étend sur le versant nord de Tellemsen, dans un pays très accidenté de couleur qui rend malsaine, en bien des endroits, qu'une longueur de cinq.

Aux pieds des escarpements, mais sur les premières pentes montagneuses, se trouve bâtie la ville de Nédroma. Devant elle, au Nord-Ouest, s'étend un plateau incliné et ondulé de fort bonne qualité en majeure partie mais d'une étendue qui ne dépasse pas 2 kilomètres ; il se

ARCHIVES DEPARTEMENTALES D'ORAN

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

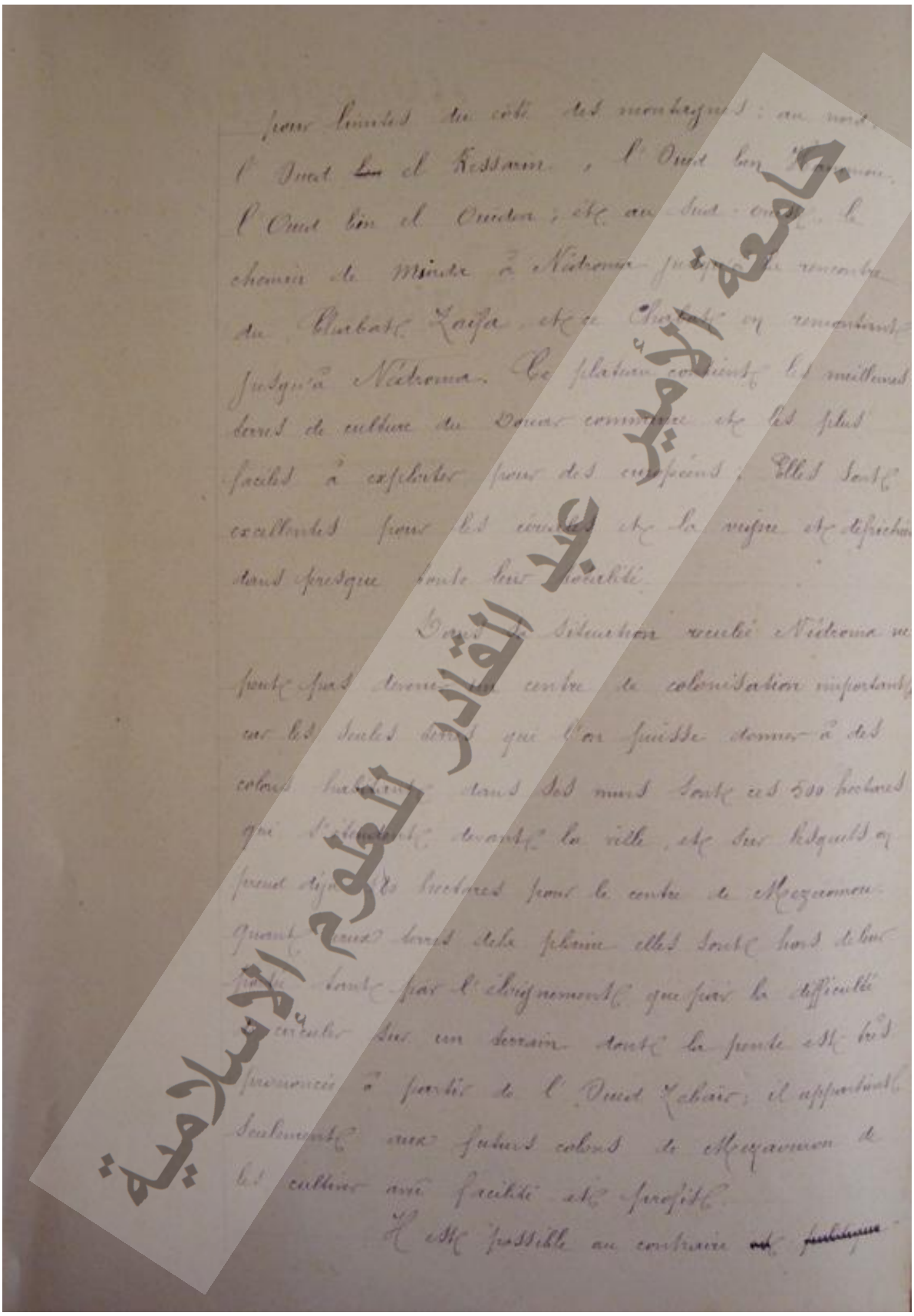

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

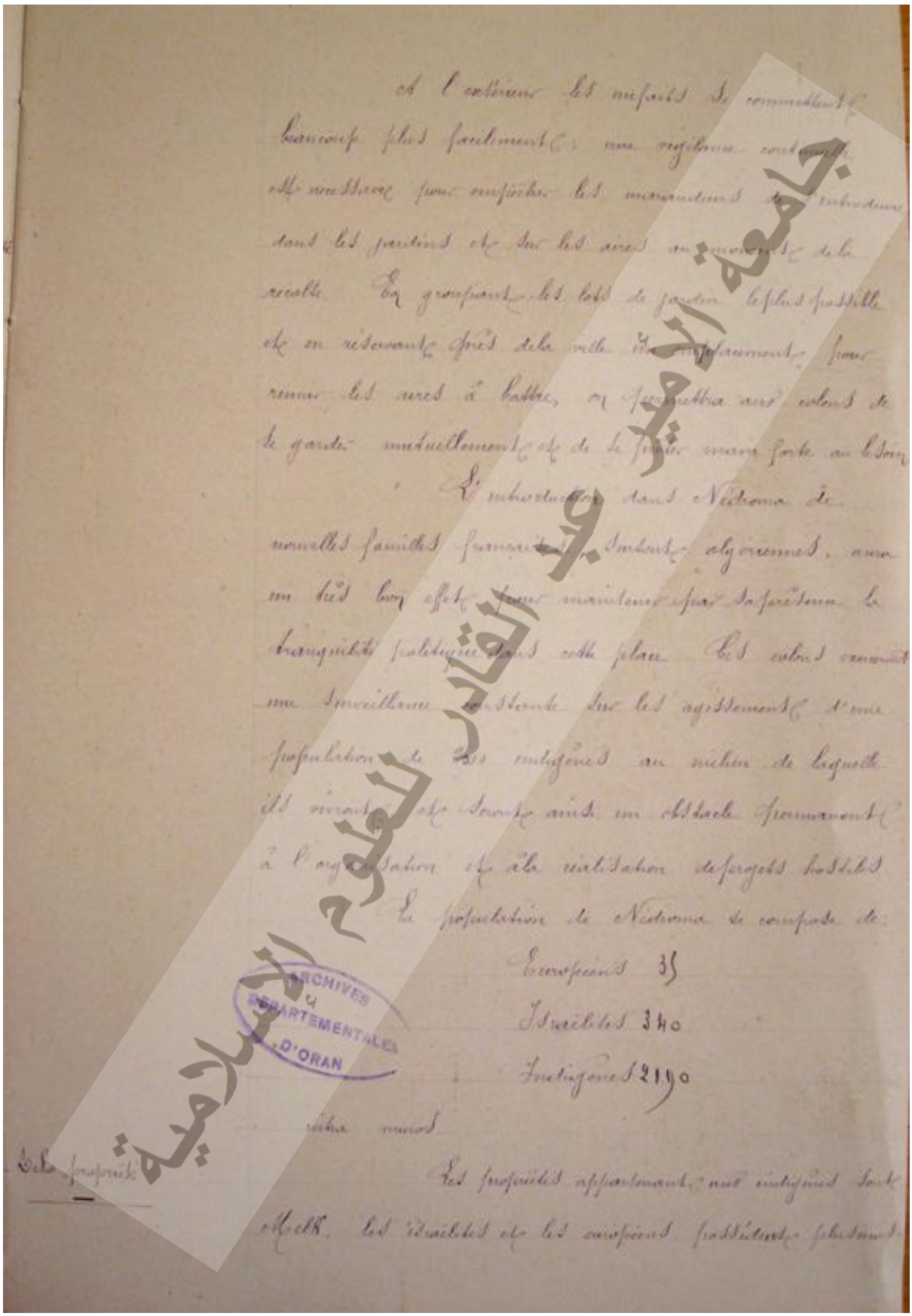

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
ARCHIVES DEPARTEMENTALES D'ORAN

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

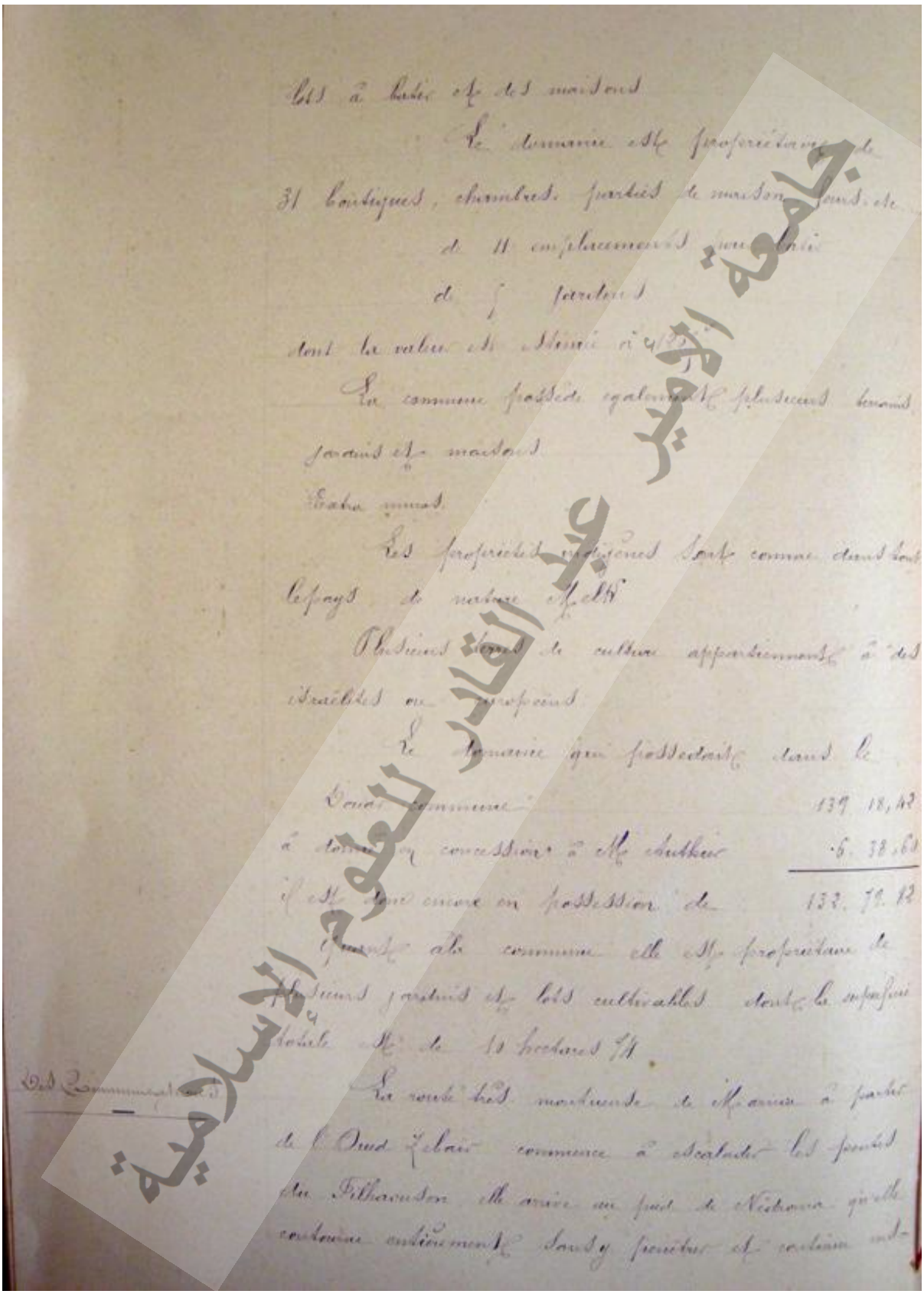

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

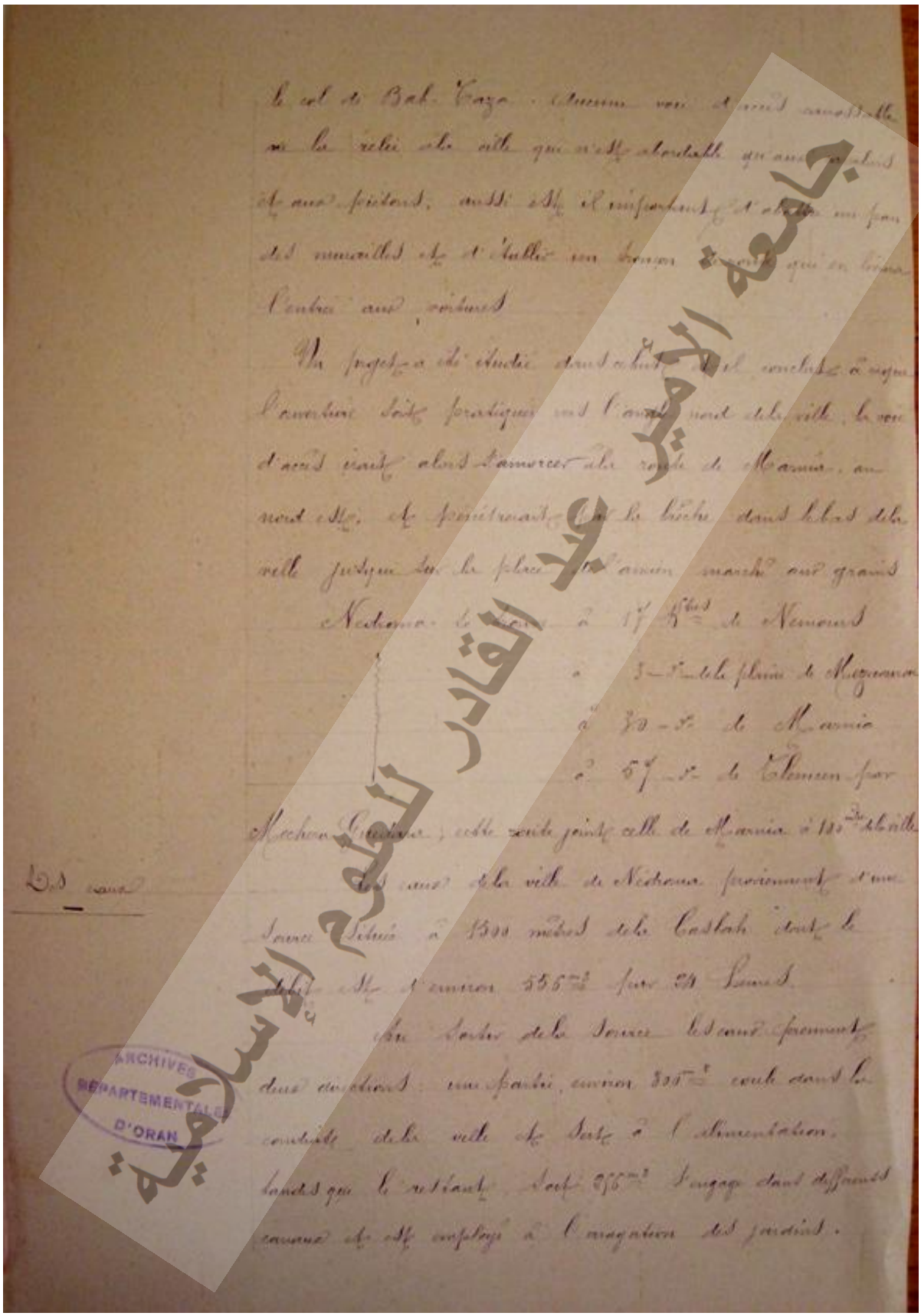

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ARCHIVES DEPARTEMENTALES D'ORAN

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

Il existe d'autres sources le long de l'Oued Bou el Rhéden etc de sorte que desservant à elles Kasbahs ayant l'Oued Bou el Rhéden en dessous d'elles Tanneries les indigènes viennent avec les eaux qui empoisonnent et les colons pourront également s'en servir pour les irrigations

Aucune de ces sources, même celle de Nedroma n'a été aménagée jusqu'à ce jour, bien qu'elle pourra donc être augmenté quand le besoin s'en fera sentir

Dans la ville l'eau de puits se trouve à très peu de profondeur

De la Salubrité

Nedroma est complètement à l'abri du tiers et bien exposé à tous les vents, elle est que l'on observe à 15 Kilos

La température y est très douce et on n'y jouit de la salubrité de tous pays de montagne, la seule cause locale qui puisse engendrer des maladies est la salubrité [illegible] d'une ville arabe, mais on peut la faire disparaître en partie par des mesures de police

Il a été déjà fait dans cette par l'autorité locale

Commerce et industrie

Les indigènes et les israélites de Nedroma ont des rapports fréquents avec les Marocains de la frontière auxquels ils achètent des Haïks, plus fins que ceux qui sont dans la ville même des babouches, des burnous, des fezzi, des grains, des Lestiani, des mulets, de [illegible] il est à remarquer qu'ils ne leur vendent rien à part quelques extraordinaires

Ils fréquentent aussi le marché de Marnia

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

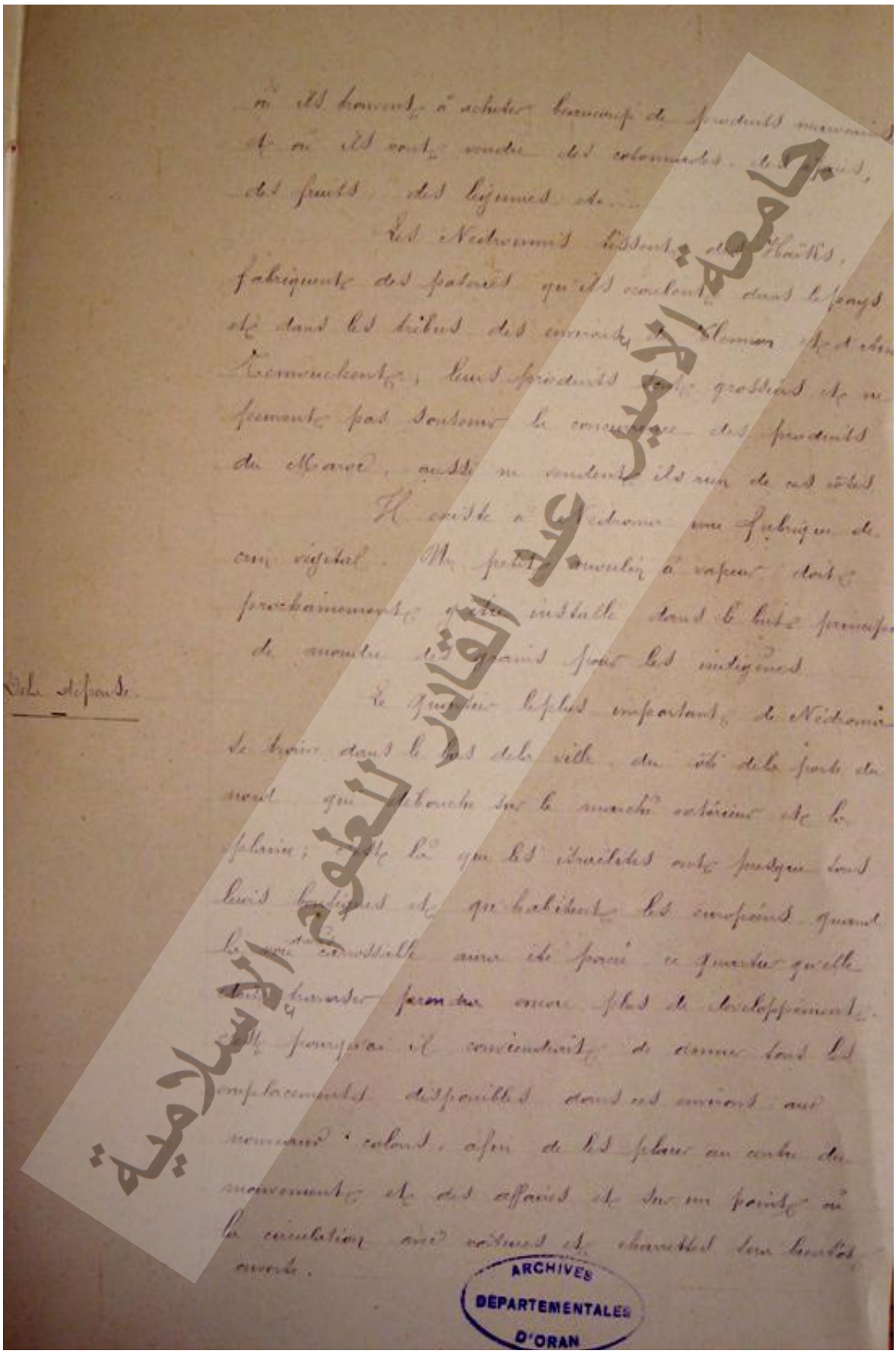

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ARCHIVES DEPARTEMENTALES D'ORAN

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

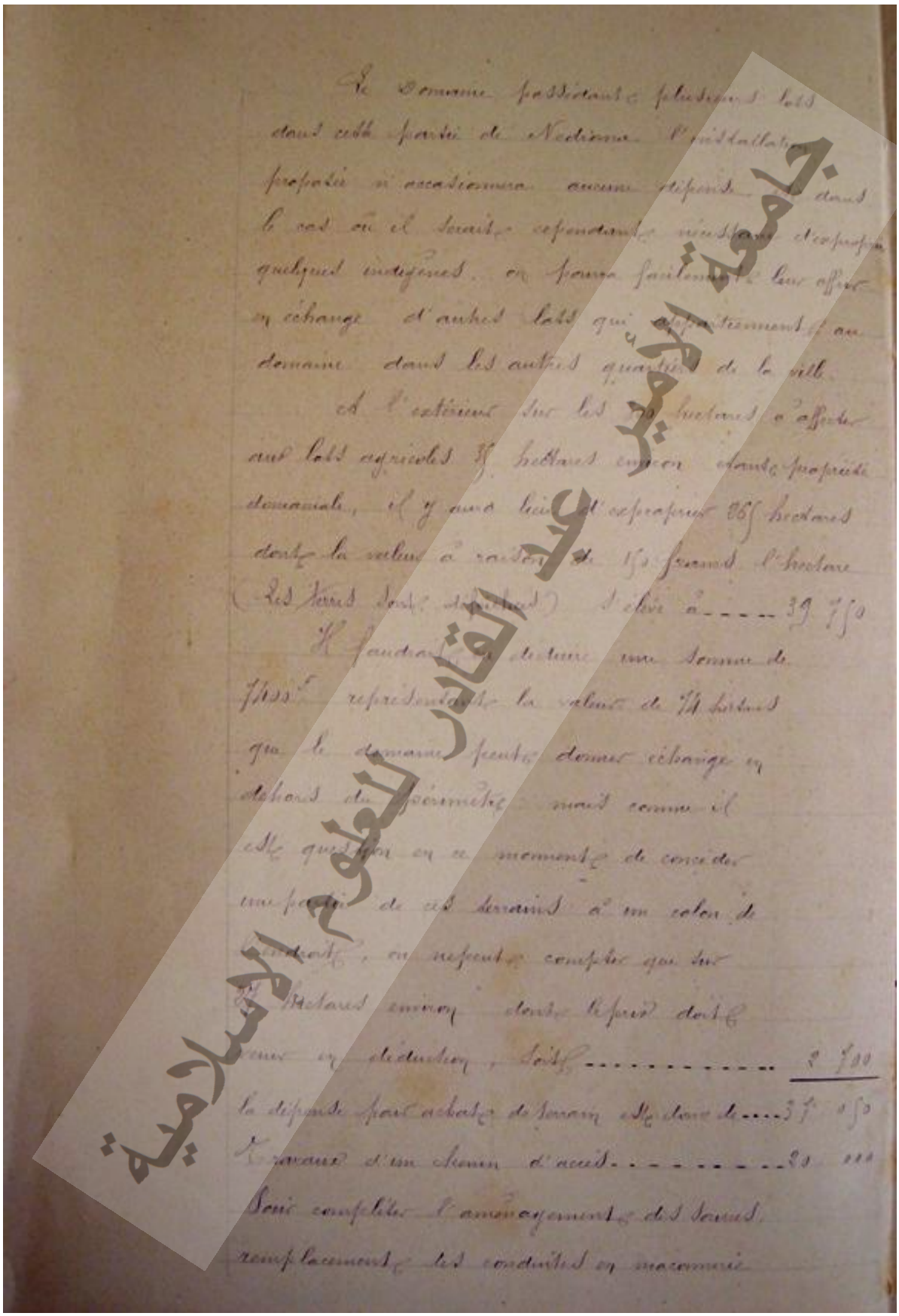

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

par des conduits en fonte sur le parcours de
1500 mètres ---------- 5 000.
Construction d'un lavoir couvert ---------- 15 000.
Total des dépenses ---------- 20 000

Défrichements

300 hectares pris pour l'agrandissement de Nedroma ne sont pas entrés par les défrichements de Mgarou. Ils dépendent de la Superficie du Douar commun de Nedroma et 1.676 hectares. Les défrichements sont faits dans les terres les moins riches, mais ils respectent les jardins que les indigènes ont tout autour de la ville et le long des ravins ; il leur reste aussi les versants des coteaux et de la montagne ; il y a lieu de remarquer en outre que beaucoup de défrichements sont forfaitaires dans les Douars communes voisins.

Nemours le 21 Octobre 1881

L'Administrateur

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ARCHIVES DEPARTEMENTALES

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الملحق رقم (12) : تقرير حول إنشاء قرية في سهل ندرومة

Création d'un village dans la plaine de Neroma, AOM, Carton 2M/121

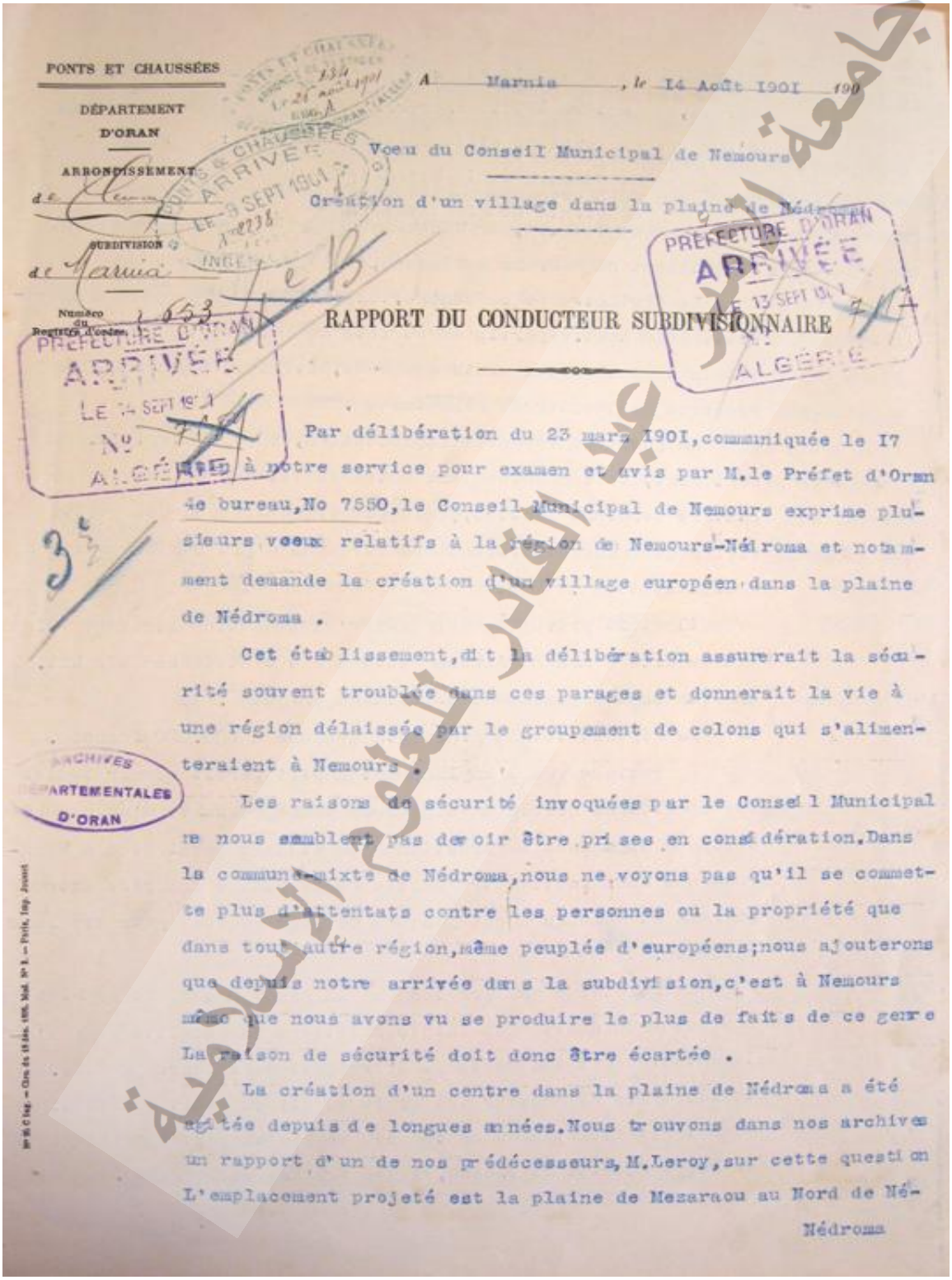

PONTS ET CHAUSSÉES

DÉPARTEMENT D'ORAN

ARRONDISSEMENT de Nemours

SUBDIVISION de Marnia

Numéro du Registre d'ordre. 1653

A Marnia, le 14 Août 1901

Vœu du Conseil Municipal de Nemours

Création d'un village dans la plaine de Nédroma

PONTS ET CHAUSSÉES ARRIVÉE LE 9 SEPT 1901

PRÉFECTURE D'ORAN ARRIVÉE LE 13 SEPT 1901 ALGÉRIE

PRÉFECTURE D'ORAN ARRIVÉE LE 14 SEPT 1901 ALGÉRIE

RAPPORT DU CONDUCTEUR SUBDIVISIONNAIRE

Par délibération du 23 mars 1901, communiquée le 17 à notre service pour examen et avis par M. le Préfet d'Oran de bureau, No 7550, le Conseil Municipal de Nemours exprime plusieurs vœux relatifs à la région de Nemours-Nédroma et notamment demande la création d'un village européen dans la plaine de Nédroma .

Cet établissement, dit la délibération assurerait la sécurité souvent troublée dans ces parages et donnerait la vie à une région délaissée par le groupement de colons qui s'alimenteraient à Nemours .

Les raisons de sécurité invoquées par le Conseil Municipal ne nous semblent pas devoir être prises en considération. Dans la commune mixte de Nédroma, nous ne voyons pas qu'il se commette plus d'attentats contre les personnes ou la propriété que dans tout autre région, même peuplée d'européens; nous ajouterons que depuis notre arrivée dans la subdivision, c'est à Nemours même que nous avons vu se produire le plus de faits de ce genre La raison de sécurité doit donc être écartée .

La création d'un centre dans la plaine de Nédroma a été agitée depuis de longues années. Nous trouvons dans nos archives un rapport d'un de nos prédécesseurs, M. Leroy, sur cette question L'emplacement projeté est la plaine de Mezaraou au Nord de Né-

Nédroma

ARCHIVES DÉPARTEMENTALES D'ORAN

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

Nédroma, près du chemin de grande communication de Nédroma à Marnia, de manière à lui assurer l'avantage d'être aux abords d'une grande route. Ce village serait distant :

de Nemours de 18 kilomètres
de Nédroma de 5 kilomètres
de Marnia de 33 kilomètres
de Tlemcen, par Méchera Ouedara et le chemin allant directement de Nédroma à Tlemcen, de 60 kilomètres.

Le périmètre de ce centre, tel qu'il a été projeté comprendrait 2000 hect. répartis en 50 lots de culture, 10 lots industriels et les emplacements des rues, bâtiments communaux, les réserves et les terres domaniales.

Au point de vue de l'exploitation, le pays étant généralement plat, les communications entre le village et les terres de culture seraient faciles, sauf pour franchir quelques petits ravins qui nécessiteraient des ouvrages d'art sur les chemins d'exploitation.

Il était prévu que les eaux d'alimentation seraient prises à la source d'Ain El Anasser située à une distance de 5 kil. environ de l'emplacement du village projeté.

La dépense totale avait été évaluée à 200.000 francs.

A première vue l'emplacement choisi paraît réunir toutes les conditions nécessaires pour la bonne réussite d'un centre européen. Cependant la création d'un village aussi bien à Nemours que dans toute autre partie de la plaine comprise entre Nédroma et Nemours a été jusqu'à ce jour écartée pour diverses raisons.

Cette plaine est arrosée par un grand nombre de petites sources d'un débit très faible, utilisées en totalité pour l'alimentation des indigènes et l'irrigation de leurs jardins. La source d'Ain El Anasser qui seule aurait un débit suffisant pour l'alimentation du centre est captée et sert au village arabe de Zaouiet El Yacoub, située à l'Est de Nédroma.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

Par dépêche en date du 9 mai 1900, M. le Gouverneur Général, répondant à un rapport du 29 mars 1900 de MM. les Ingénieurs demandant un crédit de 2000 frs pour l'étude de l'utilisation des eaux de cette plaine, répondait que les renseignements fournis lui paraissaient démontrer suffisamment qu'elles ne donneraient pas de résultats appréciables et décidait qu'il n'y avait pas lieu de les entreprendre. Il rappelait dans le corps de la dépêche que l'idée de coloniser la plaine de Médroma avait déjà été examinée par l'Administration et qu'elle avait dû être abandonnée, notamment à cause du manque d'eau. Cette raison subsiste toujours; des renseignements que nous avons eus les yeux, il résulte que la seule source qui puisse être utilisée et dont le débit devrait être pris en entier pour l'alimentation du centre est celle d'Aïn El Annassar qui alimente Zaouiet El Yacoubi et il ne nous paraît pas possible de l'enlever aux indigènes sédentaires qui s'en servent depuis un temps très reculé.

D'autres raisons contribuent encore à faire écarter l'idée de la création de ce centre.

Les arabes habitant la région n'ont pas le caractère et les mœurs nomades des arabes pasteurs; ils sont sédentaires, habitent des agglomérations et se livrent aux travaux agricoles en commençant à appliquer les procédés européens.

Il nous paraît donc difficile de leur appliquer l'expropriation pour cause d'utilité publique de la même façon qu'aux nomades que l'on peut refouler en leur donnant des terrains de compensation.

D'ailleurs la plaine de Médroma se colonise lentement d'elle-même. Des fermes européennes sont établies au nord près de Médroma et beaucoup de terres appartiennent à des colons, notamment une partie des terres sur lesquelles on a projeté l'établissement du village.

ARCHIVES NATIONALES D'OUTRE-MER

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

De l'examen ci-dessus nous concluons que la création dun centre de Mezaraou déjà rejetée par l'Administration ne s'impose nullement et qu'en conséquence il n'y a pas lieu de donner une suite favorable au voeu du Conseil Municipal de Nemours

Le Conducteur,
Signé: Crétois

AVIS DE L'INGENIEUR ORDINAIRE.

Transmis à Monsieur l'Ingénieur en Chef avec avis conforme.

Clermont, le 7 Septembre 1901
L'Ingénieur ordinaire,

Adopté et transmis à M. le Préfet
Orléans le 11 7bre 1901.
P. l'Ingénieur en chef en congé
L'Ingénieur ordre chargé de l'intérim

4e Bureau
N° 7550

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الملحق رقم (13) : مخطط بصري لقبيلة ندرومة سنة 1869

Plan visuel de la tribu de Nedroma, AOM ,Carton 2N/67

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الملحق رقم (14) : تقرير تاريخي حول مدينة ندرومة

Rapport historique sur la ville de Nedroma en 1867, AOM, Carton N°2N/67

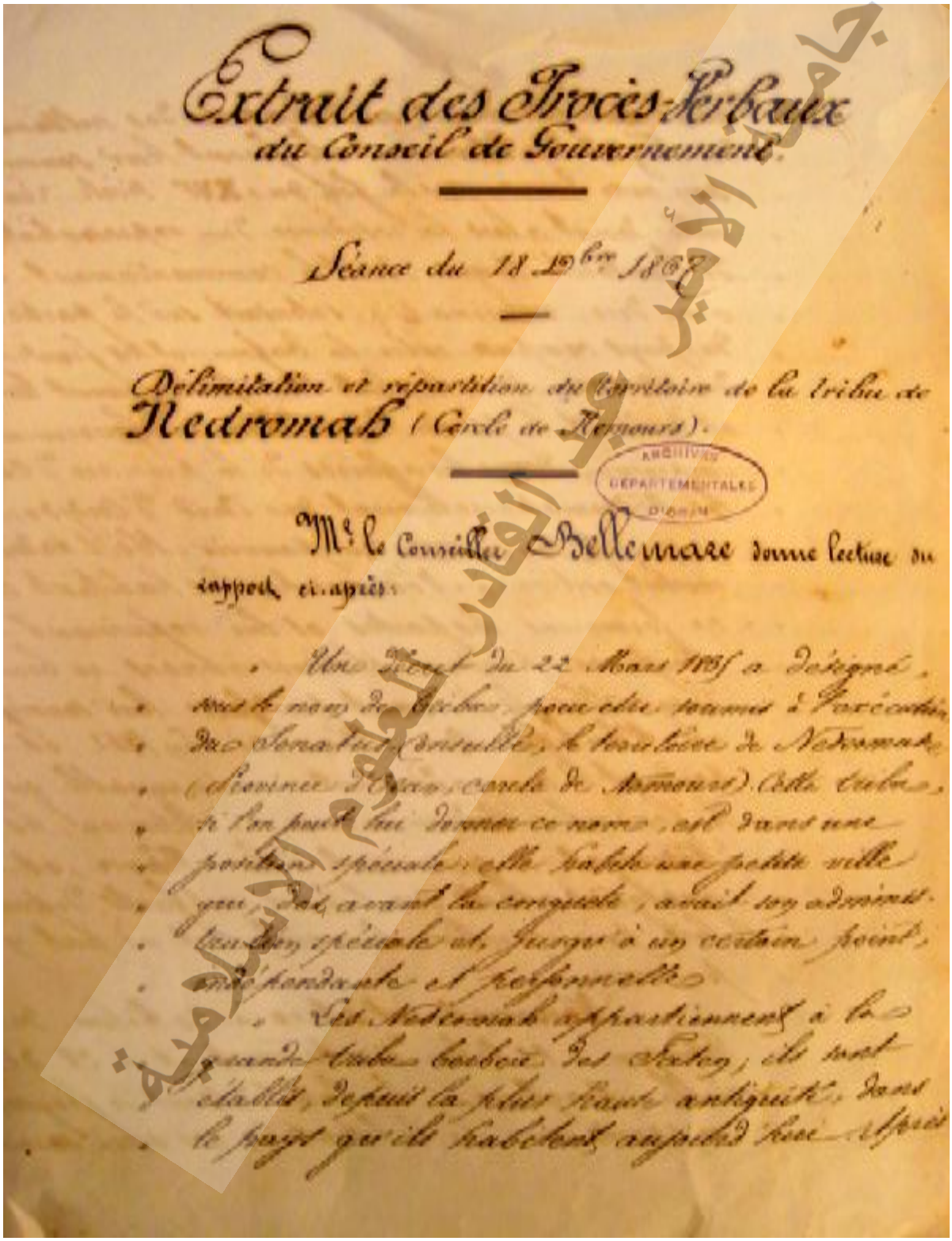

Extrait des Procès-Verbaux
du Conseil de Gouvernement.

Séance du 18 Novbre 1867

Délimitation et répartition du territoire de la tribu de Nedromah (Cercle de Tlemcen).

M. le Conseiller Bellemare donne lecture du rapport ci-après :

Un Décret du 22 Mars 1865 a désigné, sous le nom de Nedroma, [illegible] à l'ancienne Ad Sinam (Sinuelle), la localité de Nedroma, (Province d'Oran, Cercle de Tlemcen). Cette ville, si l'on peut lui donner ce nom, est dans une position spéciale : elle habite une petite ville qui, dès avant la conquête, avait son administration spéciale et jouissait d'un certain [illegible] municipales et religieuses.

Les Nedromah appartiennent à la grande tribu berbère des Kelaa, et sont établis, depuis la plus haute antiquité, dans le pays qu'ils habitent aujourd'hui. Issus

ARCHIVES DEPARTEMENTALES D'ORAN

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

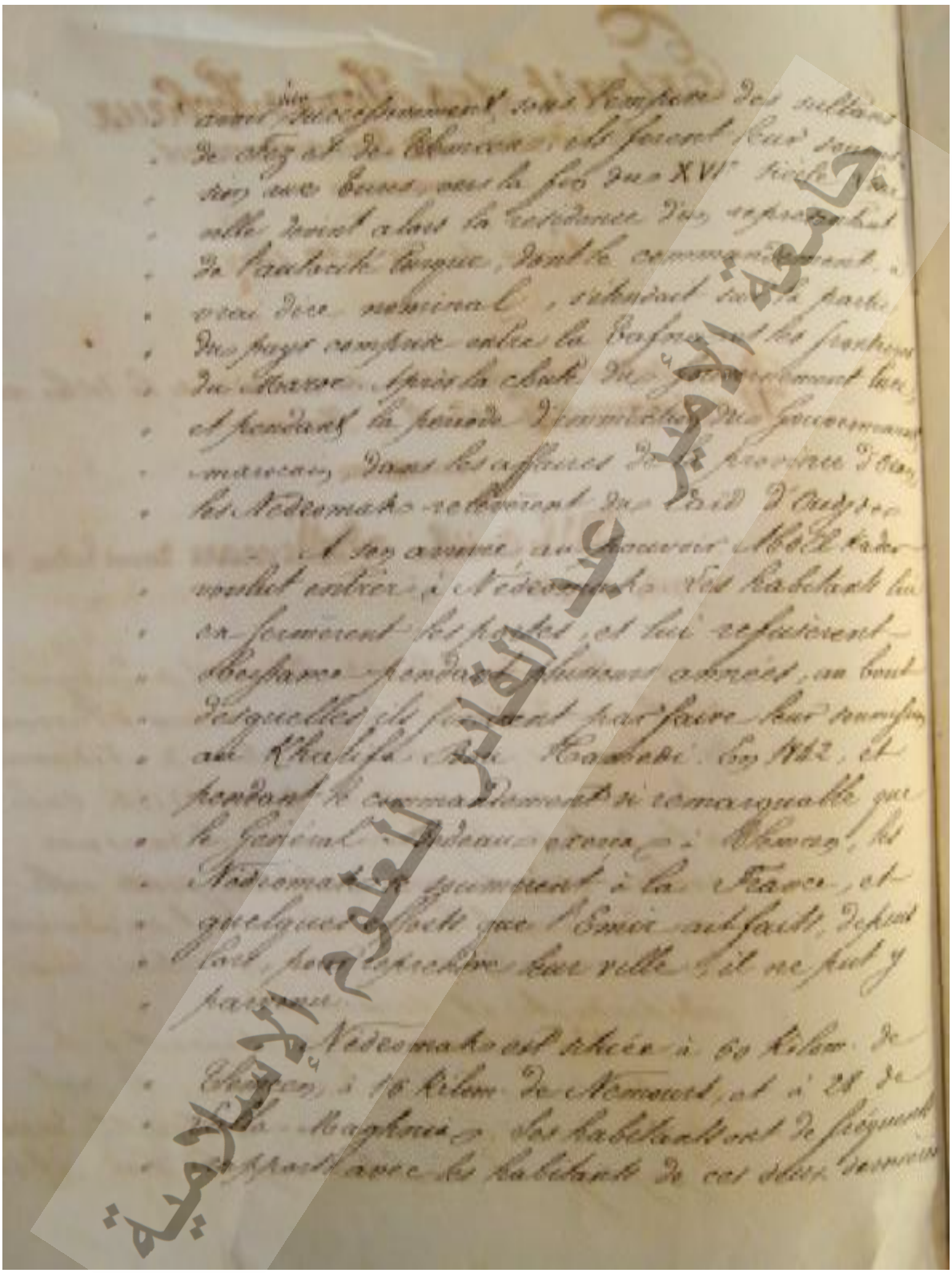

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

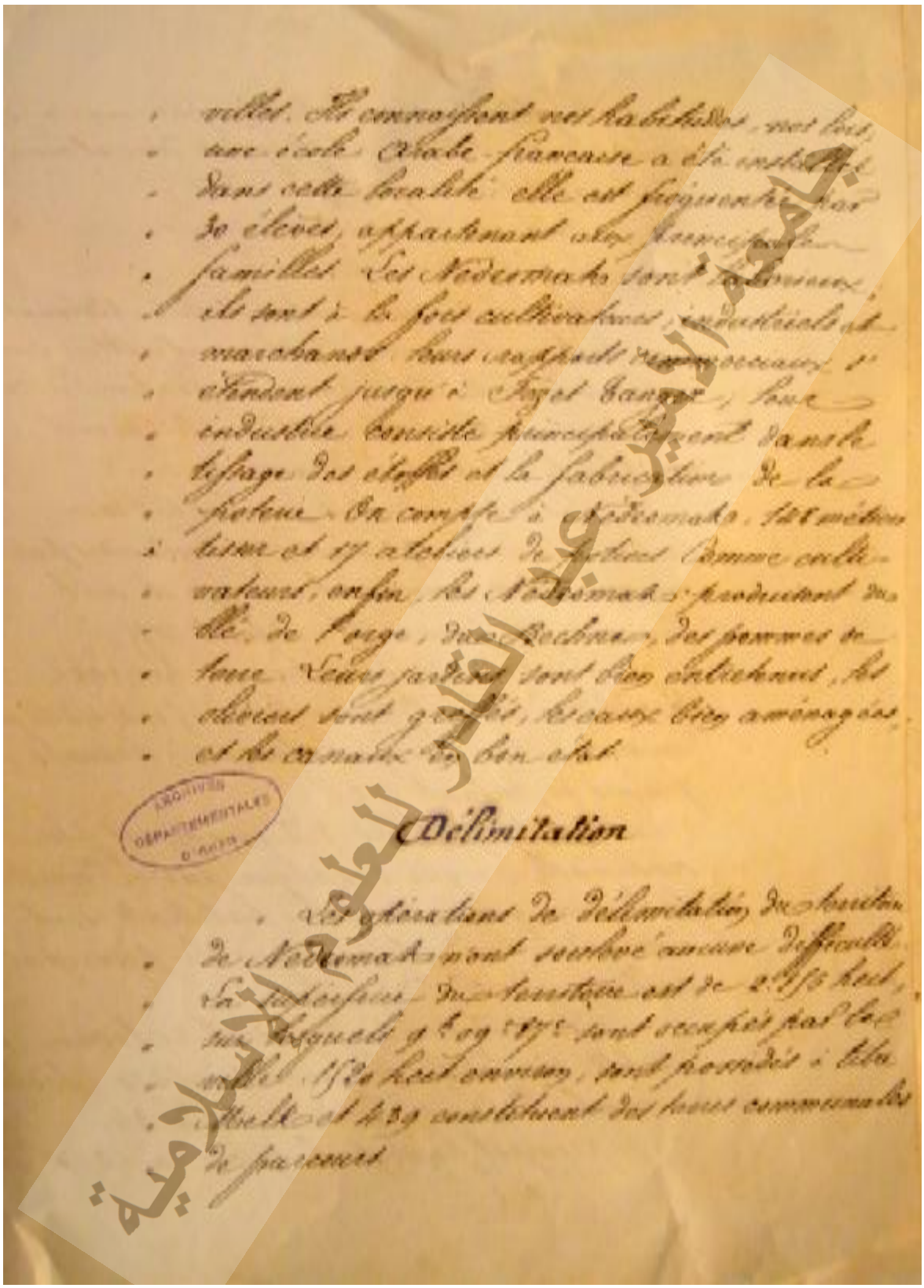

veiller. Se connaissant vers la Kabilie, mes bis
avec école Arabe française a été instituée
dans cette localité elle est fréquentée par
30 élèves appartenant aux meilleures
familles. Les Ndéroumas sont nombreux
et sont à la fois cultivateurs industriels et
marchands leurs magasins remplis d'
étoffes jusqu'à Alger Tunis, leur
industrie consiste principalement dans le
tissage des étoffes et la fabrication de la
poterie. On compte à Ndéroumas 168 métiers
tissus et 17 ateliers de poterie. Comme culti-
vateurs, enfin les Ndéroumas produisent du
blé, de l'orge, des fèves, des pommes de
terre. Leurs jardins sont bien entretenus, les
oliviers sont greffés, très bien aménagés,
et de grande bon état.

Délimitation

Les opérations de délimitation de toutes
les Ndéroumas n'ont soulevé aucune difficulté.
La totalité du territoire est de 2750 hect.
sur lesquels 1700 hect sont occupés par les
oliviers. 1250 hect environ sont possédés à titre
Melk et 450 constituent des terres communales
de parcours

ARCHIVES DÉPARTEMENTALES D'ALGER

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الملحق رقم (15) : بلدية ندرومة المختلطة؛ تقرير حول الوضع السياسي، 31 مارس 1946

Commune Mixte de Nedroma : Rapport sur la situation politique ; 31 Mars 1946, AOM, Carton N° 19H/16

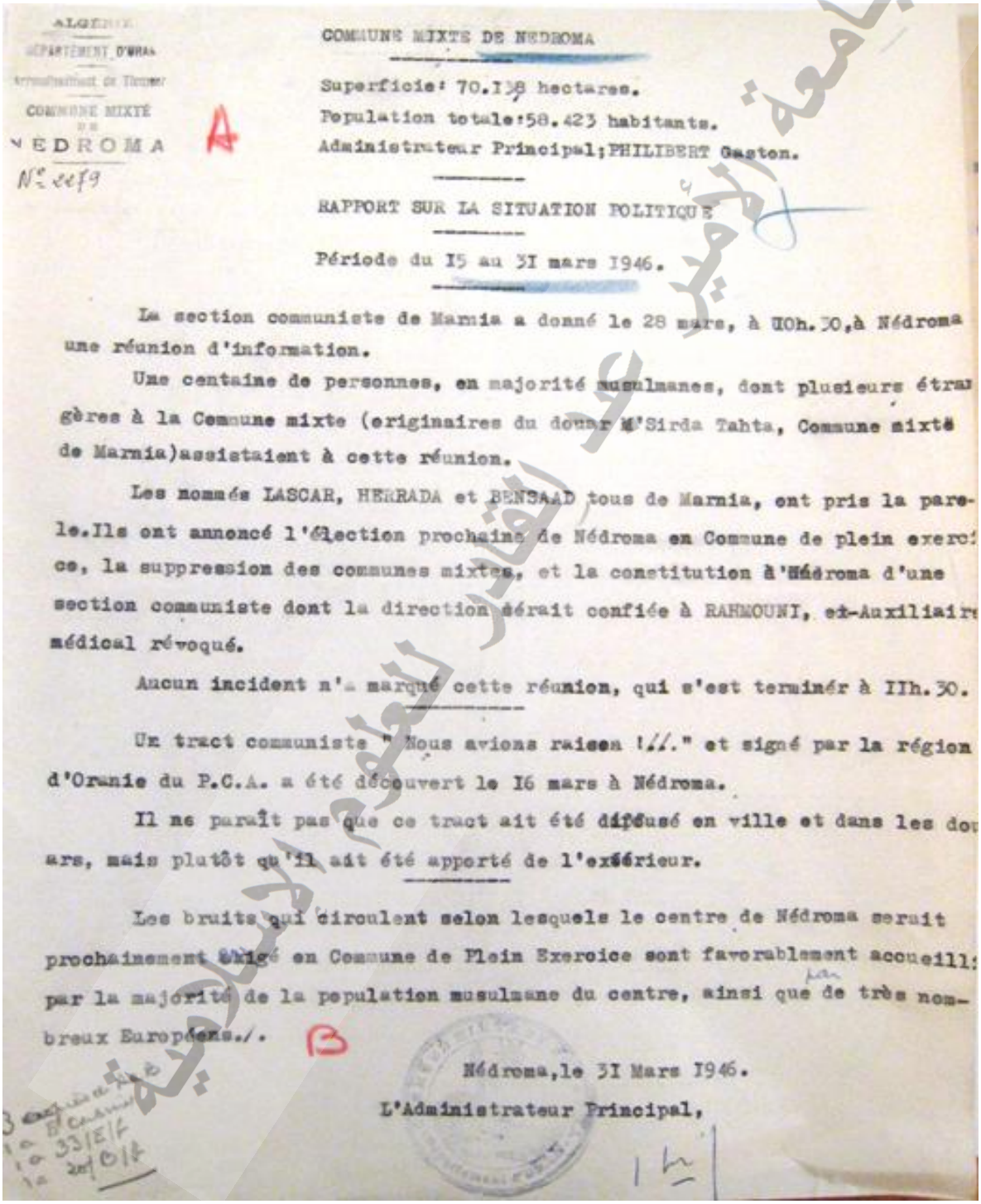

ALGERIE
DEPARTEMENT D'ORAN
Arrondissement de Tlemcen
COMMUNE MIXTE
DE
NEDROMA
N° 2279

A

COMMUNE MIXTE DE NEDROMA

Superficie: 70.138 hectares.
Population totale:58.423 habitants.
Administrateur Principal;PHILIBERT Gaston.

RAPPORT SUR LA SITUATION POLITIQUE

Période du I5 au 3I mars I946.

La section communiste de Marnia a donné le 28 mars, à I0h.30,à Nédroma une réunion d'information.

Une centaine de personnes, en majorité musulmanes, dont plusieurs étrangères à la Commune mixte (originaires du douar M'Sirda Tahta, Commune mixte de Marnia)assistaient à cette réunion.

Les nommés LASCAR, HERRADA et BENSAAD tous de Marnia, ont pris la parole.Ils ont annoncé l'élection prochaine de Nédroma en Commune de plein exercice, la suppression des communes mixtes, et la constitution à Nédroma d'une section communiste dont la direction serait confiée à RAHMOUNI, ex-Auxiliaire médical révoqué.

Aucun incident n'a marqué cette réunion, qui s'est terminée à IIh.30.

Un tract communiste " Nous avions raison !// " et signé par la région d'Oranie du P.C.A. a été découvert le I6 mars à Nédroma.

Il ne paraît pas que ce tract ait été diffusé en ville et dans les douars, mais plutôt qu'il ait été apporté de l'extérieur.

Les bruits qui circulent selon lesquels le centre de Nédroma serait prochainement érigé en Commune de Plein Exercice sont favorablement accueillis par la majorité de la population musulmane du centre, ainsi que de très nombreux Européens./.

B

Nédroma,le 3I Mars I946.

L'Administrateur Principal,

3 exemplaires
1e B Cabinet
1e 33/E/F
1e 20/D/F

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الملحق رقم (16) : نشاط العلماء في منطقة ندرومة سنة 1950

Activité des Oulamas dans la région de Nedroma 1950, AOM, Carton N°//679.

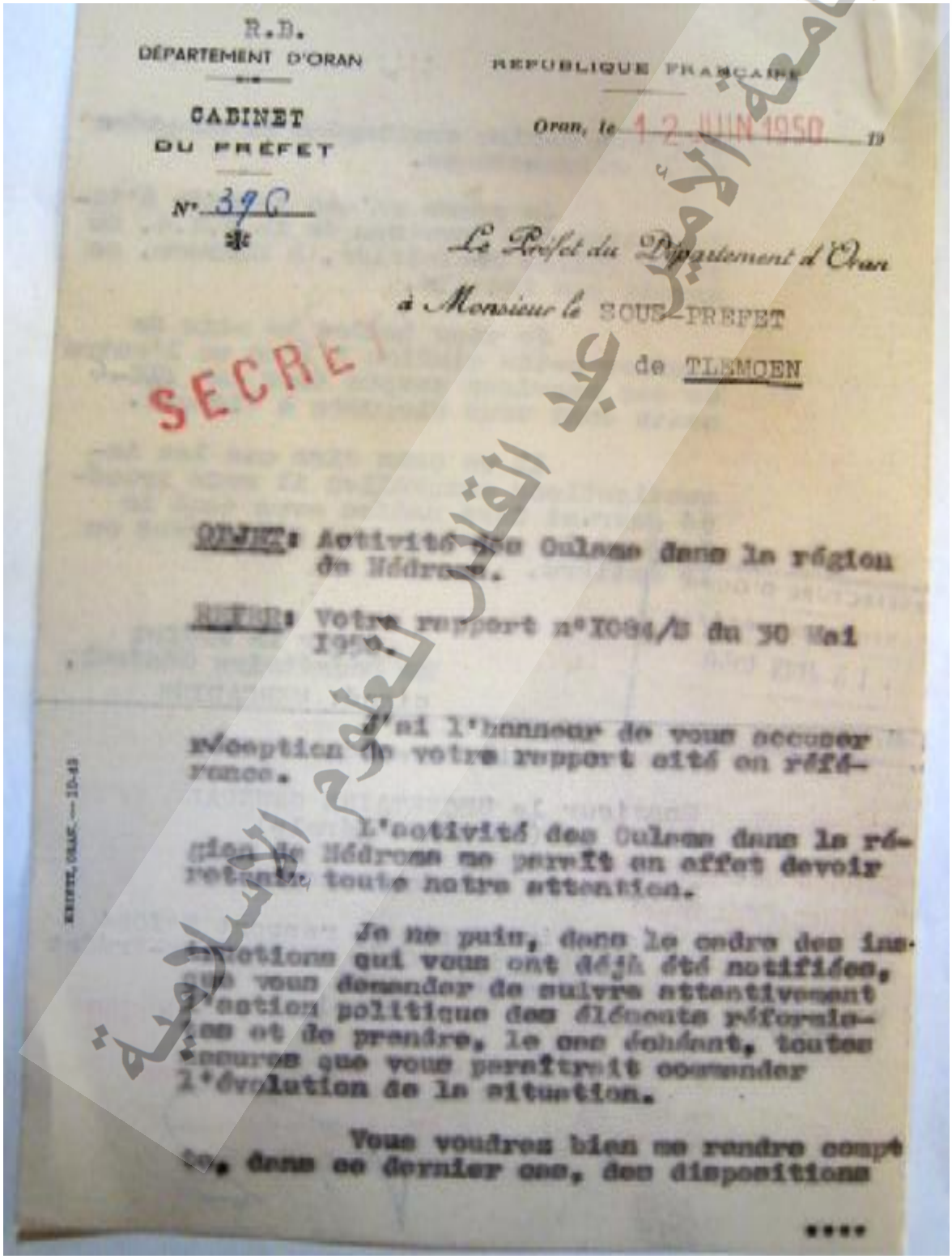

R.B.
DÉPARTEMENT D'ORAN

CABINET
DU PRÉFET

N° 390

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

Oran, le 12 JUIN 1950

Le Préfet du Département d'Oran

à Monsieur le SOUS-PREFET

de TLEMCEN

SECRET

OBJET: Activité des Oulama dans la région de Nédroma.

RÉF: Votre rapport n°1094/S du 30 Mai 1950.

J'ai l'honneur de vous accuser réception de votre rapport cité en référence.

L'activité des Oulama dans la région de Nédroma me paraît en effet devoir retenir toute notre attention.

Je ne puis, dans le cadre des instructions qui vous ont déjà été notifiées, que vous demander de suivre attentivement l'action politique des éléments réformistes et de prendre, le cas échéant, toutes mesures que vous paraîtrait commander l'évolution de la situation.

Vous voudrez bien me rendre compte, dans ce dernier cas, des dispositions

....

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

que vous auriez envisagées ou adoptées en la circonstance.

Je pense qu'une tournée d'information des Services de la S.I.G. ou de la Police Judiciaire, à Nédroma, ne serait pas inutile.

Je vous laisse le soin de confier cette mission à l'un ou l'autre de ces services compte tenu des agents dont vous disposez à Tlemcen.

Il va sans dire que les investigations auxquelles il sera procédé devront être menées avec tout le tact et la prudence qui s'imposent en la matière.

PRÉFECTURE D'ORAN
CABINET DU PRÉFET
13 JUIN 1950

Pour le Préfet
Le Secrétaire Général,
signé: MERCADIER

Copie adressée à

PRÉFECTURE D'ORAN
Service des Liaisons Nord-Africaines

Monsieur le SECRETAIRE GENERAL
(Police Générale)
- à titre d'information -

(ci-joint copie du rapport N°1084 du 30 Mai 1950 de M. le Sous-Préfet de Tlemcen).

N° 397

Oran, le 12 JUIN 1950

L'Administrateur des Services Civils
Chef du Service
des Liaisons Nord-Africaines

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الملحق رقم (17) : حزب الشعب الجزائري؛ إجراءات محلية، 13 أكتوبر 1938

PPA ; Agissements locaux, Nedroma , le 13 Octobre 1938, AOM, **Carton N° 5I/153**

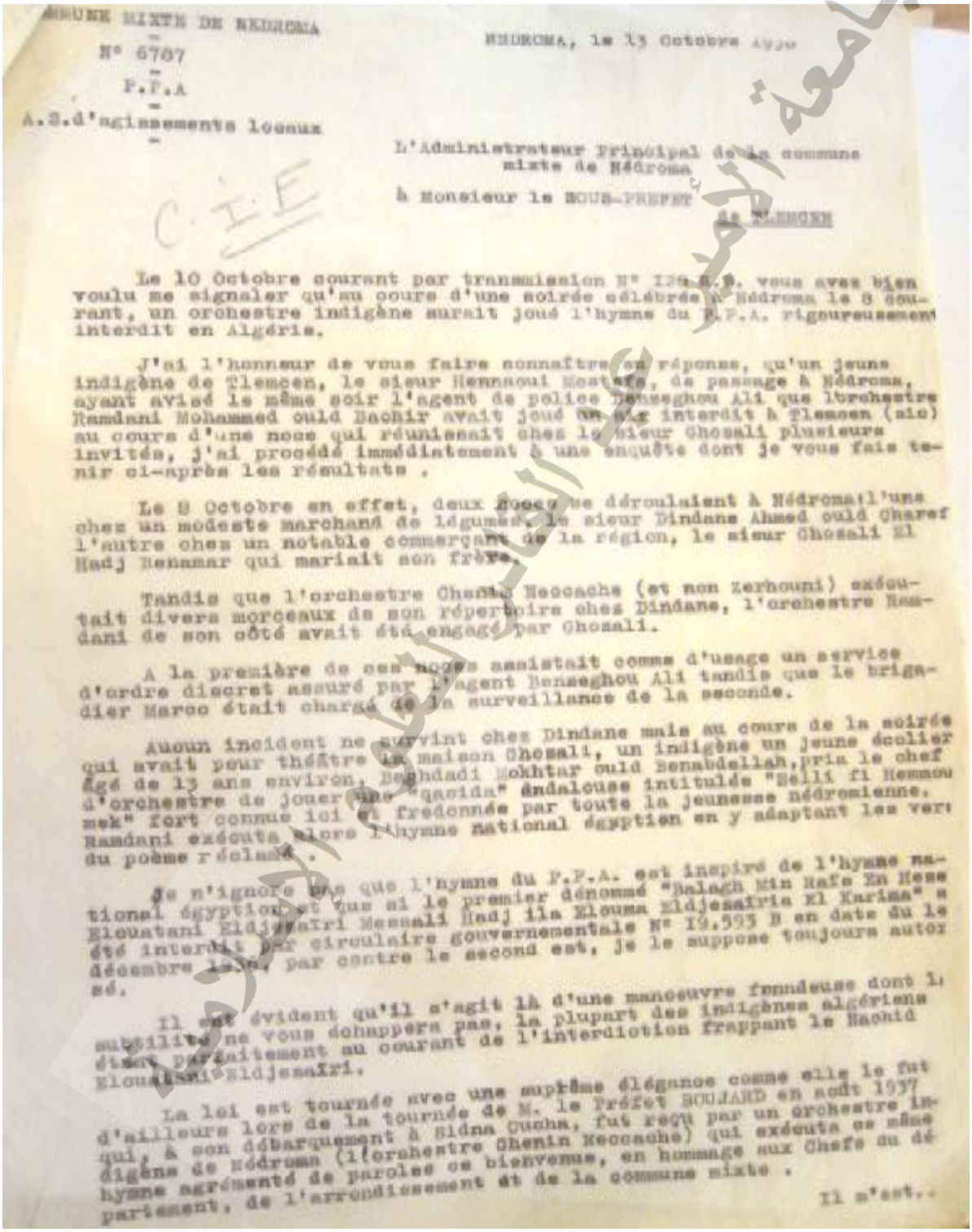

COMMUNE MIXTE DE NEDROMA

N° 6707

P.P.A

A.S.d'agissements locaux

NEDROMA, le 13 Octobre 1938

L'Administrateur Principal de la commune mixte de Nédroma

à Monsieur le SOUS-PREFET de TLEMCEN

Le 10 Octobre courant par transmission N° 1254 S.P. vous avez bien voulu me signaler qu'au cours d'une soirée célébrée à Nédroma le 8 courant, un orchestre indigène aurait joué l'hymne du P.P.A. rigoureusement interdit en Algérie.

J'ai l'honneur de vous faire connaître en réponse, qu'un jeune indigène de Tlemcen, le sieur Hennaoui Mostefa, de passage à Nédroma, ayant avisé le même soir l'agent de police Benseghou Ali que l'orchestre Ramdani Mohammed ould Bachir avait joué un air interdit à Tlemcen (sic) au cours d'une noce qui réunissait chez le sieur Ghozali plusieurs invités, j'ai procédé immédiatement à une enquête dont je vous fais tenir ci-après les résultats .

Le 8 Octobre en effet, deux noces se déroulaient à Nédroma:l'une chez un modeste marchand de légumes, le sieur Dindane Ahmed ould Charef l'autre chez un notable commerçant de la région, le sieur Ghozali El Hadj Benamar qui mariait son frère.

Tandis que l'orchestre Chenin Meccache (et non Zerhouni) exécutait divers morceaux de son répertoire chez Dindane, l'orchestre Ramdani de son côté avait été engagé par Ghozali.

A la première de ces noces assistait comme d'usage un service d'ordre discret assuré par l'agent Benseghou Ali tandis que le brigadier Marco était chargé de la surveillance de la seconde.

Aucun incident ne survint chez Dindane mais au cours de la soirée qui avait pour théâtre la maison Ghozali, un indigène un jeune écolier âgé de 13 ans environ, Bahdadi Mokhtar ould Benabdellah,prit le chef d'orchestre de jouer une "qacida" andalouse intitulée "Selli fi Hemmou mek" fort connue ici et fredonnée par toute la jeunesse nédromienne. Ramdani exécuta alors l'hymne national égyptien en y adaptant les vers du poème réclamé .

Je n'ignore pas que l'hymne du P.P.A. est inspiré de l'hymne national égyptien et que si le premier dénommé "Balagh Min Rafa En Hesa Elouatani Eldjezaïri Messali Hadj ila Elouma Eldjezaïria El Karima" a été interdit par circulaire gouvernementale N° 19.595 B en date du 18 décembre 1936, par contre le second est, je le suppose toujours autorisé.

Il est évident qu'il s'agit là d'une manoeuvre frondeuse dont la subtilité ne vous échappera pas, la plupart des indigènes algériens étant parfaitement au courant de l'interdiction frappant le Hachid Elouatani Eldjezaïri.

La loi est tournée avec une suprême élégance comme elle le fut d'ailleurs lors de la tournée de M. le Préfet BOUJARD en août 1937 qui, à son débarquement à Sidna Oucha, fut reçu par un orchestre indigène de Nédroma (l'orchestre Chenin Meccache) qui exécuta en même hymne agrémenté de paroles de bienvenue, en hommage aux Chefs du département, de l'arrondissement et de la commune mixte .

Il s'est..

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

Il m'est signalé en outre que l'hymne égyptien est fréquemment joué dans les rues de Marnia par la clique d'une société sportive musulmane sans susciter aucun incident .

J'essaye de me procurer le disque de "Nachid Klouatani" de façon à le faire entendre aux agents de la police municipale et leur permettre de le reconnaître le cas échéant. M. Fredy chef du service de surveillance du territoire m'a promis de la commander à Oran, car ce disque est introuvable à Tlemcen et celui Beidaphone I3066520 Made in Germany existant à Nédroma est hors d'usage.

En ce qui concerne les obolas qui auraient été remises aux musiciens, l'agent de police de service déclare formellement qu'il ne s'agissait là que d'une coutume consistant à remettre un pourboire au chef d'orchestre et qu'il n'était nullement question de voeux formulés en faveur du mouvement Ouatani.

D'autre part, aucun cavalier de la commune mixte n'assistait à ces mariages hormis un douanier indigène du nom de Cheerroun Boumédiène proche parent de Mennaoui précité.

Je continue mon enquête et ne manquerai pas, Monsieur le Sous-Préfet, de vous tenir informé des résultats complémentaires auxquels elle pourrait donner lieu ./.

L'Administrateur Principal,
signé: ROHRBACHER.

Sous-Préfecture de
Tlemcen
–
N° 140 RS.
–

Soit transmis à Monsieur le PREFET (A.I.)
ORAN
comme suite à mon rapport N° du 10/10/38 ./.

Tlemcen, le 15 Octobre 1938
Le Sous-Préfet,
signé: LESTRADE-CARBONEL.

مركز الفارابي للعلوم الإسلامية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الملحق رقم (18) : بلدية ندرومة المختلطة؛ تقرير شهري، أكتوبر 1953.

Commune mixte de Nedroma ; rapport mensuel, Octobre 1953, AOM, Carton N° 19H/35.

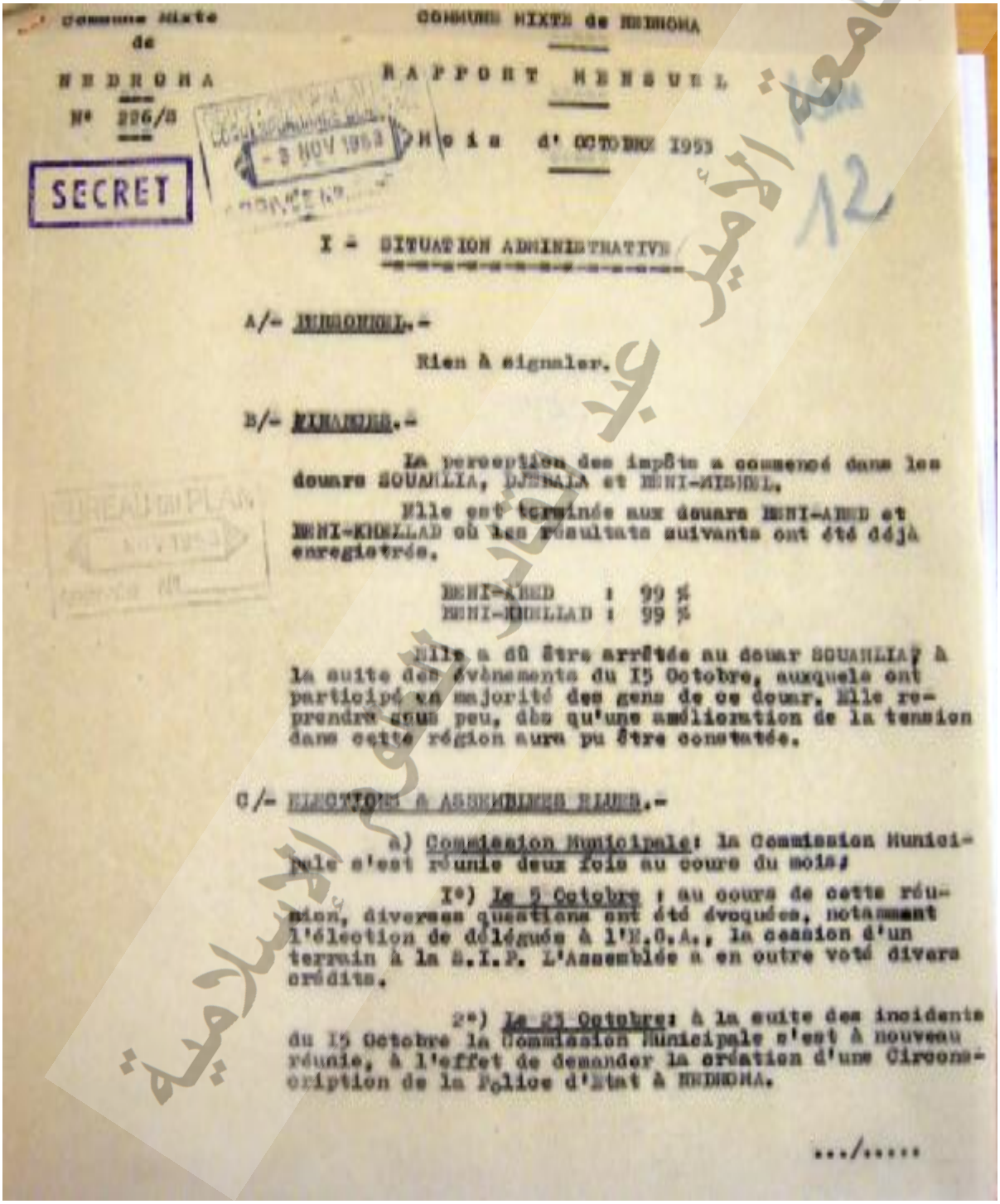

Commune Mixte de NEDROMA

N° 226/3

SECRET

COMMUNE MIXTE de NEDROMA

RAPPORT MENSUEL

Mois d' OCTOBRE 1953

I - SITUATION ADMINISTRATIVE

A/- INTERIEUR.-

Rien à signaler.

B/- FINANCES.-

La perception des impôts a commencé dans les douars SOUANLIA, DJEBALA et BENI-MIMOUN.

Elle est terminée aux douars BENI-AMED et BENI-KHELLAD où les résultats suivants ont été déjà enregistrés.

BENI-AMED : 99 %
BENI-KHELLAD : 99 %

Elle a dû être arrêtée au douar SOUANLIA, à la suite des événements du 15 Octobre, auxquels ont participé en majorité des gens de ce douar. Elle reprendra sous peu, dès qu'une amélioration de la tension dans cette région aura pu être constatée.

C/- ELECTIONS A ASSEMBLEES ELUES.-

a) Commission Municipale: la Commission Municipale s'est réunie deux fois au cours du mois:

1°) Le 9 Octobre : au cours de cette réunion, diverses questions ont été évoquées, notamment l'élection de délégués à l'E.G.A., la cession d'un terrain à la S.I.P. L'Assemblée a en outre voté divers crédits.

2°) Le 23 Octobre: à la suite des incidents du 15 Octobre la Commission Municipale s'est à nouveau réunie, à l'effet de demander la création d'une Circonscription de la Police d'Etat à NEDROMA.

.../.....

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

b) Djemaas: rien à signaler.

c) Centres Municipaux: sans objet.

D/- REFORMES ADMINISTRATIVES & MODIFICATIONS TERRITORIALES RETENUES au TITRE du PLAN D'ACTION COMMUNAL.

Néant./.

NEDROMA, le 30 Octobre 1953
L'Administrateur,

COMMUNE MIXTE DE NEDROMA
Dépt d'Oran

signé: LE SEPT

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

II - SITUATION POLITIQUE

L'évènement saillant du mois est sans contredit l'incident du I5 Octobre à MEDROMA Centre. Il a fait l'objet de mon rapport n° 2IO/S du I7 Octobre I953. Il est en fait l'aboutissement inévitable de la tension d'une opinion publique, qui n'a fait que croître depuis quelques semaines et plus particulièrement depuis le retour au douar DJEBALA du corps de DRARIS Abdelkader tué à PARIS le I4 Juillet. Les populations locales n'ont vu dans cette mesure qu'une reconnaissance de la culpabilité et de la faiblesse de l'autorité et ont cru le moment venu d'exploiter la situation. La quinzaine de lutte contre la répression leur a fourni le prétexte nécessaire. Je crois superflu de reprendre les causes d'une situation dont je signale les dangers depuis plusieurs années; l'enquête judiciaire actuellement en cours démontre amplement la préméditation et c'est uniquement à l'inexpérience des manifestants que l'on doit de ne pas avoir eu de très nombreuses victimes. Il est par ailleurs déjà certain que les manifestants sauront dans une autre circonstance tirer des enseignements de leur échec du I5 Octobre. Ne prétend-on pas qu'ils ont déjà déclaré qu'ils sauront une autre fois couper les fils téléphoniques avant toute action. Il convient donc dès maintenant de prendre toutes mesures utiles pour assurer la sécurité et envisager les moyens propres à ramener le calme et la confiance. Je ne pense pas que ces moyens aient actuellement leur place dans le présent rapport; ils ont fait l'objet d'un examen en commun avec les fonctionnaires qualifiés jusqu'à l'échelon préfectoral inclus et aussi avec M. l'Inspecteur des Services Civils d'Algérie venu sur place ainsi que je l'avais demandé dans mon rapport précité. Je me permets seulement d'insister sur la nécessité impérieuse d'étudier avec tout le soin qu'il mérite le problème posé jusqu'à ce qu'une solution efficace ait pu être déterminée. Il ne faut pas se dissimuler que les cinquante deux arrestations opérées à ce jour ne peuvent à elles seules ramener la confiance chez les hésitants, pas plus qu'elles n'ont contribué à inciter les exaltés à quelque réserve; je n'en veux pour preuve que l'incident qui s'est produit le 28 Octobre à la fraction Sefra du douar SOUAHLIA: quelques gendarmes et l'Agha du douar ayant procédé à l'arrestation d'un déserteur se sont vus insulter publiquement par l'oncle de ce dernier en des termes tels qu'ils ont dû procéder à son arrestation. Actuellement les populations fidèles ont peur et celles des douars les plus

.../.....

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الملحق رقم (19) : بلدية ندرومة المختلطة؛ تقرير شهري، نوفمبر 1953.

Commune mixte de Nedroma ; rapport mensuel, Novembre 1953, AOM, Carton N° 19H/35.

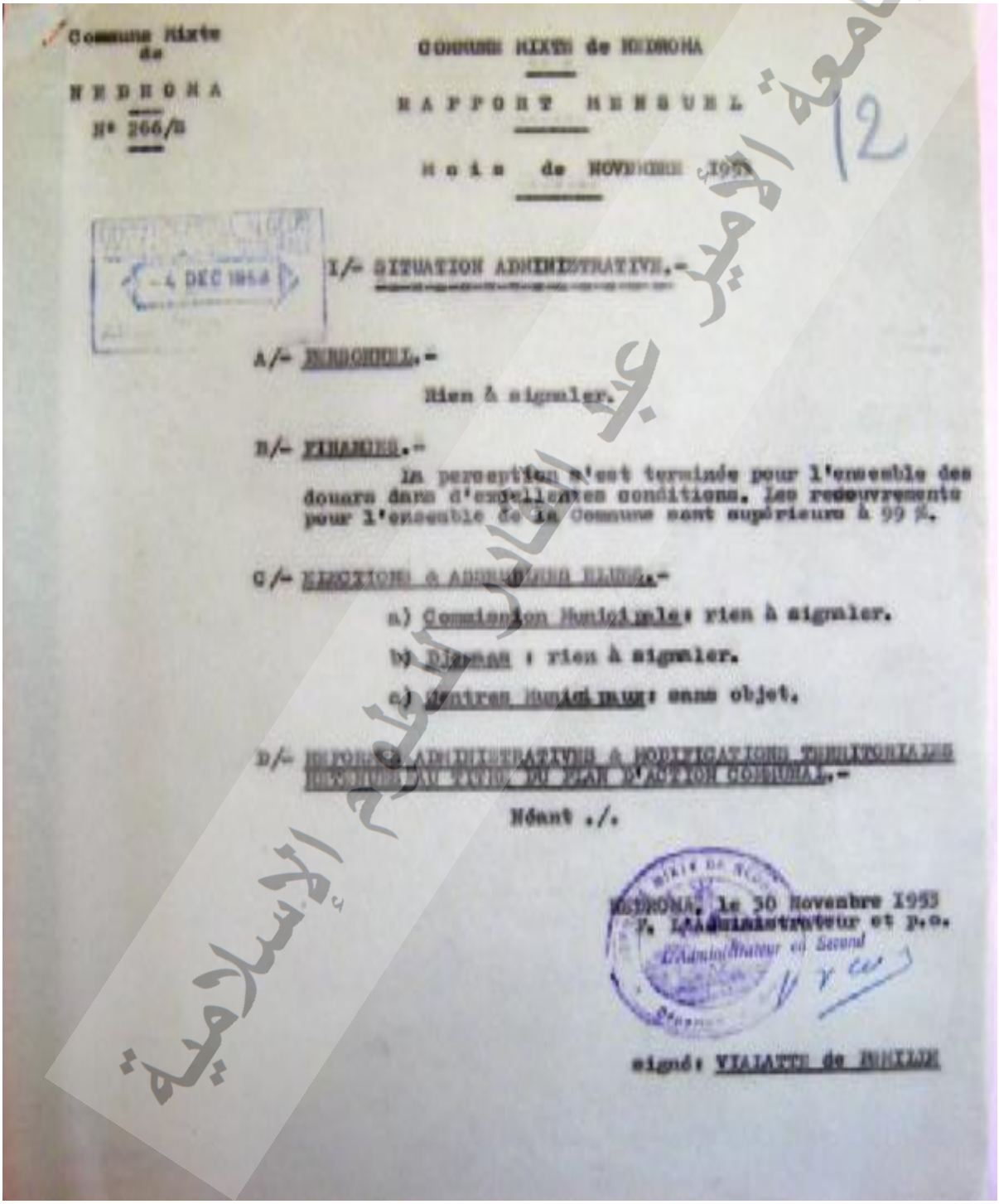

Commune Mixte de NEDROMA N° 266/B

COMMUNE MIXTE de NEDROMA

RAPPORT MENSUEL

Mois de NOVEMBRE 1953

I/- SITUATION ADMINISTRATIVE.-

A/- PERSONNEL.-

Rien à signaler.

B/- FINANCES.-

La perception s'est terminée pour l'ensemble des douars dans d'excellentes conditions. Les recouvrements pour l'ensemble de la Commune sont supérieurs à 99 %.

C/- ELECTIONS & ASSEMBLEES ELUES.-

a) Commission Municipale: rien à signaler.

b) Djemaas : rien à signaler.

c) Centres Municipaux: sans objet.

D/- REFORMES ADMINISTRATIVES & MODIFICATIONS TERRITORIALES INTERVENUES AU COURS DU MOIS D'ACTION COMMUNALE.-

Néant ./.

NEDROMA, le 30 Novembre 1953
P. L'Administrateur et p.o.
L'Administrateur en Second

signé: VIALATTE de MONTLEZE

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

III/- SITUATION POLITIQUE

Tout au long du mois la situation est demeurée ce qu'elle était dans les derniers jours d'octobre: les populations saharaines demeurent inquiètes, les indicateurs habituels ne parlent pas et les adversaires n'abandonnent rien de leurs positions.

Si l'inquiétude des populations ne cesse de croître dans tous les douars de la Commune Mixte ce n'est que sur les douars SOUANIA, BAOUDET EL HAMRA et les parties de DJEBALA et BENI-MERIN qui les bordent que se remarque une agitation certaine. Le souci de ces populations est toujours d'obtenir apporter un réconfort matériel et moral aux détenus, pourvoir à leur remplacement dans l'organisation F.L.N. Pour parvenir à ces divers buts des quêtes sont faites en chaque occasion, des réunions se tiennent où n'assistent souvent qu'un nombre restreint d'individus; ces réunions ayant beaucoup plus le caractère de réunions de cadres que de réunions de propagande, on y discuterait principalement du remplacement des personnes arrêtées comme on insisterait sur la nécessité de conserver un silence absolu sur les dispositions prises.

Il convient de noter que les retours de France paraissent plus nombreux que les autres années à même époque et lorsqu'il s'agit de familles dont un des membres a été arrêté on peut craindre que les raisons du retour ne soient pas exclusivement d'ordre familial. On prête aux nationalistes l'intention d'exercer des pressions contre les musulmans qui nous sont fidèles et l'incident survenu le 10 Novembre au douar SOUANIA pourrait confirmer cette intention: ce jour-là vers 2 heures du matin le nommé KHELIFA Mohir ould Lakhdar âgé de 10 ans fut réveillé par MEROUAN Djilali ould Ahmed 19 ans, MEROUAN Mohamed ould Mokhtar 21 ans et MEROUAN Mohamed ould Abdelkader 20 ans qui venaient lui offrir de faire route ensemble jusqu'à MEROUAN lieu de leur commun travail.

L'heure insolite et l'offre d'une compagnie inhabituelle le firent refuser. Sur ce, deux des déserteurs l'avaient précédemment menacé sous prétexte que son père avait fourni aux gendarmes des indications ayant effectivement permis l'arrestation d'un déserteur. Lorsqu'il se rendit seul à son travail, KHELIFA Mohir trouva en cours de route les MEROUAN qui l'attendaient et qui le rouèrent de coups. Un certificat médical constatant une incapacité de travail de 15 jours lui a été délivré - la gendarmerie a été saisie. De tels incidents sont bien faits pour inciter les populations non hostiles à un rigoureux mutisme.

Les quelques renseignements que l'on parvient malgré tout à recueillir sur les autres douars montrent l'intérêt que l'on doit attacher à ce qui se passe en France dans les milieux Nord-Africains. Il m'a été donné en diverses circonstances de dire que c'était en France qu'à mon avis valaient les principaux mots d'ordre. Or des témoignages de certains musulmans rentrés de France pour, disent-ils, fuir les advises exercés contre eux par leurs coreligionnaires il résulte qu'un très gros effort est actuellement fait par

.../...

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

les dirigeants P.P.A. en France pour amener, au besoin par la force, tous leurs coreligionnaires à adhérer à leur parti. Coups, menaces, pressions sur les familles ne sont pas ménagés et j'ai pu faire entendre par le Commissaire de la P.J. de passage à MEDEA le nommé MEBTOUCHE Mohamed [illegible] qui pour avoir refusé de s'inscrire au P.P.A. a été roué de coups et craignant pour sa vie est rentré en Algérie.

Entre temps sa famille avait reçu deux lettres (toutes deux actuellement en ma possession) l'une l'informant de ce qu'il avait été blessé et l'autre annonçant sa mort, le but de ces lettres étant évidemment de jeter le trouble dans la population en montrant l'importance et les moyens d'action du P.P.A. en France. On dit également que des commerçants de la Métropole se verraient contraints sous peine de perdre leur clientèle Nord-Africaine de verser aux quêtes des partis extrémistes ou d'acheter leurs journaux.

L'importance de tels faits s'ils sont démontrés et aussi fréquents qu'on le prétend est évidente. Le travail actuellement en cours d'identification de tous les travailleurs en France va permettre de demander aux services métropolitains de police de recouper tous ces renseignements.

En tout état de cause une vigilance accrue s'impose lorsque s'impose à l'administration supérieure la mise en place aussi rapide que possible des moyens de répression de contrôle et de renseignements dont la nécessité a été mise en lumière par les événements du 1er Octobre. Par ailleurs ainsi que la nécessité en a été montrée lors de la conférence précédente le 5 Novembre 1953 à MEDEA par M. le Préfet d'ORAN la surveillance des éléments réformistes s'impose de plus en plus. A MEDEA, BENHAMOUR Abdelmalek a repris ses conférences. Alors qu'il les faisait précédemment à la Mosquée il les fait à la Médersa même, y assistent les éléments les plus divers de la population, hommes et femmes depuis l'adolescence jusqu'à la vieillesse inclus. Son auditoire est chaque fois de plusieurs centaines de personnes. Malgré cela il est extrêmement difficile d'avoir des précisions sur les sujets qu'il développe mais quand bien même les sujets traités seraient-ils en apparence tirés du Coran l'habileté de cet individu est assez grande pour que, procédant par allusions ou comparaisons il puisse insuffler à son auditoire les consignes qu'il désire propager. Je crois qu'une étude et une révision de notre position vis à vis de ces écoles s'impose d'urgence et probablement dans toute l'Algérie./.

MEDEA, le 30 Novembre 1953
Le Sous-Préfet Administrateur civil de
l'Arrondissement de Médéa

signé: [illegible]

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفهـــارس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فهرس الأعلام

الإسـم	الصفحة
(أ)	
الإدريسي	19
الأحسن النير	129-126-123
الأمير عبد القادر	-38-37-36-35-34-33-32-21 -46-45-44-43-42-41-40-39 -115-100-96-95-55-49-48-47 -125-120-119-118-117-116 147- 142-141 -135-126
الأمير خالد	-255-253-252-251-246-245 -263-262-260-259-257-256 -291-284-283
الآغا خير الدين	31
ألفريد بيل	-19
إبراهيم (قائد)	38-37-35-34
أبوو	-254
أحمد البجاي	99-21
أحمد باي	-46
أحمد بلول	-263-255
أحمد بن بلة	-376-372-371
أحمد بن عبد الرحمان بن عبد الله	103

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أحمد بومنجل	-311
أحمد بونخالة	-347
أحمد توفيق المدني	-389
أحمد حماني	345-344
أحمد رحال	-316-306
أحمد رحالي	-337-335-334
أحمد رمعون	-339-337-335
أحمد زروق	92
أحمد زرهوني	-346
أحمد صنهاجي	317
أحمد طكوك	317
أحمد فرانسيس	-386-332-318-311
أحمد موسى بن سلطان	363
اسحاق هاقادوش	105
اسماعيل حامد	-292-291
أغلونج	42
آفار	146
افراييم النقاوة	-105-70
ألبير بن سوسان	-107-72
ألبير غريفي	-274
ألبين روزيت	299
إليزي ساباتيه	261
امبارك جيلاني	386

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أندري رويز	386
أندري شوراقي	71-106-
أورليان (دوق)	37
أوتيي	143-144-146-
أوغيست	144
أوجواج	386
آيت أحمد	371
إيدموند نيجلان	369
إيكزافيي ياكونو	50
إيزابيل إيبرهات	291
إيميل جانيي	185-187
(ب)	
بازان	141
بتان	70
براكلين	32
برباح مكي	357
برتزين	32
برنارد لافرني	254
بليفلد	146
بواسي دانجلا	277-
بواي	32
بوليزويلو	387
بونوم	381

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بودي	145
بوري	333
بوراني	334
بيفار	317
بيرونجي هانغيت	-338
ابن أبو زيان	93
ابن التهامي(صهر الأمير عبد القادر)	-40
ابن التهامي (نائب)	-258-257-256-253
ابن خلدون	63-21
ابن حمو	70
ابن دادة	100
ابن دنون	70
ابن عراش	47
ابن عيون	70
ابن العربي	-268-256-249-248-247-240 -289-270-269
ابن سماية	-281
ابن مرزوق	103
ابن الموهوب	281
بوعمامة	294
بول آزان	-293-290-250-232
بول لوسات	-334-333-332-331-330-329 -365-363-359-356-337-335 -379-378-377-366

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أبو حمو الثالث	25
أبو الحسن الشاذلي	91
بوزغاية صالح	352
أبو زكريا الزواوي	-91
أبو زكريا السطيفي	91
أبو السرور عياد الوربي	27
أبو طالب	41
بوعزيز	70
بومروك	378
أبومدين شعيب	-90
البوحميدي	-118-116
أبي زيد طيفور	89
أبي سعيد الخراز	90
بيجو	-119-117-57-49-48-47-46 142-138-136-125
بيدو	-129-126-120-119-118-49 -142-141
بيرجو	42
بيليسيي	58
(ت)	
تامزالي	-253-245
تريزيل	36
تروشو	-233
توفني	379

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

(ج)	
جاربو	383
جبار بن يوسف	22
جبار محمد	346-345
جعفر بن رحال	348
جماد الشريف	386
جول دوفال	-136
جول فيري	-293-287 -249-240
جويللي	378
جورج كليمنصو	-251
جورج رافيني	386
جوزيف كنال	- 144-101-81-79
جون فوجور	384-383
جنان مكي	317
جيلبير غراند غيوم	356-65
(ح)	
الحارث المحاسبي	90
حاج بالحاج غزالي	-366-363-356-349-346-317 -372
حاج بن عمار غزالي	-373-363-357-346-317
الحاج حدندال ركاب	317
الحاج سليمان	379
حامد رحال	-346-317

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

حزيزة	70
حزيزة بن قيقي	162-107
حسان باي	30
حسان داي	27-26
حسين بن بريهمات	235
حسين داي	-30
حصار	318
حمدان بن عثمان خوجة	50
حمزة بن رحال	-129-121-120-118-117-22-21 238-237-235-234
(خ)	
الخليفة ميسوم	-375-374
خير الدين (بربروس)	24
(د)	
دارلونج	36
الدكتور موسى	-257-256-255-253-252-245 -259
الدكتور سعدان	-335-311
دراريس الطيب	358
دراريس الحاج بن عيسى	358
دريوش	317
دوشاتوليي	292
دي أورليون	116

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

دي باراي	36
دي بارال	120
دي بورمون	-30-31
دي منتنياك	126-125-120
ديدلون	201
ديدي محمد	327
ديزباني	147
ديفو	58
دي لورال	76
دي ميشيل	-39-36-35-34-33-32
دي نوفو	92
(ر)	
رمسيس الثالث	109
رمضاني محمد	-374-346
رينيه باسيت	20
رينيه ستيب	381
روهرباشي	375-374-344
(ز)	
زكريا بن يخلف المطغري	24
زرهوني	191-68-65
(س)	
ساهو	-205-201-149-148-147-146 -206

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

السري السقطي	90
سردون	190
سعيد الزموشي	-349-346
سليمان بلعابد	-362-339-337-336-329-316 384-383-382
سيدي العوفي	100
سيدي سياج	102-101
سيدي يحي بن الزعيوف	-101-100-97
سيدي الشبلي	102
سيدي أحمد بن ملوكة	103
سيدي علي بن يحي السلكسيني	103
سي عمار بن يعقوب	126
سليمان بن صيام	236
سي منور بن عبد الرحمان	244
(ش)	
شارل جينيو	-292
شانزي	238
شقرون	70-66
شقرون محمد الصغير	345
شيلفا المغاري	22
الشيخ السنوسي	93
الشيخ مصباح	349
الشيخ خير الدين	349

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

شيشناق	108
(ص)	
صمود	65-67-
صبان	70
صنهاجي	65
صياح سي حني	256
(ط)	
طالب أحمد جازولي	317
طاهر أحمد	333
طاهر براهمي	317-347-
طاهري عبد الغني	358
الطيب بن مختار	235
(ع)	
عباس بن حمزة بن رحال	316-
عبد الباقي بن الشيخ الحسين	346
عبد الحق بن عبد الرحمان الشيصي	98
عبد الحميد ابن باديس	342-343-344-355
عبد الجبار الشاذلي	93
عبد الرحمان بكوش	316- 328-329-330-331-374-
عبد الرحمان الثعالبي	91
عبد السلام بن مشيش	90
عبد القادر الجيلاني	93
عبد القادر غرناطي	317-346

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

عبد القادر نورين	357-340-339
عبد القادر صفراوي	340-327
عبد القادر دلاي	352
عبد اللطيف رحال	-338
عبد اللطيف السلطاني	348
عبد المؤمن بن علي	349 -22-21-20
عبد الوهاب بن منصور	-351-350-349-340-339-335 -360-359-358-357-356-355 374-365-364-363-362-361
عبيد الله البكري	19
عشوبة	361
عزيزة	70
العربي التبسي	-365-364
عروج	24
علال الفاسي	349
عمار مولاي	375
العياشي بن يرنو	236
(غ)	
غارديي	197
غريغوار	148
غماري	-67-65
غميني قدور	-339
(ف)	
فافيي	337

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فالي	48-49
فالنتيني	378
فالبير	302
فايلون	148
فرانسوا غارسيا	148
فرحات عباس	308-309-310-311-312-313-314-315-317-318-319-320-321-322-324-326-327-332-333-336-367-369-389
فيكتور باروكان	250-266-291-292-
فيلومون	148
(ق)	
قاسطو	59
قجار	179
قدار	179
قدور بن عاشور	302-303
قدور غنيم	317
قراسي	337-
قرماد	179
قرمادي	179
قندوز الخياط	180
قائد حمود	245-253-255-259-262-
(ك)	
كافانياك	45-46

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

كريميو	-303-278-277
كلوزيل	-43-42-40-39-38-37-32-31 -46-45-44
كوتولي	-256
كولومبي دي بارو	378
كومبس	293
(ل)	
لخضر قائدي	386
لعربي بوري	317
لالة زهرة الشريفة	97-79
لاسكار	378
لامورسيار	-300-233-140-125-50-41-40
لمين بسام	-346-329-317
لويس فيليب	37
لوكوك	-144
لوبي	286
لومبار	337
ليوبولد سيدر سونغر	284
ليفي	70
ليوتي	293
(م)	
الماحي عمار بن حسين	357
ماري آن برونون	166

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ماك كارثي	144
المجاوي	281
مجداد	318
محمد بن رحال	21-121-126-129-189-197-238-239-240-241-243-244-245-246-247-248-250-251-253-254-255-256-257-258-259-260-261-262-263-264-266-268-269-273-281-284-285-286-287-288-289-290-291-293-298-299-301-304
محمد بن زغودة	236
محمد بن عمار جباري	316-317-323-326-327-328-329-330-331-332-335-337-338-339
محمد بن عيسى	93
محمد بن الحاج محمد	236
محمد بن داود	317-377-378-379
محمد بن عزوز	317-346
محمد بن يوسف السنوسي	91
محمد بوزيان الغماري	129
محمد البشير الإبراهيمي	331-343-347-348-349-362-363
محمد تومي رحال	348

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

محمد جبار	-346
محمد جريدي	351
محمد خطاب الفرقاني	347
محمد رابح فيسة	76
محمد رحموني	-332-331-316
محمد زرهوني	-331-330-329-326-323-316
محمد السعيد بن علي الشريف	236
محمد صالح الكبير	-327
محمد صنهاجي	317
محمد الكبير	99
محمد عزي	375
محمد غزالي	356
محمد المبخوث بوحفص	375
محمد النقاش	-232-129-126-123-122-120 388-234
محفوظ قداش	386
محي الدين زروق	-255-253-245
مختار بن رحال	344
مختار بغدادي	327
مختار وداحة	380
مصالي الحاج	-388-376-373-367
مصطفى بن اسماعيل	119-116-43
مصطفى غزالي	346

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

مصطفى طكوك	317
معطى الله	352
مكي بن باديس	235
مورينو	261
مولاي إسماعيل	27-26
مولاي عبد الرحمان	95
مولاي سليمان	28-27
مولاي كرزاز	93
مولاي محمد	233
مولاي الطيب	93
موسى بن شقوف	257
مونتيني	378
موندروس	291
المهاجي	356
المهدي بن تومرت	20
مونيوز	148
ميرانت	259
ميليران	262
ميسوم داحور	317
ميسيمي	299
(ن)	
نابليون الثالث	286-249-
الناصري	23

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

نور الدين رباح	386
نوار مصطفى ولد الهبري	357
(و)	
وارنيي	92
وليام مارسيه	71
(هـ)	
هارون بن موسى	23
الهبري	357
هيرتاس	378
(ي)	
يوجين قاستنبيد	235
يحي العيدلي	91
يخلف بوعناني	352
اليعقوبي	18
يعقوب بن عبد الحق	23
يغمراسن	23
يشير عبد القادر	372
يوسف بن تاشفين	97-20
يون	148

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فهرس القبائل والأماكن

الأماكن	الصفحة
(أ)	
الأبيار	318
الأطلس التلي	16
الأغواط	55-342-
الأقصر	108
أبغاني	130
البرواقية	342
الحرار	55
أحفير	357
أرزيو	33-34-35-141-342
ألمانيا	191
الألزاس	260
الأنجاد	43-44-45-55-
الأوراس	63
اسبانيا	70-93-103
استراليا	137
إسر	119
أغريس	40
إفريقية	20

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

آفلو	352
أمريكا الشمالية	137
انجلترا	195
أنجيزة	17
أنجفة	17
أوغليون فيل	228
أولاد بوزين	132
أولاد داود	68
أولاد ددوش	130-132-133
أولاد خليفة بلحافر	132
أولاد سيدي بن عمار	133
أولاد سيدي الشيخ الشراقة	53
اولاد عطية	130-
أولاد يعقوب	133
أولاد ميمون	311-
(ب)	
باب تازة	121-
باب العسة	195
باريس	245-246-255-262-263-264-267-270
بجاية	90-91-
البرتغال	93-
البرجية	39

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

البليدة	47-252-
بلجيكا	195
برقة	20
بريقو	352
بغداد	89-
بلكور	377
بنومرين	
بوزريعة	324-377-381
بوسعادة	252-
بوفاريك	47
بن عامر الغرابة	52
بن عايش	344-367-368-384-
بني خلاد	67-132-133-135-238-
بني سناسن	15-127-130-167-
بني سنوس	63-80-
بني شقران	39-53-
بني صاف	171-184-387-388-
بني عامر الشراقة	52
بني عابد	67-
بني عبد	130
بني عسكر	22
بني مسلم	52
بني مسهل	16-67-95-127-131-132-133-135-142-208-

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بني منقون التحتى	130
بني منير	16-67-68-124-127-130-131-132-133-135-213-238-
بني ميزاب	45
بني وراغ	52
بني ورسوس	95-121-130-132-
بني يلول	19
البيض	352-361
(ت)	
تاجرة	17
التافنة	15-24-26-38-44-45-46-117-120-
تاونت	21-22-23
تسالة	140
تلمسان	15- 16-17-19-20-21-22-23-24- 26 -32-33-34-39-40-41-42-43-44-45-47-48-50-52-53-59-60-62-63-68-69-70-72-73-74-75-76-81-82-83-85-86-87-92-94-96-98-99-100-102-104-105-106-109-110-111-112-117-118-120-121-128-130-141-142-143-144-145-147-149-154-171-172-174-178-181-183-184-185-186-187-188-198-202-207-209-213-218-223-225-228-229-230-276-295-304-307-311-314-326-328-329-352-357-359-361-369-370-371-373-382-383-

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تقرت	45
توات	72
تونس	30
تيارت	53-174-342-
التيطري	37-45-46-47-
(ج)	
جبالة	67-127-131-132-133-135-146-167-207-208-209-213-
جبالية	53
الجداوية	38-
جرجرة	46
الجزائر	23-25-26-27-116-172-173-185-188-196-197-221-223-234-
جزولة	17
الجلفة	352-
الجفرة	39
(ح)	
حرسة	19
الحشم	38-39-40-
الحشم الشراقة	53
الحشم الغرابة	39-53
الحضنة	63
الحميان	53
حمام بوحجار	140

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

(خ)	
خنشلة	
(د)	
دار الجديد	132
دار الزاوية	133
دار اللوح	132
دبدو	107-106
الدوابر	52-36-35-
(ر)	
رأس نواح	68
راشقون	45-
الرمشي	155
روما	16
ريو سلادو	140-45
(ز)	
زاوية الميرة	135-133-132-131-
زرادة	133
الزراهنة	64-
زمارة	132
الزمالة	52-37-35-
(س)	
سبدو	174
سرسو	53

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

سطح الكاف	69
سطيف	-349-341-340
سعيدة	-352-174-40
السكاك	118
السواحلية	135-133-132-131-127-95
السودان	72
السوس الأقصى	19
سوقر	352
سومارية	133
السنيغال	
سيدنا يوشع	18-17
سيدي إبراهيم	-127-121-95
سيدي الحاج بن عبد الله	133
سيدي بلعباس	251-141-59
سيدي بلمنور	
سيدي بوجنان	195
سيدي بورياح	132
سيدي بوزيان	132
سيدي دحو	39
سيق	352-36-35
السينيا	140
(ش)	

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

شراية	167
الشام	
الشلف	228-52-45-38
(ص)	
صدامة	53-40
صطفورة	19
صنهاجة	64-17-
(ط)	
طرارة	81-80-76-75-73-68-63-44-27-19-17-16-15- 132-127-126-121-120-118-116-95-94-91-86- 226-218-207-203-190-167-166-143-142-141- 244-240-239-238-229 -228-
طليطلة	104-
طنجة	226-166-
(ظ)	
الظهرة	15
(ع)	
العشاش	132-127-
عمي موسى	311-52-
عين تيموشنت	230-184-171-144-141-59-
عين جرير	174-
عين الكبيرة	133-132

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

عين منعة	40
(غ)	
الغرابة	31-32-39-52-53-
غرناطة	63
الغزوات	15-17-60-126-127-132-143-144-145-146-150-154-155-167-193-194-195-207-208-232-336-345-
الغسل	53-120-167-229-
غيليزان	311-352
غماراس	64-
(ف)	
فاس	64
فرندة	352
فرنسا	135-143-
فلاوسن	15- 17-18-19-20-62-69-
فليتة	40-52
(ق)	
قسنطينة	29-45-46-47-50-51-55-136-
قصر البخاري	352
(ك)	
الكرمة	32
كومية	19
كيس	15-26
(ل)	

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لاكوبية	53
ليون	187-202-
(م)	
مازونة	92-96-
متشاشين	39
مجاهر	52
المدية	23
مراتة	19
مراكش	19-
مردة	19
المرسى الكبير	30-31-32-33-34-
مستغانم	32-33-34-35-36-39-40-41-50-52-59-140-
مسرغين	140
مسيردا	94-131-132-133-184-230-233-238-
مشرية	174
المشور	32-
مصر	108
مصمانة	19
مصمودة	64
مطغرة	133
مطماطة	17
المعازيز	132
معسكر	29-32-33-35-36-37-38-39-40-41-43-48-52-

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

	352-59-53
مغنية	15-63-64-94-99-111-126-129-141-143-144-146-149-154-162-167-174-186-208-230-352-372-373
مغارة	19
المغرب الأقصى	15-20-24-26-120-126-271-185-194-229-230-
المغير	41
مفوطة	19
مكة المكرمة	29-
مكناس	64-68-
مليانة	47
مليلة	106-
مينا	38-52-
المنصورة	23
موزاورو	153
ميلو	349
(ن)	
ندرومة	ورد ذكرها في معظم صفحات البحث
نصف عشور	130-
نمور	60-122-125-126-127-128-129-130-131-132-143-145-146-154-155-194-195-229-230-232-335-345-
(و)	
الونشريس	15-23

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

واد بوقيو	155
واد الحمام	39
واد دهيو	38
واد ديان	155
واد ملاح	-41
واد ملوية	24
واد هونات	39
وجدة	-239-229-186-185-167-142-126-41-27-26-22
ولهاصة	133-131-53
وهران	-39-38-37-36-35-34-33-32-31-30-29-24-20 -59-54-52-51-50-49-48-47-46-45-43-41-40 -116-113-112-105-99-97-95-94-88-75-68-63 -145-144-141-140-139-136-131-126-120-118 -276-274-270-252-251-248-246-238-154-149 -343-342-341-335-314-398-311-308-294-283 -364-361-357-355-353-352-351-348-346-344 -392-391-389-386-380-375-373-371-369-366 -351-348-346-344-343-342-341-335-314-398 -373-371-369-366-364-361-357-355-353-352
(هـ)	
الهبرة	34
هنين	23

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

قائمة المصادر والمراجع

أولا: الأرشيف الفرنسي (أرشيف ما وراء البحار بأكس أون بروفانس):

1- **Gouvernement général de l'Algérie :**

Série H : Propriété Indigène

- **Cote 8H : Organisation administrative**

- **Carton N°8H/36/42**

- Commune Mixte de Nedroma en 1885 ;

- Cote 19H : Administration locale des Indigènes et personnel des communes mixtes

- **Carton N° 19H/15**

- Commune Mixte de Nedroma: Rapport Mensuel sur les faits et les circonstances, Mois de Aout 1940 ;

- **Carton N° 19H/ 16**

- Commune Mixte de Nedroma : Rapport sur la situation politique ; 31 Mars 1946 ;

- Commune Mixte de Nedroma : Rapport sur la situation politique, Commune Mixte de Nedroma, le 30 Juin 1946 ;

- Commune Mixte de Nedroma : Rapport sur la situation politique, Nedroma, le 31 Juillet 1946 ;

- Commune Mixte de Nedroma : Rapport sur la situation politique, Commune Mixte de Nedroma, 16 Aout 1946 ;

- Rapport Bimensuel de la Commune Mixte de Nedroma ; 2eme Quinzaine de Novembre 1946 ;

- Rapport Bi- Mensuel de la commune Mixte de Nedroma, 2eme Quinzaine de Décembre 1946 ;

- **Carton N° 19H/34**

- Rapport Mensuel de la commune Mixte de Nedroma, Mois de Septembre 1953 ;

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

- **Carton N° 19H/35**

- Rapport Mensuel de la Commune Mixte de Nedroma, Mois d'Octobre et Mois de Novembre 1953 ;

- **Série M : Colonisation / Département d'Oran**

- **Cote 2 M : Dossier des villages de colonisation (création des centres)**

- **Carton N° 2M/121**

- Rapport sur le projet d'agrandissement de la Colonisation à Nedroma 1885 ;

- Rapport concernant les principales industries dans la commune mixte de Nedroma , 23 Fevrier 1897 ;

- Création d'un village dans la plaine de Nedroma, Vœu du conseil Municipal de Nemours, Marnia, le 14 Aout 1901 ;
- Monographie succincte de la Commune Mixte de Nedroma, 1923 ;
- **Série N : Sénatus Consulte**
- **Cote 2N : Tribus du sénatus-consulte**
- **Carton N° 2N/67**
- Rapport historique de la tribu de Nedroma ;
- Délimitation et répartition du Territoire de la tribu de Nedromah (Cercle de Nemours) ;

Nedroma : Revendications domaniales, dossier Sénatus Consulte N°50 1867

- Rapport concernant l'application du Sénatus Consulte à Nedroma, 1867 ;

2- <u>Département d'Oran (Préfecture d'Oran) :</u>

- **Série I : Situation politique locale**
- **Cote 5I :**
- **Carton N° 5/I/153 : Nedroma**
- Lettre de l'Administrateur Principal de la commune Mixte de Nedroma à M^{er} le Sous Préfet de Tlemcen : PPA ; Agissements locaux, Nedroma , le 13 Octobre 1938 ;
- Préfecture d'Oran (centre d'informations et d'études) : Extraits de presse au sujet de Nedroma, Oran, le 26 Décembre 1938 ;

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

- Lettre de Mohammed Henaoui à M^er^ le Gouverneur Général de l'Algérie (Direction des Affaires Indigènes), Tlemcen, le 24 Mai 1939 ;
- Plaintes de M^er^ Sahut Conseiller Municipal contre les agissements de M^er^ Didelon, 1942 ;
- SLNA : Situation de la Région de Marnia-Nedroma, Le 15 Septembre 1954 :
- **Série continue (cabinet de la préfecture d'Oran)**
- **Cote N°// 124**
- **Carton N°// 19**
- Rapport Mensuel de la Commune Mixte de Nedroma ; Février 1948 , Nedroma ; le 1 Mars 1848 ;
- Rapport Mensuel de la Commune Mixte de Nedroma ; Mars 1948 ;
- Rapport Mensuel de la Commune Mixte de Nedroma ; Septembre 1948 ;
- Rapport Mensuel de laCommune Mixte de Nedroma :, Octobre 1948 ;
- Rapport Mensuel de la Commune Mixte de Nedroma, Novembre 1948 ;
- Rapport Mensuel de la Commune Mixte de Nedroma :, Décembre 1948 ;
- **Carton N°// 34 :**
- Rapport Mensuel de la Commune Mixte de Nedroma, Mois de Mars 1951 ;
- Rapport Mensuel de la Commune Mixte de Nedroma, Mois d'Avril 1951 ;
- Rapport Mensuel de la commune mixte de Nedroma, Mois de Juin 1951 ;
- Rapport Mensuel de la Commune Mixte de Nedroma ; Mois de Septembre 1951 ;
- Rapport Mensuel de la Commune Mixte de Nedroma ; Mois d'Octobre 1951 ;
- Rapport Mensuel de la commune Mixte de Nedroma, Mois de Novembre 1951 ;
- **Carton N° //111 :**
- Service des liaisons Nord- Africaines (département d'Oran): Renseignement, le 13 Février 1952 ;
- **Carton N° //679 :**

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

- Lettre de sous Préfet de l'arrondissement de Tlemcen à M^er le Préfet : les Ulema, Tlemcen le 10 Octobre 1949 ;
- Lettre de M^er le Préfet à le sous Préfet de l'Arrondissement de Tlemcen: Activité des Oulama, Tlemcen,30 Mai 1950 ;
- Lettre de M^er le Préfet de Département d'Oran à M^er le Sous Préfet de Tlemcen : Activité des Oulama dans la région de Nedroma, Oran le 12 Juin 1950 ;
- Police des renseignements généraux du district d'Oran : Rapport, Oran, 18 Octobre 1951 ;

- **Carton N° // 683 :**
- voyage de Ferhat Abbas , Nedroma le 26 Décembre 1946 ;
- **Carton N° // 2541 :**
- Société de Préparation Militaire, La Nemourienne, (1910-1932) ;

ثانيا: الأرشيف الوطني:

- Bulletin Officiel du Gouvernement Général de l'Algérie : N° 86, 1863
- Bulletin officiel du Gouvernement Général de l'Algérie N°87, 1863
- Bulletin officiel du Gouvernement Général de l'Algérie : Vol.7, 1868
- Bulletin officiel du Gouvernement Général de l'Algérie : N°637, 1876
- Bulletin officiel du Gouvernement Général de l'Algérie : N°805, 1880
- Les Délégations Financières : 1920- 1924
- Conseil Général d'Oran : séance du 16 Octobre 1953
- Conseil Général d'Oran : Séance du 21 Octobre 1953

المصادر و المراجع المعتمدة باللغة العربية:

المصادر:

1- الإدريسي (الشريف): **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ج1،مكتبة الثقافة الدينية؛

2- البكري (أبو عبيد الله): **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب؛ المسالك والممالك**، مكتبة المثنى بغداد، 1857؛

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

3- ابن خلدون (عبد الرحمان): **كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ج 6، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1971؛

4- الزهار (أحمد الشريف): **مذكرات نقيب أشراف الجزائر 1754-1830**، تح: أحمد توفيق المدني، ش،و،ن،ت، الجزائر، 1974؛

5- ابن عذاري (المراكشي): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق إحسان عباس، ج.4، ط.3، الدار العربية للكتاب، ودار الثقافة، بيروت، 1983؛

6- الوزان (حسن): **وصف إفريقيا**، ج2، ط2، تر، محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983؛

7- اليعقوبي: **كتاب البلدان**، أبود. ج. بريل ، 1892؛

المراجـــع:

8- الإبراهيمي (أحمد طالب): **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (عيون البصائر)**، ط1، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997؛

9- ابن الأمير عبد القادر (محمد) : **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر**، ج 1، المطبعة التجارية، الإسكندرية، 1903؛

10- ابن اشنهو (عبد اللطيف) : **تكون التخلف في الجزائر** ، م.و.ن.ت، الجزائر، 1979، ص180؛

11- بعلبكي (احمد) : **المسألة الزراعية أو الوعد الراقد في ريف الجزائر** ، بيروت، عويدات، 1985؛

12- بوعزيز (يحي): **الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية من خلال نصوصه 1912-1948**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987؛

13- تشرشل (شارل هنري): **حياة الأمير عبد القادر**، تر. أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس؛

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

14- الجيلالي (محمد بن عبد الرحمان): **تاريخ الجزائر العام**، ط2،ج 3 و ج4؛ ش،ج،ن،ت، الجزائر، 1965؛

15- الجيلالي (محمد عبد الرحمان)، **تاريخ الجزائر العام** ، ج4، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994؛

16- جوليان (شارل أندري): **إفريقيا الشمالية تسير**، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976؛

17- الحفناوي (أبو القاسم): **تعريف الخلف برجال السلف**، ج2، موفم للنشر، الجزائر، 1991؛

18- الحفني (عبد المنعم) : **الموسوعة الصوفية أعلام التصوف والمنكرين عليه والطرق الصوفية**، ط1، دار الرشاد، القاهرة، 1992؛

19- حسن بهلول (محمد بلقاسم) : **القطاع التقليدي في الزراعة الجزائرية** ، 1985؛

20- حميد (عبد القادر): **فرحات عباس رجل الجمهورية**، دار المعرفة، الجزائر، 2001؛

21- ابن داهة (عدة): **الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر1830-1962** ،ج1 ، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2008؛

22- دودو (أبو العيد) : **الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان 1830-1855**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989؛

23- الزبير (سيف الإسلام): **تاريخ الصحافة في الجزائر**، ط2،ج5، م.و.ك، الجزائر؛

24- الزبيري (محمد العربي): **تاريخ الجزائر المعاصر**، ج1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999؛

25- سعد الله (أبو القاسم): **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ط2،ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990؛

26- سعد الله (أبوالقاسم): **الحركة الوطنية الجزائرية 1830- 1900**، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992؛

27- سعد الله (أبو القاسم): **تاريخ الجزائر الثقافي**، ط1، ج1، 1500-1830، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998؛

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

28- سعد الله (أبو القاسم): **تاريخ الجزائر الثقافي**، ط1، ج4 ، دار الغرب الإسلامي، 1998؛

29- سعد الله (فوزي): **يهود الجزائر هؤلاء المجهولون**، ط2، ج1، دار قرطبة، الجزائر، 2005؛

30- سعيدوني (ناصر الدين) و بوعبدلي (المهدي): **الجزائر في التاريخ؛ العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984؛

31- شريط (لمين): **التعددية الحزبية في تجربة الحركة الوطنية 1919-1962**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998؛

32- عباد (صالح): **الجزائر بين فرنسا والمستوطنين (1830-1930)**، ديوان المطبوعات الجامعية، 1999؛

33- عباس (فرحات): **ليل الاستعمار**، ت: رحال أبو بكر، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، 1962؛

34- عدي (الهواري): **الاستعمار الفرنسي في الجزائر، سياسة التفكيك الاقتصادي الاجتماعي** (1830-1960)، ت: جوزيف عبد الله، ، دار الحداثة، بيروت؛

35- عكاشة (ثروت): **القيم الجمالية في العمارة الإسلامية**، ط.1، دار الشروق، القاهرة، 1994؛

36- قداش (محفوظ)، و صاري (الجيلالي): **المقاومة السياسية 1954**، ت: بن حراث عبد القادر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987؛

37- المدني (أحمد توفيق): **كتاب الجزائر**، ط2 ، دار الكتب، الجزائر،1963 ؛

38- المزاري (ابن عودة): **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، ج1، ط1، تح . يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990؛

39- مهساس (أحمد): **الحركة الوطنية الثورية في الجزائر**، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2003؛

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

40- ميخائيل (أفيطبول) وآخرون: **اليهود في البلدان الإسلامية (1850-1950)**، ت: جمال الرفاعي، سلسلة عالم المعرفة، ع197، الكويت، 1995؛

41- ميرل (روبير): **مذكرات أحمد بن بلة**، تر: العفيف الأخضر، منشورات دار الآداب، بيروت؛

42- الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد): **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج3، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954؛

43- نصر الله (سعدون عباس): **دولة الأدارسة في العصر الذهبي**، ط1، دار النهضة العربية، 1987؛

44- نوشي (أندري) ولاكوست (إيف): **الجزائر بين الماضي والحاضر**، المطبوعات الجامعية، باريس، 1960؛

45- يحي (جلال): **المغرب الكبير؛ العصور الحديثة وهجوم الاستعمار**، ج3، دار النهضة العربية، بيروت، 1971؛

الرسائل الجامعية:

46- بوعبد الله (عبد الحفيظ): **فرحات عباس بين الإدماج والوطنية 1919- 1962**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2005-2006؛

47- ابن خروف (عمار): **العلاقات بين الجزائر والمغرب 1517- 1659م**، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، 1983؛

48- خيدة (علي): **محاولة تنميطيـــة لفخار وخزف موقع تازا؛ برج الأمـير عبد القادر (القرن 13هـ- 19م)**، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2005-2006؛

49- فيسة (محمد رابح): **المنشآت المرابطية في ندرومة دراسة تاريخية أثرية**، مذكرة ماجستير غير منشورة، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2004-2005؛

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

50- لونيسي (إبراهيم): **القضايا الوطنية في جريدة المبشر (1847-1870)**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، (1993-1994)؛

51- الواعر (صبرينة): **سي محمد بن رحال، دوره السياسي والثقافي 1856-1928**، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2002 - 2003؛

المجلات والدوريات باللغة العربية:

52- ابن باديس (عبد الحميد): "رحلتنا إلى العمالة الوهرانية"، **الشهاب**، ج 8، مج 8، السنة الثانية، أوت 1932؛

53- التبسي (العربي): "حاكم ندرومة يمنع المسلمين من صلاة العيد خلف العلماء الأحرار"، **البصائر**، ع 196، السنة الخامسة، 21 جويلية 1952؛

54- داهش (محمد علي): "العلاقات المغربية العثمانية في العصر الحديث (1650-1830)"، **مجلة حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية**، جامعة قطر، الدوحة، قطر، 1995؛

55- حماني (أحمد):" حديث المتجول"، **مجلة البصائر**، ع 144، 16 ديسمبر 1938؛

56- خلف التميمي (عبد المالك): "الإستيطان الأجنبي في الوطن العربي؛ دراسة تاريخية مقارنة"، **عالم المعرفة**، ع71، نوفمبر 1983؛

57- زرهوني (الطاهر)، "ندرومة بين الماضي والحاضر"، **مجلة الثقافة**، ع 99 ،1987؛

58- زوزو (عبد الحميد): "الجديد في معركة الثامن ماي 1945"، **مجلة الثقافة**، ع 107-108، 1995؛

59- شاهد عيان:" يوم خالد بمغنية"، **البصائر**، ع 146، السنة الرابعة من السلسلة الثانية، 12 مارس 1951؛

60- شاهد عيان، "افتتاح مدرسة الفلاح بوهران"، **البصائر**، ع 202، السنة الخامسة، 29 سبتمبر 1952؛

61- الصديقي (عبد الرزاق): "اتفاقية لالة مغنية وملابساتها"، **بحوث مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية**، مج 14، ع 09، المحمدية،2001؛

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

62- العربي (إسماعيل): "إلى الجمعيات القائمة بشؤون المدارس"، **البصائر**، ع 68، 14 فيفري1949؛

63- ابن عمر (باعزيز):" تدشين مدرسة ندرومة"، **البصائر**، ع 92، 17 أكتوبر 1949؛

64- غزالي (أحمد): "مدرسة ندرومة"، **البصائر**، ع 61، السنة الثانية، 28 ديسمبر 1948؛

65- ابن منصور (عبد الوهاب): "وفاجعة ثانية"، **البصائر**، ع 101، السنة الثانية، 2 جانفي 1950؛

الجرائد:

66- جريدة النجاح ع 579. س9، يوم 15 أفريل 1928

الملتقيات:

67- بركات (أنيسة): "مدرسة عبد المؤمن بن علي بندرومة"، **التراث العلمي والثقافي لمدينة ندرومة ونواحيها، أعمال الملتقى الدولي الخامس حول مدينة ندرومة**، بين 20 و 22 ديسمبر 2006؛

المراجع المعتمدة باللغة الفرنسية:

68- Abane (Belaid) : **L'Algérie en guerre ; Abane Ramdane et les fusils de la rébellion**, L'Harmattan, Paris, 2008 ;

69- Agéron (Ch-R) :**les Algériens Musulmans et la France**, T.1, PUF, Paris, 1968 ;

70- Agéron (Ch-R) : **Histoire de L'Algérie contemporaine,** PUF, Paris, 1974 ;

71- Agéron (Ch-R) : **Politiques Coloniales au Maghreb**, PUF, 1972 ;

72- Albert d'Orléans (Louis Philippe) : **Compagnes de l'armée**

73- **d'Afrique 1835-1839**, Paris, 1870 ;

74- Autran (J) : **Milianah épisode des guerres d'Afriques**, Ed. Michel Lévy frères, Paris, 1857 ;

75- Azan (Paul) : *Sidi- Brahim***,** Ed. Ch. Lavauselle, Paris, 1905 ;

76- Azan (Paul) : **l'Emir Abd el Kader 1808-1883, du fanatisme musulman au patriotisme Français**, 1925 ;

77- Azan (Paul) : **Recherches d'une Solution de la question indigène en Algérie**, Augustine Challamel, Librairie Maritime et colonial, Paris, 1903 ;

78- Barbier (Jean) : **Itinéraire historique et descriptif de l'Algérie**, 1855 ;

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

79- Basset (René) : **Nedromah et les Traras**, Ed. Ernest Leroux, Paris, 1901 ;
80- Bazzana (André) **: Maisons d'Al-Andalus ; habitat Médiéval et Structures du Peuplement dans l'Espagne Orientale**, T.1, Casa de Velazquez, 1992 ;
81- Belkhodja (Amar) : **Colonialisme ; les crimes impunis**, Ed. Alpha, Alger, 2006 ;
82- Bellil (Rachid) : **Les Ouasis du Gourara (sahara Algerien) I. Le temps des saints**, Editions Peeters, Louvain, Paris, 1999 ;
83- Benbella (Bouchera) : **Oujda au miroir des voyageurs Français; fin 19eme,20eme siècles**, Imprimerie Cheams, 2003 ;
84- Ben Cheneb (M) : **Proverbes Arabes de l'Algérie**, Ed. Leroux, Paris, 1905 ;
85- Benhabilis (Cherif) **: L'Algérie Française vue par un Indigène**, Imprimerie Oriental, Fontana, Frères, Alger, 1914 ;
86- Bensoussan (Albert) : **L'Échelle de Mesrod ou Parcours Algérien de mémoire Juive**, l'Harmattan, 1984 ;
87- Bellemare (Alexandre) : **Abd El Kader, sa vie politique et militaire**, Ed librairie de L. Hachette et C, 1863 ;
88- Bernard (Augustin) **: Enquête sur l'habitation rurale des Indigènes de l'Algérie**, Imprimerie Orientale Fontana frères, Paris, 1921 ;
89- Berteuil (Arsène) : **l'Algérie Française**, T.1, Ed. Dentu, Paris, 1856 ;
90- Boyer (Pierre) :**Contribution à l'étude de la politique religieuse des Turcs dans la régence d'Alger 16-19 siècles**, Association pour l'étude des sciences humaines en Afrique du Nord, 1966 ;
91- Cahiers du centenaire de l'Algérie : **Les lieutenants du Maréchal Bugeaud: Lamoricière, Changarnier, Cavaignac, Bedeau ;**
92- Cambon (Jules) : **Gouvernement général de l'Algérie 1819-1897**, Librairie H. Champion, Ed, Alger, 1918 ;
93- Cavaignac (Eugène) : **De la Régence d'Alger, notes sur l'occupation,** Ed .Victor Magen, Paris1839 ;
94- Cecile (Fernand) et Montégut (F) : **Les Adjoints indigènes des communes de pleins exercice et des communes mixtes des territoire civile de l'Algérie,** 1913 ;
95- Cheurfi (Achour) : **La classe politique Algérienne de 1900 à nos jours, dictionnaire biographique**, Casbah éditions, 2001 ;
96- Chouraqui (André) : **Les juifs d'Afrique du Nord** , PUF, Paris, 1952 ;
97- Chouraqui (André) : **la Saga des Juifs en Afrique du Nord** , Paris, 1972 ;

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

98- Christellow (A): **Muslim Low courts and the french colonial state in Algeria**, PUF, New Jersy, 1981;
99- Clausel (Bertrand) : **Explications du Maréchal Clauzel**, Ambroise Dupont, Paris, 1837 ;
100- Clausolles (P) : **l'Algérie pittoresque, ou histoire de la Régence d'Alger**, Toulouse, 1845 ;
101- Collot (Claude) & Robert Henry (Jean) : **Le Mouvement National Algérien, Textes 1912-1954**, 2eme Ed, OPU Alger, 1981 ;
102- Dareste (Rodolphe) : **De la Propriété en Algérie : loi du 16 Juin 1851, Sénatus Consulte du 22 Avril 1863**, 2eme Ed, Paris, 1864 ;
103- Demotès (V) : **Renseignements sur l'Algérie économique**, Paris, 1922 ;
104- De ***Montagnac*** (Bernard**):** *Lettres d'un soldat* **,** Plon, Paris, 1885 ;
105- De Camp (le Marechal) : **Des moyens d'assurer la domination Française en Algérie**, Paris, 1840 ;
106- De Foucault (Charles) : **Reconnaissance du Maroc 1883-1884** , Ed. Challamel, Paris, 1888 ;
107- De Neveu (E) : **les Khouan ordres religieux chez les musulmans de l'Algérie**, A. Guyot, Paris, 1845 ;
108- De Nouvion (Victor) : **Histoire du règne de Louis-Philippe 1er ; roi des Français 1830-1848**, T1, Paris, 1859 ;
109- De Pimodan :**Oran, Tlemcen, Sud-Oranais 1899-1900**, Paris, 1902 ;
110- Depont (Octave) et Coppolani (Xavier) : **les Confréries religieuses musulmanes**, Alger,1897 ;
111- Desbois (Jean) & Raynal (René) : **Géographie de l'Afrique du Nord-Ouest, avec 43 cartes et figures dessinées par A. Leroux**, Payet, 1967 ;
112- D'Estry (Stéphan) : **Histoire d'Alger**, imprimeurs libraires, Tours,1851 ;
113- Devambez (Pierre) : **Histoire de l'Art**, Gallimard, 1961 ;
114- Djebari (Youcef) : **la France en Algérie ; bilans et controverses**, Vol.01, Ed.OPU, Alger, 1995 ;
115- Djebbari (Mohammed Benamar) : **un parcours rude mais bien rempli**, T1, Editions ANEP, 2002 ;
116- Djebbari (Mohammed Benamar) : **Nedroma petite ville- grands noms**, Imprimerie IEF, Tlemcen, 2010 ;
117- Djeghloul (Abdelkader) : **Huit étude sur l'Algérie**, ENAL, Alger, 1986 ;
118- Djeghloul (Abdelkader) : **Eléments d'histoire culturelle Algérienne**, ENAL, Alger, 1984 ;
119- Doutté (Edmond) : 1er Fasc, Paris, **Marrakech;**

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

120- Du Camp (Jules) : **Histoire de l'armée et de tous les régimes depuis les premiers Temps de la monarchie Française jusqu'à nos jours**, T4, Ed Bardier, Paris, 1850 ;
121- Enfantin (Prosper) : **Colonisation de L'Algérie**, Ed. P. Bertrand, Paris, 1843 ;
122- Esterhazy (Walsin) : **Notice historique sur le Meghzen d'Oran**, Oran, 1849 ;
123- Estoublon (R) & Lefébure (A) : **Code de l'Algérie Annoté**, 1830-1896 ;
124- Favord (Ch) : **Le F.LN et l'Algérie**, Paris, 1962 ;
125- Fillias (Achille): Histoire **de la conquête et de la colonisation de l'Algérie 1830 1860**, Ed. Arnauld de Vresse, Paris, 1860 ;
126- Gaffarel (Paul) : **l'Algérie histoire, Conquête**, Ed. Serre, 2004 ;
127- Gaston Guedj (Eliaou) : **L'Enseignement Indigène en l'Algérie au cours de la colonisation 1832-1962**, S.E, S.D ;
128- Genty (Jean René) : **Des Algériens dans la région du nord ; de catastrophe de Courrières à l'indépendance**, l'Harmattan, 2005 ;
129- **Géographique et Ethnographique et Biographique des Peuples Musulmans** T.4, librairie Klincksieck, Paris, 1934 ;
130- Grandguillume (Gilbert) : **Nedroma l'évolution d'une médina**, E. J.Brill. Leiden, Netherlands, 1976 ;
131- Gouvernement général de l'Algérie, **L'exode de Tlemcen, en 1911**, Beaugency, Imprimerie Réné Barrullier, 1914 ;
132- Hamet (Ismaïl) : **Les Musulmans Français du Nord de l'Afrique**, A colin, librairie, Paris, 1906 ;
133- Hugo (A): **France militaire , histoire des armées Françaises de terre et de mer 1792 -1837**, T5, Paris, 1838 ;
134- Ihddaden (Z): **Histoire de la presse indigène en Algérie, des Origines jusqu'en** 1930, ENAL, Alger, 1983 ;
135- Jauffret (Jean Charles) : **la guerre d'Algérie par les documents**, T2, service historique de l'Armé de la terre, Vincienne, 1998 ;
136- Jonnart (C) : **Exposé de la situation Générale de l'Algérie**, Imp . Victor Heintz, Alger, 1907 ;
137- Kaddache (M) : **LA vie politique à Alger de 1919 à 1939**, Alger, 1970 ;
138- Kaddache (Mahfoud) : **Histoire du Nationalisme Algériens,** T1, SNED, Alger, 1981 ;
139- Kateb (Kamel) : **Européens, Indigènes, et Juifs en Algérie (1830-1962)**, Ed. INED, 2001 ;

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

140- Khodja (Hamdan) : **Le miroir, Aperçu historique et statistique sur la régence d'Alger**, Ed. sindibad, Paris, 1985 ;
141- Lacretelle (L) : **Etudes sur la province d'Oran**, Marseille, 1865 ;
142- Lavenard (A) : **La représentation des indigènes Musulmans non naturalisés de l'Algérie au parlement Français**, Paris, p1922 ;
143- Lecocq (André) : **Histoire des débuts de la colonisation dans la subdivision de Tlemcen ;1842-1870**, T1, Ed. L.Fouque, Oran, 1941
144- Legrand (Victor): **Mémoire sur les richesses forestières de l'Algérie**, Imprimerie et librairie administratives de Paul Dupont, Paris, 1854 ;
145- Llabador (Octave) : **Nemours et son avenir commercial**, Imprimerie typographique du libéral, Oran, 1909 ;
146- Llabador (Francis) :**Nemours (Djemaa- Ghazaouat)**, Imp. La Typo-Litho, Alger, 1948 ;
147- le Pautremat (Pascale) : **la politique Musulmane de la France au 20 siècles**, Maisonneuve & larose, Paris, 2003 ;
148- Leynadier (Camille) & Clauzel : **Histoire de l'Algérie Française**, Ed. H Morel. Paris, 1846 ;
149- Le Tourneau : **Les villes Musulmanes de l'Afrique du Nord**, La maison des livres, Alger, 1957 ;
150- Levy (François) :**l'Agriculture au Maghreb ; ou pour une agronomie méditerranéenne**, G.P, Maisonneuve et Larose, 1982 ;
151- Marçais (W) : **le dialecte arabe parlé à Tlemcen ;**
152- Marçais (William) & Marçais (Georges) : **Les Monuments Arabes de Tlemcen**, ancienne librairie Thorin et fils, Paris, 1903 ;
153- Marçais (Georges) :**L'art musulman**, Presse universitaire de France, 1962 ;
154- Marciano (Eliayhu Rafael) : **une nouvelle Séville en Afrique du Nord ; histoire et Généalogie des Juifs de Debdou (Maroc)**, Elysée, 2000 ;
155- Martin (Claude) : **Les Israélites Algériens**, Ed, Hérakès, Paris, 1936
156- Melia (Jean) : **L'Algérie et la guerre (1914-1918),** Librairie Plon, Paris, 1918 ;
157- Merad (Ali) : **Le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940 ; essai d'histoire religieuse et social**, Mouton, 1967 ;
158- Mercier (Ernest) : **L'Algérie et la question Algérienne**, Paris, 1883 ;
159- Meynier (Gilbert) : **l'Algérie Révélée**, librairie Droz, Paris, 1981 ;
160- Montégut) : **Les Adjoints indigènes des communes du pleins exercice et des communes Mixtes des territoires civile de l'Algérie**, 1913 ;

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

161- Naroun (Amar) : **Ferhat Abbas ou les chemins de la souveraineté**, Paris, 1961 ;
162- Pellissier (E) : **Annales Algériennes**, T1, Imp. Anselin et Gautier, Paris, 1836 ;
163- Rousset (Camille) : **la Conquête de l'Algérie 1841-1847**, Paris, 1904 ;
164- Rozet (Georges) & (Carette) : **Algérie**, Ed. Firmin Didot frères, Paris, 1850 ;
165- Sari (Djilali) : **Les villes Précoloniale de l'Algérie Occidentale ; Nedroma, Mazouna, Kalaa**, SNED, Alger, 1970 ;
166- Sari (Djilali) : **Les mutations socio-économiques et spatiales en Algérie**, OPU, 1993 ;
167- Taieb (Jacques) : **sociétés Juives du Maghreb moderne 1500-1900**, Maisonneuve & Larose, Paris, 2000 ;
168- Teissier (Octave) : **Algérie**, librairie L.Hachette, Paris ;
169- Tinthoin (Robert) : **Colonisation et évolution des genres de vie dans la région Ouest d'Oran de 1830 à 1885 ;**
170- Tinthoin (Robert) : **L'Oranie ; sa Géographie, son Histoire, ses Centres**, Ed. L. Fouke, Oran, 1952 ;
171- Trabut (L) & Marès (R) : **l'Algérie Agricole en 1906**, Imprimerie Algérienne, Alger, 1907 ;
172- Trochu : **Oeuvres posthumes**, T.2, Ed. Alfred Mame et Fils, Tours , 1896 ;
173- Samrakandi (Mohammed Habib) & Ghitany (Gamal) : **Littérature et héritage spirituel dans le monde Arabe et en Méditerranée**, Presses Universitaire du Mirail, 2007 ;
174- Simon (Jacques) : **Le MTLD ; Le Mouvement pour le triomphe des libertés démocratiques 1947-1954** , L'Harmattan, Paris, 2003 ;
175- Vaujour (Jean) : **de la Révolte à la Révolution : aux premiers jour de la guerre d'Algérie**, A. Michel, 1985 ;
176- Villeroy (Alfred) : **Histoire de Mille huit Cent Quarante et Un**, Ed Paulin, Paris, 1842 ;
177- Viroll-Souibès (Marie) : **Rituels Algériens**, Ed Karthala ,Paris, 2001 ;
178- Viollette (Maurice) :**Exposé de la situation de l'Algérie**, 1925 ;

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الرسائل الجامعية:

179- Berrayah (Mohamed) : **Analyse de la dynamique des systèmes et Approche D'aménagement Intégrée en zones de la Montagnes Cas des Montagnes des Trara (Wilaya De Tlemcen)**, Magister en Foresterie, Université de Tlemcen, 2005- 2006 ;
180- Bouvresse (Jacques) : **Les Délégations Financières Algériennes (1898-1945)**, T.1, Thèse Inédite, Université de Nancy 2, 1979 ;
181- Ringel (Albert) : **Les Bureaux Arabes de Bugeaud, et les Cercles Militaires de Gallieni**, thèse de Doctorat, Emile Larose ,Paris, 1903 ;
182- Serdoun (A) : **Nedroma ; Les Mutations récentes d'une petite ville précoloniale**, DES, 1982 ;

الدوريات:

183- Agéron (Ch-R) : "Si M'hammed Ben Rahal une Conscience inquiète dans une Algérie en Mutation",in **Les Africains**, t8, Jeune Africain, 1977 ;
184- Barrak (Anissa) & Muller (Bénédicte) : "Femmes et guerres", In : **Confluences Méditerranée ; revue trimestrielle**, N° 17, Ed. L'Harmattan, Paris, 1996 ;
185- Bel (Alfred) : " Nedroma" , In **Encyclopedie de l'Islam**, Ed. Leiden nouvelle, T4, 1901 ;
186- Bel (Alfred) : "Nedroma Métropole Musulmane des Traras", in **Bulletin de la société de Géographie et d'Archéologie d'Alger**. N°140, 1934 ;
187- Bellamare (Alexandre) : "Abd el Kader, sa vie politique et militaire", 3eme partie, In **Revue Contemporaine**, 15eme année, T28, Paris ;
188- Ben Rahal (Hamza) : Histoire de Nedroma, In **Bulletin de la société de géographie et d'archéologie d'Oran**, 1888 ;
189- Canal (Joseph) : "***Monographie de l'arrondissement de Tlemcen*** Nedroma et le pays des Traras", In : **Bulletin de la société de géographie et d'archéologie d'Oran**, T.6, Avril-Juin, 1886 ;
190- Canal (Joseph) : ***"Monographie de l'arrondissement de Tlemcen*** Nedroma et les pays des Traras", In : **Bulletin de la société de géographie et d'archéologie d'Oran**, T.7, octobre-décembre1887 ;
191- Canal (Joseph) : " Monographie de l'arrondissement de Tlemcen ; Nedroma et le pays des Traras ", In **Bulletin de la société de géographie et d'archéologie d'Oran**, 1888 ;

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

192- Carthy (Mac) : "d'Oran à Nemours par terre", In **Itinéraire historique et descriptif de l'Algérie**, Paris, 1862 ;
193- Carthy (Mac) : "Géographie de L'Algérie", In **Revue de l'Orient et de l'Algérie**, T13,1853 ;
194- Corriéras (J) : "L'assimilation des Arabes est- elle possible", Conférence Faite le 29 Avril 1904, In **Bulletin de la société de géographie et d'archéologie d'Oran**, T24, 1904 ;
195- De Lorral :" Tlemcen", In : **Tour du Monde**, 1875 ;
196- De Mauprix (Charles) :" Six Mois chez les Traras", In. **Le Tours du Monde**, 1889 ;
197- Destaing (Edmond) : " L'Ennayer chez le Béni Snous , In **Revue Africaine**, Vol.49,1905 ;
198- Destaing (Edmond) : " Fêtes et coutumes saisonnières chez les béni Snous", In **Revue Africaine**, Vol.50, 1906 ;
199- Gautier (E. F) : " Répartition de la langue Berbère en Algérie ", In : **Annales de Géographie**, T.22, N° 123 ;
200- Géniaux (Charles) : "Nedromah ", In : **Revue des deux mondes**, Février, 1922 ;
201- Grandguillaume (Gilbert) : "Une Médina de l'ouest Algérien ; Nedroma", In : **Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée**, N° 10, Vol 10, Année 1971 ;
202- Hubert (Michel) : "Les nouvelles Institutions Communales Algériennes", In **Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée**, Vol 5, N°5,1968 ;
203- Janier (Emile) :" Nemours et sa région" In **Bulletin de la société de géographie et d'archéologie de la province d'Oran** , T. 3&4 ,1949-1950 ;
204- (La direction) : "Réflexions sur le voyage du président de la République d'après les discours officiel", In **Revue Indigène**, N°160-162, Avril- juin, A17, 1922 ;
205- Le Sept (Paul) : "Nedroma cité berbère", In **Tlemcen et ses environs ; guide illustré du touriste**, A. Thiriat, 1922 ;
206- Marie-Anne (Prenant-Thumelin) : "Nedroma 1954", In :**Annales Algériennes de Géographie**, Alger,1967 ;
207- Panty (E) : "Villes Spontanée et villes crées en Islam", In **Annale de l'Institut d'études Orientales**, T9, Année 1951 ;
208- Sainte-Marie (A) : " la province d'Alger vers 1870 ; l'établissement du Douar- Commune et la fixation de la nature de propriété et territoire militaire dans le cadre du 22 Avril 1863", In : **Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée**, Vol.9, N° 1, Année 1971 ;

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

209- Sari (Djilali) :" l'évolution récente d'une ville précoloniale en Algérie Occidentale ; Nedroma", In : **Revue Tunisienne des sciences sociales**, Vol.5, N° 15, 1968 ;
210- Sari (Djilali) :" Nedroma" 1966, In **Annales Algériennes de Géographie**, 1967
211- Slousch (N) :" les Juifs de Debdou", In **Revue du monde Musulman**, Vol 22, Mars 1913
212- Yacono (Xavier) : "Peut on Evaluer la population de L'Algérie vers 1830", In **Revue Africaine**, 3e 4e trimestre, 1954, pp 277-307
213- Yver (Georges) : "Méthodes et institutions de colonisation; les Bureaux Arabes"In **Annales, Economies, Sociétés, Civilisations**, Vol 10, N°4, 1955
214- (X) : " Le marché franc de Marnia", In . **Questions diplomatiques et coloniales**, T2, Paris,1897 ;
215- (X) : " Si M'hammed Ben Rahal et ses électeurs", in**, L'Afrique Française**, 1926 ;
216- (X) : "Le président et les indigènes", in **L'Afrique Française**, Mai 1903 ;

الملتقيات:

217- Cardonne & Rabot : "les associations agricole de Tlemcen", In, **Congrès de la colonisation rurale**, Alger 26-29 mai 1930, Imprimerie Victor Heintz, Alger ;
218- Guenaou (Mustapha) : " Tarbi^aa espace socio- culturel et patrimoine historique", In : **5eme Colloque sur le patrimoine scientifique et Culturel de la ville de Nedroma et sa région**, le 20,21, 22 Décembre 2006, Nedroma, Tlemcen ;
219- Marie Anne (Prenant -Thumelin) :" Nedroma1954 ; étude urbaine", **Acte de la Table ronde organisée par le CRIDSSH en Déc. 1983**, Nedroma ;
220- Saussol (Alain) & Zitomerski (Joseph): " Une Colonie de Peuplement mais des Européens trés minoritaires", In. **Les actes du Colloque Colonies, territoires, sociétés ; l'enjeu Français**, Ed. L'Harmattan, 1996 ;

الجـرائد:

221- **Archives Israélites de France** : Vol 4, Paris, 1845 ;

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

222- **Journal des Haras , des chasses et des courses de chevaux en Belgique et dans les principaux pays de l'Europe**, T2, E d. Montagne de Sion, Bruxelles, 1854 ;
223- **Journal officiel de la Colonie** : N° 408 du 24 Nov 1840 ;
224- **Le Correspondant** : T42, 1854
225- **Le Courrier de Tlemcen** : Vendredi 10 Aout 1906 ;
226- **Le Courrier de Tlemcen** : 20 décembre1907 ;
227- **La République Algérienne**, 20 Avril 1951 ;
228- **La République Algérienne**, 09 novembre 1951 ;
229- **La République Algérienne** 23 novembre 1951 ;
230- **La République Algérienne**, 04 Janvier 1952 ;
231- **La République Algérienne**, 01 Février 1952 ;
232- **La République Algérienne**, 22 Février 1952 ;
233- **La république Algérienne**, 29 Février 1952 ;
234- **La République Algérienne**, 07 Mars 1952 ;
235- **La République Algérienne**, 25 Avril 1952 ;
236- **La République Algérienne**, 16 Mai 1952 ;
237- **La République Algérienne**, 4 Juillet 1952
238- **La République Algérienne**, 18 Juillet 1952
239- **L'Algérie libre**, 20 Février 1954 ;
240- **L'Algérie libre**, N° 100, 26 Février 1954 ;
241- **L'Algérie libre**, N° 101, 5 Mars 1954 ;
242- **Rachidi**, 21 Juin 1912 ;
243- **Rachidi**, 26 Juillet 1912 ;

القواميس والمعاجم:

244- Block (Maurice) : **Dictionnaire de l'administration Française ;**

المواقع الإلكترونية:

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

245- El-Hassar (Benali): "Cheikh Kaddour Ben Achour", **Journal El Moudjahid**, In"http: //Nedroma Multimania. Histoire.Com ;
246- http://www.senat.fr/senateur-4eme-republique/saadane_hadj_ahmed_cherif0080r4.html

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

المقدمة	**06**
المدخل: مدينة ندرومة عبر العصور	**16**

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفصل الأول: التوسع الفرنسي في الغرب الجزائري	
1-1- السيطرة الفرنسية على مدينة وهران	**30**
1-2- احتلال مستغانم	**34**
1-3- احتلال معسكر	**36**
1-3-1- حملة كلوزيل وحرق معسكر 1835	**37**
1-3-2- حملة لاموريسيار والسيطرة على معسكر 1841	**39**
1-4- احتلال تلمسان	**42**
1-4-1- تجربة كلوزيل 1836	**42**
1-4-2- معاهدة التافنة واستعادة الأمير عبد القادر لتلمسان	**46**
1-4-3- سقوط تلمسان1842	**48**
1-5- الإدارة الفرنسية للقبائل الجزائرية 1830-1863	**50**
1-5-1- تأسيس المراكز العسكرية	**55**
1-5-2- تقسيم القبائل إلى دواوير	**58**
الفصل الثاني: مدينة ندرومة دراسة إثنية واجتماعية	
2-1- التركيبة السكانية لمدينة ندرومة	**63**
2-1-1- سكان ندرومة الأصليين بين الأمازيغية والعروبة	**63**
2-1-2- اليهود	**69**
2-1-3- القناوة	**73**
2-2- عادات وتقاليد سكان مدينة ندرومة	**74**
2-2-1- المسكن الندرومي	**74**
2-2-2- الغذاء الندرومي	**82**
2-2-2-1- الفترة الصباحية	**82**
2-2-2-2- الْفُطُور؛ فترة منتصف النهار	**82**
2-2-2-3- فترة العصر	**84**

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

2-2-2-4- طبق العشاء	**84**
2-2-2-4-1- الأطباق الرسمية الخاصة	**85**
2-2-3- اللباس	**86**
2-2-3-1- لباس الرجال	**86**
2-2-3-2- لباس النساء	**88**
2-3- النشاط الديني لسكان ندرومة	**89**
2-3-1- المسلمون	**89**
2-3-1-1- الطرق الصوفية في ندرومة	**89**
2-3-1-1-1- تاريخ التصوف في الجزائر	**89**
2-3-1-1-2- النشاط الصوفي في ندرومة خلال القرن19م	**91**
2-3-1-2- مساجد مدينة ندرومة	**96**
2-3-1-2-1- المسجد الكبير	**97**
2-3-1-2-1-1- صومعة المسجد الكبير	**98**
2-3-1-2-2- مسجد البجاي	**99**
2-3-1-2-3- مسجد سيدي سيّاج	**99**
2-3-1-2-4- مسجد سيدي يحي بن الزعيوف	**101**
2-3-2- اليهـود	**103**
2-4- الأعياد والاحتفالات الموسمية في مدينة ندرومة	**107**
2-4-1- النّاير	**108**
2-4-2- السابْعَة	**109**
2-4-3- النْطح	**110**
2-4-4- النِيسَانْ	**111**
2-4-5- العَنْصَرَة	**112**
الفصل الثالث: السياسة الفرنسية في مدينة ندرومة	

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

3-1- مدينة ندرومة قبيل السيطرة الفرنسية (1830-1842)	115
3-2- الاحتلال الفرنسي لمدينة ندرومة	119
3-3- الإدارة الفرنسية في مدينة ندرومة	120
3-3-1- إدارة مدينة ندرومة قبيل السيطرة الفرنسية (مجلس الجماعة)	120
3-3-2- النظام الإداري الفرنسي في مدينة ندرومة	124
3-3-2-1- مدينة ندرومة والمركز العسكري بنمور (الغزوات)	125
3-3-2-2- تأسيس المكتب العربي بنمور	127
3-3-2-3-: تأسيس بلدية نمور المختلطة	130
3-3-2-4- تأسيس بلدية ندرومة المختلطة	131
3-4- الاستيطان ومصادرة الأراضي في مدينة ندرومة ونواحيها	135
3-4-1- الإدارة الفرنسية وسياسة الاستيطان	135
3-4-1-1- الاستيطان ومصادرة الأراضي في الغرب الجزائري	139
3-4-2- السياسة الاستيطانية في ندرومة(1842-1881)	141
3-5- توسعات مدينة ندرومة في الفترة ما بين 1881-1954	155
الفصل الرابع: اقتصاد مدينة ندرومة خلال الفترة الاستعمارية	
4-1- الحرف و الصناعات	169
4-1-1- الصناعات النسيجية	170
4-1-1-1- تقنيات صناعة النسيج بندرومة	172
4-1-1-2- ميزانية النساجين سنة 1954	174
4-1-1-3- تراجع حرفة النسيج وأسبابها	175
4-1-2- حرفة الخياطة وتطريز الجلاليب	177
4-1-3- صناعة الفخار	178
4-1-3-1- تقنيات صناعة الفخار	179
4-1-4- التطريز وصناعة الزرابي	183

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

4-1-5- صناعة البليغة	**185**
4-1-6- النجـارة	**187**
4-1-7- صناعة الألياف النباتية le crin végétal	**189**
4-1-7-1- ترويج منتوج الليف النباتي	**191**
4-1-8- سياسة الإدارة الفرنسية تجاه الصناعات الحرفية العتيقة في ندرومة	**192**
4-2- الزراعة	**199**
4-2-1- النشاط الزراعي قبيل الاحتلال	**199**
4-2-2- الملكيات الزراعية في ندرومة في الفترة الاستعمارية	**201**
4-2-3- الزراعات المعتمدة في ندرومة	**208**
4-2-4- الاستغلال غير المباشر للأراضي الزراعية بندرومة	**210**
4-2-5- الإنتاج الفلاحي في ندرومة خلال الخمسينيات	**214**
4-2-5-1- إنتاج الحبوب	**214**
4-2-5-2- تربية الحيوانات	**216**
4-2-6- السياسة الزراعية الفرنسية بندرومة	**218**
4-2-6-1- القرض الزراعي	**218**
4-2-6-2- الشركة الزراعية للاحتياط لبلدية ندرومة المختلطة	**220**
4-2-6-3- الشركة الزراعية للاحتياط بندرومة	**221**
4-3- التجارة	**222**
4-3-1- سوق ندرومة خلال الفترة الاستعمارية	**225**
4-3-1-1- سوق المواشي	**226**
4-3-1-2- سوق الحبوب	**227**
4-3-1-3- سوق الخضار	**228**
الفصل الخامس: موقف أهالي ندرومة من الإدارة الفرنسية (1842-1925)	
5-1- موقف قياد ندرومة من الإدارة الفرنسية 1842-1884	**232**

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

5-1-1- القائد محمد النقاش (1843-1845)	232
5-1-2- القائد حمزة بن رحال (1859-1878)	234
5-2-3- القائد سي محمد بن رحال (1878-1884)	238
5-2- موقف نواب ندرومة (تجربة سي محمد بن رحال) 1913-1925	241
5-2-1- وضعية الأهالي في المجالس التمثيلية الفرنسية في الجزائر	241
5-2-2- انتساب ابن رحال إلى المجالس الانتخابية	244
5-2-2-1- ابن رحال وحق التمثيل النيابي للجزائريين	246
5-2-2-2- موقف ابن رحال من القوانين الاستثنائية	267
1- قانون الملكية	268
2- قانون الغابات (Le code Forestier)	271
5-2-2-3- ابن رحال وسياسة الادماج	274
1- مفهوم سياسة الاندماج	274
2- الوسائل التي اعتمدت عليها الإدارة الفرنسية لتحقيق الاندماج	276
3- موقف الأهالي من الاندماج	280
4- أراء محمد بن رحال حول سياسة الاندماج	281
5-3- موقف أهالي ندرومة من التجنيد الإجباري	294
5-3-1- موقف الجزائريين من التجنيد الإجباري	294
5-3-2- موقف سكان مدينة ندرومة	297
الفصل السادس: الحركة السياسية والإصلاحية في مدينة ندرومة (1945-1954)	
6-1- الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري UDMA	306
6-1-1- تأسيس وتنظيم فرع UDMA بندرومة	316
6-1-2- زيارات فرحات عباس لمدينة ندرومة	318
6-1-2-1- زيارة 19 ديسمبر 1946	326
6-1-2-2- زيارة 09 أكتوبر 1948	321

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

6-1-3- نشاطات فرع ندرومة	322
6-1-3-1- التربية السياسية للسكان والنضال ضد الجهل والأمية	322
6-1-3-2- المشاركة في الانتخابات والحملات الانتخابية	323
6-1-3-3- المشاركة في العمل الثقافي والإصلاحي	324
6-1-4- سياسة الإدارة الفرنسية تجاه فرع الاتحاد الديمقراطي بندرومة	325
6-1-4-1- انتخابات سنة 1948	325
6-1-4-2- حادثة القائد عبد الرحمان بكوش	328
6-1-4-3- بول لوسات مدير بلدية ندرومة المختلطة وفرع الاتحاد الديمقراطي	331
6-2- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين	341
6-2-1- زيارة عبد الحميد بن باديس لمدينة ندرومة سنة 1932	342
6-2-2- تأسيس شعبة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بندرومة	346
6-2-2-1- تأسيس مدرسة ندرومة	347
6-2-2-2- معلمو مدرسة ندرومة	350
1- مدير المدرسة	350
2- المعلمون	352
6-2-2-3- نظام المدرسة	353
1- أجور المعلمين	353
2- التلاميذ	353
3- المقرر الدراسي	354
6-2-3- نشاطات جمعية العلماء في ندرومة وموقف السلطة الفرنسية منها	355
6-2-4- سياسة الإدارة الفرنسية تجاه شعبة جمعية العلماء بندرومة	364
6-3- حركة انتصار الحريات الديمقراطية	366
6-3-1- ظروف تأسيس حركة الانتصار	366
6-3-1-1- تجربة الانتخابات	367

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

6-3-2-نشاط حزب الشعب- حركة انتصار الحريات الديمقراطية في ندرومة	**371**
6-3-3- حركة الانتصار وأحداث 15 أكتوبر1953 بمدينة ندرومة	**376**
6-3-4- ردود الفعل تجاه أحداث أكتوبر 1953 بمدينة ندرومة	**381**
6-3-4-1- موقف الإدارة الفرنسية	**381**
6-3-4-2- موقف التيار الشيوعي	**384**
6-3-4-3- موقف حركة انتصار الحريات الديمقراطية	**385**
6-3-4-4- موقف التيارات السياسية والإصلاحية الجزائرية	**386**
الخاتمة	**391**
الملاحق	**396**
الفهارس	**436**
فهرس الأعلام	**437**
فهرس القبائل والأماكن	**455**
قائمة المصادر والمراجع	**468**
فهرس الموضوعات	**488**

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com